

موسوعة التطوع

إعداد
أحمد بن سليمان
ونخبة من الباحثين

المشرف العام
د/سامي سلمان

المجلد الأول

فريق البحث

سيد عبد العال
محمد الصادق
محمود عبد الحكيم
عبد الرحمن الفواخري

أبو محمد صالح حسون
محمد غريب
محمد حسني
ياسر العوامري

تقديم أ.د/ خالد المشيقح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد ،
فقد اطلعت على موسوعة العمل التطوعي إعداد الشيخ أحمد بن سليمان
ونخبة من الباحثين ، وقد تميزت هذه الموسوعة بجمع أحكام العمل
التطوعي ، وبيان آدابه ، وما يتعلق بالعمل التطوعي من فتاوى وغير
ذلك مع تأصيل ذلك وتلقيه ، والاستدلال له كل ذلك بأسلوب
علمي ، ومعنى واضح ، جرى الله القائمين على هذا العمل خير الجزاء ،
ونفع آمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

كتبه

د / خالد بن علي المشيقح

أستاذ بكلية الشريعة بالقصيم

١٤٣٩/٣/٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم ١٤٣٩/٣/٨

المحمدية وهدى والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

فقد اطلعت على موسوعة العمل التطوعي بإعداد
الشيخ أحمد بن سليمان ونجدة من الباحثين ،
وقد تميزت هذه الموسوعة بجمع أحكام العمل
التطوعي ، وبيان آداب ، وما يتعلق بالعمل
التطوعي من فناوي وغير ذلك مع تأصيل ذلك
وتفصيله ، والاستدلال به كل ذلك بأسلوب
علمي ، ومعنى واضح ، ميز الله القائمين على هذا
العمل غير الجزاء ، ونفع آمين وصلى الله وسلم
على نبيه وآله وصحبه

وكسم :
دا خالد بن علي الشيعي
كلية التربية بـ
بغداد

تقديم أ.د عبد الله شاكر رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية بجمهورية مصر العربية

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وبعد

فإن الله تبارك وعالي يحكم بما يشاء ويقضي ما يريد ، وله الحكمة البالغة ، فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، ومن ذلك أنه فضل بعض الناس على بعض في الرزق ووفق الأخيار لمساعدة أصحاب الحاجات من الفقراء واليتامى والمساكين ووعدهم على ذلك الأجر العظيم ، كما في حديث أبي هريرة عند مسلم : ((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرْتُ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيه)) ، واستجابة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الداعية إلى البذل والعطاء ، وإلى الأخوة الإيمانية التي تجمع بين أهل الإيمان نشط جمع من المؤمنين ففقدوا المحتاجين ، وانتبه فريق آخر إلى أهمية جمع هذه الجهود وبلورتها في عمل مؤسسي يقوم عليه متطوعون حسبة لله ، ورغبة في نيل رضاه حتى يتم تنظيم العمل بصورة سليمة وتوضع نفقة المنفقين عند أصحابها من المحتاجين ولقد بذلت جهود فردية في وضع تصور لهذه الأعمال الخيرية التطوعية ، فنفذ الله بها ؛ غير أن هذه الجهود كانت بحاجة إلى تأصيل علمي جامع يربط هذه الأعمال الخيرية بصورة مكتملة من جميع الجوانب ، وشاء الله تبارك وتعالى أن يتم هذا العمل وإخراج هذه الموسوعة المباركة في مجلدات خمس ، وقد اشتملت مفرداتها على بحوث متميزة أبرزت من خلالها

تعريف العمل التطوعي وأهمية وسائله وآليات تفعيله ، كما تحدثت عن أخلاقيات المتطوع ، وعلاقتها بطبيعة عمله ، كما اشتملت على مجالات العمل التطوعي ، والأحكام الفقهية المتعلقة به كما تضمنت بعض فتاوى كبار العلماء والمجامع الفقهية حول مسائل العمل التطوعي ، وهذه الموسوعة بهذا التصور السريع تدفعني إلى القول بأنه عمل علمي لم أر له نظيراً حتى اليوم ، ولذلك فإني أشكر الله تبارك وتعالى أولاً أن وفق هؤلاء الباحثين إلى إخراج هذه الموسوعة ، كما أشكر القائمين على إدارتها والمشرف عليها وفريق الباحثين الذين قاموا بإعدادها وهذه الموسوعة تسد جانباً مهماً في العمل التطوعي ، وتيسر السبيل إليه وفق الله المسلمين لما يحب ويرضى وجمعهم على الخير والتقوى وآخر دعوان أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

عبد الله بن شاكر الجنيدي

صباح الأربعاء ١١/٣/١٤٣٨ هـ

تقديم أ.د/ سامي سلمان المشرف العام على الموسوعة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد،

فإن العمل التطوعي من أنبل وأسمى العبادات الأخلاقية، والمتطوع من أحب الناس إلى الله.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُورُورُ تَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأنَّ أُمِّشِيَّ مَعَ أَخِي لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ؛ أَثْبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ﴾^(١).

في الحديث إشارتان واضحتان:

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٠٢٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٠٦).

الأولى: أن هذه العبادات التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم من اعتكاف في المسجد النبوي بما يشملها من حبس النفس في بيت الله وتلاوة القرآن وقيام الليل والذكر وغير ذلك من الأعمال العظيمة وإن كانت من القُربِ العظام لكن الأعظم منها نفعُ الناس بما يستطيع من بذلٍ للنفس والجهد والمال ليدفع عن إخوانه المسلمين البأس ويدخل عليهم السرور ويفرج عنهم الكرب.

الثانية: قوله صلى الله عليه وسلم: (حتى أقضيها له) وهذا يعني العناية بإنجاز العمل كاملاً، وأن قضاء الحوائج عمل يحتاج إلى إتمام كما أراد المحتاج، مما يترتب عليه إنجازها له على أحسن وجه.

فالمجتمع المسلم مجتمع يتجلى فيه العمل التطوعي بكل صوره وأشكاله.

فالمسلم يدعو ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر متطوعاً راجياً الثواب من الله قال تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (٣٣) فصلت

وقال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (آل عمران: ١١٠)

ويعلم الناس تطوعاً، فعن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ﴾، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان، حتى كان الحجاج قال: وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا^(١)

وَيَنْفِقْ تَطَوُّعًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) فاطر

ويرحم الكبير والعاجز، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارِ﴾^(١)

فحياة المسلم كلها بذل وعطاء ونفع للمسلمين، فهو محتسب في كل عمله راجيا ما عند الله من الثواب،

ولذلك كان من المهم أن يكتب ويُنشر في مجال العمل التطوعي الأبحاث والدراسات بشتى صورها لتشمل جوانب العمل التطوعي جملة وتفصيلا وجمعا وتأصيلا وتحفيزا وترغيبا وإحصاء وتدوينا، وإن الجهود التي بذلت إلى اليوم لا ترتقي إلى منهج الإسلام الحاث على التطوع والنفع، ولهذا كانت الكتابة في هذه الموسوعة المباركة لتجمع شتات هذا الباب ولتكون نواة لسد الخلل في مؤلفات العمل التطوعي

وقد رأيت أن يكون فيها من الشمولية والتنوع بحيث تكون مرجعا مبسطا للمهتمين بشأن التطوع فمن المهم أن يكون التأصيل والجانب الشرعي الحظّ الأوفر في حياة المتطوع حتى يصبح العمل موافقا لما جاء في الشريعة الإسلامية، ولهذا تم جمع فريق عمل متخصص لدراسة هذا الباب العظيم من الشريعة تحت إدارة فضيلة الشيخ / أحمد بن سليمان، وتباحثنا سويا في خطة العمل حتى اتفقنا

(١) صحيح البخاري (٥٣٥٣).

على الصورة التي خرج عليها الكتاب بحمد الله، وذلك في عامين متواصلين من البحث والتدقيق والجمع والترتيب.

ثم بعد إنهاء العمل عرضناه على شيوخ أفاضل، وكان على رأس أولئك فضيلة الشيخ / خالد السبت حفظه الله وقد أبدى ملاحظات على العمل أخذناها بعين الجد وتم تعديل ما أبداه حفظه الله .

وأيضاً تم عرضه على فضيلة الشيخ / علوي السقاف في مركزه المبارك : الدرر السنية وأبدى أيضاً ملاحظات في اختصار بعض الأبواب وتم التعديل كما أشار حفظه الله .

ثم تمّ الكتاب بحمده تعالى في خمسة مجلدات.

وقد تناول المجلد الأول التعريفات العلمية للعمل التطوعي وحكمه وأهميته وفضله في الشريعة وذلك من خلال نصوص الوحيين وكلام السلف الصالح وتضمن المجلد الثاني: التأصيل الشرعي للعمل التطوعي وصفات المتطوعين المحمود منها والمذموم

وتضمن المجلد الثالث : مجالات العمل التطوعي وقد قسمناها إلى ثلاثة مجالات كبار وتحت كل مجال تفصيلاته وهي:

المجالات الدعوية ، والمجالات العلمية والتعليمية ، والمجالات الاجتماعية ، ومع هذه المجالات دور المرأة في العمل التطوعي

وتضمن المجلد الرابع : الأحكام الفقهية للعمل التطوعي مرتبة على أبواب الفقه وأخيراً: المجلد الخامس، وقد جمعنا فيه فتاوى العلماء حول العمل التطوعي من اللجان والمجامع الفقهية وكتب الفتاوى المعتمدة.

وفي هذا المقام لا بد من التذكير بعدة أمور بين يدي هذه الموسوعة المباركة.

- التطوع بلا مقابل هو الأصل وهذا هو الأساس في العمل التطوعي: أنه بذل بلا انتظار الأجر من الناس وقد عقدنا بحثاً في موسوعتنا حول أخذ الأجرة على العمل التطوعي

- المنافسة في التطوع تكامل فكل يسعى لسد ثغرة في بنيان الإسلام هذا بالعلم وهذا بالدعوة وذاك بالنفقة إلى غير ذلك وهو ما دعت إليه الشريعة {وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦]

- أبواب العمل التطوعي كثيرة متشعبة ويستطيع كل مسلم أن يضرب بسهم في أي باب منها ولا عذر لأحد تخلف عن السباق فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ﴿إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجَهَادٌ فِي سَبِيلِهِ﴾، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ﴿أَعْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا﴾، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: ﴿تُعِينُ ضَايِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ﴾، قال: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: ﴿تَدْعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ﴾^(١)

- أبواب التطوع تختلف من مكان إلى مكان ومن زمان إلى آخر وهي تتجدد باحتياج الناس، وأفضلها ما حققت المقاصد الشرعية للدين من حفظ النفس والدين والعقل والعرض والمال ولهذا لا ينبغي أن نحصرها في جانب واحد.

- تحديد الأولويات في البذل من خلال النظر في الضروريات والحاجيات والتحسينيات فيقدم الأهم على المهم فالأجر على قدر الأثر والأثر مرتبط بحاجات الناس المهمة.

- ينبغي ألا نشتغل عن تعليم الناس وإصلاح المجتمع، فنحن دعاة وأصحاب رسالة قبل كل شيء والبناء أولى من الترميم وليس أعظم من منهج التربية وصناعة الإنسان الصالح فالعمل الاجتماعي لا بد أن يرتبط بالعمل الدعوي والتعليمي.

- في ظل ما كتب الله على الأمة في هذه الحقبة التاريخية من المحن المتلاحقة والمتلاطمة التي يعانها المسلمون في شتى بقاع الأرض، نحتاج أن نراجع أنفسنا فيما نتطوع ونبذل الجهد والمال والعمر، فقد يكون في أمر ليس ضروريا وفي ذات الوقت فينا من يموت جوعا ويُقتل على دينه، أليس التطوع في حق هؤلاء واجب للمقتدر.

- إن التغريب المنظم يصيب الأمة، والتصدي له ولوسائله المختلفة، أصبح من واجبات المتطوعين وأولى أولوياتهم.

- قطاع المتطوعين ليس قطاعا ترفيهيا، بل عليه واجبات ومسؤوليات جسام، وهذا يتطلب التضحيات، والأجر على قدر المشقة.

- يلعب الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي دورا كبيرا في صناعة التغيير والتأثير في المجتمع وهو من مجالات التطوع المهمة في هذه المرحلة.

- إذا كنا نؤمن بأن أعمال التطوع على اختلاف صورها لا بد فيها من تجريد الإخلاص لله وحده فليس لنا حظ فيه، فالرجوع إلى الشرع والاحتكام إليه أصل لازم حتى يسير العمل وفق ما أراده الشارع وما جهلناه سألنا أهله وهم العلماء الربانيين، قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الآية: ٧]. الأنبياء

فالرجوع للعلم وأهل العلم واجب على كل مسلم في أي قضية وعمل يتغنى به وجه الله.

- يشهد عالم التطوع عودة وطفرة عظيمة تحتاج إلى توجيه إلى ما هو خير للأمة ونهضتها، وهذا واجب على أهل العلم وطلبة العلم الذين نرجوا أن يكونوا في المقدمة، وليس من الصحيح إهمال هذا الجانب، فالناس تسير خلف قائدها وإن لم ندعو الناس للخير؛ فدعاه الضلالة متوثبون في كل جانب وناحية.

- من أعظم أبواب التطوع المستدام، التطوع لإقامة وقف أو تأسيس وقف، أو منظمة خيرية فاعلة، هذه الأعمال ينبغي أن تكون نصب أعيننا دائما فهي التي تحدث التغيرات والنقلة في المجتمعات ولقد كان أول ما قام به نبينا صلى الله عليه وسلم بناء المسجد النبوي، ودعوة أصحابه للعمل والكسب ليكون كل واحد منهم مثالا للبذل والعطاء فعن أبي مسعود، قال: ﴿أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ﴾ قَالَ: كُنَّا نُحَامِلُ، قَالَ فَتَصَدَّقَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ، قَالَ: وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْهُ، فَقَالَ الْمُتَنَافِقُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخَرُ إِلَّا رِيَاءً، فَزَلَّتْ: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} [التوبة: ٧٩] (١)

- التقليدية قاتلة ويرفضها الأجيال. فالتجديد المحتكم للشرعية تفصيليا وشموليا هو طريقنا في مجالات التطوع مع الحفاظ على الثوابت وفهم طبيعة المتغيرات

(١) صحيح البخاري (١٤١٥)، وصحيح مسلم (١٠١٨).

-احترام التخصص هو احترام لإمكاناتنا وما وهبنا الله من نعمة قد وهب غيرنا أخرى فلو قام كل متخصص بما حباه الله به لتفوقنا على غيرنا من أهل الضلال في كل ميدان

أخيراً: ينبغي للمهتمين أن يبذلوا ما يستطيعون في إثراء الجانب التطوعي وتطويره وتأصيله وربطه بما جاء في صدر الأمة فهم سلفنا و قدوتنا ولن تصلح آخر هذه الامه إلا بما صلح به أولها ، فالعناية بهذا الجانب من الضرورات الملحة .
هذا ما عندي فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت أو أخطأت فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه براء

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وبالله التوفيق

المشرف العام على الكتاب
د / سامي تيسير سلمان

المقدمات

تعريف العمل التطوعي

تعريف العمل التطوعي.

العمل التطوعي لقب يدل على معنى من المعاني المشتقة لا ذاتاً من الذوات، وهو مكون من لفظتين الآخرة منهما مخصصة للأولى، يفتقر فهم معناه على فهم هاتين اللفظتين؛ إذ كل منهما يدل على جزء من المعنى فلا بد من تعريف كل لفظة منهما، ثم تعريفه باعتباره لقباً.

العمل لغة:

قال ابن فارس: (عَمِلَ) العَيْنُ والمِيمُ واللامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ فِعْلٍ يُفْعَلُ. قَالَ الْخَلِيلُ: عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا، فَهُوَ عَامِلٌ؛ وَاعْتَمَلَ الرَّجُلُ، إِذَا عَمَلَ بِنَفْسِهِ. قَالَ: إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمِلُ... إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَّكِلَ وَالْعَمَالَةُ: أَجْرُ مَا عُمِلَ. وَالْمُعَامَلَةُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِكَ عَامَلْتُهُ، وَأَنَا أَعَامِلُهُ مُعَامَلَةً. وَالْعَمَلَةُ: الْقَوْمُ يَعْمَلُونَ بِأَيْدِيهِمْ ضُرُوبًا مِنَ الْعَمَلِ، حَفَرًا، أَوْ طِيًّا أَوْ نَحْوَهُ. (١)

والعمل يشمل: عمل القلب، والجوارح.

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ. (٢)

فقد سمي الإيمان عملاً، وهو يشمل تصديق القلب، وبقينه، وإدعائه، وذلك خلافاً لمن أخرج منه عمل الجوارح.

والعمل يشمل: الأعمال الصالحة والسيئة، خلافاً لمن خصه بالأعمال الشريفة، وجعل الفعل يشملهما (الأعمال الصالحة، والسيئة).

فالأعمال الصالحة يدل عليها قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: ١٢٤].

وقوله: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} [طه: ١١٢].

(١) مقاييس اللغة (٤/ ١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (١٣٥).

وقوله: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} [الأنبياء: ٩٤].

وقوله: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧].
والأعمال السيئة يدل عليها نحو قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ١١٠].

وقوله: {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: ١٢٣].

وقوله: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} [إبراهيم: ٤٢].

ويشمل الأعمال الصالحة والسيئة في نحو قوله: {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا} [الإسراء: ٨٤].

الفرق بين العمل والفعل:

العمل ما صدر عن قصد، وترك أثراً، فإن صدر عن غير قصد فهو فعل، فإنه يصدر عن قصد وغير قصد، وكذا إن لم يترك أثراً.

قال الراغب الأصفهاني: العمل: كل فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخص من الفعل؛ لأنَّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم: البقر العوامل^(١).
قال أبو الهلال العسكري: إن العمل إيجاد الأثر في الشيء، يقال: فلان يعمل الطين خزفاً، ويعمل الخوص زنبيلًا، والأديم سقاء ولا يقال: يفعل ذلك؛ لأنَّ فعل ذلك الشيء هو إيجاده على ما ذكر هنا، وقال الله تعالى {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} أي خلقكم وخلق ما تؤثرون فيه بنحتكم إياه أو صوغكم له.

(١) المفردات في غريب القرآن (١/ ٤٥١).

وَقَالَ الْبَلْخِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مِنَ الْأَفْعَالِ مَا يَقَعُ فِي عِلَاجٍ وَتَعَبٍ وَاحْتِيَالٍ وَلَا يُقَالُ لِلْفِعْلِ الْوَاحِدِ عَمَلٌ.^(١)

قال ابن رجب الحنبلي: والفعل: من الناس من يقول: هو مرادف للعمل. ومنهم من يقول: هو أعم من العمل. فمن هؤلاء من قال: الفعل يدخل فيه القول وعمل الجوارح، والعمل لا يدخل فيه القول على الإطلاق. ويشهد لهذا: قول عبيد بن عمير: ليس الإيمان بالتمني، ولكن الإيمان قول يفعل، وعمل يعمل.

ومنهم من قال: العمل: ما يحتاج إلى علاج ومشقة، والفعل: أعم من ذلك. ومنهم من قال: العمل: ما يحصل منه تأثير في المعمول كعمل الطين آجرًا، والفعل أعم من ذلك. ومنهم من قال: العمل أشرف من الفعل، فلا يطلق العمل إلا على ما فيه شرف ورفعة بخلاف الفعل، فإن مقلوب عمل: لمع، ومعناه ظهر وأشرف. وهذا فيه نظر، فإن عمل السيئات يسمى أعمالا كما قال تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} [النساء: ١٢٣] وقال {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا} [غافر: ٤٠] ولو قيل عكس هذا لكان متوجها، فإن الله تعالى إنما يضيف إلى نفسه الفعل كقوله تعالى {وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا} [إبراهيم: ٤٥]، {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ} [الفجر: ٦] {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}، {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: ١٨].^(٢)

والعمل هنا حلي ب: أل، و(أل) التي تدخل على الأسماء ثلاثة أنواع:

الأول: أل الزائدة: وهي الداخلة على الأعلام نحو: الحسن، والحسين، والعباس، والحارث.

الثانية: أل الجنسية، وهي تستغرق الجنس فتفيد العموم، وهي ثلاثة أنواع:

الداخلة على اسم الجنس مثل: البيع، الشراء، العمل.

الداخلة على الاسم المفرد مثل: المؤمن، السارق، القارئ.

الداخلة على الجموع مثل: المؤمنون، المؤمنات، الرجال.

(١) الفروق اللغوية (ص ١٤٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب (٦/١).

الثالثة: أل العهدية، وهي التي ترجع إلى معهود ذكري أو ذهني فلا تفيد العموم مثل قوله تعالى: {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} الحج: ٢٩.

فهي ترجع لمعهود ذهني وهو الكعبة، وليس كل بيت عتيق.

وكقوله: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} فأل هنا ترجع لمعهود ذكري وهو قوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥].

والعمل المراد في هذا اللقب: العمل التطوعي، لا يراد به إلا نوع من العمل وهو العمل الخيري، فأل هنا لا شك عهدية، لا تفيد العموم.

ومنهم من قال تفيد العموم وقد خصها الوصف بالتطوع؛ فإنه لا يكون إلا في خير.

اللفظة الأخرى: التطوعي.

التطوع: الانقياد تكلفاً.

قال ابن فارس:

(طَوَعَ) الطَّاءُ والواوُ والعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِصْحَابِ وَالْإِنْقِيَادِ. يُقَالُ: طَاعَهُ يَطُوعُهُ، إِذَا انْقَادَ مَعَهُ وَمَضَى لِأَمْرِهِ. وَأَطَاعَهُ بِمَعْنَى طَاعَ لَهُ. وَيُقَالُ لِمَنْ وَافَقَ غَيْرُهُ: قَدْ طَاوَعَهُ. وَالِاسْتِطَاعَةُ مُسْتَقَّةٌ مِنَ الطَّوْعِ، كَأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَصْلِ الْإِسْطِطَاعُ، فَلَمَّا أُسْقِطَتِ الْوَاوُ جُعِلَتْ الْهَاءُ بَدَلًا مِنْهَا، مِثْلَ قِيَاسِ الْإِسْتِعَانَةِ وَالِاسْتِعَاذَةِ.

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: تَطَاوَعُ لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى تَسْتَطِيعَهُ. ثُمَّ يَقُولُونَ: تَطَوَّعَ، أَيْ تَكَلَّفَ اسْتِطَاعَتَهُ، وَأَمَّا قَوْلُهُمْ فِي التَّبَرُّعِ بِالشَّيْءِ: قَدْ تَطَوَّعَ بِهِ، فَهُوَ مِنَ الْبَابِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَلْزَمْهُ، لَكِنَّهُ انْقَادَ مَعَ خَيْرٍ أَحَبَّ أَنْ يَفْعَلَهُ. وَلَا يُقَالُ هَذَا إِلَّا فِي بَابِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ. وَيُقَالُ لِلْمُجَاهِدَةِ الَّذِينَ يَتَطَوَّعُونَ بِالْجِهَادِ: الْمُطَوَّعَةُ، بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَالْوَاوِ، وَأَصْلُهُ الْمُتَطَوَّعَةُ، ثُمَّ أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الطَّاءِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: ٧٩]، أَرَادَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْمُتَطَوِّعِينَ (١).

قال الجوهري: وتطوع، أي: تكلف استطاعته. والتطوع بالشيء: التبرع به. (١)
 قال الراغب الأصفهاني: والتَطَوُّعُ في الأصل: تَكَلُّفُ الطَّاعَةِ، وهو في التَّعَارُفِ التَّبَرُّعُ بما لا يلزم كالتَّنْفُلِ، قال: {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ} [البقرة: ١٨٤]. (٢)
وفي معجم اللغة العربية المعاصرة:

- تَطَوَّعَ، يَتَطَوَّعُ، تَطَوُّعًا، فهو مُتَطَوِّعٌ، والمفعول مُتَطَوَّعٌ به
- تَطَوَّعَ الشَّخْصُ: تقدَّم لعمل ما مختارًا، قدَّم نفسه لإنجاز عمل أو مهمة بدون مكافأة أو أجر
 - "تطوَّع كثير من الشباب للخدمة في الجيش - كثر المتطوِّعون لتنظيف المسجد - {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ}.
 - تَطَوَّعَ بالشيء: تبرَّع به، وزاد على ما يجب عليه "تطوَّع ببناء ملجأ للأيتام - {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}" (٣)

واصطلاحًا:

قال الجرجاني: التطوع اسم لما شرع زيادة على الفرض والواجب. (٤)
 قال السرخسي: التَطَوُّعُ اسم لما يتبرَّع به المرء من عنده، ويكون محسنًا في ذلك ولا يكون ملومًا على تركه، فهو والتَّنْفُلُ سواء.
 وحكمه شرعًا: أنه يُثاب على فعله ولا يُعاقب على تركه. (٥)

مفهوم العمل التطوعي باعتباره لقبًا:

عرف العمل التطوعي بعدد من التعريفات منها:
 كل جهد بدني أو فكري أو عقلي أو قلبي يأتي به الإنسان أو يتركه تطوعًا دون أن يكون ملزمًا به لا من جهة المشرع ولا من غيره.

(١) الصحاح (١ / ٤٣٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن (١ / ٤٠٤).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢ / ١٤٢٢).

(٤) التعريفات (ص: ٦١).

(٥) أصول السرخسي (١ / ١١٥).

مثال ذلك: كتابة العقود، وتغسيل الموتى، إماطة الأذى عن الطريق، إعانة الرجل على دابته ورفع متاعه عليها، أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، أن تعين ضائعاً، إنقاذ الغرقى والهدمى والحرقى، إعانة في مهم كموت وعرس وسفر، كف أذاك عن الناس. (١)

وعرفه اللحياي: "الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمل مسؤولية المؤسسة التي تعمل على تقديم الرعاية الاجتماعية". (٢)

وعرفه العلي: "بذل مالي أو عيني أو بدني أو فكري يقدمه المسلم عن رضا وقناعة، بدافع من دينه، بدون مقابل بقصد الإسهام في مصالح معتبرة شرعاً، يحتاج إليها قطاع من المسلمين" (٣).

مفهوم العمل الاجتماعي التطوعي:

وعرفته د. رشا أحمد عبد اللطيف: "الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمل مسؤولية المؤسسة التي تعمل على تقديم الرعاية الاجتماعية". (٤)

وقال الأستاذ توفيق عسيران: التطوع يتضمن جهوداً إنسانية تبذل من أفراد المجتمع بصورة فردية أو جماعية، ويقوم بصفة أساسية على الرغبة والدافع الذاتي، سواء كان هذا الدافع شعورياً أو لا شعورياً، ولا يهدف المتطوع تحقيق مقابل مادي أو ربح خاص بل اكتساب شعور الانتماء إلى المجتمع وتحمل بعض المسؤوليات التي تسهم في تلبية احتياجات اجتماعية ملحة. (٥)

(١) الأعمال التطوعية في الإسلام د. محمد بن صالح بن علي القاضي.

(٢) العمل التطوعي أهميته، آثاره، عوامل نجاحه، معوقاته.

(٣) تنمية الموارد البشرية والمالية في المنظمات الخيرية العلي سليمان بن علي، وانظر: العمل التطوعي أهميته، معوقاته وعوامل نجاحه د. حميد بن خليل الشايجي.

(٤) محاضرة بعنوان: "مكانة الجهود التطوعية في العمل الاجتماعي"، ألقى في دورة التطوع على أعمال الدفاع المدني بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في ١٤/٥/١٤١٠هـ.

(٥) مؤتمر التنظيمات الأهلية العربية. موقع جمعية المبرات الخيرية.

ومفهوم العمل التطوعي العالمي هو: عمل غير ربحي لا يقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي مهني يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين، من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة.^(١)

وهو أوسع بلا شك من التعريفين السابقين، ويرد عليه أنه لم يدخل العمل المؤسسي. ولا شك أن هذا هو نفس مفهوم العمل التطوعي في الإسلام غير أن العمل التطوعي في الإسلام يبتغي فيه المتطوع أو المؤسسة الثواب الأخروي.

ونحن هنا نقصد بالعمل التطوعي ذلكم النشاط الخيري الذي يقوم به الأفراد أو الجماعات المتمثلة في الهيئات والمؤسسات والتجمعات الأهلية ذات النفع العام، دون عائد مادي مباشر مشروط للقائمين عليه، وذلك بهدف إسعاد الآخرين بالتقليل من حجم مشكلاتهم والإسهام في حلها وكذلك ابتغاء الثواب الأخروي، سواء أكان ذلك بالمال أو بالجهد والعمل.

(١) انظر تنمية الموارد البشرية والهالية في المنظمات الخيرية، العلي سليمان بن علي.

الألفاظ المرادفة للعمل التطوعي:

١- عمل البر:

لغة: البر مصدر بَرَّ يَبْرُّ وهو مأخوذ من مادة (ب ر ر) التي تدلّ على معان عديدة منها: الصَّلَةُ، والجَنَّةُ، والخَيْرُ، والآنْسَاءُ في الإحسان، والحُجُّ^(١).
وقد اختلف العلماء في تفسير البر فقال بعضهم: البرّ الصّلاح، وقال بعضهم: البرّ الخير.
قال ابن منظور: ولا أعلم تفسيراً أجمع منه؛ لأنّه يحيط بجميع ما قالوا، قال: وجعل لبيد البرّ التّقى حيث يقول: وما البرّ إلّا مضمّرات من التّقى.
قال أبو منصور: البرّ خير الدّنيا والآخرة؛ فخير الدّنيا ما ييسّر الله تعالى للعبد من الهدى والنّعمة والخيرات، وخير الآخرة الفوز بالنّعيم الدّائم في الجنّة، جمع الله لنا بينهما بكرمه ورحمته (٢).

البرّ: التوسع في فعل الخير. (٣)

والبرّ نوعان: صلة، ومعروف. فأما الصّلة: فهي التبرّع ببذل المال في الجهات المحدودة لغير عوض مطلوب، وهذا يبعث عليه سباحة النّفس وسخاؤها، ويمنع منه شحّها وإباؤها قال الله تعالى: {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الحشر: ٩).
وأما النّوع الثّاني من البرّ فهو: المعروف: ويتنوّع أيضاً نوعين: قولاً وعملاً. فأما القول: فهو طيب الكلام وحسن البشر، والتّودّد بجميل القول، وهذا يبعث عليه حسن الخلق، ورقة الطّبع، ويجب أن يكون محدوداً كالسخاء؛ فإنّه إن أسرف فيه كان ملقاً مذموماً، وإن توسّط واقتصد فيه كان معروفاً وبرّاً محموداً.

وأما العمل: فهو بذل الجاه والمساعدة بالنّفس والمعونة في النّائبة، وهذا يبعث عليه حبّ الخير للنّاس وإيثار الصّلاح لهم، وليس في هذه الأمور سرف ولا لغايتها حدّ بخلاف النّوع الأوّل؛

(١) القاموس المحيط (ص: ٣٤٨).

(٢) النهاية لابن الأثير (١/ ١١٦).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ١١٤).

لأنّها وإن كثرت فهي أفعال خير تعود بنفعين: نفع على فاعلها في اكتساب الأجر وجميل الذكر، ونفع على المعان بها في التخفيف عنه والمساعدة له. (١)

وقد وردت آيات كثيرات بمعنى الخير وفعل الطاعات منها:

١- قال تعالى: { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (البقر: ١٧٧).

٢- قال تعالى: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } (آل عمران: ٩٢).

٣- قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (المائدة: ٢).

٢- فعل الإحسان:

الإحسان في اللغة: ضد الإساءة، ورجل محسن ومحسان، وأحسن به الظن: نقيض أساءه، والفرق بين الإحسان والإنعام: أن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول: أحسنت إلى نفسي. والإنعام: لا يكون إلا لغيره. وهو يحسن الشيء: أي يعمله، ويستحسن الشيء: أي يعده حسناً^(٢).

والإحسان يقال على وجهين: أحدهما الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان. والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا عمل عملاً حسناً، وعلى هذا قول أمير المؤمنين رضي الله عنه: (الناس أبناء ما يحسنون) أي منسوبون إلى ما يعملون، وما يعملونه من الأفعال الحسنة،

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (١٨٤ و ٢٠٠-٢١٥).

(٢) لسان العرب (١٣/ ١٧).

قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} [السجدة: ٧]. والإحسان أعم من الإنعام، قال تعالى: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ} [الإسراء: ٧]^(١).

وفي الاصطلاح:

هو ما فسرهُ النبي ﷺ بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"^(٢). وللإحسان في الاصطلاح معانٍ أخرى، مثل الإحسان للوالدين ببرهما وعدم عقوقهما، والإحسان في القتل والذبح، بالإسراع، وعدم التعذيب، والإحسان يدخل في كل شيء؛ بمعنى الإتقان، وبمعنى الرحمة والرفقة من الإنسان للمخلوقات. كما قال رسول ﷺ: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء...)).^(٣) الحديث.

فالمحسن هو المراقب لربه جل جلاله، المخلص في عمله، المتقن لصنعتة، الباذل للمعروف والخير؛ لأن الإنسان إذا عبد الله جل ثناؤه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه ينظر إلى الله عز وجل حال عبادته، مستحضراً لعظمة الله تعالى، ومراقبته له غرست في قلبه الخشية والهبة والتعظيم والخوف؛ وذلك يوجب عليه النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإكمالها وإتمامها على الوجه الذي ينبغي أن تكون عليه^(٤).

وقد أمر الله تعالى بالإحسان. قال تبارك وتعالى:

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

والجهاد في سبيل الله تعالى، هو من الإحسان. قال رب العزة والجلال: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩].

(١) المفردات للراغب الأصفهاني (ص ١١٨، ١١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٥٥) عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٤) مجلة البحوث الإسلامية (٢٢ / ٢٩٣).

واتباع ما جاء به النبي العظيم محمد ﷺ هو من الإحسان قال تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} [الزمر: ٣٣، ٣٤].

والعفو من الإحسان، قال تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ١٣].

والصبر من الإحسان. قال تعالى: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [هود: ١١٥]. ورعاية حقوق الوالدين والأقربين، والجيران والأصدقاء، والفقراء، والخدم، من أعظم ضروب الإحسان، وقد قرنها الله تبارك وتعالى بعبادته؛ ليلفت النظر إلى هذه الرعاية، وليؤكد هذه الحقوق. قال الله جل جلاله: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: ٣٦].

٣- عمل الخير:

لغة: هو اسم تفضيل على غير قياس وهو ضد الشر، والخير الحسن لذاته ولما يحققه من لذة أو نفع أو سعادة، وجمعه خيور، وخيار، وأخيار. (الخَيْرُ) ذُو الْخَيْرِ والكثير الخَيْر. (١) ومنه قوله تعالى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ} [المزمل: ٢٠]، أي: تجدوه خيرا لكم من متاع الدنيا.

٤- فعل المعروف:

لغة: (المَعْرُوفُ) ضِدُّ الْمُنْكَرِ، و(الْعُرْفُ) ضِدُّ النُّكْرِ يُقَالُ: أَوْلَاهُ عُرْفًا أَيْ مَعْرُوفًا. (٢) وَأَمَرْتُ بِالْعُرْفِ أَيْ بِالْمَعْرُوفِ، وَهُوَ الْخَيْرُ وَالرَّفْقُ وَالْإِحْسَانُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَنْ كَانَ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ فَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ؛ أَيْ مَنْ أَمَرَ بِالْخَيْرِ فَلْيَأْمُرْ بِرَفْقٍ وَقَدْرِ يُجْتَنَبُ إِلَيْهِ. (١)

(١) المعجم الوسيط (١/ ٢٦٤).

(٢) مختار الصحاح (ص: ٢٠٦).

واصطلاحًا:

قال ابن منظور: وَهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا عُرِفَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ، وَكُلُّ مَا نَدَبَ إِلَيْهِ الشَّرْعُ وَنَهَى عَنْهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْمُقْبَحَاتِ، وَهُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الْغَالِبَةِ؛ أَيِ أَمْرٍ مَعْرُوفٍ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا رَأَوْهُ لَا يُنْكِرُونَهُ. وَالْمَعْرُوفُ: النِّصْفَةُ وَحُسْنُ الصُّحْبَةِ مَعَ الْأَهْلِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ. (٢)

قال الطبري: كل ما كان معروفًا فعله، جميلاً مستحسنًا، غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله "معروفًا"، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله (٣).

فالمسلم مأمور بتوقي البلاء والفتن التي تقع في الدين أو ما يصيب الأبدان من أمراض أو موت أو نقص من الأموال باتخاذ الأسباب المشروعة الدافعة لذلك والمانعة له، ومن هذه الأسباب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي ميز الله تعالى به هذه الأمة دون غيرها من الأمم، فقال سبحانه: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: ١١٠].

وذم بني إسرائيل بقوله: {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة: ٧٩]

وحدث الله سبحانه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه من سبيل الفلاح، فما من أمة كثرت موبقاتها لقلّة الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر إلا كان ذلك إيذانًا من الله بقرب هلاكها، يقول تعالى: {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٠٤).

(٢) لسان العرب (٩/ ٢٤٠).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ١٠٥).

أي: لتكون منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون، وهم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعنى المجاهدين العلماء.

(١)

٥- التبرع:

(تبرع) بالاعطاء أعطى من غير سؤال، وتفضل بها لا يجب عليه غير طالب عوضاً. (٢)
أما في الاصطلاح فهو: بذل المكلف مالاً أو منفعة لغيره في الحال أو المستقبل بلا عوض بقصد البرّ والمعروف غالباً؛ فيشمل الهبة والوصية والوقف والعارية وغير ذلك (٣).

٦- التنفل:

لغة: من النفل، والنافلة: الزيادة. والنافلة: التطوع. (٤)
وهو في الشرع: العطية يُعطِيها تطوُّعاً بعد الفريضة من صدقة أو صلاح أو عمل خير.
أو ما يفعل الرجل ممّا لا يجب عليه إلا تفضلاً. (٥)
أو: اسم لما شرع زيادة على الفرائض، والواجبات، وهو المسمى بالمندوب، والمستحب، والتطوع.

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٨٧ / ١٩٩).

(٢) المعجم الوسيط (١ / ٥٠).

(٣) معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء (ص: ١٢٧).

(٤) معجم ديوان الأدب (١ / ٣٦٨).

(٥) العين (٨ / ٣٢٥)، جمهرة اللغة (٢ / ٩٧١)، القاموس الفقهي (ص: ٣٥٨)، الصحاح (٥ / ١٨٣٣)،

مجمّل اللغة لابن فارس (ص: ٨٧٧).

حكم العمل التطوعي

حكم العمل التطوعي

الأصل في العمل التطوعي الاستحباب والندب، ولكن قد يدخل في باقي الأحكام التكليفية فقد يجب وقد يحرم أو يكره.

فأما الوجوب: فسيأتي بيانه مفصلاً.

وأما الحرمة: فمثل ما جاء في قول الله تعالى { وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } [الماعون: ٧].

قال ابن كثير: وقال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأذناه. المنخل والدلو، والإبرة. وهذا الذي قاله عكرمة حسن؛ فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد. وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة. ولهذا قال محمد بن كعب: { وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } قال: المعروف. ولهذا جاء في الحديث: " كل معروف صدقة ".^(١)

وقال السعدي: أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به؛ فهو لاء - لشدة حرصهم - يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه.

وفي هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، والتضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيه وفي جميع الأعمال. والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء والدلو والكتاب، ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.^(٢)

ومن ذلك أيضاً من يتطوعون بالشفاعات السيئة؛ لتولية موظف عمل لا يستحق، أو ترقية في وظيفته، أو إسقاط عقوبة مقدرة على من وجب عليه العقاب، وهذا لا شك في حرمة ومما يدل على ذلك قول الله تعالى: { مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا } (النساء ٨٥).

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢١)، ومسلم (١٠٠٥) عن جابر وحذيفة رضي الله عنهما.

(٢) تفسير السعدي (٩٣٥).

فالشفاعة الحسنة هي التوسط والسعي في قضاء حوائج الناس من غير الإضرار بمصالح الآخرين وحاجاتهم، وأما الشفاعة السيئة فهي السعي بتحقيق مصالح البعض على حساب الآخرين.

وكذلك كل عمل فيه إعانة على المعصية فهو داخل في الحكم، وقد يدخل هذا تحت الحرام والمكروه، والله تعالى نهى عباده عن التعاون على الحرام فقال: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (المائدة: ٢).

وللمستحب مسميات عدة:

قال في مختصر التحرير: المندوب لغة: المدعو لهم من الندب، وهو الدعاء. وشرعاً: ما أتيب فاعله ولو قولاً وعمل قلب، ولم يعاقب تاركه مطلقاً. ويسمى: سنة، ومستحباً، وتطوعاً، وطاعة، ونفلاً، وقربة، ومرغباً فيه، وإحساناً، وأعله سنة، ثم فضيلة، ثم نافلة.

وهو تكليف، ومأمور به حقيقة فيكون للفور، ولا يلزم بشروع غير حج وعمره، لوجوب مضي في فاسدتهما ومساواة نفلهما فرضيهما نيّة وكفارة وغيرهما. (١)

وقال في الكوكب المنير شرح مختصر التحرير تحت تعريف المندوب: ويسمى المندوب سنة ومستحباً وتطوعاً وطاعةً ونفلاً وقربةً ومرغباً فيه وإحساناً.

قال ابن حمدان في مقنعه:

ويسمى النذب تطوعاً، وطاعة، ونفلاً، وقربة إجماعاً، لكن قال ابن العربي: أخبرنا الشيخ أبو تمام بمكة أنه سأل الشيخ أبا إسحاق ببغداد عن قول الفقهاء: سنة وفضيلة ونفلاً ورغبة، فقال: هذا عامة في الفقهاء، ولا يقال: إلا فرض وسنة لا غير.

قال: وأما أنا فسألت أبا العباس الجرجاني بالبصرة، فقال: هذه ألقاب لا أصل لها، ولا نعرفها في الشرع وأعله أي أعلا المندوب سنة، ثم فضيلة، ثم نافلة. (٢)

(١) مختصر التحرير (١ / ٤٠٢)، وانظر أيضاً بنحو هذا التعريف: روضة الناظر (١ / ١٢٥).

(٢) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (١ / ٤٠٤).

وقال ابن قدامة في روضة الناظر:

والندب في اللغة الدعاء إلى الفعل كما قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

وحده في الشرع: مأمور لا يلحق بتركه ذم من حيث تركه من غير حاجة إلى بدل. ^(١)

وقال الزركشي: وهو ما يمدح فاعله ولا يذم تاركه من حيث هو تارك له، فخرج بالقيد ما لو أقدم على ضد من أصداد المندوب وهو معصية في نفسه، فيلحقه الإثم إذا ترك المندوب من حيث عصيانه لا من حيث تركه المندوب. قاله في "التلخيص".

قال: وقول بعضهم ما يمدح فاعله ولا يذم تاركه باطل؛ لصدقه على فعل الله تعالى، ولا يسمى ندبا كما لا يسمى مباحا.

والندب، والمستحب، والتطوع، والسنة أسماء مترادفة عند الجمهور.

وفي "المحصول": لفظ السنة يختص في العرف بالمندوب بدليل قولنا: هذا الفعل واجب أو سنة، ومنهم من قال: السنة لا تختص بالمندوب بل تتناول ما علم وجوبه أو نديته. ^{١٠٠}هـ.

وقال القاضي حسين والبعوي: ما عدا الفرائض ثلاثة أقسام:

سنة: وهي ما واطب عليها النبي ﷺ.

ومستحب: وهو ما فعله مرة أو مرتين، وألحق بعضهم به ما أمر به ولم ينقل أنه فعله.

وتطوعات: وهو ما لم يرد فيه بخصوصه نقل؛ بل يفعله الإنسان ابتداء كالنوافل المطلقة، ورده القاضي أبو الطيب في "المنهاج" بأن النبي ﷺ حج في عمره مرة واحدة، وأفعاله فيها سنة، وإن لم تتكرر، والاستسقاء من الصلاة والخطبة لم ينقل إلا مرة، وذلك سنة مستحبة ^{١٠١}هـ. وفي وجه ثالث: أن النفل والتطوع لفظان مترادفان وهما ما سوى الفرائض والسنن، والمستحب، ونحو ذلك أنواع لها.

وفي وجه رابع قاله الحلبي: السنة ما استحب فعله وكره تركه، والتطوع ما استحب فعله ولم يكره تركه

^(١) روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٢٥).

وفي وجه خامس: حكاه في باب الوضوء من "المطلب": السنة ما فعله ﷺ، والمستحب ما أمر به سواء فعله أو لا، أو فعله ولم يداوم عليه، فالسنة إذا مأخوذة من الإدامة، وقيل: السنة ما ترتب كالرواتب مع الفرائض، والنفل والندب ما زاد على ذلك.

حكاه الشيخ أبو إسحاق في "اللمع"، وقال ابن السمعاني في "القواطع": النفل قريب من الندب إلا أنه دونه في الرتبة.

وعند المالكية ما ارتفعت رتبته في الأمر وبالع شرع في التخصيص منه يسمى سنة، وما كان في أول هذه المراتب تطوعاً ونافلة، وما توسط بين هذين فضيلة ومرغبا فيه.

وفرق أبو حامد الإسفراييني بين السنة والهيئة: بأن الهيئة ما يتهيا بها فعل العبادة، والسنة ما كانت في أفعالها الرتبة فيها، وجعل التسمية وغسل الكفين في الوضوء من الهيئات، والمشهور أنهما سنة، والخلاف يرجع إلى العبارة.^(١)

متى يكون التطوع واجباً؟

والعمل التطوعي قد يتحول إلى الواجب:

وله عدة صور وهي:

١. الفرض الكفائي ٢. الشروع في الندب ٣. التعيين ٤. الالتزام

أولاً: الفرض الكفائي:

الحكمة من فرض الكفاية في الإسلام:

قال العز بن عبد السلام: اعلم أن المصالح ضربان:

أحدهما: ما يثاب على فعله لعظم المصلحة في فعله، ويعاقب على تركه لعظم المفسدة في تركه، وهو ضربان:

أحدهما: فرض على الكفاية كتعلم الأحكام الشرعية الزائدة على ما يتعين تعلمه على المكلفين إلى نيل رتبة الفتيا، وجهاد الطلب وجهاد الدفع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإطعام المضطرين، وكسوة العارين وإغاثة المستغيثين، والفتاوى والأحكام بين ذوي

^(١) البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٢٣٠).

الاختصاص، والإمامة العظمى والشهادات، وتجهيز الأموات، وإعانة الأئمة والحكام وحفظ القرآن.

والثاني: فرض على الأعيان كتعلم ما يتعين تعلمه من أحكام الشريعة، وقراءة الفاتحة، وأركان الصلاة، وغير ذلك من عبادات الأعيان، وكذلك الحج والعمرة والصلوات والزكاة والصيام.

واعلم أن المقصود لفرض الكفاية تحصيل المصالح ودرء المفسد دون ابتلاء الأعيان بتكليفه، والمقصود بتكليف الأعيان حصول المصلحة لكل واحد من المكلفين على حدته؛ لتظهر طاعته أو معصيته، فلذلك لا يسقط فرض العين إلا بفعل المكلف به، ويسقط فرض الكفاية بفعل القائمين به دون من كلف به في ابتداء الأمر.

أما سقوطه عن فاعليه فلا أنهم قاموا بتحصيل مصلحته، وأما سقوطه عن الباقيين فلتعذر التكليف به، والتكليف تارة يسقط بالامتنال، وتارة يسقط بتعذر الامتنال، فإذا خاض في فرض الكفاية من يستقل به ثم لحقه آخرون قبل تحصيل مصلحته، كان ما فعلوه فرضاً وإن حصلت الكفاية بغيرهم؛ لأن مصلحته لم تحصل بعد ذلك، ولذلك أمثلة:

أحدها: أن يخرج إلى العدو من يستقل بدفعهم ثم يلحق بهم آخرون قبل انقضاء القتال، فيكتب لهم أجر الفرض، وإن تفاوتت رتبهم في الثواب بقلة العمل وكثرته.

المثال الثاني: أن يقوم بغسل الميت أو تكفينه أو الصلاة عليه أو حمله أو دفنه من تحصل به الكفاية، ثم يلحقهم من يشاركهم في ذلك، فيكون له أجر فرض الكفاية على قدر عمله.

المثال الثالث: أن يشتغل بعلم الشرع من تحصل به الكفاية الواجبة، ثم يلحق بهم من يشتغل به فيكون مفترضاً؛ لأن المصلحة لم تكمل بعد.....

الضرب الثاني من المصالح: ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه وهو ضربان:

أحدهما: سنة على الكفاية كالأذان والإقامة، وتسليم بعض الجماعة على من مروا به من أهل الإسلام، وتشميت العاطس، وما يفعل بالأموات مما ندب إليه.

والثاني: سنة على الأعيان كالرواتب، وصيام الأيام الفاضلة، وصلاة العيدين والكسوفين، والتهجد وعبادة المرضى، والاعتكاف والتطوع بالنسكين، والطواف من غير نسك، والصدقات المندوبات، ومصالح هذا دون مصالح الواجب.

والمفاسد ضربان:

أحدهما: ما يعاقب على فعله ويؤجر على تركه إذا نوى بتركه القربة كالتعرض للدماء والأبضاع والأعراض والأموال.

والثاني: ما لا يعاقب على فعله وتفوته مصلحة بتركه كالصلاة في الأوقات المكروهات، وغمس اليدين في الإناء قبل غسلها لمن قام من المنام، وترك السنن المشروعات في الصلوات. ^(١)

وقال الشاطبي في الموافقات:

المقاصد الشرعية ضربان: مقاصد أصلية ومقاصد تابعة.

فأما المقاصد الأصلية: فهي التي لاحظ فيها للمكلف وهي الضروريات المعتمدة في كل ملة، وإنما قلنا: إنها لا حظ فيها للعبد من حيث هي ضرورية؛ لأنها قيام بمصالح عامة مطلقة لا تختص بحال دون حال، ولا بصورة دون صورة، ولا بوقت دون وقت؛ لكنها تنقسم إلى: ضرورية عينية وإلى ضرورية كفائية.

فأما كونها عينية فعلى كل مكلف في نفسه فهو مأمور بحفظ دينه اعتقاداً وعملاً، وبحفظ نفسه قياماً بضرورية حياته، وبحفظ عقله حفظاً لمورد الخطاب من ربه إليه، وبحفظ نسله تنفائاً إلى بقاء عوضه في عمارة هذه الدار، ورعيّاً له عن وضعه في مضیعة اختلاط الأنساب العاطفة بالرحمة على المخلوق من مائه، وبحفظ ماله استعانة على إقامة تلك الأوجه الأربعة ويدل على ذلك أنه لو فرض اختيار العبد خلاف هذه الأمور لحجر عليه، ولحيل بينه وبين اختياره؛ فمن هنا صار فيها مسلوب الحظ محكوماً عليه في نفسه، وإن صار له فيها حظ فمن جهة أخرى تابعة لهذا المقصد الأصلي.

^(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٤٦). بتصرف يسير

وأما كونها كفائية: فمن حيث كانت منوطة بالغير أن يقوم بها على العموم في جميع المكلفين؛ لتستقيم الأحوال العامة التي لا تقوم الخاصة إلا بها، إلا أن هذا القسم مكمل للأول فهو لاحق به في كونه ضرورياً؛ إذ لا يقوم العيني إلا بالكفائي وذلك أن الكفائي قيام بمصالح عامة لجميع الخلق فالمأمور به من تلك الجهة مأمور بما لا يعود عليه من جهته تخصيص؛ لأنه لم يؤمر إذ ذاك بخاصة نفسه فقط، وإلا صار عينياً بل بإقامة الوجود وحقيقته أنه خليفة الله فعبادته على حسب قدرته وما هيء له من ذلك، فإن الواحد لا يقدر على إصلاح نفسه والقيام بجميع أهله فضلاً عن أن يقوم بقبيلة فضلاً عن أن يقوم بمصالح أهل الأرض فجعل الله الخلق خلائف في إقامة الضروريات العامة حتى قام الملك في الأرض.

ويدلك على أن هذا المطلوب الكفائي معرى من الحظ شرعاً أن القائمين به في ظاهر الأمر ممنوعون من استجلاب الحظوظ لأنفسهم بما قاموا به من ذلك، فلا يجوز لوال أن يأخذ أجره ممن تولاهم على ولايته عليهم، ولا لقاضي أن يأخذ من المَقْضِيِّ عَلَيْهِ أَوْ لَهُ أَجْرَةً عَلَى قَضَائِهِ، ولا لحاكم على حكمه، ولا لمفت على فتواه، ولا لمحسن على إحسانه، ولا لمقرض على قرضه، ولا ما أشبه ذلك من الأمور العامة التي للناس فيها مصلحة عامة، ولذلك امتنعت الرشا والهدايا المقصود بها نفس الولاية؛ لأن استجلاب المصلحة هنا مؤد إلى مفسدة عامة تضاد حكمة الشريعة في نصب هذه الولايات.

وعلى هذا المسلك يجري العدل في جميع الأنام، ويصلح النظام، وعلى خلافه يجري الجور في الأحكام، وهدم قواعد الإسلام، وبالنظر فيه يتبين أن العبادات العينية لا تصح الإجارة عليها، ولا قصد المعاوضة فيها، ولا نيل مطلوب دنيوي بها وأن تركها سبب للعقاب والأدب، وكذلك النظر في المصالح العامة موجب تركها للعقوبة؛ لأن في تركها أي مفسدة في العالم.

وأما المقاصد التابعة: فهي التي روعي فيها حظ المكلف، فمن جهتها يحصل له مقتضى ما جبل عليه من نيل الشهوات والاستمتاع بالمباحات، وسد الخلات، وذلك أن حكمة الحكيم الخبير حكمت أن قيام الدين والدنيا إنما يصلح ويستمر بدواع من قبل الإنسان تحمله على

اكتساب ما يحتاج إليه هو وغيره، فخلق له شهوة الطعام والشراب إذا مسه الجوع والعطش؛ ليحركه ذلك الباعث إلى التسبب في سد هذه الخلة بما أمكنه؛ وكذلك خلق له الشهوة إلى النساء؛ لتحركه إلى اكتساب الأسباب الموصلة إليها، وكذلك خلق له الاستمرار بالحر والبرد والطوارق العارضة، فكان ذلك داعية إلى اكتساب اللباس والمسكن، ثم خلق الجنة والنار، وأرسل الرسل مبينة أن الاستقرار ليس ههنا، وإنما هذه الدار مزرعة لدار أخرى، وأن السعادة الأبدية والشقاوة الأبدية هنالك، لكنها تكتسب أسبابها هنا بالرجوع إلى ما حده الشارع، أو بالخروج عنه، فأخذ المكلف في استعمال الأمور الموصلة إلى تلك الأغراض، ولم يجعل له قدرة على القيام بذلك وحده لضعفه عن مقاومة هذه الأمور، فطلب التعاون بغيره فصار يسعى في نفع نفسه، واستقامة حاله بنفع غيره فحصل الانتفاع للمجموع بالمجموع، وإن كان كل أحد إنما يسعى في نفع نفسه.

فمن هذه الجهة صارت المقاصد التابعة خادمة للمقاصد الأصلية ومكملة لها، ولو شاء الله لكلف بها مع الإعراض عن الحظوظ، أو لكلف بها مع سلب الدواعي المعبول عليها، لكنه امتن على عباده بما جعله وسيلة إلى ما أراده من عمارة الدنيا للآخرة، وجعل الاكتساب لهذه الحظوظ مباحًا لا ممنوعًا، لكن على قوانين شرعية هي أبلغ في المصلحة وأجرى على الدوام مما يعده العبد مصلحة {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦].

ولو شاء لمنعنا في الاكتساب الأخرى القصد إلى الحظوظ؛ فإنه المالك وله الحجة البالغة، ولكنه رغبتنا في القيام بحقوقه الواجبة علينا بوعده حظي لنا، وعجل لنا من ذلك حظوظا كثيرة تتمتع بها في طريق ما كلفنا به، فبهذا اللحظ قيل: إن هذه المقاصد توابع، وإن تلك هي الأصول، فالقسم الأول يقتضيه محض العبودية، والثاني يقتضيه لطف المالك بالعبيد.^(١) ولهذه المصالح والغايات قدم بعض العلماء الفرض الكفائي على العيني في الرتبة؛ لأن منفعته متعدية.

قال الزركشي:

(١) الموافقات (٢/ ٣٠٠ - ٣٠٤).

قيل: القيام بفرض الكفاية أولى من القيام بفرض العين؛ لأنه يسقط فيها الفرض عن نفسه وعن غيره، وفي فرض العين يسقط الفرض عن نفسه فقط حكاه الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني في "شرح كتاب الترتيب".

وجزم به الشيخ أبو محمد الجويني في كتابه "المحيط بمذهب الشافعي" وكذلك ولده إمام الحرمين في كتابه "الغياثي"، وهو ظاهر على القول بوجوب الكفاية على البعض، ووهم بعضهم فحكى عن من ذكر أن فرض الكفاية أفضل من فرض العين، وهو غلط فإن كلامهم إنما هو في القيام بهذا الجنس أفضل من ذلك، ثم عبارة الجويني: "وللقائم به مزية"، ولا يلزم من المزية الأفضلية.

على أن الشافعي نص ما ينازع في ذلك، ففي "الأم": "إن قطع الطواف المفروض لصلاة الجنابة أو الرواتب مكروه، إذ لا يحسن ترك فرض العين لفرض الكفاية، وجرى عليه الأصحاب، ومنهم الرافعي في بابه، وقال الغزالي في "الإحياء" في شروط الاشتغال بعلم الخلاف: "أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ عن فروض الأعيان.

قال: ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية، وزعم أن مقصوده الحق فهو كذاب. ومثاله: من ترك الصلاة في نفسه وتبحر في تحصيل الثياب ونسجها قصدا لستر العورات. اهـ. وبتقدير تسليمه فكان بعض مشايخنا يخصصه بمن سبق إليه أولاً.

أما من فعله ثانياً فلا يكون في حقه أفضل من فرض العين؛ لأن السقوط حصل بالأول، وإن كنا نسمي فعل الآخرين فرضاً على رأي.

وقال الشيخ كمال الدين الزمكاني: ما ذكر من تفضيل فرض الكفاية على فرض العين محمول على ما إذا تعارضا في حق شخص واحد، ولا يكون ذلك إلا عند تعينها وحيثئذ هما فرضاً عين، وما يسقط الحرج عنه وعن غيره أولى، وأما إذا لم يتعارضا، وكان فرض العين متعلقاً بشخص، وفرض الكفاية له من يقوم به، وفرض العين أولى. (١)

معنى الفرض الكفائي، والفرق بين فرض الكفاية وفرض العين:

(١) البحر المحيط (١/ ٢٠١ - ٢٠٢).

قال الزركشي في البحر المحيط تحت فصل في فرض الكفاية:
 قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي تَعْرِيفِهِ: كُلُّ مُهِمٍّ دِينِيٍّ يُرَادُ حُصُولُهُ وَلَا يُقْصَدُ بِهِ عَيْنٌ مَنْ يَتَوَلَّاهُ.
 فَخَرَجَ بِالْقَيْدِ الْأَخِيرِ فَرَضِ الْعَيْنِ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ فَرَضِ الْكِفَايَةِ وَقُوعُ الْفِعْلِ مِنْ
 غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى فَاعِلِهِ، بِخِلَافِ فَرَضِ الْعَيْنِ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ الْفَاعِلُ، وَجَعَلَهُ بِطَرِيقِ الْأَصَالَةِ،
 لَكِنَّ الْحَقُّ: أَنَّ فَرَضَ الْكِفَايَةِ لَا يَنْقَطِعُ النَّظَرُ عَنْ فَاعِلِهِ بِدَلِيلِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.
 نَعَمْ لَيْسَ الْفَاعِلُ فِيهِ مَقْصُودًا بِالذَّاتِ بَلْ بِالْعَرَضِ، إِذْ لَا بُدَّ لِكُلِّ فِعْلٍ مِنْ فَاعِلٍ، وَالْقَصْدُ
 بِالذَّاتِ وَقُوعُ الْفِعْلِ، وَقَوْلُهُ: " دِينِيٍّ " بَنَاهُ عَلَى رَأْيِهِ أَنَّ الْحَرْفَ وَالصَّنَاعَاتِ وَمَا بِهِ قِوَامُ
 الْمَعَاشِ لَيْسَ مِنْ فَرَضِ الْكِفَايَةِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي " الْوَسِيطِ " تَبَعًا لِإِمَامِهِ.
 لَكِنَّ الصَّحِيحَ خِلَافُهُ، وَلِهَذَا لَوْ تَرَكُوهُ أَثْمُوا، وَمَا حَرَّمَ تَرْكُهُ وَجَبَ فِعْلُهُ. ^(١)
 وقال في الكوكب المنير: ومتى طلب أي طلب فعل العبادة من كل واحد بالذات، أو من
 معين، كالخصائص النبوية.
 قال الإمام أحمد: خص النبي ﷺ بموجبات ومحظورات ومباحات وكرامات (ف) إن كان
 الطلب مع جزم كالصلوات الخمس وصيام رمضان. فالمطلوب فرض عين.
 وإن كان الطلب بدونه أي بدون جزم، كالسنن الرواتب، وصوم يوم وإفطار يوم، فالمطلوب
 سنة عين، وإن طلب الفعل أي حصوله فقط (ف) طلبه مع جزم كالجهاد ونحوه فرض
 كفاية، وطلب حصوله بدونه أي بدون جزم. كابتداء السلام من جمع فهو سنة كفاية.
 والفرق بين فرض العين وفرض الكفاية: أن فرض العين ما تكررت مصلحته بتكرره،
 كالصلوات الخمس وغيرها.
 فإن مصلحتها الخضوع لله وتعظيمه ومناجاته والتذلل والمثول بين يديه.
 وهذه الآداب تكرر كلما كررت الصلاة.
 وفرض الكفاية: ما لا تتكرر مصلحته بتكرره.

(١) المصدر السابق.

كإنجاء الغريق وغسل الميت ودفنه ونحوها، فهما متباينان تباين النوعين وهما أي فرض الكفاية، وسنة الكفاية مهم أي أمر يهتم به، يقصد من قبل الشرع حصوله من غير نظر بالذات إلى فاعله فدخل في ذلك نحو الحرف والصناعات، وقوله "من غير نظر - إلخ" مخرج لفرض العين وسنة العين، لأن ما من فعل يتعلق به الحكم إلا وينظر فيه الفاعل، حتى يثاب على واجبه ومندوبه، ويعاقب على ترك الواجب إن لم يعف عنه.

وإنما يفترقان في كون المطلوب عينا يختبر به الفاعل ويمتنح، ليثاب أو يعاقب. والمطلوب على الكفاية يقصد حصوله قصداً ذاتياً، وقصد الفاعل فيه تبع لا ذاتي وفرض الكفاية واجب على الجميع عند الجمهور.

قال الإمام أحمد: الغزو واجب على الناس كلهم، فإذا غزا بعضهم أجزأ عنهم. وقال الإمام الشافعي في الأم: حق على الناس غسل الميت، والصلاة عليه ودفنه، لا يسع عامتهم تركه.

وإذا قام به من فيه كفاية أجزأ عنهم إن شاء الله تعالى، ويسقط الطلب الجازم والإثم في فرض الكفاية بفعل من يكفي رخصة وتخفيفاً؛ لحصول المقصود، ويجب عينا على من ظن أن غيره لا يقوم به أي بفرض الكفاية؛ لأن الظن مناط التعبد.

وإن فعله أي فعل المطلوب حصوله الجميع معاً أي غير مرتب كان فرضاً في حق الجميع لعدم ما يقتضي تمييز بعضهم، وفرض العين أفضل من فرض الكفاية؛ لأن فرض العين أهم، ولأجل ذلك وجب على الأعيان. وهذا قول الأكثر.^(١)

وقال ابن قدامة في روضة الناظر:

الأمر للجماعة يقتضي وجوبه على كل واحد منهم، ولا يسقط الواجب عنهم بفعل واحد منهم إلا أن يدل عليه دليل أو يرد الخطاب بلفظ لا يعم، كقوله تعالى {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤] فيكون فرض كفاية.

(١) شرح الكوكب المنير (١/ ٣٧٧).

فإن قيل: ما حقيقة فرض الكفاية أهو واجب على الجميع ويسقط بفعل البعض، أم على واحد غير معين كالواجب المخير، أم واجب على من حضر دون من غاب كحاضر الجنازة مثلاً؟ قلنا: بل واجب على الجميع ويسقط بفعل البعض بحيث لو فعله الجميع نال الكل ثواب الفرض، ولو امتنعوا عم الإثم الجميع، ويقاثلهم الإمام على تركه، وسقوط الفرض بدون الأداء ممكن إما بالنسخ أو بسبب آخر.

أما الإيجاب على واحد لا بعينه فمحال؛ لأن المكلف ينبغي أن يعلم أنه مكلف وإذا أبهم الوجوب لم يعلم بخلاف إيجاب خصلة من خصلتين فإن التخيير فيها لا يوجب تعذر الامتثال. (١)

ثانياً: الشروع في النذب:

وقد اختلف أهل العلم في الشروع في العمل التطوعي هل يلزم المكلف إتمامه، أم هو مخير بين الإتمام والإمضاء وبين الترك؟ والأصل عدم الإلزام إلا في حالات يترتب عليها مفسد وهلاك لآخرين، كالتقاط اللقيط، وإغاثة المنكوبين لمن قدر على إغاثتهم، وإنقاذ الغريق لمن كان ماهراً بالسباحة، والجهد لمن شرع فيه، والحج، والنذر وما كان على هذا المنوال.

قال في الكوكب المنير: ولا يلزم المندوب بشروع؛ بل هو مخير فيه بين إتمامه وقطعه. وذلك: لأن النبي ﷺ {كان ينوي صوم التطوع، ثم يفطر} رواه مسلم وغيره. (٢) وأما قوله سبحانه وتعالى: {وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد: ٣٣] فيحمل على التنزيه، جمعاً بين الدليلين.

هذا إن لم يفسر بطلانها بالردة، بدليل الآية التي قبلها، أو أن المراد: ولا تبطلوها بالرياء، نقله ابن عبد البر عن أهل السنة.

ونقل عن المعتزلة تفسيرها بمعنى لا تبطلوها بالكبائر، لكن الظاهر تفسيرها بها تقدم.

(١) روضة الناظر (١/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (١١٥٤) عن عائشة رضي الله عنها.

وقال مالك وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهما: يلزم بالشروع، واحتجاً بحديث الأعرابي: "هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع".^(١) أي: فيلزمك التطوع إن تطوعت، وإن كان تطوعاً في أصله.

وعندنا أن الاستثناء منقطع، بدليل أن النبي ﷺ قد أبطل تطوعه بفطره بعد نية الصوم، ومحل الخلاف غير حج وعمره، لوجوب مضي في فاسدهما فإتمام صحيح تطوعهما أولى بوجوب المضي فيه.

وعن الإمام أحمد رحمه الله رواية أخرى بوجوب إتمام صوم التطوع ولزوم القضاء إن أفطر. وعنه ثالثة: يلزم إتمام الصلاة دون الصوم؛ لأنها ذات إحرام وإحلال، كالحج. وأما ما عدا ذلك؛ كالصدقة المتطوع بها، والقراءة والأذكار: فلا يلزم إتمامها بالشروع فيها، وفاقاً للأئمة الأربعة.

وقال ابن القيم: منها: أن الجهاد يلزم بالشروع فيه حتى إن من لبس لأمته، وشرع في أسبابه، وتأهب للخروج ليس له أن يرجع عن الخروج حتى يقاتل عدوه. (٢)

وقال شيخ الإسلام على حديث: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن ينزعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه).^(٣) يعني أن الجهاد يلزم بالشروع كما يلزم الحج لا يجوز ترك ما شرع فيه منه إلا عند العجز بالإحصار في الحج. (٤)

وقال أيضاً: والجهاد يلزم بالشروع، كما أن الكتاب يلزم بالشروع، كما قال النبي ﷺ: "من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم".^(١) فقد قال: "من تعلّم الرمي ثم نسيه فليس منا"، وفي رواية: "فقد عصي"، وهو في الصحيح. (٢)

(١) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٢) زاد المعاد (١٨٩/٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٤٧٨٧)، والدارمي (٢١٥٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه الألباني بشواهده، انظر: الصحيحة (١١٠٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٥١/١٤).

وإذا كانت الصلاة التي يُتلى فيها الكتابُ يتعينُ وقتها بالفعل، فتلزم بالشروع، فكذلك الجهاد، فإذا صار المسلمون حذوهم أو حاصروا حصنهم لم يكن لهم الانصرافُ حتى يُقضى الجهاد، كما قال تعالى: {إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحُّوا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ} [الأنفال: ١٥]. وقد أمر سبحانه بالأمرين في حال القتال، فقال: {إِذَا لَقِيتُمُ فَتَةً فَابْتُتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥] فأمر بالثبات الذي هو مقصود الجهاد. (٣)

وقال الحافظ على حديث: طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ثَائِرَ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا. (٤)

قوله: (تَطَوَّعَ) بتشديد الطاء والواو، وأصله تطوع بتاءين فأدغمت إحداهما، ويجوز تخفيف الطاء على حذف إحداهما، واستدل بهذا على أن الشروع في التطوع يوجب إتمامه تمسكا بأن الاستثناء فيه متصل.

قال القرطبي: لأنه نفى وجوب شيء آخر إلا ما تطوع به، والاستثناء من النفي إثبات، ولا قائل بوجوب التطوع؛ فيتعين أن يكون المراد: إلا أن تشرع في تطوع فيلزمك إتمامه. وتعبه الطيبي بأن ما تمسك به مغالطة؛ لأن الاستثناء هنا من غير الجنس؛ لأن التطوع لا يقال فيه: عليك، فكأنه قال: لا يجب عليك شيء إلا إن أردت أن تطوع فذلك لك، وقد علم أن التطوع ليس بواجب، فلا يجب شيء آخر أصلا، كذا قال.

وحرف المسألة دائر على الاستثناء فمن قال: إنه متصل تمسك بالأصل، ومن قال: إنه منقطع احتاج إلى دليل، والدليل عليه ما روى النسائي وغيره أن النبي ﷺ كان أحيانا ينوي صوم التطوع ثم يفطر. (١)

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٤)، وأحمد (٢٢٤٥٦)، والدارمي (٣٣٤٠)، وعبد الرزاق (٥٩٨٩) عن

سعد بن عباد رضي الله عنه، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢٦١)، وانظر: الضعيفة (١٣٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٩) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) جامع المسائل (٣١٤/٦).

(٤) سبق تخريجه.

وفي البخاري أنه أمر جويرية بنت الحارث أن تفطر يوم الجمعة بعد أن شرعت فيه. (٢)
فدل على أن الشروع في العبادة لا يستلزم الإتمام إذا كانت نافلة بهذا النص في الصوم
وبالقياس في الباقي. **فإن قيل:** يرد الحج؟

قلنا: لا؛ لأنه امتاز عن غيره بلزوم المضي في فاسده فكيف في صحيحه!
وكذلك امتاز بلزوم الكفارة في نغله كفرضه والله أعلم.
على أن في استدلال الحنفية نظراً؛ لأنهم لا يقولون بفرضية الإتمام؛ بل بوجوبه، واستثناء
الواجب من الفرض منقطع لتباينهما، وأيضاً فإن الاستثناء من النفي عندهم ليس للإثبات بل
مسكوت عنه، وقوله: إلا أن تطوع استثناء من قوله: لا، أي: لا فرض عليك غيرها. (٣)

وقال الزركشي:

فَرَضَ الْكِفَايَةُ يَلْزَمُ بِالشُّرُوعِ عَلَى الْمَشْهُورِ، قَالَهُ ابْنُ الرَّفْعَةِ فِي " الْمَطْلَبِ " فِي كِتَابِ الْوَدِيعَةِ،
وَإِشَارَ فِي بَابِ اللَّقِيطِ إِلَى أَنَّ عَدَمَ اللَّزُومِ إِنَّمَا هُوَ بَحْثٌ لِلْإِمَامِ، وَلِهَذَا قَالُوا: يَتَعَيَّنُ الْجِهَادُ
بِحُضُورِ الصَّفِّ، وَيَلْزَمُهُ إِمْتَامُ الْجَنَازَةِ عَلَى الْأَصَحِّ بِالشُّرُوعِ، وَأَمَّا تَجْوِيزُهُمُ الْخُرُوجَ مِنْ صَلَاةِ
الْجَمَاعَةِ مَعَ الْقَوْلِ بِأَنَّهَا فَرَضٌ كِفَايَةٌ فَبَعِيدٌ، وَلَمْ يُرْجَعْ الرَّافِعِيُّ وَالنَّوَوِيُّ فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ شَيْئاً
بِخُصُوصِهِ، وَإِنَّمَا صَحَّحُوا فِي أَفْرَادٍ مَسَائِلَهَا مَا يُخَالِفُ الْآخَرَ، وَحُكِيَ عَنِ الْقَاضِي الْحُسَيْنِ: أَنَّ
الْمُتَعَلِّمَ إِذَا أُنْسَ مِنْ نَفْسِهِ النَّجَابَةُ أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَيْهِ الْقَطْعُ، وَصَحَّحَا خِلَافَهُ؛ لِأَنَّ الشُّرُوعَ لَا يَغَيِّرُ
حُكْمَ الْمَشْرُوعِ فِيهِ بِخِلَافِ الْجِهَادِ.

وَقَالَ الْقَاضِي الْبَارِزِيُّ فِي " تَمْيِيزِهِ ": وَلَا يَلْزَمُ فَرَضُ الْكِفَايَةِ بِالشُّرُوعِ عَلَى الْأَصَحِّ إِلَّا فِي الْجِهَادِ
وَصَلَاةِ الْجَنَازَةِ.

وَأُطْلِقَ الْغَزَالِيُّ فِي " الْوَجِيزِ " أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ، وَقَالَ فِي " الْوَسِيطِ ": وَذَكَرَ بَعْضُ الْأَصْحَابِ أَنَّهُ
يَتَعَيَّنُ بِالشُّرُوعِ. (٤)

(١) سبق تخريجه، وهو في مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٦).

(٣) فتح الباري (١٠٧/١).

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه (٢٠١ / ١).

وقال ابن رجب في القواعد: مَنْ شَرَعَ فِي عِبَادَةٍ تَلْزَمُ بِالشَّرْعِ ثُمَّ فَسَدَتْ، فَعَلَيْهِ قَضَاؤُهَا عَلَى صِفَةِ الَّتِي أَفْسَدَهَا سَوَاءٌ كَانَتْ وَاجِبَةً فِي الذِّمَّةِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ أَوْ دُونَهَا وَيَتَخَرَّجُ عَلَى ذَلِكَ مَسَائِلٌ:

مِنْهَا: إِذَا صَلَّى الْمُسَافِرُ خَلْفَ مُقِيمٍ وَفَسَدَتْ صَلَاتُهُ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ قَضَاؤُهَا تَامَةً. وَمِنْهَا: إِذَا أَحْرَمَ مِنْ بَلَدِهِ ثُمَّ أَفْسَدَ نُسُكَهُ بِجَمَاعٍ وَجَبَ قَضَاؤُهُ وَالْإِحْرَامُ مِنْ مَوْضِعِ إِحْرَامِهِ أَوَّلًا نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ بِخِلَافِ مَا إِذَا أَحْصَرَ فِي نُسُكِهِ ذَاكَ ثُمَّ قَضَاهُ فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُهُ الْإِحْرَامُ إِلَّا مِنَ الْمِيقَاتِ، نَصَّ عَلَيْهِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْمُحْصَرَ فِيهِ لَمْ يَلْزَمْهُ إِتْمَامُهُ.

وَمِنْهَا: إِذَا عَيَّنَّ عَمَّا فِي ذِمَّتِهِ مِنَ الْهَدْيِ وَالْأُضْحِيَّةِ مَا هُوَ أَزِيدُ صِفَةً مِنَ الْوَاجِبِ ثُمَّ تَلَفَ، فَإِنْ كَانَ تَلَفُهُ بِتَفْرِيطِهِ فَعَلَيْهِ إِبْدَالُهُ بِمِثْلِهِ وَإِنْ كَانَ بِغَيْرِ تَفْرِيطٍ فَفِيهِ وَجْهَانِ حَاكُمَا الْقَاضِي فِي شَرْحِ الْمَذْهَبِ، وَجَزَمَ صَاحِبُ الْمُعْنِيِّ بِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُهُ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ فِي ذِمَّتِهِ؛ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ وَجَبَتْ بِتَعْيِينِهِ وَقَدْ تَلَفَتْ بِغَيْرِ تَفْرِيطٍ فَسَقَطَتْ كَمَا لَوْ عَيَّنَّ هَدْيًا تَطَوُّعًا ثُمَّ تَلَفَ.

وَمِنْهَا: لَوْ نَذَرَ اعْتِكَافًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ثُمَّ أَفْسَدَهُ فَهَلْ يَلْزَمُهُ قَضَاؤُهُ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْأَيَّامِ؟ عَلَى وَجْهَيْنِ، وَظَاهِرُ كَلَامِ أَحْمَدَ لُزُومُهُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ أَبِي مُوسَى؛ لِأَنَّ فِي الْإِعْتِكَافِ فِي هَذَا الزَّمَنِ فَضِيلَةً لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يُجْزَى الْقَضَاءُ فِي غَيْرِهِ، كَمَا لَوْ نَذَرَ الْإِعْتِكَافَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ثُمَّ أَفْسَدَهُ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُّ الْقَضَاءُ فِيهِ، وَلِأَنَّ نَذَرَ اعْتِكَافِهِ يَشْتَمِلُ عَلَى نَذْرِ اعْتِكَافِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَعَيَّنَ؛ لِأَنَّ غَيْرَهَا لَا يُسَاوِيهَا. وَعَلَى هَذَا فنَقُولُ: لَوْ نَذَرَ اعْتِكَافَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ فَشَرَعَ فِي اعْتِكَافِهَا فِي أَوَّلِ الْعَشْرِ الْوَاحِدِ ثُمَّ أَفْسَدَهُ لَزِمَهُ قَضَاؤُهُ فِي الْعَشْرِ مِنْ قَابِلٍ؛ لِأَنَّ اعْتِكَافَ الْعَشْرِ لَزِمَهُ بِالشَّرْعِ عَنْ نَذَرِهِ فَإِذَا أَفْسَدَهُ لَزِمَهُ قَضَاؤُهُ عَلَى صِفَةِ مَا أَفْسَدَهُ. (١)

ثالثًا: التعيين.

إذا أُلْزِمَ الإمام شخصًا بعمل صار في حقه لازماً.

قال الزركشي:

هَلْ يَتَعَيَّنُّ فَرُضُ الْكِفَايَةِ بِتَعْيِينِ الْإِمَامِ؟

(١) القواعد لابن رجب (ص ٤٠-٤١).

فِيهِ خِلَافٌ، صَنَّفَ فِيهِ ابْنُ التَّلْمِصَانِيِّ، وَقَدْ ذَكَرَ الصَّيْدَلَانِيُّ: أَنَّ الْإِمَامَ لَوْ أَمَرَ شَخْصًا بِتَجْهِيزِ مَيِّتٍ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ اسْتِنَابَةٌ غَيْرُهُ، وَلَا أُجْرَةٌ لَهُ. ^(١)

وقال أيضا: وفي "الاستذكار" للدارمي في باب الاعتكاف: إذا دخل في عمل تطوع، ثم نواه واجبا فحكى أبو حامد أن المروزي قال: يجب، وقال غيره: لا يجب.

وهل يجب بأمر الإمام؟ ينظر فإن كان من الشعائر الظاهرة وجب كما لو أمرهم بالاستسقاء في الجذب تجب طاعته، وإن لم يكن من الشعائر الظاهرة لا يجب كما لو أمرهم بالعق وصدقة التطوع.

وأفتى النووي بأنه إذا أمرهم بصيام ثلاثة أيام من الاستسقاء وجب امتثال أمره، وتوقف فيه بعضهم؛ لأنه ليس من الشعائر الظاهرة، فهو يشبه أمره بالصدقة، وذكروا في السير: أن الإمام يأمرهم بصلاة العيد، وهل هو واجب أو مستحب؟ فيه وجهان.

قال في "الروضة": قلت: الصحيح وجوب الأمر، وإن قلنا: صلاة العيد سنة؛ لأن الأمر بالمعروف والطاعة لا سيما ما كان شعارا ظاهرا.

ويجوز أن يكون بعض المندوب أكد من بعض، ولهذا يقولون: سنة مؤكدة، ولا يجيء فيه الخلاف السابق في الواجب كما اقتضاه كلام القاضي وغيره، والمراد تفاصيل الأجور والثواب، وإن تساوت في الترك.

وقسم الفقهاء السنن إلى أبعاد وهيئات فخصوا ما تأكد أمره باسم البعض كأنه لتأكده صار كالجزء، وهو اصطلاح خاص. ^(٢)

رابعًا: الالتزام.

فقد يلزم الإنسان نفسه بأمر لم يلزمه به رب العلمين فيتعين عليه الوفاء بما التزم به. جاء في الموسوعة الفقهية: والالتزام: إلزام الشخص نفسه ما لم يكن لازماً له، أي ما لم يكن واجباً عليه قبل، وهو بهذا المعنى شامل للبيع والإجارة والنكاح وسائر العقود.

^(١) البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٢٠١).

^(٢) المصدر السابق (١/ ٢٣٤).

وهذا المعنى اللغوي جرت عليه استعمالات الفقهاء، حيث تدلّ تعبيراتهم على أنّ الالتزام عامّ في التصرّفات الاختيارية، وهي تشمل جميع العقود، سواء في ذلك المعاوضات والتبرّعات. وهو ما اعتبره الخطّاب استعمالاً لغوياً، فقد عرفه بأنّه: إلزام الشخص نفسه شيئاً من المعروف مطلقاً، أو معلقاً على شيء، فهو بمعنى العطية، فدخل في ذلك الصدقة والهبة والحبس الوقف والعارية والعمرى والعريّة والمنحة والإرفاق والإحدام والإسكان والتّذر.

ثم فصلوا أنواع الالتزامات التي يجب الوفاء بها:

الالتزام بأحكام الإسلام أمر واجب على كلّ مسلم.

ومن ذلك ما أوجبه عليه من عقوبات وضمن متلفات والقيام بالتّقعات وأعمال الولاية.

أمّا بالنسبة لتصرّفات الإنسان الاختيارية فالأصل فيها الإباحة.

إذ لكلّ إنسان الحرية في أن يتصرّف التصرّف المشروع الذي يلتزم به أمراً، ما دام ذلك لم يمسّ حقاً لغيره.

وقد تعرض له الأحكام التّكليفية الأخرى. فيكون واجباً، كبذل المعونة بيعاً أو قرصاً أو إعارَةً للمضطرّ لذلك. وكوجوب قبول الوديعة إذا لم يكن من يصلح لذلك غيره، وخاف إن لم يقبل أن تهلك.

ويكون مندوباً، إذا كان من باب التبرّعات التي تعين الناس على مصالحهم، لأنّه إرفاق بهم، يقول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: ٢]، ولقول النبي ﷺ: كلّ معروف صدقة. (١)

ويكون حراماً إذا كان فيه إعانة على معصية، ولذلك لا يصحّ إعارة الجارية لخدمة رجل غير محرّم، ولا الوصية بخمر لمسلم، ولا نذر المعصية.

ويكون مكروهاً، إذا أعان على مكروه، كمن يفضّل بعض أولاده في العطية.

والأصل في الالتزام أنّه يجب الوفاء به امتثالاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: ١]، والمراد بالعقود كما يقول الفقهاء: ما عقده المرء على نفسه من بيع وشراء وإجارة

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢١)، ومسلم (١٠٠٥).

وكراءٍ ومناكحةٍ وطلاقٍ ومزارعةٍ ومصالحةٍ وتمليكٍ وتخييرٍ وعتقٍ وتدبيرٍ، وكذلك العهود والذمم التي نعقدها لأهل الحرب وأهل الذمة والخوارج، وما عقده الإنسان على نفسه لله تعالى من الطاعات كالحج والصيام والاعتكاف والنذر واليمين وما أشبه ذلك، فيلزم الوفاء بها.

وقول النبي ﷺ: "المسلمون على شروطهم".^(١) عام في إيجاب الوفاء بجميع ما يشرطه الإنسان على نفسه، ما لم تقم دلالة تخصّصه.

لكن هذا الحكم ليس عامًّا في كلّ الالتزامات، وذلك لتنوّع الالتزامات بحسب اللزوم وعدمه وبيان ذلك فيما يأتي:

١ - الالتزامات التي يجب الوفاء بها.

-الالتزامات التي تنشأ بسبب العقود اللازمة بين الطرفين، كالبيع والإجارة والصّح و عقود الذمة، فهذه الالتزامات متى تمتّ صحيحةً لازمةً وجب الوفاء بها ما لم يحدث ما يقتضي الفسخ، كالهلاك والاستحقاق والردّ بالعيب، وهذا شامل للأعيان الواجب تسليمها، وللدّيون التي تكون في الذمم كبذل القرض و ثمن المبيع والأجرة في الإجارة أو التي تنشأ نتيجة إنفاذ مال الغير على خلافٍ وتفصيلٍ.

-الالتزامات التي تنشأ نتيجة التّعدي بالغصب أو السرقة أو الإتلاف أو التّفريط.

-الأمانات التي تكون عند الملتزم، سواء أكانت بموجب عقدٍ كالوديعة، أم لم تكن كاللّقطة وكمن أطارت الرّيح ثوبًا إلى داره.

-نذر القربات، وهو ما يلتزم به الإنسان من قرباتٍ بدنيّةٍ أو ماليّةٍ طاعةً وتقربًا إلى الله سبحانه وتعالى.

-الالتزامات التّكليفية الشرعيّة، ومنها النّفقات الواجبة.

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٩٤)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٣٠٣).

فهذه الالتزامات لا خلاف في وجوب الوفاء بها، منجزةً إن كانت كذلك، وبعد تحقّق الشرط المشروع إن كانت معلّقة، وعند دخول الوقت إن كانت مضافةً، وسواء أكان الوفاء لا يجب إلّا بعد الطلب أم يجب بدونه.

ويتحقّق الوفاء بالأداء والتّسليم أو القيام بالعمل أو الإبراء أو المقاصة وهكذا. ودليل الوجوب الآية السابقة، وكذلك قوله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} [النحل: ٩١]، وقوله تعالى: {يُوفُوا نَّذْرَهُمْ} [الحج: ٢٩]، وقوله تعالى: {فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ} [البقرة: ٢٨٣].

والتّخلف عن الوفاء بغير عذر يستوجب العقوبة الدّنيويّة والأخرويّة، إذ العقوبة واجبة لقول النّبي ﷺ: ليّ الواحد يحلّ عرضه وعقوبته. ^(١) فعقوبته حبسه، وعرضه أن يحلّ القول في عرضه بالإغلاظ.

وقال النّبي ﷺ: مطل الغنيّ ظلم. ^(٢) ولذلك يجبر الممتنع عن الوفاء بالضّرب أو الحبس أو الحجر ومنع التّصرّف في المال، أو بيع مال الملتزم والوفاء منه.

إلّا إذا كان الملتزم معسراً فيجب إنظاره لقوله تعالى: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} [البقرة: ٢٨٠].

٢- التزامات يستحبّ الوفاء بها ولا يجب:

- الالتزامات التي تنشأ من عقود التّبرّعات كالقرض والهبة والعارية والوصيّة.
- الالتزام الناشئ بالوعد، فهذه الالتزامات يستحبّ الوفاء بها، لأنّها من المعروف الذي ندب إليه الشّارع، يقول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: ٢]

^(١) أخرجه النسائي (٤٦٨٩)، وأبو داود (٣٦٢٨)، وابن ماجه (٢٤٢٧)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٤٣٤).

^(٢) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويقول النَّبِيُّ ﷺ: من نَفَسَ عن مسلمٍ كربةٍ من كرب الدُّنيا نَفَسَ اللهُ عنه كربةً من كرب يوم القيامة. ^(١) ويقول: تهادوا تحابُّوا. ^(٢)

لكن لا يجب الوفاء بها، ففي الوصية يجوز بالاتفاق الرجوع فيها ما دام الموصي حيًّا. وفي العارية والقرض يجوز الرجوع بطلب المستعار وبدل القرض في الحال بعد القبض، وهذا عند غير المالكية، بل قال الجمهور: إنَّ المقرض إذا أجل القرض لا يلزمه التأجيل، لأنَّه لو لزم فيه الأجل لم يبق تبرُّعًا.

أمَّا المالكية فإنَّ العارية والقرض إذا كانا مؤجَّلين فذلك لازم إلى أن ينقضي الأجل، وإن كانا مطلقين لزم البقاء فترةً ينتفع بمثله فيها، واستندوا إلى ما روي عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه ذكر رجلًا سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينارٍ فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمًى. ^(٣) وقال ابن عمر وعطاء: إذا أجله في القرض جاز.

ويجوز الرجوع في الهبة قبل القبض عند الجمهور، فإذا تمَّ القبض فلا رجوع عند الشافعية والحنابلة إلَّا فيما وهب الوالد لولده، وعند الحنفية يجوز الرجوع إن كانت لأجنبيًّا. أمَّا المالكية فلا رجوع عندهم في الهبة قبل القبض وبعده في الجملة، إلَّا فيما يهبه الوالد لولده.

٣- والوعد كذلك يستحبُّ الوفاء به باتِّفاق.

يقول القرافي: من أدب العبد مع ربِّه إذا وعد ربُّه بشيءٍ لا يخلفه إيَّاه، لا سيَّما إذا التزمه وصمَّم عليه، فأدب العبد مع الله سبحانه وتعالى بحسن الوفاء وتلقَّى هذه الالتزامات بالقبول. لكن الوفاء به ليس بواجبٍ في الجملة، ففي البدائع: الوعد لا شيء فيه وليس بلازم، وفي منتهى الإرادات: لا يلزم الوفاء بالوعد نصًّا، وفي نهاية المحتاج: لو قال: أؤدِّي المال أو أحضر الشَّخص، فهو وعد لا يلزم الوفاء به، لأنَّ الصَّيغة غير مشعرةً بالالتزام. إلَّا أنَّه إذا كانت هناك حاجة تستدعي الوفاء بالوعد فإنَّه يجب الوفاء به.

^(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى (٦١٤٨)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٦٠١).

^(٣) أخرجه البخاري (٢٢٩١).

فقد نقل ابن عابدين عن جامع الفصولين: لو ذكر البيع بلا شرط، ثم ذكر الشرط على وجه العدة، جاز البيع ولزم الوفاء بالوعد، إذ المواعيد قد تكون لازمةً فيجعل لازماً لحاجة الناس. والمشهور عند المالكية أن الوعد يلزم ويقضى به إذا دخل الموعد بسبب الوعد في شيء. قال سحنون: الذي يلزم من الوعد إذا قال: اهدم دارك وأنا أسلفك ما تبني به، أو اخرج إلى الحج أو اشتري سلعة أو تزوج وأنا أسلفك، لأنك أدخلته بوعدك في ذلك، أما مجرد الوعد فلا يلزم الوفاء به، بل الوفاء به من مكارم الأخلاق. وقال القليوبي: قولهم الوعد لا يجب الوفاء به مشكل، لمخالفته ظاهر الآيات والسنة، ولأن خلفه كذب، وهو من خصال المنافقين.

٤- التزامات يجوز الوفاء بها ولا يجب:

-الالتزامات التي تنشأ نتيجة العقود الجائزة بين الطرفين، كالوكالة والشركة والقراض، فهذه يجوز لكل من الطرفين فسخها وعدم الالتزام بمقتضاها، هذا مع مراعاة ما يشترطه بعض الفقهاء حين الفسخ من نضوض رأس المال في المضاربة، وكتعلق حق الغير بالوكالة.

-نذر المباح: يقول القرطبي: نذر المباح لا يلزم بإجماع من الأمة، وقال ابن قدامة: نذر المباح، كلبس الثوب وركوب الدابة وطلاق المرأة على وجه مباح، فهذا يتخير فيه الناذر بين فعله فيبر، وإن شاء تركه وعليه كفارة يمين، ويتخرج أن لا كفارة عليه.

٥- التزامات يحرم الوفاء بها:

-الالتزام بما لا يلزم لا يجب فيه الوفاء، بل قد يكون الوفاء حراماً، وذلك إذا كان التزاماً بمعصية.^(١)

وفي موضع آخر تحت مادة تطوع تفصيل جيد حول صور وتطبيقات الالتزام في الأعمال التطوعية:

جاء في الدر المختار: لو نذر التصدق يوم الجمعة بمكة بهذا الدرهم على فلان، فخالف، جاز.

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية مادة التزام بتصرف.

قال ابن عابدين: فلو خالف في بعضها أو كلّها، بأن تصدّق في غير يوم الجمعة ببلد آخر بدرهم آخر على شخص آخر جاز، لأنّ الدّاخل تحت النّذر ما هو قربة، وهو أصل التّصدّق دون التّعيين، فبطل التّعيين ولزمه القربة.

ثمّ قال ابن عابدين: وهذا ليس على إطلاقه لما في البدائع: لو قال: لله عليّ أن أطعم هذا المسكين شيئاً سمّاه ولم يعيّنه، فلا بدّ أن يعطيه للذي سمّى، لأنّه إذا لم يعيّن المنذور صار تعيين الفقير مقصوداً، فلا يجوز أن يعطي غيره.

وفي الاختيار: لا تجب الأضحية على الفقير، لكنّها تجب بالشّراء، ويتعيّن ما اشتراه للأضحية. فإنّ مضت أيام الأضحية ولم يذبح، تصدّق بها حية، لأنّها غير واجبة على الفقير، فإذا اشتراها بنية الأضحية تعيّن للوجوب، والإراقة إنّما عرفت قربة في وقت معلوم، وقد فات فيتصدّق بعينها.

وإن كان المضحي غنياً، وفات وقت الأضحية، تصدّق بثمنها، اشتراها أو لا، لأنّها واجبة عليه، فإذا فات وقت القربة في الأضحية تصدّق بالثمن إخراجاً له عن العهدة. وجاء في نهاية المحتاج: الأضحية سنّة، ولكنّها تجب بالالتزام، كقوله: جعلت هذه الشّاة أضحية كسائر القرب.

وفي تحرير الكلام في مسائل الالتزام للحطّاب: الالتزام المطلق يقضى به على الملتزم، ما لم يفلس أو يمت أو يمرض.

وقال ابن رشد في نوازله فيمن عزل لمسكين معيّن شيئاً، وبّله له بقول أو نية، فلا يجوز له أن يصرفه إلى غيره، وهو ضامن له إن فعل.

ولو نوى أن يعطيه ولم يبتّله له بقول ولا نية كره له أن يصرفه إلى غيره.

ومعنى بّله: جعله له من الآن.

وفي الفواكه الدّواني: من أخرج كسرة لسائل فوجده قد ذهب لا يجوز له أكلها، ويجب عليه أن يتصدّق بها على غيره، كما قاله مالك. وقال غيره: يجوز له أكلها، وقال ابن رشد: يحمل كلام غير مالك على ما إذا أخرجها لمعيّن، فيجوز له أكلها عند عدم وجوده أو عدم قبوله،

وحمل كلام مالك على إخراجها لغير معيّن، فلا يجوز له أكلها بل يتصدّق بها على غيره، لأنّه لم يعيّن الذي يأخذها.

وفي القواعد الفقهيّة لابن رجب: الهدي والأضحىّ يتعيّنان بالتّعيين بالقول بلا خلاف. وفي تعيينه بالنّيّة وجهان، فإذا قال: هذه صدقة، تعيّنّت وصارت في حكم المنذورة، وإذا عيّن بنيّته أن يجعلها صدقة - وعزلها عن ماله - فهو كما لو اشترى شاة ينوي التّضحية.^(١)

^(١) انظر: الموسوعة الفقهيّة مادة تطوع.

أهمية العمل التطوعي

أهمية العمل التطوعي والحكمة منه

مقدمة:

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية بالعمل التطوعي اهتماماً بليغاً، ودعت أفراد المجتمع المسلم ومؤسساته إلى المسارعة إليه، كما بينت أنه الدعامة الأساسية في بناء المجتمع ونشر المحبة والترابط الاجتماعي بين أفرادها، وهو عمل إنساني يرتبط ارتباطاً قوياً بكل معاني الخير والإحسان، وهو ميدان عظيم للتنافس الشريف، قال الله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ { [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال تعالى: {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ} [البقرة: ١٨٤]، وقال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).^(١) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ زَادَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ).^(٢)

ولعظم أهمية العمل التطوعي فإن الإسلام دعا أفراد مجتمعه إلى التعاون عليه لما فيه من منافع تعود على المجتمع عامة وعلى الفقراء والمحتاجين خاصة، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: ٢]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ).^(٣)

ولقد دعا الإسلام أصحاب الأموال إلى التنسيق والتعاون مع الجمعيات الخيرية والجهات المعنية بالضعفاء والمرضى والمعوقين وذوي الحاجات الخاصة لتقديم العون لهم عملاً بقول النبي ﷺ: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١).

يعد العمل التطوعي وحجم الانخراط فيه رمزاً من رموز تقدم الأمم وازدهارها، فالأمة كلما ازدادت في التقدم والرفي، ازداد انخراط مواطنيها في أعمال التطوع الخيري. كما يعد الانخراط في العمل التطوعي مطلب من متطلبات الحياة المعاصرة التي أتت بالتنمية والتطور السريع في كافة المجالات.

إن تعقد الحياة الاجتماعية وتطور الظروف المعاشية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والتقنية المتسارعة تملينا أوضاعاً وظروفاً جديدة تقف الحكومات أحياناً عاجزة عن مجاراتها؛ مما يستدعي تضافر كافة جهود المجتمع الرسمية والشعبية لمواجهة هذا الواقع وهذه الأوضاع. ومن هنا يأتي دور العمل التطوعي الفاعل والمؤازر للجهود الرسمية.^(٢)

وترجع أهمية التطوع ليس لكونه عملاً يسد ثغرة في نشاط الدولة والهيئات الاجتماعية فقط بل أهميته الكبرى تكون في تنمية الإحساس لدى المتطوع ومن تقدم إليه الخدمة (المواطن) بالانتماء والولاء للمجتمع، وتقوية الترابط الاجتماعي بين فئات المجتمع المختلفة والذي اهتز بعوامل التغير الاجتماعي والحضاري إضافة إلى إن التطوع يكون لوناً من ألوان المشاركة الإيجابية ليس في تقديم الخدمة فقط ولكن في توجيه ورسم السياسة التي تقوم عليها تلك المؤسسات الاجتماعية ومتابعة تنفيذ برامجها وتقويمها بما يعود على المجتمع ككل بالنفع العام، وكلما كثر عدد المتطوعين كلما دل ذلك على وعي المواطنين وحسن تجاوبهم مع هيئات ومنظمات المجتمع.^(٣)

إن العمل التطوعي يجمع الطاقات المهذرة، ويسخرها لخدمة البناء والتنمية الاقتصادية من خلال المؤسسات والمنظمات والهيئات الخيرية، لذا حرصت الدول المتقدمة على ترسيخ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) العمل التطوعي أهميته، معوقاته، وعوامل نجاحه للدكتور/ حميد بن خليل الشامي.

(٣) العمل التطوعي أهميته، آثاره، عوامل نجاحه، معوقاته للواء/ مساعد بن منشط اللحاني.

مفهوم العمل التطوعي، والحث عليه بين جميع الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة، وخلق المناخ الملائم لتشجيع كل الأفراد للعطاء والإبداع.

ولقد تجلت أهمية العمل التطوعي في الحفاظ على القيم الإسلامية التي دعا إليها من عبادات ومعاملات وأخلاقيات، وتبصير الناس بها من خلال المحاضرات والندوات والمعاهد والمساجد، وإعداد كوادر علمية متميزة تقوم على هذه الأدوار والأعمال.

ومن أهمية العمل التطوعي أنه استطاع أن يستثمر أوقات الفراغ بشكل أمثل، ويوجه الطاقات توجيهًا صحيحًا، وأتاح فرصًا للعمل والإنتاج، ولم يغفل دور المرأة بل أتاح لها المجال للقيام بدورها التطوعي على وفق الضوابط الشرعية.

فالعمل الخيري مقصد عام من مقاصد الشريعة؛ وذلك بدلالة كثرة الأمر به والحض عليه ومدح فاعليه، والتحذير من مناوئيه في كثير من آيات الكتاب العزيز، وأحاديث النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم-. وقد ورد لفظ الخير ١٨٠ مرة في القرآن الكريم. وورد لفظ "أخيار"، و"خيرات"، و"خيرة" ٨ مرات في سياقات متنوعة تربط "الخير" بجوانب أساسية من الحياة المدنية التي يعيشها الناس، كما ورد في بعض الحالات ضمن سياقات (أقل عددًا) تربطه بالحياة الآخرة.

أما عن السياقات التي ورد فيها ذكر الخير، فمنها ما ورد في القرآن عند الحديث عن العلم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الصف: ١١). ومنها ما ورد عند الحديث عن العمل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧). وورد في سياق الحديث عن الكفاءة والمقدرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦). وفي سياق الحديث عن العدالة جاء قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٥). وللحض على المنافسة والسبق في الأعمال المفيدة قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨)، وقال: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ﴾ (فاطر: ٦). وفي سياق الحديث عن الإنفاق قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة: ٢١). وثمة مواضع أخرى كثيرة، ويشير

اطراد ورود الأمر بعمل الخير فيها، والحض عليه، والثناء على من يقومون به إلى أن "العمل الخيري" مقصد عام وثابت من مقاصد الشريعة الغراء.^(١)

*** وتبرز أهمية العمل التطوعي في المجتمع من خلال محورين وهما:**
أولاً: تنمية المجتمع وهي تشمل على عدة نقاط:

١- التنمية الاجتماعية:

العمل التطوعي له دور أساس في التنمية الاجتماعية للمجتمع، فمن خلاله يحافظ على القيم والأخلاق والفضائل، ويحافظ على الثوابت الدينية، وكذلك العادات والتقاليد النابعة من تعاليم الإسلام الحنيف، وتنمية المشاعر الإنسانية ومد الرعاية للمستضعفين وتقديم المساعدة والتوجيه لكل من يحتاجها.

والعمل التطوعي يحل الكثير من المشكلات المجتمعية، ويحد من الظواهر السلبية، وينمي في المجتمع حسن التعامل فيما بين أفراد، وراقي التعامل مع الآخرين ومعه يكون المجتمع إيجابياً، فالعمل التطوعي يدفع الفرد ويشجعه على أن يكون إيجابياً في مجتمعه يشاركه أفراده وأحزانه، ويشاركه في حل مشكلاته، ومراقبته للسلبات التي تؤثر في تماسكه وترابطه.

كما يدفع العمل التطوعي المجتمع لأن يكون مبادراً ومعتاداً إذا تطلب الأمر البذل والسخاء، فيشيع ثقافة العطاء، وإسعاد الآخرين وتخفيف آلامهم، وتضميد جراحات المنكوبين، ومعالجة مشكلة الأنانية الفردية، ومن خلاله تنتشر المحبة والألفة والتعاون في أفراد المجتمع، ويقف القوي مع الضعيف، وتعالج مشكلة الفقر وشدة الحاجة، ويقدم كل ميسور ما يستطيع من مال وجهد ومشورة؛ لينعم الجميع في المجتمع بحياة ملؤها العطف والمحبة والألفة والإيثار والرحمة بدلاً من أن يكون المجتمع ملؤه البغضاء والشحناء والحسد والحقد، وبذلك يتحقق الأمن الاجتماعي.

٢- التنمية العلمية والثقافية:

(١) مفهوم العمل الخيري ومقاصده، إبراهيم البيومي غانم.

التنمية العلمية والثقافية في صلبها مبنية على العمل التطوعي، ومدارها خدمة المجتمع للمجتمع، فمن خلال العمل التطوعي تبنى المدارس والمراكز والمكتبات والجامعات ومراكز البحوث العلمية والاستشارية، وقد أثبت التاريخ والواقع أن التنمية العلمية والثقافية هي التي تصنع الحضارة، وأن التنمية لا يمكن أن تتم للعلم والثقافة من غير مساهمة المجتمع فهي تنمية منه وإليه. وشهد التاريخ أن العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين والأطباء والفلكيين وغيرهم من البارعين المميزين كانوا متطوعين، وأنتجوا لأمتهم ولمجتمعاتهم إرثاً علمياً لا يزال أثره بعد مضي أكثر من قرن من الزمان.

ودور العمل التطوعي في الإسلام في دعم التنمية الفكرية أوسع من أن ندلل عليه. فكم من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية التي حثت على طلب العلم ونشره وبذله بين الناس، وتوجيههم لما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، فجعل تعليم العلم وتعلمه ونشره من الأعمال التي تستمر بها الحسنات بعد الممات، وهو صدقة جارية يجري ثوابها في حياة المعلم وبعد مماته، فقد ساهم العمل التطوعي في نشر العلم والكتاب الإسلامي والعربي على نطاق واسع في وقت كانت فيه الطباعة والنسخ غير معروفة لبني الإنسان.

والتنمية الفكرية، كانت من خصوصيات المجتمع الإسلامي، فهو الذي تكفل بإيجاد الأوقاف التي خصصت للمدارس، فأنشئت المدارس، وكانت كلها أوقافاً ولم تكن للدولة سيطرة عليها، ولا تشغيل لها، فبرزت المدارس الوقفية في القدس ودمشق وبغداد وفارس والحجاز وغيرها في حواضر العالم الإسلامي، وكانت تدار وتعمل بعمل تطوعي أهلي، وتحقق بذلك للأمة مكانة عظيمة، وحضارة في شتى المجالات، ولم يكن العمل التطوعي، عملاً محصوراً في حال النكبات والأزمات، بل كان مبادراً، وموجوداً في حال الحاجة، ومبدعاً في حالة النماء والاستقرار.

٣- التنمية الصحية والبيئية:

كان وما زال للعمل التطوعي الدور الواسع في التنمية الصحية والبيئية، فالمجتمعات التي تنشئ المراكز الصحية، وتوفر العلاج والدواء لمن يحتاجه، والرعاية لذوي الاحتياجات الخاصة،

وتتقيد المجتمع بسبل التعامل معهم، ورعايتهم وحقوقهم علينا، هي مجتمعات متماسكة متعاطفة تشعر بالآلام الآخرين.

وللعمل التطوعي دور في نشر الوعي الصحي في المجتمع من خلال مراكز تطوعية تسهم في التواصل مع أفراد المجتمع وتشاركهم اهتماماتهم وهمومهم، وتوجههم وتتفاعل معهم لإيجاد بيئة صحية سليمة، واعية بمشكلات البيئة وسبل علاجها، وذلك لا يمكن أن يتم بشكل متكامل إلا إذا أسهم المجتمع بمؤسساته التطوعية لإبراز وكشف تلك المشكلات وأثرها على البيئة والصحة.

وبتكاليف تلك المؤسسات التطوعية الصحية منها والبيئية تتحقق نقلة نوعية في تطور المجتمع صحياً وبيئياً، ويتسلح بثقافة لا يسمح من خلالها بالعبث بسلامة البيئة وأثرها على صحة أفراد المجتمع، وفي ذلك تنمية عمرانية تحافظ على البيئة وتهتم بالصحة.

٤- التنمية الاقتصادية:

والعمل التطوعي يعد مصدراً لنماء اقتصاد المجتمعات، فمن خلاله يسهم المجتمع في البذل والعطاء والإنفاق، فيترى على السخاء، ودفع المال لمن يحتاجه، وخدمة المجتمع الذي يعيش فيه، ويدفعه للمساهمات الهادئة والجهدية كل حسب طاقته، فتبنى وتعمر المنشآت للخدمات العامة والمدارس والمستشفيات والمساجد والمراكز، وتحرك بذلك عجلة الاقتصاد بتدوير المال وعدم اكتنازه، وبذلك تنشط الدورة الاقتصادية.

والشريعة الإسلامية حثت المسلم على الصدقة والوقف والهبة حتى لا يكون المال بيد الأغنياء فينقم الفقراء، والصدقة جاءت بعد الإيمان بالغيب والصلاة، قال تعالى في وصفه المتقين: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة: ٣]، والصدقة برهان على صدق إخلاص العبد: والصدقة برهان. (١)، والصدقة في الشريعة الإسلامية لا تنقص المال، قال ﷺ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ. (٢)

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥) من حديث أبي كبشة الأنباري، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

فقطاع المجتمع في حقيقته تنمية اقتصادية، والتاريخ الإسلامي خير شاهد على ذلك، والأعمال التطوعية تحقق التنمية الاقتصادية وتوفر فرص العمل، حتى بلغت في بعض الجهود الإسلامية الأوقاف مبلغاً وصل إلى أن ٣٠ - ٤٠٪ من الأيدي العاملة والقوى البشرية تعمل في الوقف ومؤسساته الخيرية والاجتماعية والاقتصادية والاستثمارية.

٥- التنمية البشرية:

التنمية البشرية هي أساس تنمية المجتمعات وتفاعلها وعطاءها، وهي من الإنسان للإنسان، فلا يمكن أن تتم التنمية البشرية إلا من خلال الإنسان، والعمل التطوعي كذلك هو أساس من أسس التنمية البشرية، فمن خلال المؤسسات التطوعية وأعمالها تصقل المهارات وتنمي القدرات وتكتسب المعلومات وينمي في الفرد شعور الانتماء للمجتمع، فمن خلال العمل التطوعي يحقق الفرد ذاته ويثق بنفسه، ويفتح آفاقه ويحقق نجاحه، ويرى آثار عطاءه وأعماله وغاياته.

ومؤسسات العمل التطوعي الفاعلة تعد مدرسة لتخريج الطاقات الشبابية الراغبة في خدمة المجتمع، ففيها تُشغل أوقات الشباب بما هو نافع ومنتج، وتحافظ على الأوقات والطاقات، وتقلل المظاهر السلبية الناتجة عن تضييع الأوقات بالمهلكات.

والإنسان هو العنصر الأساسي في تحقيق الأهداف التنموية، فلا يتحقق النماء في المجتمعات إلا إذا أولينا الإنسان الاهتمام والرعاية والنماء، وفي قول الله تعالى: {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [القصص: ٧٧] دافع للإنسان أن يستعمل نعم الله عليه في طاعته وحاجات خلقه، فالتنمية البشرية والعمل التطوعي حلقتان في سلسلة حفظ ورعاية ونماء القدرات البشرية. ^(١)

٦- تحرير النفس من القيود:

هو أول مقاصد العمل الخيري الإسلامي وأعلىها منزلة؛ ففي مقدمة الأهداف التي يتوجه إليها العمل الخيري أن يسهم في "تحرير" النفس الإنسانية من الأغلال التي قد تكبلها لسبب أو لآخر، وتعوق حركتها، وتهدر طاقاتها. بعض هذه القيود معنوي ينتج عن ارتكاب

(١) أهمية العمل التطوعي للمجتمعات ودوره في التنمية، لعيسى القدومي، مقال نشر بمجلة الفرقان الكويتية التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي.

الذنوب والآثام، وبعضها مادي ينتج عن حب المال وتمكن شهوة التملك من الإنسان، وبعضها سياسي ينتج عن الحروب وصراعات القوة. ونتيجة لتلك الأسباب فإن بعض بني آدم تقضي عليهم الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يعيشونها أن تكون حريتهم مقيدة معنويًا ومنهم العصاة والمذنبون، أو مقيدة ماديًا، ومن هؤلاء: الرقيق، والفقراء، واليتامى، والمساكين، والأسرى، والجهلة، والمرضى، والمدينون؛ وفي جميع هذه الحالات يجب شرعًا المساعدة في تحريرهم، ورفع الإصر عنهم، وتخطيم الأغلال التي وضعت عليهم؛ كي يكونوا محلاً صحيحًا للإيمان، وكي يكونوا قادرين على استقبال التكاليف الشرعية وأدائها كما يريد الله سبحانه وتعالى؛ لأن غير الحر يكون غير قادر قدرة الحر على إقامة التكاليف الشرعية. أو هو ليس مثله على الأقل. ولهذا يريد الإسلام أن يكون الإنسان حرًا أولاً، ثم يخاطبه بالأحكام الشرعية ويكلفه بها.

وكيف يسهم العمل الخيري في تحقيق هذا المقصد؟ ونجيب فنقول: دلت آيات القرآن الكريم على أن من أعظم القربات تحرير الأرقاء، ومن ذلك ما جاء النص عليه في سورة البلد وعبرت عنه بـ "فك الرقبة".

وقد ذهب أغلب المفسرين إلى أن المقصود بفك الرقبة هو "العتق"، وإطلاق مَنْ يقع في أسر الرق والعبودية. والعتق عمل من الأعمال العظيمة التي لها عند الله رفعة ومنزلة؛ فمن أعتق رقبة كانت له فداءً من النار، ومثله الذي يطعم الفقير في يوم عَصِيب ذي مجاعة، سواء أكان يتيمًا ذا قرابة، أو مسكينًا ذا متربة؛ أي فقيرًا بائسًا قد لصق بالتراب من فقره وضره، وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس؛ قال ابن عباس: هو المطروح على ظهر الطريق لا يقيه من التراب شيء. ومثل هذه الأعمال العظيمة مطلوبة على سبيل السرعة وبلا روية، وهذا هو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾؛ والاقترحام في الأصل: الدخول في الشيء بسرعة وشدة من غير روية.

ونضيف إلى ما سبق أن عموم دلالة "فك الرقبة" لا يقتصر على تحريرها من أسر العبودية والرق بالمعنى الاصطلاحي الذي قصده أغلب المفسرين والفقهاء. وكان أكثر الرق قديمًا

بسبب الحروب - وإنما يشمل أيضًا فك الرقبة من كل ما يقيدها؛ فكها من قيد الجهل؛ فالجهل يقيد حرية الإنسان، كما يقيد الرق حرته. وفك الرقبة يكون أيضًا من قيد المرض؛ فالمرض قيد على حرية الإنسان وحرركته، وقد يقعده، أو يمنعه من الاستمتاع بكثير من الحريات التي لا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بها. ويكون فك الرقبة من قيد الديون؛ فالديون تقيد الحرية أيضًا وتستذل المدين. ^(١)

٧- التمدين وعمارة الأرض:

يسهم العمل الخيري في تحقيق درجة أرقى من التمدن الإنساني ورفع كفاءة المجتمعات في إعمار الأرض. ويأخذ إسهام العمل الخيري في تمدين المجتمعات صورًا متعددة: منها ما هو مادي في شكل تبرعات ومساعدات تعين غير القادرين على تحسين مستوى معيشتهم، ولا تتركهم نهبًا للمرض أو للجهل أو للفاقة والعجز، ومنها ما هو غير مادي في شكل إسهامات معرفية وعلمية تهدف إلى تنوير المجتمع ورفع قدرات أبنائه بصفة عامة، وغالبًا ما كان تمويل إنتاج العلم والمعرفة على حساب العمل الخيري تحديدًا في الاجتماع السياسي الإسلامي إلى ما قبل نشوء الدولة الوطنية الحديثة.

٨- مقصد السلم الأهلي:

يعزز العمل الخيري حالة السلم الأهلي بين الفئات الاجتماعية المختلفة بطرق متعددة، لعل من أهمها أن حصيلة المبادرات الخيرية تشكل شبكة من العلاقات التعاونية، وتدعم روح الأخوة والتراحم والتعاطف في الاجتماع السياسي الإسلامي بصفة عامة. وإلى ذلك أشار العلامة ابن عاشور؛ حيث يقول: "عقود التبرعات قائمة على أساس المواساة بين أفراد الأمة، الخادمة لمعنى الأخوة؛ فهي مصلحة حاجية وتحسينية جلية، وأثر خلق إسلامي جميل؛ فيها حصلت مساعفة المعوزين، وإغناء المقترين، وإقامة الجرم من مصالح المسلمين" ويسهم العمل الخيري في تحقيق مقصد "السلم الأهلي" بصور أخرى متعددة منها: المسارعة إلى إزالة نقاط التوتر من المجتمع، ودفع الحراك الاجتماعي.

^(١) مفهوم العمل الخيري ومقاصده، إبراهيم البيومي غانم.

بالنسبة للمسارعة إلى إزالة نقاط التوتر من المجتمع، نجد أن العمل الخيري يسهم فيها بشكل مباشر، وذلك في أوقات الأزمات التي قد يتعرض لها المجتمع، أو عند وقوع الكوارث والأوبئة التي قد تصيب فئة أو أكثر من فئات المجتمع. وهنا تظهر أهمية الأعمال الخيرية الإغاثية، التي تقدم المساعدات العاجلة من كساء وغذاء ومأوى وإسعافات أولية وما شابه ذلك.

ويحدث العمل الخيري أثره الإيجابي ليس فقط في الوسط الاجتماعي الذي يقدم له الفرد مبادرته الخيرية؛ وإنما على معنويات فاعل الخير نفسه؛ إذ يكون عمل الخير سبباً من أسباب سعادته في الحياة، وتزكية نفسه، وانسراح صدره، وتقوية حبه للآخرين، والسعي في جلب النفع لهم، ودفع الأذى عنهم، إلى جانب أن عمل الخير يشعر فاعله بمكانته ودوره في محيطه الذي يعيش فيه، ويدعم إحساسه بأن لديه مقدرة - حتى وإن كانت محدودة - على مواجهة مشكلات مجتمعه والإسهام في إصلاحه.

٩- محاربة الفقر:

العمل الخيري بمختلف صوره هو أحد السياسات الاجتماعية التي تستهدف القضاء على الفقر، وتسعى بشكل دائم ومستمر لتجفيف منابعه، وإخراج من يدخل في دائرته، وإعادة إدماجه في دورة العمل والإنتاج؛ كي يصبح معتمداً على ذاته، مسهماً في بناء مجتمعه وفي مساعدة غيره، خاصة أن علة الفقر تصحبها علل أخرى كثيرة مثل الجهل والمرض والبطالة والجريمة، وهي علل ذات آثار سلبية، تدمر قدرات المجتمع، وتعوقه عن التطور والنمو ويسعى النظام الإسلامي عامة إلى اجتثاث الفقر من المجتمع بوسائل متعددة، وكلما نبتت بوادر جديدة للفقر. وهذا أمر يتكرر ولا يمكن تحاشيه. أسرع إلى محاصرته وتجفيف منابعه. والمثل الأعلى للمجتمع الإسلامي من هذه الزاوية هو ألا يكون فيه فقراء

إن أول مَصْرَفٍ للزكاة المفروضة هم "الفقراء والمساكين" بنص قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ (التوبة: ٦٠). ولكن إلى جانب الزكاة المفروضة حثت شريعة الإسلام على المبادرة بالأعمال الخيرية الطوعية للإسهام في مواجهة مشكلة الفقر، ومن أهم صور هذه

الأعمال الخيرية: الصدقة التطوعية، والوقف، والهبة، والانتفاع بفائض رؤوس الأموال والمنح التي تعطى لغير القادرين من دون تحصيل فوائد منهم (القرض الحسن). ومن ذلك كله عرفنا أن محاربة الفقر مقصد أساسي من مقاصد العمل الخيري. وتتجلى في ميدان مكافحة الفقر الجدوى الاجتماعية والاقتصادية للعمل الخيري الذي يثاب فاعله بالأجر الجزيل من رب العالمين.

وتبلورت أربع وسائل لتنظيم إسهام العمل الخيري في محاربة الفقر، واختصت كل وسيلة بشريحة أو أكثر من الفقراء

الوسيلة الأولى هي "المساعدات النقدية" التي تقدم للفقراء موسميًا، وخاصة في الأعياد والمناسبات الدينية، أو تقدم لهم في أوقات حاجتهم إليها.

والوسيلة الثانية هي "المساعدات العينية" التي تشمل: الطعام، والماء، والكساء، وبعض أدوات الإنتاج البسيطة، والدواء، والمأوى أحيانًا، وهي تقدم للفقراء والمعوزين موسميًا أيضًا أو في أوقات حاجتهم إليها؛ شأن المساعدات النقدية.

أما الوسيلة الثالثة فهي "المساعدات المؤسسية"؛ ونقصد بها تلك الإسهامات التي يقوم بها فاعلو الخير من أجل دعم أو تمويل أو إنشاء مؤسسات تقدم خدمات عامة مثل: المساجد، والمدارس، والمستشفيات ومستوصفات العلاج، ودور الرعاية الاجتماعية التي تقدم خدماتها للأيتام والعجزة والأرامل وذوي الاحتياجات الخاصة.

والوسيلة الرابعة هي "المساعدات الفنية"، وتشمل ما يتطوع به فاعلو الخير من خبرات واستشارات ومشاركات يقدمونها من دون أجر مادي، ويسهمون بها في تدريب وتأهيل الراغبين في العمل؛ ولكنهم غير قادرين على تحمل نفقات التأهيل المهني اللازم لدخولهم سوق العمل.

وجرى تمويل هذه المنظومة الخيرية عبر طرق متعددة منها: الزكاة، والوقف، والوصايا، والهبات الخيرية، والנדور، والكفارات، والصدقات التطوعية الأخرى.^(١)

(١) مفهوم العمل الخيري ومقاصده، بتصرف، إبراهيم البيومي غانم.

ثانيًا: الأمن العام للمجتمع:

لا شك أن للعمل التطوعي دورًا عظيمًا في الحفاظ على الأمن العام الذي يضمن سلامة واستقرار المجتمعات إبان الأزمات العالمية القائمة، والتي قد تتسبب تداعياتها في تراجع أو انهيار الدور الأمني الذي تقوم به المنظومة الأمنية الرسمية، والمجتمعات التي تفتقر إلى الأمن هي مجتمعات تفتقر إلى كافة أدوات الحياة، وتظل على الدوام مهددة بطريقة تجعلها تتراجع إلى الخلف وسط عالم ينمو ويتطور بسرعة فائقة، ويظل اقتصادها هزيلًا، وتنتشر فيها الجريمة بشتى أشكالها وألوانها، ومن هنا كان للعمل التطوعي دورًا في المساهمة في معالجة المشكلات الاجتماعية، وبعض الظواهر التي تؤدي إلى تهديد الأمن والاستقرار من بطالة وأمية ومخدرات وتهريب وتزوير وانحرافات أخلاقية وسلوكية وغير ذلك من الجرائم. ولا شك أن من أهم اهتمامات العمل التطوعي الوقوف بجانب الفقير والمحتاج حتى لا يقع فريسة للجريمة والانحراف.

يقول الدكتور معلوي الشهراني: يتضح أن العمل التطوعي من الأعمال الخيرة التي أوصى بها الدين الإسلامي الحنيف، وحيث إن المتطوع يقدم جهده وماله ووقته لخدمة مجتمعه فإن هناك ارتباطًا بين العمل التطوعي وأمن المجتمع حيث إنه من الأعمال الخيرية الحفاظ على أمن المجتمع من مساعدة المحتاجين والفقراء، حتى لا يقعوا فريسة للجريمة والانحراف، ومساعدة المدمنين على التوبة والعلاج وعدم العودة للجريمة.

كما أن مساعدة المتسولين ومكافحة التسول من أهم الطرق لعلاج ظاهرة التشرد والانحراف. ومساعدة السلطات في التصدي للجريمة والإرهاب من أهم الأعمال التي يقدمها العمل التطوعي لوقاية المجتمع والحفاظ على أمنه. (١)

ويمكن تلخيص الحكمة من العمل التطوعي في نقاط:

١ - اكتساب رضا الله ومحبهه وذلك بتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى فالعمل التطوعي فيه قربة إلى الله تعالى ويفسح المجال للأعمال التعبدية التي يتقرب العبد بها إلى ربه سبحانه.

(١) العمل التطوعي، وعلاقته بأمن المجتمع (ص ٥٤) لمعلوي بن عبد الله الشهراني.

٢- تعميق مفاهيم الإسلام في الحث على أعمال الخير والبر لكافة بني البشر وإن اختلفت شرائعهم مما يعكس صورة حسنة عن الدين الإسلامي لرعايته وإهتمامه بكافة الخدمات الإنسانية.

٣- القضاء على أوقات الفراغ التي يعاني منها الشباب بما توفره لهم الأنشطة التطوعية من برامج تشغل وقت فراغهم وتشعرهم بمدى حاجة المجتمع إليهم.

٤- توثيق الروابط بين الناس والحث على التكافل والتعاون والحرص على منفعتهم ومساعدتهم بما يخفف الآلام ويوفر الحاجيات الضروريه لمن يحتاجها وبذلك تنهأ المجتمعات وتسعد.

٥- توفير خدمات قد يصعب على الإدارة الحكومية تقديمها لما تتسم به الأجهزة التطوعية من مرونة وقدرة على الحركة السريعة.

٦- تطبيق الأسلوب العلمي من قبل خبراء متطوعين، وصنع قنوات اتصال مع منظمات شبيهة بدول أخرى من دون حساسية أو التزام رسمي والاستفادة من تجاربها الناجحة القابلة للتطبيق.^(١)

٧- التعرف على ذوي المهارات والقدرات المتميزة واكتشافها وتدريبها كقيادات قادرة على تحمل أعباء المسؤولية الاجتماعية.

٨- تحقيق الدور الإيجابي في هذه الحياة والسعي إلى هداية الناس ودعوتهم إلى الإسلام ونشر العلم النافع.

٩- الزيادة من قدرة الإنسان على التفاعل والتواصل مع الآخرين والحد من النزوع إلى الفردية وتنمية الحس الاجتماعي، وتهذيب الشخصية ورفع عقلية الشح وتحويلها إلى عقلية الوفرة والكسب الأعظم.

١٠- إزالة التخلف وتوفير أسباب التقدم والرفاهية لأفراد المجتمع بالوسيلة الأيسر وصولاً والأسلوب الأفضل أداءً والأكثر نفعاً.

(١) العمل التطوعي أهميته، معوقاته، وعوامل نجاحه للدكتور/ حميد بن خليل الشايحي.

ثالثاً: العمل التطوعي نفعه متعدد ففائدته أعظم بخلاف القاصر من فضائل العمل التطوعي أن نفعه متعدد لشريحة كبيرة من الأمة بخلاف العمل القاصر ومن القواعد التي وضعها العلماء: أن العمل المتعدي نفعه أفضل من العمل القاصر قال الزركشي: الْعَمَلُ الْمُتَعَدِّي أَفْضَلُ مِنَ الْقَاصِرِ. وَهَذَا قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَأَبُوهُ وَغَيْرُهُمْ بِتَفْضِيلِ فَرَضِ الْكِفَايَةِ عَلَى فَرَضِ الْعَيْنِ؛ لِأَنَّهُ أَسْقَطَ الْحَرْجَ عَنِ الْأُمَّةِ، وَاسْتَنْبَطَ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ ﴿مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ﴾ أَنَّ الْمُؤَدَّنَ يَكُونُ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى بِأَذَانِهِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الْإِسْتِغَالُ بِالْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ. ^(١) وفي موسوعة القواعد الفقهية للبورنو ذكر القاعدة ومثل لها فقال:

من أمثلة هذه القاعدة ومساائلها:

طلب العلم أفضل من صلاة النافلة؛ لأن طلب العلم يتعدى نفعه إلى كثير من الناس، وصلاة النافلة لا يتعدى نفعها صاحبها. ومنها: فرض الكفاية له مزية على فرض العين؛ لأن القائم بفرض الكفاية أسقط الحرج عن الأمة.

ومنها: من حكم تقديم العتق أو الإطعام أو الكسوة في كفارة اليمين على الصيام أن تلك الثلاثة يتعدى أثرها المكفر إلى غيره، والصيام مختص به، ولذلك كان فعل أحدها واجباً عند القدرة عليه، والصيام لا يجوز إلا عند العجز عن أحد الثلاثة. ^(٢) إن الأعمال التطوعية تتميز بتعدي نفعها لكثير من الناس ولهذا وردت أحاديث تنبه على ثواب هذه الأعمال ومنها:

١- تعليم العلم

(١) المشثور في القواعد الفقهية (٢/٤٢٠).

(٢) موسوعة القواعد الفقهية (٩/٤٧٠).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَاكُمْ﴾^(١) وَسَبَبُهُ أَنَّ الْعِلْمَ نَفْعُهُ مُتَعَدٍّ وَالْعِبَادَةَ مَنَفَعَتُهَا قَاصِرَةٌ، وَالْعِلْمُ إِمَّا فَرَضٌ عَيْنٍ أَوْ كِفَايَةٌ، وَالْعِبَادَةُ الزَّائِدَةُ نَافِلَةٌ وَثَوَابُ الْفَرَضِ أَكْثَرُ مِنْ أَجْلِ النَّفْلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.^(٢)

قال ابن الجوزي: ومن تلبسه على الزهاد إعراضهم عن العلم شغلا بالزهد فقد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير وبيان ذلك أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعدد وكم قد رد إلى الصواب من متعبد.^(٣)

٢- الدعوة إلى الله

قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: ٣٣].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: هو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعدّد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى بذلك.

وذكر عن الحسن البصري -رحمه الله- أنه تلا هذه الآية: فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فالداعي أحسن الناس كلاماً وأحسنهم عملاً، إذا صدق عمله قوله.

٣- الصدقة والإصلاح بين الناس

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، سمعت أبا عمار الحسين بن حريث الخزاعي، يقول: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: ((عالم عامل معلم يدعى كبيراً في ملكوت السموات)).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٣٢٤).

(٣) تلبس إبليس (ص: ١٣٥).

قال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (١١٤)

قال الحافظ ابن رجب: فنقّى الخير عن كثير مما يتناجى به الناس إلا في الأمر بالمعروف، وخصّ من أفراده الصدقة والإصلاح بين الناس لعموم نفعيهما، فدلّ ذلك على أنّ التناجي بذلك خير، وأمّا الثواب عليه من الله، فخصّه بمن فعله ابتغاء مرضات الله. وإنّما جعل الأمر بالمعروف من الصدقة والإصلاح بين الناس وغيرهما خيراً، وإن لم يُبتَغَ به وجه الله، لما يترتّب على ذلك من النفع المتعدّي. فيحصل به للناس إحسانٌ وخيرٌ، وأمّا بالنسبة إلى الأمر، فإن قصده به وجه الله، وابتغاء مرضاتِهِ، كان خيراً له وأثيبَ عليه، وإن لم يقصد ذلك، لم يكن خيراً له، ولا ثواب له عليه. وهذا بخلاف من صام وصلى وذكر الله، يقصد بذلك عَرْض الدنيا، فإنّه لا خير له فيه بالكُلِّيّة، لأنّه لا نفع في ذلك لصاحبه، لما يترتّب عليه من الإثم فيه، ولا لغيره؛ لأنّه لا يتعدّى نفعه إلى أحدٍ، اللهم إلا أن يحصل لأحد به اقتداء في ذلك. (١)

٤- قضاء الحوائج

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنّ رسول الله ﷺ، قال: " بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصَّدَقُ، فَلِيدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرْقٍ مِنْ أَرْزٍ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرْقٌ مِنْ أَرْزٍ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرْقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ حَشِيَّتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبْوَانٍ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنٍ عَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَاهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاعَوْنَ مِنَ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا،

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/٣٥٨) جمع طارق عوض.

وَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعِيَهَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرِّبَتَيْهَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَاِنْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمُكِّنَنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَقْضِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا (١)"

قال الحافظ: وَيُظْهِرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ فَصَاحِبُ الْأَبْوَيْنِ فَضِيلَتُهُ مَقْصُورَةٌ عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ أَفَادَ أَنَّهُ كَانَ بَابُؤَيْهِ وَصَاحِبُ الْأَجِيرِ نَفْعُهُ مُتَعَدٍّ وَأَفَادَ بِأَنَّهُ كَانَ عَظِيمَ الْأَمَانَةِ وَصَاحِبُ الْمَرْأَةِ أَفْضَلُهُمْ لِأَنَّهُ أَفَادَ أَنَّهُ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَشْيَةُ رَبِّهِ وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ كَذَلِكَ بِأَنَّ لَهُ الْجَنَّةَ حَيْثُ قَالَ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَقَدْ أَصَافَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى ذَلِكَ تَرَكَ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَاهُ لِلْمَرْأَةِ فَأَصَافَ إِلَى النَّفْعِ الْقَاصِرِ النَّفْعَ الْمُتَعَدِّيَ وَلَا سِيَّامًا وَقَدْ قَالَ إِنَّهَا كَانَتْ بِنْتُ عَمِّهِ فَتَكُونُ فِيهِ صِلَةً رَحِمٍ أَيْضًا وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ قَحْطٍ فَتَكُونُ الْحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ أَحْرَىٰ فَيَتَرَجَّحُ عَلَى هَذَا رَوَايَةُ عُبيدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ وَقَدْ جَاءَتْ قِصَّةُ الْمَرْأَةِ أَيْضًا آخِرَةً فِي حَدِيثِ أَنَسٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٢)

٥- الجهاد في سبيل الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: الْحَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وَزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وَزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنَوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وَزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ، أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ، عَدَدُ

(١) صحيح البخاري (٣٤٦٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٥١١/٦).

مَا أَكَلْتُ حَسَنَاتٍ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طَوْلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرْفًا،
أَوْ شَرْفَيْنِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ،
فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ. (١)

فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْجِهَادُ، فَإِنَّ نَفْعَهُ مُتَعَدِّ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ (٢)

وقد تضمنت فصول هذه الموسوعة مجالات العمل التطوعي وقد أشرنا هنا إلى بعض النماذج.

(١) صحيح مسلم (٢٢٥٢).

(٢) مشكاة المصابيح (١٢٦٥ / ٤).

فضل العمل التطوعي في الكتاب والسنة وأقوال السلف

فضل العمل التطوعي في الكتاب والسنة وأقوال السلف

تمهيد:

حث الشرع في غير ما موضع سواء من الكتاب أو من السنة على العمل التطوعي، وهو جانب أصيل من جوانب الإسلام، بل هو مقصد من مقاصده الأساسية، لذلك عُنِيَ به عناية بالغة، فالعمل التطوعي من أهم الأعمال التي تقدمها الأمة الإسلامية إلى الإنسانية جمعاء، وهو كل جهد بدني أو فكري أو عقلي أو قلبي يأتي به الإنسان أو يتركه تطوعاً دون أن يكون ملزماً به لا من جهة المشرع ولا من غيره، ويعود بالنفع المادي أو المعنوي على الغير، من دون مقابل مادي وإنما يفعله المسلم رجاء الثواب عند الله، والدخول في جنات النعيم، وهنا تتجلى المثل العليا للإسلام، وراقي حضارته الفكرية والعملية، التي حقيق بأننا أن تفخر به؛ لأنها تضرب أروع الأمثلة في التكافل والتضامن الاجتماعي.

ويتضح لنا من خلال العمل التطوعي أن الدين الإسلامي من أخص خصائصه الشمولية التي يساير بها متطلبات الفرد وحاجات الأمة، ويحقق العزة والكرامة للمسلمين في الدنيا والآخرة، بكل ما يحقق عرى التواصل بين المسلمين، ويقوي التكافل بين أفراد الأمة، والتعايش بينهم جميعاً، بسلوك كل سبل الخير وجميع أنواع البر: قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: الآية ٢]

ويعد العمل التطوعي وحجم الانخراط فيه رمزاً من رموز تقدم الأمم وازدهارها، فالأمة كلما ازدادت في التقدم والراقي، ازداد انخراط مواطنيها في أعمال التطوع الخيري. كما يعد الانخراط في العمل التطوعي مطلب من متطلبات الحياة المعاصرة التي أتت بالتنمية والتطور السريع في كافة المجالات، ومع تعقد الحياة الاجتماعية وتطور الظروف المعاشية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والتقنية المتسارعة تملينا أوضاعاً وظروفاً جديدة تقف الحكومات أحياناً عاجزة عن مجاراتها.

مما يستدعي تضافر كافة جهود المجتمع الرسمية والشعبية لمواجهة هذا الواقع وهذه الأوضاع، ومن هنا يأتي دور العمل التطوعي الفاعل والمؤازر للجهود الرسمية، فمثلاً تزايد الطلب على الخدمات الاجتماعية أصبح يشكل تحدياً أمام الحكومات مما يتطلب وجود جهات مساندة للنظام الرسمي خصوصاً وأن الهيئات التطوعية مفضلة على الهيئات الرسمية نظراً لعدم تعقدها، والمتطوع عندما يقدم وقته وخدماته تطوعاً يعتبر أدائه أفضل من الموظفين مدفوعي الأجر، وقد أثبتت التجارب أن بعض الأجهزة الرسمية لا تستطيع وحدها تحقيق كافة غايات خطط ومشاريع التنمية دون المشاركة التطوعية الفعالة للمواطنين والجمعيات الأهلية التي يمكنها الإسهام بدور فاعل في عمليات التنمية نظراً مرونتها وسرعة اتخاذ القرار فيها.

ولهذا اعتنت الدول الحديثة بهذا الجانب لمعالجة مشاكل العصر والتغلب على كثير من الظروف الطارئة، في منظومة رائعة من التحالف والتكاتف بين القطاع الحكومي والقطاع الأهلي، وهذا يفتح باب العطاء بحرية وهو عنصر رئيسي للمجتمع الصالح، لذا فإن الفرصة أمام الجميع للمشاركة، وهذا لا يساعد فقط على تخطي عيوب بيروقراطية العمل الرسمي فحسب بل ويحقق متطلبات التنمية، فالتطوع بالمال والوقت والجهد والخبرة صفة إنسانية لازمت المجتمعات البشرية عبر العصور، وزكّتها جميع الشرائع السماوية والأعراف الاجتماعية، ونُسجت حولها قيم الإعجاب والشهامة والنبيل والنقاء والإنسانية، والتطوع من حيث هو فعل وتصرف، يمنح الإنسان شعوراً عميقاً بالراحة النفسية، ويملاً جوانحه بأجمل معاني الحب والدفء والعلاقة مع أخيه الإنسان^(١).

وإن أعظم ما يحفز الإنسان لبذل الجهود في الأعمال التطوعية معرفة الثواب من الله المترتب على القيام بهذا العمل؛ لذا طرحنا في هذا المبحث جملة وافرة من نصوص الوحيين، ومواقف السلف وأقوالهم بما يحفز نفوسنا ويقوي عزائمنا، ويدفعنا إلى مزيد من البذل والعطاء مهما

(١) انظر: الأعمال التطوعية في الإسلام، محمد بن صالح بن علي القاضي، العمل التطوعي أهميته، معوقاته وعوامل نجاحه د. حميد بن خليل الشايحي أكاديمي سعودي، العمل التطوعي في السنة، رندة محمد زينو.

كثرت الصعوبات، وتراكمت الأزمات، وتزاحمت الأوقات، وكثرت الانشغالات. فتواب الله وعطاؤه أسمى الأمنيات، وأعلى ما يرجوه العبد بعد الممات.

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

١- الأمر بالتعاون على الخير:

قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة ٢]. أي: وليعن بعضكم، أيها المؤمنون، بعضاً "على البر"، وهو العمل بما أمر الله بالعمل به "والتقوى"، هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه^(١).

وقيل أيضاً: Lieen بعضكم بعضاً على البر. وهو: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين. والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها^(٢).

٢- العمل التطوعي خير للعباد:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾، ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾. [البقرة ١٨٤، ١٥٨]. {تَطَوَّعَ} أي: فعل طاعة مخلصاً بها لله تعالى، فدل هذا على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله، ازداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه^(٣). "فلم يخص بعض معاني الخير دون بعض"^(٤).

٣- الأمر بالمسابقة إلى أعمال الخيرات:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة ١٤٨]، [المائدة ٤٨]. نديهم سبحانه إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها، فبادروا بالأعمال الصالحة، شكرًا لربكم، وتزودوا في دنياكم لآخرتكم^(٥).

(١) تفسير الطبري (٩/ ٤٩٠).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢١٩).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٧).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٣).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ١٩٦)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٣٠).

﴿وَقَالَ تَعَالَى: {وَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩)} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَاصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

أي: في عمل القربات وفعل الطاعات ^(١).

وقال السعدي في قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها ^(٢).

ولا شك أن المسارعة في أعمال الخير والبر بالتطوع فيها تكون سبباً أكيداً في استجابة الدعاء.

﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢)﴾. [المؤمنون].

أي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه، قد نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفى عند ربهم، فنافسوه. ولما كان السابق لغيره المسارع قد يسبق لجدده وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره، أخبر تعالى أن هؤلاء من القسم السابقين فقال: {وَهُمْ لَهَا} أي: لخيرات {سَابِقُونَ} قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعييل الأول، ومع هذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون. ولما ذكر مسارعتهم إلى الخيرات وسبقهم إليها، ربما وهم واهم أن المطلوب منهم ومن غيرهم أمر غير مقدور أو متعسر، أخبر تعالى أنه لا يكلف {نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} أي: بقدر ما تسعه، ويفضل من قوتها عنه، ليس مما يستوعب قوتها، رحمة منه وحكمة، لتيسير طريق الوصول إليه، ولتعمر جادة السالكين في كل وقت إليه. {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ

(١) تفسير ابن كثير (٣٧٠/٥).

(٢) تفسير السعدي (٥٣٠/١).

يَنْطِقُ بِالْحَقِّ} وهو الكتاب الأول، الذي فيه كل شيء، وهو يطابق كل واقع يكون، فلذلك كان حقاً، {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} أي لا ينقص من إحسانهم، ولا يزداد في عقوبتهم وعصيانهم.

﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٤)﴾ [البقرة].

أي: يتدرون فعل الخيرات خشية أن يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم منياهم^(١).

﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (١٢)﴾ [

الواقعة]. فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: وقال

تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ

(١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤)﴾ [آل عمران].

﴿وَقَالَ: { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } [الحديد:

٢٢]، فمن سابق إلى هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن

الجزء من جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهذا قال تعالى: {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ

{ (٢).

فأخبر جل ثناؤه أن الجنة التي وصف صفتها، لمن اتقاه وأنفق ماله في حال الرخاء والسعة،

وفي حال الضيق والشدة، في سبيله، أي: في العسر واليسر^(٣).

وقال ابن كثير: أي في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره والصحة والمَرَض، وفي جميع

الأحوال، كما قال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، والمعنى أنهم لا

يَسْغَلُهُمْ أَمْرٌ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِنْفَاقِ فِي مَرَاذِيهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ قَرَابَاتِهِمْ

وغيرهم بأنواع البر^(٤).

(١) تفسير الطبري (٧/ ١٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٥١٧).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢١٤).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٣١٨).

٤- الأمر بالإحسان إلى الخلق:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]

والعدل: استواء العلانية والسريرة، والإحسان: فمعناه اللغوي يرشد إلى أنه التفضل بها لم يجب كصدقة التطوع، ومن الإحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات وغيرها^(١).

٥- الأمر بتقوى الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل ١٢٨]

أي: فعلوا الطاعات، فهؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم، وينصرهم ويؤيدهم، ويظفرهم على أعدائهم ومخالفهم. فهو معهم بتأييده ونصره ومعونته وهذه معية خاصة^(٢).

٦- قول الحسن من أعمال الخير:

قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة ٨٣].

أي: كلموهم طيباً، ولينوا لهم جانباً، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف، ويحلم، ويعفو، ويصفح، ويقول للناس حسناً كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضي الله^(٣). ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول^(٤).

٧- الجنة لمن باع نفسه وماله لله عز وجل:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة ١١١].

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥).

(٣) المصدر السابق (١/ ٣١٧).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٥٧).

يخبر تعالى: أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوا في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له؛ ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم.^(١)

❖ وقال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: ٢٦]

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]: وقال {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠]، فكما أحسنوا العمل في الدنيا، أحسن الله مآلهم وثوابهم، فنجاهم من العذاب، وحصل لهم جزيل الثواب^(٢).

وقال السعدي - رحمه الله -: في قوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} أي: للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان، فهؤلاء الذين أحسنوا، لهم "الحسنى" وهي الجنة الكاملة في حسناتها و"زيادة" وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون^(٣).

٨- كتابة الديون من أعمال البر:

❖ قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾. [البقرة ٢٨٢].

فيها: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوباً وإما استحباباً لشدة الحاجة إلى كتابتها^(٤).

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٨)

(٢) المصدر السابق (٥/ ٣٧٨).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٦٢).

(٤) المصدر السابق (ص: ١١٨).

وفيها: أن الكتابة بين المتعاملين من أفضل الأعمال، ومن الإحسان إليهما، وفيها حفظ حقوقهما، وبراءة ذمهما كما أمره الله بذلك، فليحتسب الكاتب بين الناس هذه الأمور، ليحظى بثوابها^(١).

ومنها: أن من خصه الله بنعمة من النعم، يحتاج الناس إليها، فمن تمام شكر هذه النعمة، أن يعود بها على عباد الله، وأن يقضي بها حاجتهم، لتعليل الله النهي عن الامتناع عن الكتابة، بتذكير الكاتب بقوله: {كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ} ومع هذا: فمن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته^(٢).

٩- وعد الله القائمين على أعمال الخير بالأجر وعدم الخسران:

﴿قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)﴾. [التين ١: ٦]. أي: غير مقطوع^(٣).

﴿وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾. [العصر].

قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ فهذا عام لكل مخلوق؛ إلا من اتصف بالإيمان والعمل الصالح؛ والتواصي بالحق؛ والتواصي بالصبر؛ وحقيقة فوات الخير؛ الذي كان العبد بصدد تحصيله وهو تحت إمكانه^(٤).

فأقسم تعالى بذلك على إن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا

(١) المصدر السابق (ص: ٩٥٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ٩٦٠).

(٣) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٦٥٥).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٤٨).

بالصبر ﴿ أي على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي، ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر ﴾^(١).

١٠- من أعمال البر النفقة وجزاؤها عظيم:

﴿ وقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة ٢٦٥].

قال أبو جعفر الطبري: ومثل الذين ينفقون أموالهم، فيتصدقون بها، وَيُسَبِّلُونَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِغَيْرِ مَنْ عَلَى مَنْ تَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِ، وَلَا أَذَى مِنْهُمْ لَهَا، ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ وَتَصَدِيقًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِوَعْدِهِ { كَمَثَلِ جَنَّةٍ } : وهي: البستان^(٢).

وقال السعدي: هذا مثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم فقال تعالى: { وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ } أي: قصدهم بذلك رضى ربهم والفوز بقربه { وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ } أي: صدر الإنفاق على وجه منشرة له النفس سخية به، لا على وجه التردد وضعف النفس في إخراجها وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد الإنسان بها محمدة الناس ومدحهم وهو الرياء، أو يخرجها على خور وضعف عزيمة وتردد، فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، وتثبيتاً من أنفسهم، فيالله لو قدر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد، ولحصل الاقتتال عنده، مع انقضاء هذه الدار وفنائها وكثرة آفاتنا وشدة نصبها وعنائها، وهذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان، دائم مستمر فيه أنواع المسرات والفرحات، ومع هذا تجدد النفوس عنه راقدة، والعزائم عن طلبه خامدة، أترى ذلك زهداً في الآخرة ونعيمها، أم ضعف إيمان بوعده الله ورجاء ثوابه؟! وإلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين وباشر الإيمان به بشاشة قلبه لانبعث

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٦٧٤).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٥٣٥).

من قلبه مزعجات الشوق إليه، وتوجهت همم عزائمه إليه، وطوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات.^(١)

﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٢)﴾ [البقرة].

يعني إذا أعطيت لوجه الله، فلا عليك ما كان عمله وهذا معنى حسن، وحاصله أن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب: البر أو فاجر أو مستحق أو غيره، هو مثاب على قصده، ومستند هذا تمام الآية المذكورة والحديث المخرج في الصحيحين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " قَالَ رَجُلٌ: لَا تَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَاصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقُ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا تَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِي زَانِيَةٍ، فَاصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقُ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ؟ لَا تَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِي غَنِيٍّ، فَاصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقُ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَاتِي فَقِيلَ لَهُ: أَمَا صَدَقْتِكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سِرِّقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيَنْفِقُ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ ".^(٢)

١١- التطوع على قدر العزيمة تنال المكانة، وبقدر السعي يكون الفلاح:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

أي: فيخبركم به، ويجزيكم عليه أتم الجزاء، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر^(٣).

وقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس: ١٢].

(١) تفسير السعدي (ص: ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢١) ومسلم (١٠٢٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ٧٠٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٥).

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: مِنْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، أَوْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ". (١) هذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله، وثبت في الصحيح: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا" (٢). (٣).

❖ وقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ [هود: ٩٣، ١٢١] [الأنعام: ١٣٥] [الزمر: ٩].

أي: على حالتكم التي أنتم عليها (٤).

❖ وقال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

أي: منا ومنكم، وسيجزي كل عامل بعمله، فإنه لا تخفى عليه خافية (٥).

❖ وقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١٣) [النمل].

اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرًا له وكذا كل الخلق على ما أنعم عليكم من النعم التي خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه (٦).

وقال الشوكاني: إن كل إنسان يعمل على ما يشاكل أخلاقه التي ألفها، وهذا ذم للكافر ومدح للمؤمن فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلًا؛ لأنه الخالق لكم العالم بما جبلتم عليه من الطباع وما تبايتم فيه من الطرائق (٧).

❖ وقال تعالى: ﴿أَيُّ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى﴾ [آل عمران: ١٩٥].

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٣١).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٥).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٦/ ٢٩٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ١١٣).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦٨) بتصرف.

(٧) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠١).

أي: قال لهم مخبراً أنه لا يضيع عمل عامل لديه، بل يوفي كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى^(١).

﴿وقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)﴾﴾ [النجم: ٣٩ - ٤١]

أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه^(٢). ثم يُثاب بسعيه ذلك الثواب الأوفى. وإنما قال جل ثناؤه (الأوفى) لأنه أوفى ما وعد خلقه عليه من الجزاء^(٣)، فهو على أكمل وجه في الوفاء^(٤).

١٢- القائمون على عمل البر خير البرية:

﴿قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾﴾ [البينة ٧].
يخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية.
(٥)

١٣- المتطوعون بعمل الخير إنما يفعلونه حبا لله.

قال تعالى ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)﴾. [الإنسان].
أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا عند الناس، إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، في اليوم العبوس القمطير^(٦).

١٤- لأهل البر الفلاح لأنهم وصفوا بالإيثار.

(١) مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤٧).

(٤) التفسير الوسيط (٩/ ١١٥٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٧).

(٦) المصدر السابق (٨/ ٢٨٩).

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩)

﴿ [الحشر].

أي: يقدمون المحاويع على حاجة أنفسهم، ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، فهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه^(١).
وقال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠].
وقد جرت عادة جمهور هذه الأمة، والسواد الأعظم من سلفها وخلفها على الترضي عن الصحابة، والترحم على من بعدهم، والدعاء لهم بمغفرة الله وعفوه، كما أرشدنا إلى ذلك بقوله سبحانه^(٢).

١٥- أعمال البر وإن خفيت يعلمها الله:

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ (١٩٧) ﴿ [البقرة].
قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٢١٥) ﴿ [البقرة].
قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ (١٢٧) ﴿ [النساء].
حتهم سبحانه على فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالم به، وسيجزئهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة^(٣).

١٦- التطوع بالنكاح وما فيه من النفع الممتد:

قال تعالى: {فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا} [النساء: ٣]

(١) المصدر السابق (٨ / ٧٠).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٤٧).

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٥٤٧).

وهذه الآية تدل على التطوع في عفة النساء، بالتعدد من الزواج بهن والإنفاق عليهن، وكثرة الولد وغرس ثمرة الأسرة الصالحة التي يرجع نفعها عليها وعلى غيرها، بالسمت الصالح والتربية الحسنة فينتشر الخير والصالح في المجتمع.

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ، وَيَنْهَى عَنِ التَّبْتُلِ نَهْيًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١)

١٧- التطوع بإقراض الله عز وجل قرضًا حسنًا:

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)﴾ [الحديد].

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾ [البقرة ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)﴾ [الحديد].

{ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } أي: دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله، لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكوراء؛ ولهذا قال: { يُضَاعَفُ لَهُمْ } أي: يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزداد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك { وَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ } أي: ثواب جزيل حسن، ومرجع صالح ومآب { كَرِيمٌ } (٢). بأن قدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مدخرًا لهم عند ربهم (٣).

القرض الحسن: هو النفقة في سبيل الله (٤).

(١) أخرجه أحمد (١٣٥٦٩) وغيره، وصححه الألباني في آداب الزفاف (ص ٥٥)، وفي الإرواء (١٧٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٢).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٨٤٠).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٦٦٣).

وهذا الذي ينفق في سبيل الله، فيعين مُضعفاً، أو يُقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله، ويعطي منهم مُقْتَرًا، وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه، وإنما سماه الله تعالى ذكره "قرضًا"؛ لأن معنى "القرض" إعطاء الرجل غيره ماله مُملِكًا له، ليقضيه مثله إذا اقتضاه. فلما كان إعطاء من أعطى أهل الحاجة والفاقة في سبيل الله، إنما يعطيهم ما يعطيهم من ذلك ابتغاء ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم القيامة، سماه "قرضًا" (١).

١٨- التطوع بالخير سبب للفلاح.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ازْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [الحج ٧٧].

﴿وَفَاعَلُوا الْخَيْرَ﴾ أي: ما هو خير، وهو أعم من الطاعة الواجبة والمندوبة، وقيل: المراد بالخير هنا المندوبات. ثم علل ذلك بقوله: لعلمكم تفلحون أي: إذا فعلتم هذه كلها رجوتم الفلاح (٢). تفوزون بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه المرهوب، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، فمن وفق لذلك، فله القدر المعلن، من السعادة والنجاح والفلاح (٣).

١٩- الله يسخر من اللامزين المطوعين ويعدمهم العذاب الأليم:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة ٧٩].

عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس يوما فنأدى فيهم: أن اجمعوا صدقاتكم. فجمع الناس صدقاتهم، ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر، فقال: يا رسول الله، هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير الماء، حتى نلت صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما، وأتيتك بالآخر. فأمره رسول الله ﷺ أن يثره في الصدقات. فسخر منه رجال، وقالوا: إن

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٨٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٥٦).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٤٧).

الله ورسوله لغنيان عن هذا. وما يصنعان بصاعك من شيء. ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال لرسول الله ﷺ: هل بقي أحد من أهل الصدقات؟ فقال "لا" فقال له عبد الرحمن بن عوف: فإن عندي مائة أوقية من ذهب في الصدقات. فقال له عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: أمجنون أنت؟ قال: ليس بي جنون. قال: فعلت ما فعلت؟ قال: نعم، مالي ثمانية آلاف، أما أربعة آلاف فأقرضها ربي، وأما أربعة آلاف فلي. فقال له رسول الله ﷺ: "بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت". ولمزه المنافقون فقالوا: والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء. وهم كاذبون، إنما كان به متطوعا، فأنزل الله، عز وجل، عذره وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر، فقال تعالى في كتابه: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات} (١).

٢٠- الله تعالى يعدد لعباده بعض أعمال البر ويحثهم عليها.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة ١٧٧].

أتى المال على حبه أي أخرجه وهو محب له راغب فيه (٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾. [الأحزاب].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٦).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٥٥).

الصدقة: هي الإحسان إلى الناس المحاييج الضعفاء، الذين لا كسب لهم ولا كاسب، يعطون من فضول الأموال طاعة لله، وإحساناً إلى خلقه، وقد ثبت في الصحيحين: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" فذكر منهم: "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَاخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ" (١)

٢١- الوعيد لمن منع نفع غيره وإن كان حقيراً.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾ [الماعون].

{ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم (٢).

قال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأذناه المنخل والدلو، والإبرة (٣).

وقال السعدي: وفي هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، والتحضيض على ذلك. في جميع الأعمال والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإئاء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (٤).

٢٢- من أعمال الخير الشفاعة الحسنة.

قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (٨٥)﴾. [النساء].

قال الرازي: الشفاعة هي أن يستوهب أحد لأحد شيئاً ويطلب له حاجة، وأصلها من الشفع ضد الوتر كأن صاحب الحاجة كان فرداً فصار صاحب الشفع له شفعا: أي صار زوجاً اهـ.

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٧).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٣٥).

والمعنى: من سعى في أمر، فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك { وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا } أي: يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: " اشفَعُوا تُؤَجَّرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ " (١) قال مجاهد بن جبر: نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض (٢).

٢٣- القائمون على أعمال البر قلوبهم وجلة.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَتَمُّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾. [المؤمنون: ٦٠]. أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، خوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، فعَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ }، هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: " لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، يَا بِنْتَ الصَّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ " (٣).

٢٤- ترضية الله لأصحاب الأعمال الصالحة

قال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) ﴾. [الليل]. ثم فسره بقوله: { الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى } أي: يصرف ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا.

{ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى } أي: ليس بذله حاله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك { ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى } أي: طمعا في أن يحصل له

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٢٦٣)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٢).

رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، قال الله تعالى: { وَلَسَوْفَ يَرْضَى } أي: وسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات ^(١).

٢٥- التطوع أجره مضاعف، جزاؤه يستنفر الهمم:

قال تعالى: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [القصص: ٨٤]

وقال تعالى: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ } [النمل: ٨٩]

يقول السعدي -رحمه الله-: بين تعالى كيفية جزائه فقال: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ } اسم جنس يشمل كل حسنة قولية أو فعلية أو قلبية { فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا } هذا أقل التفضيل ^(٢).

وقال تعالى: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [الأنعام: ١٦٠]

يقول ابن كثير: وهذه الآية الكريمة مفصلة لما أجمل في الآيات الأخرى، وهي قوله: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا } ^(٣)، وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية، فعن الجعد بن أبي عثمان، رضي الله عنهما، عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ رَحِيمٌ، مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةٌ، أَوْ يَمْحُوهَا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ" ^(٤).

٢٦- العاملون للخير يصلون ما أمر الله به أن يوصل:

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦١٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

قال تعالى: {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ هُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: ٢٠ - ٢٤]

وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبه رسول الله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله. ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم بالقول والفعل وعدم عقوبتهم، ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولاً وفعلًا ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملاً موفراً من الحقوق الدينية والدينية، والسبب الذي يجعل العبد واصلاً ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب، ولهذا قال: {وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} أي: يخافونه^(١).

٢٧- المحسنون إلى عباد الله في دار المتقين في الآخرة.

قال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} [النحل: ٣٠]

من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة^(٢). وقيل: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا} في عبادة الله تعالى، وأحسنوا إلى عباد الله فلهم {فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} رزق واسع، وعيشه هنية، وطمأنينة قلب، وأمن وسرور^(٣).

٢٨- الأمر بالتطوع في الإصلاح بين المسلمين.

قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَجَاثِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ

(١) تفسير السعدي (ص: ٤١٦).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٥٦٨).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٣٩).

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {
[الحجرات: ٩، ١٠]

والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان كما قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} وقال تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله. كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}. فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير (١).

وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء ١١٤]
مفهومها أن هذه المشتبات خير لنفعها المتعدي ولكن من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما (٢).

وقال الطبري: هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما، ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة، على ما أذن الله وأمر به (٣). فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء فقال: {إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ} من مال أو علم أو أي نفع كان (٤).

(١) تفسير السعدي (٢٠٢/١).

(٢) تفسير السعدي (٦٤٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٠١/٩).

(٤) تفسير السعدي (٢٠٢).

ثانيًا: أمثلة عملية لأعمال الخير والتطوع في القرآن الكريم

١- تطوع ذي القرنين لحماية الضعفاء، ببناء السد بغير أجر:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)﴾. [الكهف ٩٣-٩٨].

قال المفسرون: ذهب متوجهًا من المشرق، قاصدًا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدًا بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قَوْمًا، لا يكادون يفقهون قولًا لعجمة ألسنتهم، واستعجاب أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقهمهم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: {إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك. {فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا} أي جعلًا {عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبدلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركًا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: {مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ} أي: مما تبدلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم {أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} أي: مانعا من عبورهم عليكم. {أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك. {حَتَّىٰ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ} أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد {قَالَ انْفُخُوا} النار أي: أوقدوها إيقادًا عظيمًا، واستعملوا لها المنافع لتشتد،

فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد {قَالَ أَتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قَطْرًا} أي: نحاسًا مذابًا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكامًا هائلًا وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج. {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} أي: فما لهم استطاعة، ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته. فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليتها وقال: {هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي} أي: من فضله وإحسانه عليّ، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترفهم بنعمة الله كما قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار، تزيدهم أشرا وبطرا. كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة. قال: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} ^(١).

٢- تطوع مؤمن آل فرعون للدفاع عن موسى عليه السلام:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)﴾ [غافر: ٢٨، ٢٩]

{وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ} المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون، قال: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} أي: لأجل أن يقول ربي الله، وقوله: {وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ} أي: كيف تقتلون رجلا لكونه يقول: "ربي الله"، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال: {وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ} يعني: إذا لم يظهر لكم صحة ما

(١) تفسير السعدي (٤٨٦).

جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذبا فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه^(١).

٣- تطوع رجل من بني إسرائيل لتحذير موسى عليه السلام:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]

قال تعالى: {وَجَاءَ رَجُلٌ} وصفه بالرجولية لأنه خالف الطريق، فسلك طريقا أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه، فسبق إلى موسى، فقال له: يا موسى {إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ} أي: يتشاورون فيك {لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ} أي: من البلد {إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} (٢).

٤- تطوع موسى ﷺ في خدمة الضعفاء وذوي الحاجات:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص ٢٣-٢٤].

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} أي: ولما وصل إلى مدين وورد ماءها، وكان لها بئر ترده رعاء الشاء {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ} أي: جماعة {يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} أي: تكفكان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا. فلما راهما موسى، عليه السلام، رقا لهما ورحمهما، {قَالَ مَا خَطْبُكُمَا} أي: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟ {قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} أي: لا نحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، {وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} أي: فهذا الحال

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٠-١٤١).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٦).

الملجئ لنا إلى ما ترى. قال الله تعالى: {فَسَقَى لَهُمَا} ^(١). قال السعدي: {فَسَقَى لَهُمَا} غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى ^(٢).

٥- تطوع موسى عليه السلام في القضاء الأوفى لحق الغير:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تاجرني ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧، ٢٨]

قال ابن كثير ^(٣): هذا وقد دل الدليل على أن موسى عليه السلام، إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما؛ قال البخاري: عن سعيد بن جبير قال: "سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله. فقدمت فسألت ابن عباس، رضي الله عنه، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله إذا قال فعل هكذا ^(٤)".

٦- تطوع موسى عليه السلام في طلب العلم وصبره على مشاق الطلب وتطوع الخضر عليه السلام في تعليمه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧)

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦١٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٣١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٨٤).

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) ﴿[الكهف ٦٠ - ٦٩]

عن سعيد بن جبیر، قال: قلت لابن عباس: إن نوحًا البکالی یزعم أن موسى صاحب الخضر، ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثني أبي بن كعب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيئًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ ". (١)

فقال تعالى حاكياً عنه: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ} وسبب قول موسى - عليه السلام - لفتاه - وهو يشوع بن نون - هذا الكلام: أنه ذكر له أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين، عنده من العلم ما لم يحط به موسى، فأحب الذهاب إليه، وقال لفتاه ذلك: { لَا أَبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ } أي لا أزال سائراً حتى أبلغ هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين، قال قتادة وغير واحد: وهما بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما يلي المغرب. وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين عند طنجة، يعني في أقصى بلاد المغرب، فالله أعلم (٢).

وقوله: {أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} أي: ولو أني أسير حقبة من الزمان. قال ابن جرير، رحمه الله: ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب في لغة قيس: سنة. ثم قد روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: الحقب ثمانون سنة. وقال مجاهد: سبعون خريفاً. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: {أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} قال: دهرًا. (٣)

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٣/٥).

(٣) المصدر السابق (١٧٤/٥).

وقال السعدي: يخبر تعالى عن نبيه موسى عليه السلام، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لفتاه - أي: خادمه الذي يلازمه في حضره وسفره، وهو " يوشع بن نون " الذي نبأه الله بعد ذلك: - { لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ } أي: لا أزال مسافرا وإن طالت علي الشقة، ولحقتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحى إليه أنك ستجد فيه عبدا من عباد الله العالمين، عنده من العلم، ما ليس عندك، { أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا } أي: مسافة طويلة، المعنى: أن الشوق والرغبة، حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة، وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه. (١)

٧- تطوع الخضر عليه السلام في مساعدة الناس وحفظ حقوقهم.

قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بغيرِ نَفْسِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَابُوا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَانِبْتُكَ بِتَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾. [الكهف: ٧١ - ٨٣].

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٨١).

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوه، فعرفوا الخضر، فحملوهم بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم {حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا}، فقال له موسى: قد حملونا بغير نول، فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}، { قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا } * قال لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا قال: وقال رسول ﷺ: " كَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا ". قال: وجاء عصفور فنزل على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: { أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا } * قال أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟! قال: " وهذه أشد من الأولى "، { قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا } * فانطلقا فانطلقا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ قَالَ: مائل. فقال الخضر بيده: { فَأَقَامَهُ }، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، فقال: { قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا } * قال هذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَابِّتُكَ بِتَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا } فقال رسول الله ﷺ: " وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبْرًا حَتَّى يَقْصُ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا (١) " (٢). ثم قال: { أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا } هذا تفسير ما أشكل أمره على موسى ﷺ، وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الخضر، ﷺ، على باطنة فقال إن: السفينة إنما خرقتها لأعيبها؛ لأنهم كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة {يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ} صالحة، أي: جيدة {غَصْبًا} فأردت أن أعيبها لأرده عنها لعبيها، فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها. وقد قيل: إنهم أيتام. ثم قال: {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٦/٥).

فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا { وفي الحديث، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال: "الغلام الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا". وَلِهَذَا قَالَ: {فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا} أي: يحملها حبه على متابعتها على الكفر. فقال: {فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا} أي: ولدا أذكى من هذا، وهما أرحم به منه، قاله ابن جريج. وقال قتادة: أبر بوالديه (١).

ثم قال: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا}. ومعنى الآية: أن هذا الجدار إنما أصلحه لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما. قال عكرمة، وقتادة، وغير واحد: كان تحته مال مدفون لهما. وهذا ظاهر السياق من الآية (٢).

قال ابن كثير: كان ابن عباس يقرأ: "وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا" وكان يقرأ: "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ (٣) (٤)".

٨- خدمة الجن لسليمان عليه السلام.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾. [النمل ٣٨-٤٠]

قال قتادة: لما بلغ سليمان أنها جائية، وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه، وكان من ذهب، وقوائمه لؤلؤ وجوهر، وكان مسترا بالديباج والحريز، وكانت عليه تسعة مغاليق، فكره أن

(١) المصدر السابق (٥/١٨٤).

(٢) المصدر السابق (٥/١٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/١٧٦).

يأخذه بعد إسلامهم. وقد علم نبي الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم مع دمائهم فقال: {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}. فتحرم علي أموالهم بإسلامهم. {قَالَ عَفَرْتُ مَنِ الْجَنُّ} قال مجاهد: أي مارد من الجن. {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ} قال ابن عباس: يعني: قبل أن تقوم من مجلسك. وقال مجاهد: مقعدك، وقال السدي، وغيره: كان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس. {وَأَيُّ عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٍ}: قال ابن عباس: أي قوي على حملة، أمين على ما فيه من الجوهر. فقال سليمان، عليه السلام: أريد أعجل من ذلك. ومن هاهنا يظهر أن النبي سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهبه الله له من الملك، وسخر له من الجنود، الذي لم يعطه أحد قبله، ولا يكون لأحد من بعده. وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها؛ لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه. هذا وقد حجبتة بالأغلاق والأقفال والحفظة. فلما قال سليمان: أريد أعجل من ذلك، {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ} قال ابن عباس: وهو آصف كاتب سليمان. وقوله: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} أي: ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك. فلما عاين سليمان وملؤه ذلك، ورآه مستقرا عنده {قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي} أي: هذا من نعم الله علي {لِيُبْلُوَنِي} أي: ليختبرني، {أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ}، كقوله {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} [فصلت: ٤٦]، وكقوله {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ} [الروم: ٤٤] ^(١).

٩- تطوع داود في القضاء والحكم بالحق بين المتنازعين وببذل الحكمة لهما.

﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ عِبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضْلَ الْخِطَابِ (٢٠) وَهَلْ أَتَاكَ نَبَا الْخِضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصَصْنَاكَ عَلَىٰ بَعْضِنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

(١) المصدر السابق (١٩١/٦).

واهلدنا إلى سواء الصراط (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّأَبٍ (٢٥) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) ﴿

[سورة ص: ٢٠ - ٢٦]

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه السلام: أنه كان ذا أيدٍ والأيد: القوة في العلم والعمل. وقال قتادة: أعطي داود [عليه السلام] قوة في العبادة وفقهاً في الإسلام، وقد ذكر لنا أنه عليه السلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر. وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: " أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى (١) ". وإنه كان أواباً، وهو الرجاء إلى الله عز وجل في جميع أموره وشؤنه (٢).

قال السعدي: ثم ذكر منته عليه بالملك العظيم فقال: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ} أي: قويناه بما أعطيناه من الأسباب وكثرة العدد والعدد التي بها قوى الله ملكه، ثم ذكر منته عليه بالعلم فقال: {وَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ} أي: النبوة والعلم العظيم، {وَفَصَّلَ الْخِطَابَ} أي: الخصومات بين الناس، لما ذكر تعالى أنه أتى نبيه داود الفصل في الخطاب بين الناس، وكان معروفاً بذلك مقصوداً، ذكر تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلها الله فتنة لداود، وموعظة لخلل ارتكبه، فتاب الله عليه، وغفر له، وقبض له هذه القضية، فقال لنبيه محمد ﷺ: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ} فإنه نبأ عجيب {إِذْ تَسَوَّرُوا} على داود {الْحَرَابِ} أي: محل عبادته من غير إذن ولا استئذان، ولم يدخلوا عليه مع باب، فلذلك لما دخلوا عليه بهذه الصورة، فزع منهم وخاف،

(١) أخرجه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٧/٧).

فقالوا له: نحن {خَصْمَانِ} فلا تخف {بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ} بالظلم {فَاخُكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ} أي: بالعدل، ولا تمل مع أحدهما {وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ} والمقصود من هذا، أن الخصمين قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف، وإذا كان ذلك، فسيقصان عليه نبأهما بالحق، فلم يشمئز نبي الله داود من وعظهما له، ولم يؤنبهما، فقال أحدهما: {إِنَّ هَذَا أَخِي} نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضائها عدم البغي، وأن بغية الصادر منه أعظم من غيره. {لَهُ تَسْعُ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً} وذلك خير كثير، يوجب عليه القناعة بما آتاه الله. {وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ} فطمع فيها {فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا} أي: دعها لي، وخلها في كفالتي، {وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ} أي: غلبني في القول، فلم يزل بي حتى أدركها أو كاد. فقال داود - لما سمع كلامه - ومن المعلوم من السياق السابق من كلامهما، أن هذا هو الواقع، فلهذا لم يحتج أن يتكلم الآخر، فلا وجه للاعتراض بقول القائل: "لم حكم داود، قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر؟" {لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ} وهذه عادة الخلطاء والقرناء الكثير منهم، فقال: {وإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} لأن الظلم من صفة النفوس. {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} فإن ما معهم من الإيمان والعمل الصالح، يمنعهم من الظلم. {وَقَلِيلٌ مَا هُمْ} كما قال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}، {وَوَظَنَّ دَاوُدُ} حين حكم بينهما {أَنَّهُمَا فَتَنَاهُ} أي: اختبرناه ودبرنا عليه هذه القضية ليتنبه {فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ} لما صدر منه، {وَوَحَّرَ رَاكِعًا} أي: ساجدا {وَأَنَابَ} لله تعالى بالتوبة النصوح والعبادة. {فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ} الذي صدر منه، وأكرمه الله بأنواع الكرامات، فقال: {وإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى} أي: منزلة عالية، وقربة منا، {وَوَحْسَنَ مَا بٍ} أي: مرجع، وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها، {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} تنفذ فيها القضايا الدينية والدنيوية، {فَاخُكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} أي: العدل، وهذا لا يتمكن منه، إلا بعلم بالواجب، وعلم بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى} فتميل مع أحد، لقراءة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر {فَيُضِلَّكَ}

الهوى {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ويخرجك عن الصراط المستقيم، {إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} خصوصاً المتعمدين منهم، {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ} فلو ذكروه ووقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن بهم^(١).

١٠- كفالة زكريا لمريم عليها السلام.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧].

{وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} أي: جعله كافلاً لها، وما ذاك إلا أنها كانت يتيمة. وذكر أن بني إسرائيل أصابتهم سنة جذب، فكفل زكريا مريم لذلك. ولا منافاة بين القولين. والله أعلم، وإنما قدر الله كون زكريا كافلاً لسعادتها، لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً^(٢).

١١- تطوع يوسف عليه السلام بما آتاه الله من علم وحكمة للدعوة لدين الله وخدمة الناس:

١- قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْتُكَمَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦) قال لا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَبْتَ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)﴾ [يوسف: ٣٦، ٤١]

فيوسف عليه السلام دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنها استجابة وانقاداً، فتمت عليهما النعمة، ويحتمل أنها لم يزا على شركهما، فقامت عليهما -

(١) تفسير السعدي (١/ ٧١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥).

بذلك - الحجة، ثم إنه عليه السلام شرع يعبر رؤياهما، بعد ما وعدهما ذلك، فقال: {يا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا} وهو الذي رأى أنه يعصر خمرا، فإنه يخرج من السجن {فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا} أي: يسقي سيده الذي كان يخدمه خمرا، وذلك مستلزم لخروجه من السجن، {وَأَمَّا الْآخَرُ} وهو: الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه. {فَيُضَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ} فإنه عبر عن الخبز الذي تأكله الطير، بلحم رأسه وشحمه، وما فيه من المخ، وأنه لا يقبر ويستتر عن الطيور، بل يصلب ويجعل في محل، تتمكن الطيور من أكله، ثم أخبرهما بأن هذا التأويل الذي تأوله لهما، أنه لا بد من وقوعه فقال: {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} أي: تسألان عن تعبيره وتفسيره^(١).

٢- وقال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (٤٩)﴾ [يوسف: ٤٦ - ٤٩]

{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ} أي: كثير الصدق في أقواله وأفعاله. {أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} فإنهم متشوقون لتعبيرها، وقد أهمتهم؛ فعبّر يوسف السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر، بأنهن سبع سنين مخصبات، والسبع البقرات العجاف، والسبع السنبلات اليابسات، بأنهن سنين مجذبات، ولعل وجه ذلك - والله أعلم - أن الخصب والجذب لما كان الحرث مبنيًا عليه، وأنه إذا حصل الخصب قويت الزروع والحروث، وحسن منظرها، وكثرت غلالها، والجذب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتسقى عليها الحروث في الغالب، والسنبلات هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبرها بذلك، لوجود المناسبة، فجمع لهم في تأويلها بين التعبير والإشارة لما يفعلونه، ويستعدون به من

(١) تفسير السعدي (١ / ٣٩٧).

التدبير في سني الخصب، إلى سني الجذب فقال: {تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا} أي: متتابعات. {فَمَا حَصَدْتُمْ} من تلك الزروع {فَذَرُوهُ} أي: اتركوه {فِي سُنْبِلِهِ} لأنه أبقى له وأبعد من الالتفات إليه {إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ} أي: دبروا أيضا أكلكم في هذه السنين الخصبه، وليكن قليلا ليكثر ما تدخرون ويعظم نفعه ووقعه.

{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} أي: بعد تلك السنين السبع المخصبات. {سَبْعُ شِدَادٍ} أي: مجذبات جدا {يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ} أي: يأكلن جميع ما ادخرتموه ولو كان كثيرا. {إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُخْصِنُونَ} أي: تمنعونه من التقديم لهن، {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} أي: بعد السبع الشداد {عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصَرُونَ} أي: فيه تكثر الأمطار والسيول، وتكثر الغلات، وتزيد على أقواتهم، حتى إنهم يعصرون العنب ونحوه زيادة على أكلهم، ولعل استدلاله على وجود هذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك، لأنه فهم من التقدير بالسبع الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها، ومن المعلوم أنه لا يزول الجذب المستمر سبع سنين متواليات، إلا بعام مخصب جدا، وإلا لما كان للتقدير فائدة، فلما رجع الرسول إلى الملك والناس، وأخبرهم بتأويل يوسف للرؤيا، عجبوا من ذلك، وفرحوا بها أشد الفرح^(١).

٣- وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْم (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾ [يوسف: ٥٤ - ٥٧]

سأل العمل لعلمه بقدرته عليه، ولما في ذلك من المصالح للناس، وإنما سأل أن يجعل على خزائن الأرض، وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، ليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه، وتكرمة له؛ ولهذا قال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ

(١) المصدر السابق (١/٣٩٩).

بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) {أي: أرض مصر، يتصرف فيها كيف يشاء (١)}.

١٢- تطوع غلام الأخدود ليجود بنفسه لتعليم الناس التوحيد:

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدِ وَمَشْهُودِ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ فِيهِ جَحِيمٌ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)﴾ [البروج: ١ - ١٢]

فَعَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرَ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبَ أَفْضَلَ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٥/٤).

رَبِّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَذَعَا بِالْمِثْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِثْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شَقُّهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِثْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شَقُّهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَارْجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَاثْكَفَاتُ بِهِمُ السَّيْفِينِ فَعَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخُذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعَّ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلَّ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْذُودِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَّكِ، فَخُذَّتْ وَأُضْرِمَ النَّيرانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَاحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمُّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ " (١).

(١) أخرجه مسلم (٣٠٥).

١٣- تطوع مسلم (آل يس) لهداية الخلق:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)﴾ [يس: ٢٠ - ٢٧].

قال ابن كثير نقلاً عن ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكعب الحبار، ووهب بن منبه: إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم، فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى، أي: لينصرهم من قومه، قالوا: وهو حبيب، وكان يعمل الجريز - وهو الحبال - وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة، يتصدق بنصف كسبه، مستقيم الفطرة، {قال يا قوم اتبعوا المرسلين}: يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم، {اتبعوا من لا يسألكم أجراً} أي: على إبلاغ الرسالة، {وهم مهتدون} فيما يدعونكم إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له، {وما لي لا أعبد الذي فطرني} أي: وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، {وإليه ترجعون} أي: يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، {أأأخذ من دونه آلهة؟} استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، {إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون} أي: هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئاً. فإن الله لو أرادني بسوء، {فلا كاشف له إلا هو} [يونس: ١٠٧] وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينقذونني مما أنا فيه، {إني إذا لفي ضلال مبين} أي: إن اتخذتها آلهة من دون الله، وقوله: {إني آمنت بربكم فاسمعون} يقول لقومه: {إني آمنت بربكم} الذي كفرتم به، {فاسمعون} أي: فاسمعوا قولي، ويحتمل أن يكون خطابه للرسول بقوله: {إني آمنت بربكم} أي: الذي أرسلكم، {فاسمعون} أي: فاشهدوا لي بذلك عنده.

وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني قد آمنت بربكم واتبعتكم، وهذا القول الذي حكاه هؤلاء أظهر في المعنى، والله أعلم، فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه، فجعلوا يرجونه بالحجارة، وهو يقول: "اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون". فلم يزالوا به حتى أقعصوه وهو يقول كذلك، فقتلوه، رحمه الله، {قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون (٢٦) بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين (٢٧)}

تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله له، وما هجم عليه، وقال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: {يا قوم اتبعوا المرسلين}، وبعد مماته في قوله: {يا ليت قومي يعلمون} * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين}، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصا على هداية قومه ^(١).

١٤- تطوع النملة لخدمة النمل وتحذيرها لهم من الهلاك.

قال تعالى: ﴿وَحِشْرَ لَسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)﴾. [النمل].

أي: خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنها ففهم ذلك سليمان - عليه السلام - منها. ^(٢)

١٥- تطوع الهدهد للدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده:

قال تعالى: ﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لِأَعَذَّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٥٧٠-٥٧٢).

(٢) المصدر السابق (٦ / ١٨٣).

وَجِثَّتْكَ مِنْ سَبَا بِنَا يَقِينِ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ هُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلِقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَاتَّوْنِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾. [النمل].

فقال: {إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ} أي: تملك قبيلة سبأ وهي امرأة {وأوتيت من كل شيء} يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع ونحو ذلك. {ولها عرش عظيم} أي: كرسي ملكها الذي تجلس عليه عرش هائل، وعظم العروش تدل على عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورى. {وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي: هم مشركون يعبدون الشمس. {وَزَيْنَ هُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ} فرأوا ما عليه هو الحق، {فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} لأن الذي يرى أن الذي عليه حق، لا مطمع في هدايته حتى تتغير عقيدته، ثم قال: {أَلَا} أي: هلا {يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي: يعلم الخفي الخبيء في أفطار السماوات وأنحاء الأرض، من صغار المخلوقات وبدور النباتات وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسماء بإنزال المطر وإنبات النباتات، ويخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم {وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ}، {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} أي: لا تنبغي العبادة والإنابة والذل والحب إلا له؛ لأنه المألوه لما له من الصفات الكاملة والنعم الموجهة لذلك. {رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} الذي هو سقف المخلوقات ووسع الأرض والسماوات، فهذا الملك عظيم السلطان كبير الشأن هو الذي يذل له ويخضع ويسجد له ويركع، فسلم الهدهد حين ألقى إليه هذا النبأ العظيم، وتعجب سليمان كيف خفي عليه.

وقال مثبتاً لكمال عقله وورزنته {سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا {وَسَيَأْتِي نَصَهُ} {فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ} أي استأخر غير بعيد {فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} إليك وما يتراجعون به فذهب به فألقاه عليها فقالت لقومها {إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ} أي جليل المقدار من أكبر ملوك الأرض ثم بينت مضمونه فقالت {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَاثْنُونِي مُسْلِمِينَ} أي: لا تكونوا فوق بل اخضعوا تحت سلطاني، وانقادوا لأوامري وأقبلوا إلي مسلمين^(١).

(١) تفسير السعدي (٦٠٣).

ثالثاً: فضل العمل التطوعي في السنة:

- ١- الإخلاص في عمل التطوع رجاء ثواب الله وحده:
- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوُّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ^(١).

القائم بأعمال تطوعية من خدمات متنوعة وإعانة على مصالح الدنيا وقضاء الحوائج لا بد له من مراقبة نيته حتى لا يعتريها خلل في حب الظهور وطلب المعالي من الدنيا بهذا البذل، لذا لا بد من استحضار النية الصادقة قبل كل عمل من أعمال البر.

قال النووي: في هذا الحديث، أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده، وصحته. قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الاسلام، وقال الشافعي: يدخل في سبعين باباً من الفقه، وقال آخرون: هو ربع الاسلام، وقال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: ينبغي لمن صنف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا الحديث؛ تنبيهاً للطالب على تصحيح النية. ونقل الخطابي هذا عن الأئمة مطلقاً، وقد فعل ذلك البخاري وغيره، فابتدؤا به قبل كل شيء، وذكره البخاري في سبعة مواضع من كتابه^(٢).

وقال الحافظ السندي: إنه ليس للفاعل من عمله إلا نيته، أي الذي يرجع إليه من العمل نفعاً أو ضرراً هي النية، فإن العمل بحسبها يحسب خيراً وشرّاً، ويجزى المرء بحسبها على العمل ثواباً وعقاباً، ويكون العمل تارة حسناً وتارة قبيحاً بسببها، ويتعدد الجزاء بتعدددها، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".^(٣) (٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (٥٠٣٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (٥٣ / ١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (٢٩٩٦).

(٤) حاشية السندي على صحيح البخاري (٧ / ١).

- وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِزْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ. ^(١)

أي: حتى اللقمة التي تطعمها امرأتك تؤجر عليها إذا قصدت بها وجه الله، مع أن الإنفاق على الزوجة أمر واجب، لو لم تنفق لقات: أنفق أو طلق، ومع هذا إذا أنفقت على زوجتك تريد به وجه الله أجرك الله على ذلك، وكذلك إذا أنفقت على أولادك، إذا أنفقت على أمك، على أبيك؛ بل إذا أنفقت على نفسك تبتغي بذلك وجه الله فإن الله يشبك على هذا ^(٢).

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ. ^(٣)

قال النووي: قال العلماء: معناه هذه البشري المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضا الله تعالى عنه ومحبه له ^(٤).

وقال القاضي عياض: في قوله: " الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ ": أي عنوان الخير له، ودليل على رضا الله عنه وحبه له، ودليله أيضا قوله ﷺ: " ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ " ^(٥) وهذا كله إذا كان حمد الناس له عليه من غير طلبه ذلك وتعرضه له، فإن هذا أصل الرياء وأعظم الآفات لإفساد الأعمال وهلاك العاملين لها وتزيين الشرك. وقوله: " تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ " أي: البشري المعجلة، ونبه على المؤجلة في الآخرة بقوله: {بشراكم اليوم جنات} [الحديد: ١٢] ^(٦).

٢- التطوع بنفع الغير ما أمكن.

(١) أخرجه البخاري (٥٦).

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين (ص: ٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٦).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/١٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٤٧٧٢).

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/١٢٢).

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: " لَدَعْتُ رَجُلًا مِنَّا عَقْرَبُ وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَقِيهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ ". (١)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ (٢).

السلامى: بضم السين المهملة وتخفيف اللام وهو المفصل وجمعه سلاميات (٣)، ومعنى كون الإماطة صدقة أنه تسبب إلى سلامة من يمر به من الأذى؛ فكانه تصدق عليه بذلك فحصل له أجر الصدقة وقد جعل النبي ﷺ الإمساك عن الشر صدقة على النفس (٤).

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمَدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِ مِائَةِ السُّلَامَى؛ فَإِنَّهُ يَمُتُّهُ يَوْمَئِذٍ وَقَدْ رَزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ (٥).

قال السيوطي: والمفاصل هي العظام التي ينفصل بعضها من بعض وقد سماها سلاميات، والعظام التي في الإنسان أصل وجوده وبها حصول منافعه، وحق المنعم عليه أن يقابل كل نعمة منها بشكر يخصها وهي أن يعطي صدقة كما أعطي (٦).

٣- حث الشريعة على عمل الخير:

(١) أخرجه مسلم (٢١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٦٧٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (٧ / ٩٣).

(٤) فتح الباري (٥ / ١١٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٧٥).

(٦) شرح السيوطي على مسلم (٣ / ٨٠).

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قُلْتُ : يا رسول الله ؟ ذُلِّني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلًا ؟ ، قَالَ : يَرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ قُلْتُ : وَإِنْ كَانَ مُعْدَمًا لَا شَيْءَ لَهُ ؟ ، قَالَ : يَقُولُ مَعْرُوفًا بِلِسَانِهِ ، قَالَ : قُلْتُ : فَإِنْ كَانَ عَيًّا لَا يُبْلَغُ عَنْهُ لِسَانُهُ ؟ ، قَالَ : فَيَعِينُ مَغْلُوبًا قُلْتُ : فَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا لَا قُدْرَةَ لَهُ ؟ ، قَالَ : فَلْيَصْنَعْ لِأَخْرَقٍ قُلْتُ : وَإِنْ كَانَ أَخْرَقًا ؟ ، قَالَ : فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : مَا تُرِيدُ أَنْ تَدَعَ فِي صَاحِبِكَ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ ، فَلْيَدْعِ النَّاسَ مِنْ أَذَاهُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ تَيْسِيرُ ؟ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا ، يُرِيدُ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ ، إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى تُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ . (١)

قال ابن رجب : فاشْتَرَطَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لِهَذِهِ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا إِخْلَاصَ النِّيَّةِ . (٢)

٤ - التطوع لتعلم العلم وبذله .

- عن مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ ، وَلَكِنْ يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، أَوْ : حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ " . (٣)

- عن سهل بن سعد ، رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ . (٤)

قال ابن الأنباري : حمر النعم : كرامها وأعلاها منزلة (٥) .

- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ . (٦)

(١) أخرجه ابن حبان (٣٧٣) في صحيحه ، وقال الألباني : صحيح لغيره . انظر : الصحيحة (٢٦٦٨) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٨٩ / ٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٧٣١٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٩) .

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٦٦ / ٥) .

(٦) أخرجه مسلم (١٨٩٣) .

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ.^(١)

- عَنْ جَبْرِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " ^(٢).

- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا ^(٣). قوله: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ " معناه: لا حسد محمودٌ أو ممدوح إلا هذا؛ لأنه حسدٌ على فعل الخير ^(٤)، وهذا من الحسد الحلال، والحاسد فيه مشكور؛ لأنه إنما حسده على العمل بالقرآن والعلم، وحسد صاحب المال على نفقته له في حقه فلم يقع الحسد على شيء من أمور الدنيا، وإنما وقع على ما يرضي الله ويقرب منه، فلذلك كان تمنيه حسناً، وكذلك تمنى سائر أبواب الخير إنما يجوز منه ما كان في معنى هذا الحديث إذا خلصت النية في ذلك لله، وخلص ذلك من البغي والحسد ^(٥)، فبين أنه لا شيء أرفع من هاتين الحالتين. ^(٦)

(١) المصدر السابق (١٦٣١).

(٢) المصدر السابق (١٠١٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٠٩)، ومسلم (١٣٥١).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٨٤).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٢٨٩ - ٢٩٠).

(٦) المصدر السابق (١٧٢/ ١٠).

والمراد من الحسد المذكور في الحديث هو الغبطة، فإن الغبطة هي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لأخيه من غير أن يتمنى زوالها عن أخيه، والحسد المذموم أن يرى الرجل لأخيه نعمة يتمناها لنفسه وزوالها عن أخيه^(١).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ^(٢).

(ومن سلك طريقاً حقيقياً حسياً وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، أو معنوياً مثل حفظ العلم ومدارسته ومذاكرته ومطالعة وكتابته والفهم له، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم. ... (ومن بطأ به عمله) بتشديد الطاء، من التبطئة ضد التعجيل كالإبطاء، والباء للتعدي أي من أخره عن بلوغ درجة السعادة عمله السيء في الآخرة، أو تفريطه في العمل الصالح^(٣)).

- عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ^(٤).

٥- التطوع بعقد الندوات والمحاضرات لتعليم الناس الدين:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا^(٥).

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرَّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيهَا قَالَ هُنَّ: ﴿مَا

(١) شرح السنة للإمام البغوي (١/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦٧).

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (١/ ٣٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٥) أخرجه مسلم (٦٩٨٠).

مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: (وَاثْنَتَيْنِ). (١)

٦- بذل النساء من وقتهن لتعلم العلم.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرَّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، فَاجْتَمِعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ اثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ (٢)

٧- التطوع بإحياء السنن التي أميتت.

عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ (٣).

٨- التطوع بالتصدق عن الوالدين بعد موتهما:

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُوَفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي تُوَفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا (٤).

(١) أخرجه البخاري (١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣١٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٥٦).

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣ / ٣٠٥)

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن المؤمن لا ينبغي له أن يتمنى كثرة المال إلا بشرط أن يسلطه الله تعالى على إنفاقه في طاعته اقتداء بالشارع في ذلك، وفيه أن المبادرة إلى الطاعة مطلوبة، وفيه أنه كان يكون عليه دين لكثرة مواساته بقوته وقوت عياله وإيثاره على نفسه أهل الحاجة، وفيه الرضا بالقليل والصبر على خشونة العيش^(١).

- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرَبُّوْا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، وَيُرِييَهَا كَمَا يُرِيِّي أَحَدُكُمْ فُلُوهُ أَوْ فَصِيلَهُ^(٢)".

١١- التطوع بأعمال صالحة تلحق الإنسان بعد موته:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا كَرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ^(٣)".

١٢- التطوع بإمطة الأذى عن الطريق:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْإِيمَانُ بِضْعٌ - وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ^(٤)".

أي تنحيته وإبعاده، والمراد بالأذى كل ما يؤذى من حجر أو مدر أو شوك أو غيره^(٥)، فأشار إلى أن خصال الإيمان منها قول باللسان، ومنها ما هو عمل بالجوارح، ومنها ما هو قائم بالقلب^(١).

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٣/ ٢١٧)

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٠)، وابن ماجه (٢٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤٨)، وقال الألباني: حسن، انظر: الجامع (١/ ٤٤٣).

(٤) أخرجه مسلم (٥١).

(٥) شرح النووي على مسلم (٢/ ٦).

- وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي (٢) أَعْمَالِهَا النَّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ (٣).

قوله: (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي) أي: حين أخذهم منه الميثاق قبل الإيجاد (٤). وإمطة الأذى: أي تنحيته، وهو ما يؤدي في الطريق كالشوك والحجر والنجاسة ونحوها (٥).

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ (٦) فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ (٧). وقال السيوطي: فيه فضيلة إمطة الأذى عن الطريق وهو كل مؤذ، وهذه الإمطة أدنى شعب الإيمان (٨).

وقال ابن حجر: وفيه أن قليل الخير يحصل به كثير الأجر (٩). - وَعَنْ أَبِي بَرزَةَ رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَنْتَفِعَ بِهِ قَالَ: نَحَّ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ (١٠).

(١) فتح الباري، لابن رجب (١ / ٢٩).

(٢) قال النووي: الذم هنا لا يختص بصاحب النخاعة، بل يدخل فيه هو وكل من رآها ولا يزيلها بدفن أو حك ونحوه - شرح النووي على مسلم (٥ / ٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (٨٥٩).

(٤) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢ / ٣٩٤).

(٥) شرح السيوطي لسنن النسائي (٨ / ١١٠).

(٦) أي: نحاه في جانب الطريق حتى لا يؤدي الناس في الطريق.

(٧) أخرجه البخاري (٦٥٢، ٢٤٧٢)، ومسلم (١٩١٤).

(٨) شرح النووي على مسلم (١٣ / ٦٢).

(٩) فتح الباري (٥ / ١١٨).

(١٠) أخرجه مسلم (٢٦١٨).

وقد جاء في الحديث الآخر: أنه من شعب الإيمان، فكل ما أدخل نفعاً على المسلمين أو أزال عنهم ضرراً فهو منه، لكنه كله من النصيحة الواجبة على المسلمين بعضهم لبعض، التي بايع عليها النبي ﷺ أصحابه من النصح لكل مسلم، بنصحه في حضرته وغيبته بكل قول وفعل يعود عليه بمنفعة لدينه ودنياه. (١)

١٣- خير الناس من يرجى الخير منه ويؤمن شره.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف على أناسٍ جُلوسٍ فقال: ألا أخبركم بخيركم من شرككم؟ قال فسكتوا فقال ذلك ثلاث مراتٍ، فقال رجلٌ: بلى يا رسول الله، أخبرنا بخيرنا من شرنا. قال خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره. (٢)

قوله: (ألا أخبركم بخيركم من شرككم) أي أخبركم بخيركم مميزاً من شرككم، (خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره) أي: من يؤمل الناس الخير من جهته ويأمنون من الشر من جهته، (وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره) أي: وشركم من لا يؤمل الناس الخير منه، ولا يأمنون شره، ويبن به أن عدل الإنسان مع أكفائه واجب (٣).

- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: على كل مسلم صدقة قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فيأمر بالخير أو قال: بالمعروف قال: فإن لم يفعل؟ قال: فيمسك عن الشر فإنه له صدقة (٤).

- وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً قال:

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨ / ٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٦٣)، وأحمد (٨٨١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٣).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (١ / ٣٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٢٢)، ومسلم (١٠٠٨).

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: تَكْفُ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ. وفي رواية: تُعِينُ ضَائِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ^(١).

قال ابن بطال: إن محمل هذا الحديث عند الفقهاء الحض والندب على الصدقة وأفعال الخير كلها، فإن قيل: كيف يكون إمساكه عن الشر صدقة؟ قيل: إذا أمسك شره عن غيره فكأنه قد تصدق عليه بالسلامة منه، وإن كان شرًا لا يعدو نفسه، فقد تصدق على نفسه بأن منعها من الإثم^(٢).

وقال ابن حجر: والضائع: ذو الصَّياع من فقر أو عيال كثير، و رجل أخرق: لا صنعة له: أي غير صانع، وقوله: (فإن لم أفعل) أي: من الصناعة أو الإعانة وهو يشعر بأن قوله: إن لم أفعل؛ أي للعجز عن ذلك لا كسلًا، وقوله: (تدع الناس من الشر) فيه دليل على أن الكف عن الشر داخل في فعل الإنسان وكسبه حتى يؤجر عليه ويعاقب، غير أن الثواب لا يحصل مع الكف إلا مع النية والقصد لا مع الغفلة والذهول، وفي الحديث أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان، وفي الحديث حسن المراجعة في السؤال وصبر المفتي والمعلم على التلميذ ورفقه به، وفي الحديث إشارة إلى أن إعانة الصانع أفضل من إعانة غير الصانع؛ لأن غير الصانع مظنة الإعانة فكل أحد يعينه غالبًا بخلاف الصانع فإنه لشهرته بصنعتة يغفل عن إعانتة فهي من جنس الصدقة على المستور^(٣).

- وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ.^(٤)

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (١١٩).

(٢) شرح ابن بطال للبخاري (٤٢٣/٣).

(٣) فتح الباري (٥/ ١٤٩ - ١٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

قال ابن رجب: والمراد بذلك المسلم الكامل الإسلام، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فإنه ينتفي عنه كمال الإسلام الواجب، فإن سلامة المسلمين من لسان العبد ويده واجبة، فإن أذى المسلم حرام باللسان وباليد، فأذى اليد: الفعل، وأذى اللسان القول، والظاهر: أن النبي ﷺ إنما وصف بهذا في هذا الحديث؛ لأن السائل كان مسلماً قد أتى بأركان الإسلام الواجبة لله عز وجل، وإنما يجهل دخول هذا القدر الواجب من حقوق العباد في الإسلام، فبين له النبي صلى الله عليه وسلم ما جهله^(١).

وقال ابن بطال: قال المهلب: يريد المسلم المستكمل لأُمور الإسلام خلاف قول المرجئة. والمراد بهذا الحديث الحض على ترك أذى المسلمين باللسان واليد والأذى كله، ولهذا قال الحسن البصري: الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر والنمل^(٢).

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ"^(٣).

قوله بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه أي يكفيه أن يكون من أهل الشر بهذا الخصلة وحدها وفي قوله: كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ إخبار بتحريم الدماء والأموال والأعراض، وهو معلوم من الشرع علماً قطعياً^(٤).

١٤ - الأعمال التطوعية تجبر نقص الفريضة.

(١) فتح الباري لابن رجب (٣٧/١).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦٢/١).

(٣) أخرجه مسلم (٤٦٥٠).

(٤) سبل السلام (٦٧١-٦٧٣).

- عَنْ أَنَسِ بْنِ حَكِيمٍ الضَّبِّيِّ، أَنَّهُ خَافَ زَمَنَ زِيَادٍ، أَوْ ابْنَ زِيَادٍ، فَأَتَى الْمَدِينَةَ، فَلَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَاِنْتَسَبَنِي، فَاِنْتَسَبْتُ، فَقَالَ: يَا فَتَى، أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى، يَرْحَمُكَ اللَّهُ، قَالَ: " إِنْ مِنْ أَوَّلِ مَا يُحَاسِبُ بِهِ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ "، قَالَ: " يَقُولُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَةٌ، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتَمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تَوَخَّذُوا الْأَعْمَالَ عَلَى ذَاكُم (١) ".

هذا الذي ورد من إكمال ما ينتقص العبد من الفريضة بما له من التطوع، يحتمل أن يراد به ما انتقص من السنن والهيئات المشروعة المرغب فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم يفعله في الفريضة، وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأساً فلم يصله فيعوض عنه من التطوع، والله تعالى يقبل من التطوعات الصحيحة عوضاً عن الصلاة المفروضة، والله سبحانه أن يفعل ما شاء، فله الفضل والمن، بل له أن يسامح وإن لم يصل شيئاً لا فريضة ولا نفلاً. (٢)

١٥- التطوع نجاة من عذاب القبر وأهواله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنْ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصَّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصَّيَامُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ، وَقَدْ مُتَلَّتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أُذْنِيتِ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ:

(١) أخرجه أحمد (٩٤٩٤)، وأبو داود (٨٦٤)، والحاكم في المستدرک (٩٦٥) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٨١٠).

(٢) انظر: عون المعبود (٣/١١٧).

أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَصِلِّي، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنِي عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ، فَتَجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، لَمْ يُوْجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَا يُوْجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ، فَلَا يُوْجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ، فَلَا يُوْجَدْ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيُقَالُ: الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَتُؤْورًا، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهِ لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَتُؤْورًا، ثُمَّ يُصَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، فَتِلْكَ الْمَعِيشَةُ الضَّنَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤] ^(١)

١٦ - أعمال التطوع مكفرات للذنوب ورافعات للدرجات.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣١١٣)، والحاكم في مستدركه (١٤٠٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦١).

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اخْتَبَسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَرْتَأَى عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوبَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ فَقَالَ لَنَا: عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ، ثُمَّ انْقَلَبَ إِلَيْنَا فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَاخِذْتُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ: أَيُّ قُتْمٌ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ: فَرَأَيْتَهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، قَالَ: ثُمَّ فِيْمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ. قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا. (١)

قال البيضاوي: "اختصاصهم إما عبارة عن تبادرهم إلى كتب تلك الأعمال، أو الصعود بها إلى السماء، وإما عن تقاولهم في فضلها، وشرفها، وأناقتها على غيرها، وإما عن اغتباطهم الناس بتلك الفضائل؛ لاختصاصهم بها وتفضيلهم على الملائكة بسببها مع تهافتهم في الشَّهَوَاتِ، وتماديهم في الجنايات. (٢)

(١) أخرجه أحمد (٢١٠٩٣)، والترمذي (٣١٥٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح، انظر صحيح الترمذي (٢٥٨٢)، والصحيحة (٣١٩٦).

(٢) قوت المغتذي على جامع الترمذي (٢/٧٩٧).

فأفضل أنواع إطعام الطعام: الإيثار مع الحاجة كما وصف الله تعالى بذلك الأنصار رضي الله عنهم فقال: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...).

وكان كثير من السلف يؤثر بفطوره وهو صائم ويصبح صائماً، منهم: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وداود الطائي، وعبد العزيز بن سليمان، ومالك بن دينار، وأحمد بن حنبل وغيرهم. وكان ابن عمر لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين، وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه فلم يفطر في تلك الليلة.

ومنهم من كان لا يأكل إلا مع ضيف له، قال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد، ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس، وأكل الناس معه.

وكان منهم من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم، ويجلس يخدمهم ويروحهم منهم: الحسن وابن المبارك، وكان ابن المبارك ربما يشتهي الشيء فلا يصنعه إلا لضيف ينزل به فيأكله مع ضيفه، وكان كثير منهم يفضل إطعام الإخوان على الصدقة على المساكين، وقد روي في هذا المعنى مرفوعاً من حديث أنس بإسناد ضعيف، ولا سيما إن كان الإخوان لا يجدون مثل ذلك الطعام. كان بعضهم يعمل الأطعمة الفاخرة ثم يطعمها إخوانه الفقراء، ويقول: إنهم لا يجدونها. وبعضهم يصنع له طعاماً ولا يأكل، ويقول: إني لا أشتهيه، وإنما صنعته لأجلكم. وبعضهم اتخذ حلاوة فأطعمها المعتوه، فقال له أهله: إن هذا لا يدري!. فقال: لكن الله يدري.

واشتهى الربيع بن خثيم حلواء، فلما صنعت له دعا بالفقراء فأكلوا، فقال له أهله: أتعبتنا ولم تأكل!. فقال: ومن أكله غيري!. وقال آخر منهم وجرى له نحو من ذلك: إذا أكلته كان في الحش، وإذا أطعمته كان عند الله مذخوراً.

وروي عن علي قال: لأن أجمع أناساً من إخواني على صاع من طعام، أحب إليّ من أن أدخل سوقكم هذا فأبتاع نسمةً فأعتقها.

وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعاماً يشتهونه أحب إلي من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل.

أصِف الإيثار لمن يبخل بأداء الحقوق الواجبة عليه؟! أطلب الشجاعة من الجبان، وأستشهد على رؤية الهلال من هو من جملة العميان؟! كم بين من قيل فيه: {فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ} [التوبة: ٧٦] وبين من قيل فيه: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩].؟! بيننا وبين القوم كما بين اليقظة والنوم:

لا تَعْرِضْ لذكرنا في ذكرهم... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد
فيا من يطمع في علو الدرجات من غير عمل صالح هيهات هيهات! {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجنّة: ٢١]، وإنما جمع بين إطعام الطعام، ولين الكلام؛ ليكمل بذلك الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، فلا يتم الإحسان بإطعام الطعام إلا بلين الكلام وإفشاء السلام، فإن أساء بالقول بطل الإحسان بالفعل من الإطعام وغيره كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} [البقرة: ٢٦٤]، وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب إليهم من الإحسان بإعطاء المال كما قال لقمان لابنه: يا بني! لتكن كلمتك طيبة، ووجهك منبسطاً، تكن أحب إلى الناس ممن يُعطيهم الذهب والفضة. وقد كان النبي ﷺ يلين القول لمن يشهد له بالشر فينتفي بذلك شرّه، وكان لا يواجه أحداً بما يكره في وجهه ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً.

وروي عن ابن عمر أنه كان ينشد:

بنيَّ إنَّ البرَّ شيءٌ هينٌ... وجهٌ طليقٌ وكلامٌ لينٌ

ولبعضهم:

خُذ العفو وأمر بعرف كما... أُمِرْتَ وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الأنام... فمُستحسنٌ من ذوي الجاه لينٌ

وقد وصف الله عز وجل في كتابه أهل الجنة بمعاملة الخلق بالإحسان بالمال واحتمال الأذى، فقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] فالإنفاق في السراء والضراء يقتضي غاية الإحسان بالمال من الكثرة والقلة، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس يقتضي عدم المقابلة على السيئة من قول وفعل، وذلك يتضمن إلانة القول، واجتناب الفحش والإغلاظ في المقال ولو كان مباحاً، وهذا نهاية الإحسان، فلهذا قال تعالى: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). ومن هذا قول بعضهم وقد سُئِلَ عن حسن الخلق، فقال: بذل الندي وكف الأذى. وهذا الوصف المذكور في القرآن أكمل من هذا؛ لأنه وصفهم ببذل الندي، واحتمال الأذى. وحسن الخلق يبلغ به العبد درجات المجتهدين في العبادة، كما قال النبي ﷺ: "إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم النهار، القائم الليل". (١) ورؤي بعض السلف في المنام فسئل عن بعض إخوانه الصالحين، فقال: وأين ذلك؟! رُفِعَ في الجنة بحُسن خلقه. (٢)

١٧- بذل الخلق الحسن للناس من أعظم القرب:

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا" (٣).

- وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا. (٤)

(١) أخرجه أحمد (٢٤٥٩٥)، والحاكم في مستدركه (١٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٩٩٨)، من

حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٩٥).

(٢) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملاء الأعلى (٧٣) وما بعده.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٥٩).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١ / ١٨١ / ٤٧١) والحاكم في المستدرک (٨٢١٤)، وصححه الألباني في

صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٢).

- وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ ". (١)

- وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: " أَتَيْتَ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبَعْتَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالَقَ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ". (٢)

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟، فَقَالَ: " تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ "، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فَقَالَ: " الْأَجُوفَانِ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ ". (٣)

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَشَجِّ؛ أَشَجَّ عَبْدُ الْقَيْسِ: " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ ". (٤)

قال ابن عثيمين: فالإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة فإنه يحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر حصل على خير كثير؛ وعلى هذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائماً رفيقاً حتى ينال الخير (٥).

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ". (٦)

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٦٤)، والترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٣٥٤)، والدارمي (٢٧٩١). وقال الألباني: حسن لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٤)، وأحمد (٩٠٩٦)، وابن حبان (٤٧٦)، وابن ماجه (٤٢٤٦). وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٧٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٢٦).

(٥) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٩٢).

(٦) أخرجه الترمذي (١١٦٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، وأحمد (٧٤٠٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٤).

وذلك لأن كمال الإيمان يوجب حسن الخلق والإحسان إلى كافة الإنسان^(١).

قال ابن رسلان: وهو عبارة عن أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي منقسمة إلى: محمودة ومذمومة؛ فالمحمودة منها صفات الأنبياء والأولياء والصالحين كالصبر عند المكاره، والحمل عند الجفاء، وحمل الأذى، والإحسان للناس، والتودد إليهم، والرحمة بهم، والشفقة عليهم، واللين في القول، ومجانبة المفساد والشرور وغير ذلك.

قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه^(٢).
- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمَّ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ "، وفي رواية: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ " ^(٣).

فلا ينفعك أن تنفق مثل جبل أحد ذهباً مع المن والإيذاء، قال الله: { لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى } [البقرة: ٢٦٤]، ولكن قل كلمة طيبة: الله يوسع علينا وعليك، الله يفتح علينا وما ننسأك، الله يكرمنا وإياك، فضل الله واسع، دون مؤاخذه لم يبق في يدي شيء الآن، كلمة طيبة يسمعها منك السائل أو المسكين، وإذا لم يكن في المال سعة فأقل شيء الكلمة الطيبة، والابتسامة، وطلاقة الوجه^(٤).

وفي قوله ﷺ " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ " تحديد يجعل من أهم أهداف الدعوة: الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال. ولذلك لم يتلفظ النبي ﷺ لفظاً سيئاً بسبب أو شتائم طوال حياته الشريفة على أي شخص؛ كائنًا من كان، كما جاء في الحديث، فعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: " إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعْنًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً " ^(٥). فتمثل

(١) تحفة الأحوذى (٤ / ٢٧٣).

(٢) عون المعبود (١٢ / ٢٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وأحمد (٨٩٥٢)، والحاكم في المستدرک (٤٢٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٦٠٩)، وفي السنن الكبرى (٢٠٥٧٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥).

(٤) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (الحديث السابع والعشرون).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

عليه الصلاة والسلام هذا الهدف الكبير في حياته قولاً وعملاً، فحري بالداعية أن يقتدي به، فيجعل هذا الهدف من أهم أهداف دعوته^(١).

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسْعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ".^(٢)

قد تسع الدنيا كلها بمكارم أخلاقك، تلقى كل واحد بوجه طلق، وتخطبه بأسلوب حسن، وتعهده خيراً، فيكتفي منك بذلك، ولو أردت أن تُعطي جميع الناس وترضيهم من مالك لعجزت عن هذا^(٣).

والمعنى: أي لا تتسع أموالكم لعطائهم فوسعوا أخلاقكم لصحبته، والوسع والسعة؛ الجدة والطاقة. . . ، وذلك لأن استيعاب عامتهم بالإحسان بالفعل غير ممكن فأمر بجعل ذلك بالقول حسبما نطق به {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣].^(٤)

١٨- التطوع ولو بالقليل.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ.^(٥)

هذا النهي عن الاحتقار نهي للمعطية المهديّة، ومعناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها؛ بل تجود بما تيسر وإن كان قليلاً كفرسن شاة وهو خير من العدم^(٦).

(١) مثل ما بعثني الله، دراسة حديثة دعوية، إعداد/ د. فالح بن محمد الصغير (ص: ٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٨٤٢)، والبخاري (٨٥٤٤)، وأبو يعلى (٦٥٥٠)، وقال الألباني: حسن لغيره، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٦١).

(٣) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (الحديث العشرون).

(٤) انظر: فيض القدير (٢ / ٧٠٦) بتصرف يسير.

(٥) أخرجه البخاري (٦٠١٧)، ومسلم (١٧١١).

(٦) شرح النووي على مسلم (٧ / ١٢٠).

والمعنى: تهادوا ولو بفرسن شاة فإنه ينبت المودة ويذهب الضغائن، وفي الحديث الحضض على التهادي ولو باليسير؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، وإذا تواصل اليسير صار كثيرًا، وفيه استحباب المودة وإسقاط التكلف^(١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **لَوْ دُعِيتُمْ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أَهْدِي إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**.^(٢)

- وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى كُرَاعٍ فَاجِيبُوا"**.^(٣)
هذا حضض منه لأتمته على المهاداة، والصلة، والتأليف، والتحاب، وإنما أخبر أنه لا يحقر شيئًا مما يهدي إليه أو يدعى إليه؛ لئلا يمتنع الباعث من المهاداة لاحتقار المهدي، وإنما أشار بالكراع وفرسن الشاة إلى المبالغة في قبول القليل من الهدية، لا إلى إعطاء الكراع والفرسن ومهاداته؛ لأن أحدًا لا يفعل ذلك^(٤).

وقال ابن حجر: وفي الحديث دليل على حسن خلقه ﷺ، وتواضعه وجبره لقلوب الناس، وعلى قبول الهدية، وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل، قال المهلب: لا يبعث على الدعوة إلى الطعام إلا صدق المحبة وسرور الداعي، بأكل المدعو من طعامه والتحبب إليه بالمؤاكلة وتوكيد الذمام معه بها، فلذلك حضض ﷺ على الإجابة ولو نذر المدعو إليه، وفيه الحضض على المواصلة والتحاب والتألف وإجابة الدعوة لما قل أو كثر وقبول الهدية كذلك^(٥).

١٩ - التطوع بالإعلان عن الصلاة: (٦)

(١) فتح الباري (٥/ ١٩٨) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٢).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٨٧ وما بعدها).

(٥) فتح الباري (٩/ ٢٤٦).

(٦) والآذان من فروض الكفايات، ولكن نشير إلى أنه ينبغي المسابقة لهذا العمل والحرص عليه، فإذا تخلف المعين للآذان عن الحضور سارعنا وابتدنا الآذان

- عن مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**.^(١)

وقد بوب البخاري فقال: باب الاستهام في الأذان، ثم قال: ويذكر: أن أقوامًا اختلفوا في الأذان فأقرع بينهم سعد.^(٢)

وقال ابن بطلال: قال عمر: لولا الخلاف لأَذَّنْتُ. أما إقراع سعد بين الذين اختلفوا في الأذان فإن الطبري ذكر أنه افتتحت القادسية صدر النهار واتبع الناس العدو، فرجعوا وقد حانت صلاة الظهر وأصيب المؤذن؛ فتشاحَّ الناس في الأذان حتى كادوا يجتلدون بالسيوف، فأقرع بينهم سعد فخرج سهم رجل فأذن^(٣).

فقوله ﷺ (أَطْوَلُ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ): اختلف السلف والخلف في معناه، ف قيل: معناه أكثر الناس تشوقاً إلى رحمة الله تعالى؛ لأن المتشوف يطيل عنقه إلى ما يتطلع إليه، فمعناه كثرة ما يرويه من الثواب. وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق.

وقيل: معناه أنهم سادة ورؤساء، والعرب تصف السادة بطول العنق. وقيل: معناه أكثر أتباعاً. وقال ابن الأعرابي معناه: أكثر الناس أعمالاً. قال القاضي عياض وغيره: ورواه بعضهم: إعنقا بكسر الهمزة، أي إسراعاً إلى الجنة^(٤).

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ**^(٥) **لَأَسْتَبْقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ**^(١) **وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهَا وَلَوْ حَبَوًّا**.^(٢)

(١) أخرجه مسلم (٣٨٧).

(٢) صحيح البخاري (١٢٦/١).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطلال (٢/٢٤٤).

(٤) شرح النووي على مسلم (٩٢/٤).

(٥) والتهجير: السير في الهاجرة، وهي شدة الحر، ويدخل في معنى التهجير المسارعة إلى الصلوات كلها قبل دخول أوقاتها؛ ليحصل له فضل الانتظار قبل الصلاة، شرح صحيح البخاري، لابن بطلال (٢/٢٨٠).

قال ابن رجب: يعني: لو يعلمون ما فيها من الفضل والثواب، ثم لم يجدوا الوصول إليهما إلا بالاستهام عليهما - ومعناه: الإقراع - لاستهما عليهما تنافسا فيهما ومشاحة في تحصيل فضلهما وأجرهما. (٣)

وقال السيوطي: النداء هو الأذان، والاستهام الاقتراع، ومعناه أنهم لو علموا فضيلة الأذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقا يحصلونه به لضيق الوقت عن أذان بعد أذان أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد لاقترعوا في تحصيله. (٤)

- وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه، قال له: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، إِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذْنَتَ لِلصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جَنًّا وَلَا إِنْسًا، وَلَا شَيْءًا، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ. (٥)

قال ابن عثيمين: وهذا أيضا من فضائل الأذان أن صاحبه يُشْهَدُ له يوم القيامة بأنه من المؤذنين تنويهاً لفضله وبيانا لثوابه، فالحاصل أن الأذان له فضل عظيم، وأنه ينبغي للإنسان أن يكون مؤذنا، إلا أنه إذا كان هناك مؤذن راتب فإنه لا يحل لأحد أن يتجاوزته ويؤذن عنه إلا إذا كان قد وكله أو ما أشبه ذلك. (٦)

٢٠ - التطوع بقضاء الحوائج.

(١) العتمة: أي صلاة العشاء الآخرة في الجماعة. انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢ / ٣٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٥).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٣ / ٤٨٠).

(٤) شرح النووي على مسلم (٤ / ١٥٧ - ١٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (٧٥٤٨).

(٦) شرح رياض الصالحين للعثيمين (ص: ١١٨٨).

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (١)

- وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ. (٢)

بالإحسان إليهم بماله وجاهه فإنهم عباد الله وأحبهم إليه وأنفعهم لعياله أي أشرفهم عنده أكثرهم نفعا للناس بنعمة يسديها أو نقمة يزويها عنهم ديناً أو دنيا ومنافع الدين أشرف قدرًا وأبقى نفعا، قال بعضهم: هذا يفيد أن الإمام العادل خير الناس أي بعد الأنبياء لأن الأمور التي يعم نفعها ويعظم وقعها لا يقوم بها غيره وبه نفع العباد والبلاد وهو القائم بخلافة النبوة في إصلاح الخلق ودعائهم إلى الحق وإقامة دينهم وتقويم أودهم ولولاه لم يكن علم ولا عمل (٣)

٢١- التطوع بتنفيس الكرب وتيسير الحال وستر المسلم وعونه:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. (٤)

ومعنى نفَسَ الكرب أزالها، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين وقد سبق تفصيله، وفضل إنظار المعسر، وفضل المشي في طلب العلم ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى، وإن كان هذا شرطاً في كل عبادة لكن عادة

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٦٦٧٠).

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٢٣٤). وحسنه الألباني في الصحيحة (٤٢٦).

(٣) فيض القدير (٤٨١/٣)

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٦٧).

العلماء يقيدون هذه المسألة به لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس ويغفل عنه بعض المبتدئين. (١)

- وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢).

قوله "المسلم أخو المسلم" ليس المراد بهذه الأخوة إلا أخوة الإسلام. (٣)

وإذا كان المسلم أخا المسلم فإن هذا يقتضي ألا يظلمه، ولا يلصق الظلم به، وكذلك لا يسلمه، أي: لا يتركه عندما يظلم وهو يقدر على تخليصه من الظلم، وذلك بأن يسلمه، وألا يساعده ولا يعينه، بل عليه أن يساعده ويعينه. (٤)

وقال ابن بطال: قوله: (لَا يُسْلِمُهُ) مثل قوله عليه السلام: انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا. (٥) وباقي الحديث حض على التعاون، وحسن التعاشر، والألفة، والستر على المؤمن، وترك التسميع به، والإشهار لذنوبه، وقد قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: ٢] (٦).

٢٢- التطوع بنصرة المظلوم ونهي الظالم:

- عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: اقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَادَّى الْمُهَاجِرُ أَوْ الْمُهَاجِرُونَ، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا هَذَا دَعَايَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنَّ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ

(١) شرح النووي على مسلم (٢١/١٧)

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، وأخرجه مسلم (٢٥٨٠).

(٣) نيل الأوطار (٨/ ٢٥٠).

(٤) شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد (٢٨/ ١٤٧).

(٥) أخرجه البخاري (٦٩٥٢).

(٦) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٦/ ٥٧١).

أَحَدُهُمَا الْآخَرُ، قَالَ: فَلَا بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ. ^(١)

قال ابن بطال: والنصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسرهُ رسول الله ﷺ أن نصره الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركته على ظلم ولم تكفه عنه أداه ذلك إلى أن يقتص منه، فمَنَعُكَ له مما يُوجِبُ عليه القصاص نصره، وهذا يدل: من باب الحكم للشيء وتسميته بما يؤول إليه، وهو من عجيب الفصاحة، ووجيز البلاغة. ^(٢)

والمراد بإخوة المسلم للمسلم: توثق العلاقة بينهما كتوثقها بين إخوة النسب توثقاً يترتب عليه المحبة والمودة، والمواساة والنصر، وجلب كل خير ودفع كل ضرر، ومن مقتضى الأخوة أنه لا يظلمه ولا يسلمه، وظلمه انتقاص حقه في نفسه أو ماله أو عرضه، طيباً أو فاسقاً، فالظلم بإطلاقه محرم، وقد نهى عنه القرآن في مواضع كثيرة، وفيه يقول الرسول ﷺ: **الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**. ^(٣)

وإسلامه: خذلانه وتركه لعدوه ينكل به، أو يقضي عليه؛ وإذا كان الإنسان يحمي أعضائه مما يضرها فليحم أخاه المسلم الذي اعتبره الشارع كعضو منه، فلينصره ظالماً أو مظلوماً؛ ونصره ظالماً منعه من ظلمه.

وقوله: (ومن كان في حاجة أخيه إلخ) حث على السعي في مصالح الناس سواء كانت مصالح مالية؛ أو علمية، أو أدبية؛ وقد دلت هذه العبارة على أن الوقت الذي ينفقه الإنسان في قضاء مصالح لغيره لا يضيع عليه، بل القدير العليم الذي بيده خزائن السموات والأرض يسعى في قضاء حاجاته، فهو إن بذل للإنسان قليلاً نال به من الله خيراً كثيراً، فليستعن المرء على قضاء حاجته بقضاء حاجات الناس، وهذا المعنى يدخل في عموم قوله تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [محمد: ٧]، وكذلك ما بعده.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٤).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤٧٠/٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٤٦٧٦).

وقوله: ومن فرج عن مسلم كربة إلخ، حض على السعي في دفع البلايا التي تحل بالمسلمين في الحياة الدنيا، فمن أصابته مسغبة بذلت له من مالك أو حثت الأغنياء على معونته، ومن بلى بالعطلة سعت له في عمل، ومن حاق به ظلم ظالم رفعت عنه الظلم ما وجدت لذلك سبيلا، ومن انتابه مرض داويته، أو أحضرت له طبييا، وعلى الجملة تسعى لإخوانك في إزالة النوائب أو تخفيفها، وقد ضمن الله لفاعل ذلك رفع الكرب عنه يوم القيامة، وكرب يوم القيامة شديدة لا تماثل كرب الدنيا، فليس لدرئها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا معونة تقدمها في الدنيا لذوي الحاجة^(١).

٢٣- الأمر بالترايط والتألف وحمل هموم الآخرين:

- عَنْ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى". (٢)

فأما التراحم فالمراد أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيثار لا لسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضًا كما يعطف الثوب عليه ليقويه. (٣)

وقال النووي: في قوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم إلى آخره)، هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاقد في غير إثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام. قوله ﷺ (تداعى لها سائر الجسد) أي دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في ذلك، ومنه قوله: تداعت الحيطان أي تساقطت أو قربت من التساقط. (٤)

(١) الأدب النبوي، محمد الحَقُولِي (ص: ٥٥ وما بعدها).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ لمسلم.

(٣) انظر فتح الباري (١٠ / ٤٣٩).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٣٩).

- وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**.^(١)

قال القاضي عياض: فيه الحض على تعاون المسلمين، وتناصرهم، وتآلفهم، وتواددهم، وتراحمهم، وتمثيله - عليه الصلاة والسلام - في ذلك بالبنيان، وفي الحديث الآخر: بالجسد إذا اشتكى بعضه شكا سائرته كله تمثيل صحيح، وتقريب للأفهام في إظهار المعاني في الصور المرتبة، فيجب على المسلمين امتثال ما حض - عليه السلام - عليه من ذلك والتخلق به.^(٢)

٢٤- التطوع بتفقد أحوال المسلمين من المرضى والمساكين:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِتًا؟** " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: " **فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟** " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: " **فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟** " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: " **فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟** " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **مَا اجْتَمَعَ فِي أَمْرٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ** ".^(٣)

قال النووي: ما اجتمع في امرئ إلا دخل الجنة، قال القاضي: معناه دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى.^(٤) وقال القرطبي: ظاهره: أن من اجتمع له فعل هذه الأبواب في يوم واحد دخل الجنة؛ فإنه قال فيها كلها: اليوم، اليوم، ولما أخبره أبو بكر - رضى الله عنه - أنه فعل تلك الأمور كلها في ذلك اليوم بشّره بأنه من أهل الجنة لأجل تلك الأمور، والمرجو من كرم الله تعالى أن من اجتمعت له تلك الأعمال في عمره، وإن لم تجتمع في يوم واحد أن يدخله الله الجنة بفضلها، ووعد الصّادق.^(٥)

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٦)، ومسلم (٤٦٨٤).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨ / ٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٠٧).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٥٦ / ١٥).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦ / ٢٤٥).

٢٥- المتطوعون بالعمل الصالح يجدون الله عند بذلهم:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي". (١)

قال القاضي: قد فسر في هذا الحديث معنى المرض، وأن المراد به مرض العبد المخلوق، وإضافة الباري سبحانه ذلك إلى نفسه تشريفاً للعبد، وتقريباً له، والعرب إذا أرادت تشريف أحد حلتة محلها، وعبرت عنه كما تعبر عن نفسها. (٢)

٢٦- الدعاء للمتطوعين مكافأة لهم:

- عن ابن عمر عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكَمُ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ". (٣)

أي: من لجأ إليكم مستعيذاً بالله فألجئوه وأجبروه، ومن سأل شيئاً لله تعالى فأعطوه، ومن طلبكم فأجيبوا دعوته، ومن صنع إليكم معروفاً يعني: خيراً وإحساناً، والمعروف: هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وقوله: "فكافئوه" من المكافأة يقال: كافأته

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٦).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٩/٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠٩)، والنسائي (٢٥٦١)، وأحمد (٥٣٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٣٤٠٨).

(٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤).

ورجوت مكافأتك، أي: كفايتك، وأصله: من كفى يكفي من الناقص، وليس من مهموز اللام، وإنما ذكره من باب المفاضلة ليدل على الاشتراك لأن أحدهما يصنع معروفًا والآخر يقابله بـمعروف مثله، واسمها في صورة الدعاء فأحدهما يصنع معروفًا والآخر يقابله بالدعاء، وقوله: "أن قد كافأتموه" في تأويل المصدر، ومحله النصب على المفعولية، والتقدير: حتى تروا المكافأة، وهذا الحديث جامع لأنواع الخير من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب^(١).

٢٧- أعمال التطوع من الصدقات سبب لتأليف القلوب وإسلام المعرضين:

- عن جابر رضي الله عنه قال: ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال: "لا".^(٢)

قال ابن حجر: معناه ما طلب منه شيء من أمر الدنيا فمنعه^(٣).

وقال القسطلاني: ما طلب منه شيء، قال الكرمانى: من أقوال الدنيا فقال: "لا".

قال الفرزدق: ما قال لا قط إلا في تشهده... ولولا التشهد لكانت لائه نعم.^(٤)

وقوله: "ما سئل" أي ما طلب من رسول الله شيئاً قط فقال: "لا" أي: لا أعطيه؛ بل إما أعطى أو اعتذر ودعا أو وعد له فيما تمنى عملاً بقوله تعالى: {وإما تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا} [الإسراء: ٢٨].^(٥)

- وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياها فأتى قومه فقال: "أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر" فقال أنس: "إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها".^(٦)

(١) شرح سنن أبي داود، للعيني (٦/ ٤٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٤٥٧).

(٤) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني (٩/ ٣٢).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٦/ ٤٧٩).

(٦) أخرجه مسلم (٤٢٧٦).

٢٨- الخيرية لمن تطوع ببذل السلام وإطعام الطعام:

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تَطْعُمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ. ^(١)

معناه: أي خصال الإسلام خير؟ ، وهذا حض منه ﷺ على تأليف قلوب المؤمنين، وأن أفضل خلقهم الإسلامية ألفة بعضهم بعضاً، وتحبهم وتوادهم، واستجلاب ما يؤكد ذلك بينهم بالقول والفعل، وقد حض ﷺ على التحاب والتودد وعلى أسبابها من التهادي، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، ونهى عن أضدادها من التقاطع، والتدابر، والتجسس، والتحسس، والنميمة، وذو الوجهين.

والألفة أحد فرائض الدين وأركان الشريعة ونظام شمل الإسلام؛ وفي بذل السلام لمن عرفت ولمن لم تعرف إخلاص العمل فيه لله تعالى لا مصانعة ولا ملقاء، لمن تعرف دون من لا تعرف، وفيه مع ذلك استعمال خلق التواضع وإفشاء شعار هذه الأمة، من لفظ السلام ومن قوله: "أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" ^(٢). ^(٣)

وقال ابن رجب: وجمع في الحديث بين إطعام الطعام وإفشاء السلام؛ لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل وهو أكمل الإحسان، وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن أتى بفرائض الإسلام ثم ارتقى إلى درجة الإحسان إلى الناس كان خيراً ممن لم يرتق إلى هذه الدرجة وأفضل - أيضاً -، وليس المراد أن من اقتصر على هذه الدرجة فهو خير من غيره مطلقاً ولا أن إطعام الطعام ولين الكلام خير من أركان الإسلام ومبانيه الخمس، فإن إطعام الطعام والسلام لا يكونان من الإسلام إلا بالنسبة إلى من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. ^(٤)

(١) أخرجه البخاري (١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨١).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٧٦).

(٤) فتح الباري، لابن رجب (١/ ٣٩).

قال ابن حجر: إطعام الطعام الذي هو أمانة على الجود والسخاء ومكارم الأخلاق وفيه نفع للمحتاجين وسد للجوع الذي استعاذ منه النبي ﷺ. (١)

وفيه أيضاً الحث على كل ما يؤلف القلوب وجمع الكلمة ويغرس المودة ويزيد المحبة. (٢)
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم. (٣)

قال القاضي عياض: . . . وفيه حض على ما تقدم من إفشاء السلام على من عرف ومن لم يعرف، والسلام أول درجات البر، وأول خصال التألف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه يمكن ألفة المسلمين بعضهم ببعض، وإظهار شعارهم المميز لهم بينهم، وإلقاء الأمن والطمأنينة بينهم، وهو معنى السلام، واستدراج محبة كافتهم، كما قال ﷺ، ودليل التواضع والتواصل بسبب الإسلام، لا لغرض الدنيا، خلاف ما أنذر به ﷺ، آخر الزمان من كون السلام للمعرفة فيقطع سبب التواصل. (٤)

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعبدوا الرحمن، وأفشوا السلام، وأطعموا الطعام تدخلوا الجنان. (٥)
- وعن البراء رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أفشوا السلام تسلموا. (٦)

(١) فتح الباري (١/٨١).

(٢) فتح المنعم (١/١٥١).

(٣) أخرجه مسلم (٨١).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٣٠٤).

(٥) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٩٨١)، وأحمد (٦٥٨٧)، والترمذي (١٨٥٥)، وابن ماجه (٣٦٩٤) مختصراً، وغيرهم. وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٧١).

(٦) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٩٧٩)، وابن حبان في صحيحه (٤٩١)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٨٣٨٢). وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٩٣)، والأرواء (٧٧٧).

٢٩- تمام الإيمان إنما يكون بحب الخير للناس:

- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. ^(١)

لما نفى النبي ﷺ الإيمان عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه دل على أن ذلك من خصال الإيمان، بل من واجباته، فإن الإيمان لا يُنفى إلا بانتفاء بعض واجباته، كما قال: " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ " ^(٢)، وإنما يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه إذا سلم من الحسد والغل والغش والحقْد، وذلك واجب كما قال النبي ﷺ: " لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا "، فالمؤمن أخو المؤمن يجب له ما يجب لنفسه ويحزنه ما يحزنه، فإذا أحب المؤمن لنفسه فضيلة من دين أو غيره أحب أن يكون لأخيه نظيرها من غير أن تزول عنه، كما قال ابن عباس: إني لأمر بالآية من القرآن فأفهمها فأود أن الناس كلهم فهموا منها ما أفهم. وقال الشافعي: وددت أن الناس كلهم تعلموا هذا العلم ولم ينسب إلي منه شيء. فأما حب التفرد عن الناس بفعل ديني أو دنيوي: فهو مذموم، قال الله تعالى: " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا " [القصص: ٨٣] ^(٣).

٣٠- التطوع بنفع الغير بما زاد عن الحاجة:

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيُعْذِرْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيُعْذِرْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. ^(٤)

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٧٦).

(٣) فتح الباري، لابن رجب (١/ ٤١).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٢٨).

قال النووي: في هذا الحديث الحث على الصدقة والجود والمواساة، والإحسان إلى الرفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج، وأنه يكتفي في حاجة المحتاج بتعرضه للعطاء وتعريضه من غير سؤال، وهذا معنى قوله: "فجعل يصرف بصره" أي متعرضاً لشيء يدفع به حاجته، وفيه مواساة ابن السبيل، والصدقة عليه إذا كان محتاجاً، وإن كان له راحلة وعليه ثياب أو كان موسراً في وطنه ولهذا يعطى من الزكاة في هذه الحال والله أعلم. (١)

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ". (٢)

قال الألباني في الصحيحة: وفي الحديث دليل واضح على أنه يحرم على الجار الغني أن يدع جيرانه جائعين، فيجب عليه أن يقدم إليهم ما يدفعون به الجوع، وكذلك ما يكتسبون به إن كانوا عراة، ونحو ذلك من الضروريات، ففي الحديث إشارة إلى أن في المال حقاً سوى الزكاة، فلا يظنن الأغنياء أنهم قد برئت ذمتهم بإخراجهم زكاة أموالهم سنوياً، بل عليهم حقوق أخرى لظروف وحالات طارئة، من الواجب عليهم القيام بها، وإلا دخلوا في وعيد قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة/ ٣٤، ٣٥]. اهـ

٣١- التطوع بمراعاة حق الجار وإكرامه والإحسان إلى الأضياف:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ. (٣)

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (١١٢)، وأبو يعلى في "مسنده" (٢٦٩٩)، والبيهقي في "الكبرى" (١٩٤٥٢). وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٨٥).

- وَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ أُذُنَايَ، وَابْصَرْتُ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْقَهُ جَائِزَتَهُ قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضَّيَاقَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ. ^(١)

معنى ذلك: أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وبره، وأمر أهل الإيمان بذلك، وكل هذا تعريف بحق الجار وحض على حفظه؛ وقد أوصى الله بالإحسان إليه في كتابه، وقال - عليه السلام -: ما زال يُوصيني جبريل بالجار، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ ^(٢).

. . . . وعامة الفقهاء على أنها من مكارم الأخلاق، وحجتهم قوله ﷺ: "جائزته يوم وليلة"، والجائزة العطية والمنحة والصلة، وذلك لا يكون إلا مع الاختيار، وقوله: "فليكرم وليحسن" تدل عليه، إذ ليس يستعمل مثله في الواجب، مع أنه جمعه مع إكرام الجار والإحسان إليه، وذلك غير واجب، فهو مثله. ^(٣)

وقال الشيخ عطية سالم: في قوله عليه الصلاة والسلام: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) يقولون في علم اللغة: (من) من أدوات الشرط، وفعل الشرط هنا: (كان يؤمن بالله اليوم الآخر)، وجواب الشرط: (فليقل خيراً أو ليصمت)، ثم مرة أخرى: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) ثم أعاد الشرط مرة ثالثة: (فليكرم جاره)، ولو تأملنا في نصوص الشريعة لوجدنا أن الإيمان بالله واليوم الآخر قاعدة الانطلاق في العمل الإسلامي من فعل أو ترك، فما صلى إنسان، ولا صام، ولا زكى، ولا حج، ولا جاهد، ولا فعل فعلاً من أفعال الخير، ولا عف عن زنا، ولا كف عن سرقة، ولا صان دمًا؛ إلا انطلاقاً من إيمانه باليوم الآخر، لماذا؟ لأنه في اليوم الآخر يجازى على فعل الخير، ويعاقب على فعل الشر، ولولا إيماننا

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٨٤).

بالبعث والجزاء والحساب، لصرنا أشبه ما نكون في غابة، فمنطلق أي عمل هو الإيمان باليوم الآخر. (١)

- وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: ما زال يُوصيني جبريل بالجوار، حتى ظننت أنه سيورثه. (٢)

- وعن أبي شريح رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بواقفه. (٣)

٣٢- التطوع ببذل النصح لكل مسلم:

- عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، أنه قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فإنني أتيت النبي ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام فشرط علي: والنصح لكل مسلم فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل. (٤)

- عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. (٥)

قال الخطابي: النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها، وأصل النصح في اللغة الخلوص يقال نصحت العسل إذا خلصته من الشمع. (٦)

٣٣- التطوع بمساعدة الأهل:

- عن الأسود، قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة. (١)

(١) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (الحديث الخامس عشر).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٦٨٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٥).

(٦) معالم السنن ١٢٣/٤-١٢٤.

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنَى،
وَابْدَأَ بِمَنْ تَعُولُ. (٢)

٣٤- الأمر بالتطوع بالشفاعة الحسنة:

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طَلَبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ
قَالَ: اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ. (٣)

قال ابن حجر: وفي الحديث الحضر على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى
الكبير في كشف الكرب، ومعونة ضعيف؛ إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس ولا
التمكن منه ليلج عليه أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، وإلا فقد كان النبي ﷺ لا
يحتجب. (٤)

قال النووي: "من فوائد الحديث: تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على البعض وحثهم على
التراحم والتعاقد". (٥)

ونقل ابن حجر عن عياض، قوله: ولا يستثنى من وجوه التي تستحب الشفاعة إلا الحدود،
وإلا فما لأحد فيه تجوز الشفاعة فيه ولا سيما ممن ووقعت منه الهفوة أو من أهل الستر
والعفاف قال: وأما المصريون على فسادهم المشتهرون في باطلهم فلا يشفع فيهم ليزجروا عن
ذلك. (٦)

٣٥- التطوع بالإحسان إلى الخادم:

- عَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدًا
فَقُلْتُ: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ؟ فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ

(١) أخرجه البخاري (٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٣٢، ٦٠٢٧)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٤) فتح الباري (٦٦/١٢).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣٩/١٦).

(٦) فتح الباري (٦٤/١٢).

كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: "أَسَابَيْتَ فُلَانًا" قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟" قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "إِنَّكَ أَمَرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ" قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السَّنِّ. قَالَ: "نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ". (١)

قال ابن بطال: قال المهلب: فيه الحض على كسوة المملوك وإطعامه بالسواء مثل طعام المالك وكسوته، وليس ذلك على الإيجاب عند العلماء، وإنما على المالك أن يكسوا ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد، ويطعم ما يسد الجوعة ما لم يكن فيه ضرر على المملوك. فإن زاد على ما فرض عليه من قوته وكسوته بالمعروف كان متفضلاً متطوعاً. وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: لو أن رجلاً عمل لنفسه خبيصاً فأكله دون خادمه، ما كان بذلك بأس. وكان يرى أنه إذا أطعم خادمه من الخبز الذي أكل منه، فقد أطعمه مما يأكل منه؛ لأن من عند العرب للتبعض، ولو قال: أطعموهم من كل ما تأكلون، لوجب حينئذ إطعامهم من الخبيص ومن كل شيء، وكذلك في اللباس. (٢)

٣٦- التطوع ببناء المساجد:

- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال - عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ، وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَتَّبِعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ". (٣)

قال ابن حجر: أي يطلب به رضا الله والمعنى بذلك الإخلاص. (٤)
ووضح النووي قوله: "بنى الله له مثله في الجنة" فقال: يحتمل في القدر والمساحة، ولكنه أنفس منه بزيادات كثيرة ويحتمل مثله في مسمى البيت وإن كان أكبر مساحة وأشرف. (٥)

(١) البخاري (٥٥٩٠)، مسلم (٣١٣٩).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦٤/٧.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣١)، ومسلم (٨٢٨).

(٤) فتح الباري (١١٦/٢).

وقال ابن بطال: المساجد بيوت الله، وقد أضافها لنفسه بقوله: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة: ١٨] حسبك بهذا شرفاً لها. (٢)

٣٧- التطوع في خدمة المسنين وإعانتهم وإجلالهم:

- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**. (٣)

أي تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس، والرفق به، والشفقة عليه، ونحو ذلك، كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمة عند الله. (٤)

- وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوسَّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا"**. (٥)
قال المناوي مبينا بعض أسباب توقير الكبير: لما خُصَّ بِهِ السَّبْقُ فِي الْوُجُودِ وَتَجَرِبَةِ الْأُمُورِ (٦)

٣٨- التطوع بالسعي على الأرملة والمسكين نوع من الجهاد في سبيل الله:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**. (٧)

قال ابن بطال: من عجز عن الجهاد في سبيل الله وعن قيام الليل وصيام النهار، فليعمل بهذا الحديث وليسع على الرامل والمساكين ليحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله دون أن يخطو في ذلك خطوة، أو ينفق درهماً، أو يلقي عدواً يرتاع بلقائه، أو ليحشر في زمرة

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/٨).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠١/١).

(٣) أخرجه أبوداود (٤٨٤٣). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨).

(٤) عون المعبود (١٠ / ٣٦٥).

(٥) أخرجه الترمذي (١٩١٩)، وأبو يعلى في "مسنده" (٢٤١)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (١٠٩٨٢).

(٦) التيسير بشرح الجامع الصغير (٣٣١/٢).

(٧) أخرجه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٥٢٩٥).

الصائمين والقائمين وينال درجاتهم وهو طاعم نائم ليلة أيام حياته، فينبغي لكل مؤمن أن يحرص على هذه التجارة التي لا تبور، ويسعى على أرملة أو مسكين لوجه الله تعالى فيربح في تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولا نصب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. (١)

٣٩- المتطوع بكفالة الأيتام رفيق النبي ﷺ في الجنة:

- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا. (٢)

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِعَیْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ. وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى. (٣)

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك، قلت: قد تقدم الحديث في كتاب اللعان وفيه وفرج بينهما أي بين السبابة والوسطى وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى وهو نظير الحديث الآخر بعثت أنا والساعة كهاتين الحديث. (٤)

٤٠- التطوع بالإصلاح بين الناس:

- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ، وَالصَّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: "إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ قَالَ: وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ". (٥)

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢١٨/٩)

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٦٦٠).

(٤) فتح الباري (٤٣٦/ ١٠)

(٥) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٣٩١)، والترمذي (٢٥٠٩)، وأبو داود (٤٩١٩)، وأحمد (٢٧٥٠٨).

وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٩٥).

قال المناوي: أي إصلاح أحوال البين حتى تكون أحوالكم أحوال صحبة وألفة أو هو إصلاح الفساد والفتنة التي بين القوم. ^(١)

- وعن أُمِّ كُلْثُومِ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يَقُولُ: لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُضْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا. قال ابنُ شِهَابٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا. ^(٢)

٤١- التطوع بالدعاء للمؤمنين:

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً ". ^(٣)

٤٢- التطوع بالغرس:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَلَا يَزُودُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ. ^(٤)

قال المازري: فيه الحظ على الغرس واقتناء الضياع، كما فعله كثير من السلف، خلافاً لمن منع ذلك. واختصاص الثواب على الأعمال بالمسلمين دون الكفار. وفيه أن المسبب للخير أجرٌ بما تنفع به، كان من أعمال البر أو مصالح الدين. ^(٥)

٤٣- التطوع بنذب الناس إلى الصدقة:

عَنِ الْمُثَنِّدِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حَفَاءُ عُرَاءُ مُجْتَابِي النَّهَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّلِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، بَلَّ

^(١) فيض القدير (١٠٦/٣)

^(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٥).

^(٣) أخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" (٢١٥٥). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢٦).

^(٤) أخرجه مسلم (٤٠٥٠) وأخرجه البخاري عن أنس بن حوّه (٢٣٢٠).

^(٥) إكمال المعلم (٢١٤/٥)

كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِأَلَا فَاذْنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١] وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: {اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر: ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفَّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ. (١)

قال النووي: وأما سبب سروره ﷺ ففرحاً بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى وبذل أموالهم لله وامتنال أمر رسول الله ﷺ ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض وتعاونهم على البر والتقوى وينبغي للإنسان إذا رأى شيئاً من هذا القبيل أن يفرح ويظهر سروره ويكون فرحه لما ذكرناه قوله ﷺ فيه الحث على الابتداء بالخيرات وسن السنن الحسان والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات وسبب هذا الكلام في هذا الحديث أنه قال في أوله فجاء رجل بصرة كادت كفه تعجز عنها فتتابع الناس وكان الفضل العظيم للبادي بهذا الخير والفتاح لباب هذا الإحسان (٢)

٤٤ - التطوع بعيادة المريض:

- عَنْ ثَوْبَانَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي حُرْفَةِ الْجَنَّةِ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: جَنَّاها. (٣)

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٢) شرح النووي (١٠٣/٧ - ١٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٨).

قال المازري: قال الأصمعي: واحد المخارف مخرف. وهو جناء النخل، سُمي بذلك لأنه يخترف، أى يجنى. قال شمر: المخرفة: سكة بين صفيين من نخل يخترف من أيهما شاء. وقال غيره: المخرفة: الطريق، فمعنى الحديث: أنه على طريق تؤديه إلى الجنة، وعيادة المريض من الطاعات المرغب فيها، العظيمة الأجر. وقد جاء فيها هذا الحديث وغيره. وقد يكون من فروض الكفاية، لا سيما المرضى من الغرباء ومن لا قائم عليهم ولا كافل لهم، فلو تركت عيادتهم لهلكوا، وماتوا ضرًا وعطشًا وجوعًا، فعيادتهم تطلع على أحوالهم ويتذرع بها إلى معונتهم، وإعانتهم، وهى كإغاثة الملهوف، وإنجاء الهالك، وتخليص الغريق. من حضرها لزمته، فمتى لم يعادوا لم يعلم حالهم في ذلك. ^(١)

٤٥ - التطوع بالتزاور والتواصل:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ ". ^(٢)

قال النووي: معنى أرصده أقعده يرقبه والمدرجة بفتح الميم والراء هي الطريق سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون قوله (لك عليه من نعمة تربها) أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك. في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى وأنها سبب لحب الله تعالى العبد، وفيه فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب ^(٣)

٤٦ - التطوع في سقي البهائم والحيوانات:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ:

(١) إكمال المعلم (٣٧/٨)

(٢) أخرجه مسلم (٦٧١٤).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢٤/١٦)

لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأْ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ^(١).

قال ابن بطال: سقى الماء من أعظم القربات إلى الله - تعالى - وقد قال بعض التابعين: من كثرت ذنوبه فعليه بسقي الماء، وإذا غفرت ذنوب الذى سقى الكلب فما ظنكم بمن سقى رجلاً مؤمناً موحداً أو أحياء بذلك.

وقد استدل بهذا الحديث من أجاز صدقة التطوع على المشركين، لعموم قوله عليه السلام: (فى كل كبد رطبة أجر) وفيه أن المجازاة على الخير والشر قد تكون يوم القيامة من جنس الأعمال، كما قال عليه السلام: (من قتل نفسه بحديدة عذب بها فى نار جهنم)^(٢).

٤٧- التطوع بإحياء الأرض الموات:

- عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً، فَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ مِنْهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ"^(٣).

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَّدَ أَحَدُكُمْ فَيْسِلَةً، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ^(٤).

قال العيني: فيه فضل الغرس والزرع، واستدل به بعضهم على أن الزراعة أفضل المكاسب، واختلف في أفضل المكاسب، فقال النووي: أفضلها الزراعة، وقيل: أفضلها الكسب باليد، وهي الصنعة، وقيل: أفضلها التجارة، وأكثر الأحاديث تدل على أفضلية الكسب باليد... وفيه: حصول الأجر للغارس والزارع، وإن لم يقصدا ذلك، حتى لو غرس وباعه أو

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٠٢/٦).

(٣) أخرجه أحمد (١٤٥٠٠)، والدارمي (٢٨٠٩)، وابن حبان في صحيحه (٥٢٠٢)، وابن أبي شيبة في

مصنفه (٢٢٨٢٣). وصححه الألباني في الإرواء (١٥٥٠).

(٤) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٤٧٩)، وأحمد (١٢٩٨١)، وعبد بن حميد في "المنتخب" (

١٢١٦)، والبخاري في "مسنده" (٧٤٠٨). وصححه الألباني في الصحيحة (٩).

زَرَعَ وَبَاعَهُ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ صَدَقَةٌ لَتَوْسَعَتْهُ عَلَى النَّاسِ فِي أَقْوَاتِهِمْ، كَمَا وَرَدَ الْأَجْرُ لِلْجَالِبِ، وَإِنْ كَانَ يَفْعَلُهُ لِلتَّجَارَةِ وَالْاِكْتِسَابِ. ^(١)

٤٨- التطوع بإعانة الغازي:

- عن خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا. ^(٢)
وعند مسلم: وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا. ^(٣)

قال ابن بطال: قال الطبري: وفيه من الفقه أن كل من أعان مؤمناً على عمل بر فللمعين عليه أجر مثل العامل، وإذا أخبر الرسول أن من جهز غازياً فقد غزا، فكذلك من فطر صائماً أو قواه على صومه، وكذلك من أعان حاجاً أو معتمراً بما يتقوى به على حجه أو عمرته حتى يأتي ذلك على تمامه فله مثل أجره. ومن أعان فإنما يجيء من حقوق الله بنفسه أو بماله حتى يغلبه على الباطل بمعونة فله مثل أجر القائم، ثم كذلك سائر أعمال البر، وإذا كان ذلك بحكم المعونة على أعمال البر فمثله المعونة على معاصي الله وما يكرهه الله، للمعين عليها من الوزر والإثم مثل ما لعاملها، ولذلك نهى الرسول عن بيع السيوف في الفتنة ولعن عاصر الخمر ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه، وكذلك سائر أعمال الفجور. ^(٤)

- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَى بَنِي لَحْيَانَ لِيُخْرِجَ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ. ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِدِ: أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ؛ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ. ^(٥)

٤٩- التطوع بتغسيل الموتى:

^(١) عمدة القاري (١٥٥/١٢)

^(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٣).

^(٣) أخرجه مسلم (٥٠١١).

^(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٠/٥)

^(٥) أخرجه مسلم (٥٠١٦).

- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ غَسَلَ مِيْتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ، طَهَّرَهُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَإِنْ هُوَ كَفَّنَهُ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنَ السُّنْدُسِ ". (١)

قال المناوي: يحتمل أن المراد ستر عورته ويحتمل أن المراد ستر ما يبدو له من علامة ردية كظلمة ويحتمل الأمرين وهو أظهر (ومن كفنه كساه الله من السندس) قال النووي: فيه أنه يسن إذا رأى الغاسل ما يعجبه أن يذكره وإذا رأى ما يكره لا يحدث به (٢)

٥٠- التطوع بالمواساة والعزاء:

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اصْنَعُوا لَالِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ. (٣)

قال المباركفوري: قَالَ الطَّبِيُّ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَسْتَحِبُّ لِلْأَقَارِبِ وَالْجِيرَانِ تَهْنِئَةَ طَعَامٍ لِأَهْلِ الْمِيْتِ. وقال بن الهمام: وَيُسْتَحَبُّ لْجِيرَانِ أَهْلِ الْمِيْتِ وَالْأَقْرَبَاءِ الْأَبْعَادِ تَهْنِئَةُ طَعَامٍ يُشْبِعُهُمْ يَوْمَهُمْ وَلَيَلَتَهُمْ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْنَعُوا لَالِ جَعْفَرٍ طَعَامًا وَقَالَ: يُكْرَهُ اتِّخَاذُ الضِّيَافَةِ مِنْ أَهْلِ الْمِيْتِ لِأَنَّهُ شُرْعٌ فِي الشُّرُورِ لَا فِي الشُّرُورِ وَهِيَ بَدْعَةٌ مُسْتَفْبَحَةٌ (٤)

- وعن عمرو بن حزم رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعْزِي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ، إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (٥)

٥١- التطوع ببذل الوقت في سبيل الله:

(١) أخرجه الطبراني (٢٨١/٨)، رقم (٨٠٧٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٢٦٧). وقال الألباني: حسن، انظر الصحيحة (٢٣٥٣).

(٢) فيض القدير (١٨٥/٦)

(٣) أخرجه الترمذي (٩٩٨)، وأبو داود (٣١٣٢)، وابن ماجه (١٦١٠)، وأحمد (١٧٥١). وحسنه

الألباني في أحكام الجنائز (ص ١٦٨)، وصحيح الجامع (١٠١٥).

(٤) تحفة الأحمدي (٦٧/٤)

(٥) أخرجه ابن ماجه (١٦٠١)، وعبد بن حميد في "المنتخب" (٢٨٧). وقال الألباني: حسن لغيره. انظر:

الإرواء (٧٦٤) وصحيح الترغيب (٣٥٠٨).

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيْمَا عَلِمَ. ^(١)

- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ. ^(٢)

قال ابن رجب: يَعْنِي: اغْتَنِمِ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا السَّقَمُ، وَفِي الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا الْمَوْتُ. ^(٣)

وقال الحافظ ابن حجر: اعمل ما تلقى نفعه بعد موتك وبادر أيام صحتك بالعمل الصالح فإن المرض قد يطرأ فيمتنع من العمل فيخشى على من فرط في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد. ^(٤)

^(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٦)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (١٦٤٧). وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٤٦)، وصحيح الجامع (٧٢٩٩).

^(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٧٨٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٤٨). وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٣٥٥)، وصحيح الجامع (١٠٧٧).

^(٣) جامع العلوم والحكم الحديث الأربعون.

^(٤) فتح الباري (٢٣٥/١١).

رابعاً: نماذج عملية من السنة للأعمال التطوعية

١- مشاركته عليه الصلاة والسلام في حلف الفضول:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيِّبِينَ فَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي حُمْرُ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَكُفُّهُ. ^(١)

وحلف الفضول كما قال محمد بن إسحاق: أن قبائل من قريش تداعت إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جدعان لشرفه وسنه، وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبدالمطلب وبنو أسد بن عبدالعزي، وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة؛ فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه، وكانوا على من ظلمه حتى يردوا عليه مظلّمته، فسمت قريشاً ذلك الحلف حلف الفضول.

٢- تطوعه ﷺ لبناء الكعبة:

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: "كَانَتِ الْكَعْبَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَبْنِيَّةً بِالرَّضَمِ لَيْسَ فِيهَا مَدَرٌ، وَكَانَتْ قَدَرُ مَا يَقْتَحِمُهَا الْعَنَاقُ، وَكَانَتْ غَيْرَ مَسْقُوفَةٍ، وَإِنَّمَا تَوْضَعُ ثِيَابُهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ يُسَدُّ سَدًّا عَلَيْهَا، وَكَانَ الرُّكْنُ الْأَسْوَدُ مَوْضُوعًا عَلَى سُورِهَا بَادِيًا، وَكَانَتْ ذَاتَ رُكْنَيْنِ كَهَيْئَةِ هَذِهِ الْحَلَقَةِ، فَأَقْبَلَتِ سَفِينَةٌ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ حَتَّى إِذَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْ جُدَّةِ انْكَسَرَتِ السَّفِينَةُ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ لِيَأْخُذُوا خَشَبَهَا، فَوَجَدُوا رُومِيًّا عِنْدَهَا فَأَخَذُوا الْخَشَبَ، أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا، وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تُرِيدُ الْحَبَشَةَ، وَكَانَ الرُّومِيُّ الَّذِي فِي السَّفِينَةِ نَجَّارًا، فَقَدِمُوا بِالْخَشَبِ، وَقَدِمُوا بِالرُّومِيِّ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: نَبْنِي بِهَذَا الْخَشَبِ بَيْتَ رَبَّنَا، فَلَمَّا أَنْ أَرَادُوا هَدْمَهُ إِذَا هُمْ بِحَيَّةٍ عَلَى سُورِ الْبَيْتِ مِثْلَ قِطْعَةِ الْجَائِزِ سَوْدَاءِ الظَّهْرِ، بَيَاضِ الْبَطْنِ، فَجَعَلَتْ كُلُّهَا دَنَا أَحَدٍ مِنَ الْبَيْتِ لِيَهْدِمَهُ أَوْ يَأْخُذَ مِنْ حِجَارَتِهِ، سَعَتْ إِلَيْهِ فَاتِحَةً فَاهَا، فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ عِنْدَ الْحَرَمِ، فَعَبُّوا إِلَى اللَّهِ وَقَالُوا: رَبَّنَا لَمْ تُرْعَ، أَرَدْنَا تَشْرِيفَ بَيْتِكَ وَتَرْبِيئَهُ، فَإِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِذَلِكَ، وَإِلَّا فَمَا بَدَا لَكَ فَاغْعَلْ، فَسَمِعُوا حُورًا فِي السَّمَاءِ، إِذَا هُمْ بِطَائِرٍ أَعْظَمَ مِنَ النَّسْرِ، أَسْوَدِ الظَّهْرِ، وَأَبْيَضِ الْبَطْنِ وَالرَّجْلَيْنِ، فَعَرَزَ

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٦٧)، وابن حبان في صحيحه (٤٣٧٣)، وأبو يعلى في مسنده (٨٤٥). وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٠٠).

مَحَالِبُهُ فِي قَفَا الْحَيَّةِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهَا يَجْرُهَا، وَذَنْبُهَا أَعْظَمُ مِنْ كَذَا وَكَذَا سَاقِطٍ حَتَّى انْطَلَقَ بِهَا نَحْوَ أَجْيَادٍ، فَهَدَمَتْهَا قُرَيْشٌ، وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الْوَادِي، تَحْمِلُهَا قُرَيْشٌ عَلَى رِقَابِهَا، فَزَعَوْهَا فِي السَّمَاءِ عَشْرِينَ ذِرَاعًا، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُ حِجَارَةً مِنْ أَجْيَادٍ وَعَلَيْهِ نَمْرَةٌ، إِذْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ النَّمْرَةُ، فَذَهَبَ يَضَعُ النَّمْرَةَ عَلَى عَاتِقِهِ، فَبَدَتْ عَوْرَتُهُ مِنْ صِغَرِ النَّمْرَةِ، فَنُودِيَ يَا مُحَمَّدُ، خَمَّرْ عَوْرَتَكَ، فَلَمْ يَرِ عُرْيَانًا بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْنَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَمْسُ سِنِينَ، وَبَيْنَ مَخْرَجِهِ وَبِنَائِهَا خَمْسُ عَشْرَةَ سَنَةً ^(١).

٣- تطوع النبي ﷺ برفع النزاع بين أهل مكة في وضع الحجر الأسود:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ قَالَ: لَمَّا رَأَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَدْ دَخَلَ مِنَ الْبَابِ، قَالُوا: "قَدْ جَاءَ الْأَمِينُ" ^(٢).

وفي رواية "أنه لما أرادوا أن يرفعوا الحجر (يعني قريشاً) اختصموا فيه، فقالوا: يحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة قال: وكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم، فجعلوه (أي: الحجر) في مرط ثم رفعه جميع القبائل كلها، ورسول الله يومئذ رجل شاب يعني قبل البعثة. ^(٣)

٤- تطوعه بالعمل في بناء المسجد النبوي:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَتَزَلَّ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ هُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رَدْفُهُ وَمَلَأَ بَنِي النَّجَّارِ

^(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩١٠٦)، وأحمد في مسنده (٢٣٨٠٠) مختصراً، وقال الألباني في الثمر المستطاب (٢٥٠): وهذا سند صحيح رجاله كلهم رجال مسلم.

وقد أورده الحافظ في (الفتح) مطولاً وقال: أخرجه عبد الرزاق. ومن طريقه الحاكم والطبراني. وهو في (المستدرک) وصححه ووافقه الذهبي.

^(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٤٤٢). وقال الهيثمي في المجمع (٤٢٠/٨): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن عمر الضير وخالد بن عرعة وكلاهما ثقة.

^(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٢٩٦٩٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٨٦).

حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفَنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ فَقَالَ: يَا بَنِي النَّجَارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا، قَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرْبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ، فَنَبَشَتْ، ثُمَّ بِالْخَرْبِ فَسَوَّيْتُ، وَبِالنَّخْلِ فَتَقَطَّعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتِيهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخَرَ وَهُمْ يَرْتَحِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ. (١)

٥- التطوع بالاعتناء بالمساجد:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَوْ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ (٢) فَمَاتَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي (٣) بِهِ ذُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ - أَوْ قَالَ قَبْرِهَا فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا. (٤)

٦- تطوعه ﷺ بالمواخاة بين المهاجرين والأنصار:

- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ". (٥)

٧- التطوع في تأمين الناس عند الفرع وكشف أخبار العدو:

- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ

(١) أخرجه البخاري (٤٢٨)، ومسلم (٥٢٤).

(٢) يَقُمُّ الْمَسْجِدَ: بقاف مضمومة أي يجمع القمامة وهي الكناسة. فتح الباري، لابن حجر (١/٥٥٣).

(٣) آذَنْتُمُونِي: بالمد أي أعلمتموني. فتح الباري لابن حجر (١/٥٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦).

(٥) أخرجه البخاري (٧٣٤٠)، ومسلم (٢٥٢٩) بلفظ: ﴿حَالَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَفُرَيْشٍ فِي دَارِي النَّبِيِّ بِالْمَدِينَةِ﴾.

النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ يَقُولُ: لَنْ تُرَاعُوا، لَنْ تُرَاعُوا وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِّي^(١) مَا عَلَيْهِ سَرَجٌ، فِي عُنْقِهِ سَيْفٌ، فَقَالَ: "لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا"^(٢)، أَوْ: إِنَّهُ لَبَحْرٌ"^(٣).

قوله: " فرع أهل المدينة": أي سمعوا صوتا في الليل فخافوا أن يهجم عليهم عدو، وقوله فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت؛ أي أنه سبق فاستكشف الخبر فلم يجد ما يخاف منه فرجع يسكنهم، وقوله "لم تراعوا" هي كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيسا وإظهارا للرفق بالمخاطب.^(٤)

وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك، وجواز العارية، وجواز الغزو على الفرس المستعار، واستحباب تقلد السيف في العنق، وتبشير الناس بعدم الخوف إذا ذهب.^(٥)

٨- شهادة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - بأعماله لخدمة الناس:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَنْزَوُدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: " فَآخِذْنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَآخِذْنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَآخِذْنِي فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } [العلق: ٢] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَرَمَّلُوهُ

(١) عُرِّي: إذا ركه عرياً، ويقال: رجل عريان. إكمال المعلم (٧/٢٧١).

(٢) لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا: أي الفرس بحرا أي جوادا وسيع الجري. مرقاة المفاتيح (١٦/٤٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٣)، ومسلم (٤٢٦٦).

(٤) فتح الباري (١٠/٤٥٧).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٥/٦٨).

حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِحَدِيحَةٍ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ حَدِيحَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، (١).

٩- التطوع بقبول الهدايا والإثابة عليها :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا. (٢)
وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيَجْهَرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرَجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟، فَالْتَمَتَ فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتُ بِكَاسِدٍ أَوْ قَالَ: لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ. (٣)

١١- التطوع بالدفاع عن عرض المسلمين :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيتُ عِتْبَانَ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ، قَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَحَبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي، فَأَتَخَذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَسْنَدُوا عَظْمَ ذَلِكَ وَكَبَرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دُخْشَمٍ، قَالُوا: وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ، وَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ سَرٌّ، فَقَصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ، وَقَالَ: أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا

(١) أخرجه البخاري (٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٩٦٨٨)، وأحمد (١٢٦٤٨)، وصححه الألباني في مختصر الشرائع (٢٠٤).

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَيَدْخُلَ النَّارَ، أَوْ تَطْعَمَهُ. (١)

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنَعَ ابْنُ جُمَيْلٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَالْعَبَّاسُ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا يَنْقُمُ ابْنُ جُمَيْلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدْ احْتَبَسَ أَذْرَاعَهُ وَاعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ، وَمِثْلُهَا مَعَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُوْ أَبِيهِ؟ (٢).

قال ابن حجر: وفي الحديث تَحْمُلُ الإمام عَنْ بَعْضِ رَعِيَّتِهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَالْإِعْتِذَارُ عَنْ بَعْضِ الرَّعِيَّةِ بِمَا يَسُوغُ الْإِعْتِذَارُ بِهِ (٣).

١٢- مواساته ﷺ للأرامل:

- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سَلِيمٍ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَزْجَمُهَا قَتَلَ أَخُوها مَعِي. (٤)

قال النووي: قد قدمنا في كتاب الجهاد عند ذكر أم حرام أخت أم سليم أنها كانتا خالتي لرسول الله ﷺ محرمين إما من الرضاع وإما من النسب فتحل له الخلوة بهما وكان يدخل عليهما خاصة لا يدخل على غيرهما من النساء إلا أزواجه قال العلماء فيه جواز دخول المحرم على محرمه وفيه إشارة إلى منع دخول الرجل إلى الأجنبية وإن كان صالحا وقد تقدمت الأحاديث الصحيحة المشهورة في تحريم الخلوة بالأجنبية (٥)

(١) صحيح مسلم (٨٥).

(٢) البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٤٤) ومسلم (٢٤٥٥).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٠/ ١٦).

خامسا: نماذج عن السلف الصالح في العمل التطوعي

١- التطوع بالصدقات:

- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبَقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَاتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا. (١)

- وَعَنْ مَالِكِ الدَّارِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَذَ أَرْبَعَمِائَةَ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي صُرَّةٍ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ثُمَّ تَلَبَّثْ سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَذَهَبَ الْغُلَامُ إِلَيْهِ وَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذَا فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ. قَالَ: وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَى يَا جَارِيَةُ! اذْهَبِي بِهِذِهِ السَّبْعَةَ وَبِهِذِهِ الْخَمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ، وَبِهِذِهِ الْخَمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ حَتَّى أَفْقِدَهَا، فَزَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَتَلَبَّثْ فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ وَوَصَلَهُ، تَعَالَى يَا جَارِيَةُ! اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، فَاطْلَعَتْ امْرَأَةُ مُعَاذٍ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ نَحْنُ مَسَاكِينُ فَأَعْطِنَا وَلَمْ يَتَّقِ فِي الْخِزْفَةِ إِلَّا دِينَارَانِ فَرَمَى بِهِمَا إِلَيْهَا وَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخْبَرَهُ، فَسَرَّ بِذَلِكَ وَقَالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. (٢)

- وَعَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةٍ، قَالَ: لَمَّا عَزَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُعَاوِيَةَ عَنِ الشَّامِ، وَبَعَثَ سَعِيدَ بْنَ عَامِرٍ بْنِ حَذِيمٍ الْجُمَحِيِّ، فَخَرَجَ مَعَهُ بِجَارِيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَضِيرَةَ الْوَجْهِ، فَمَا لَبِثَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى أَصَابَتْهُ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَدَخَلَ بِهَا عَلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عُمَرَ بَعَثَ بِهِذِهِ، فَمَا تَرَيْنِ؟ قَالَتْ: لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ مِنْهَا إِدَامًا وَطَعَامًا. فَقَالَ لَهَا: أَوْ لَا أَذْذُكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ نُعْطِي هَذَا الْمَالَ مَنْ يَتَجَرُّ لَنَا فِيهِ فَنَأْكُلُ مِنْ رِبْحِهَا، وَصَاهُنَا عَلَيْهِ. قَالَتْ:

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٧٥)، وأبو داود (١٦٧٨)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٧٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٣ / ٢٠)، وابن المبارك في الزهد (٥١١)، وأبو نعيم في الحلية (١ / ٢٣٧).

فَنِعَمَ إِذَا. فَخَرَجَ فَاشْتَرَى طَعَامًا وَإِدَامًا وَاشْتَرَى بَعِيرَيْنِ وَغُلَامًا وَعَمَدًا إِلَى سَائِرِهَا فَفَرَّقَهَا فِي الْمَسَاكِينِ وَأَهْلِ الْحَاجَةِ، فَمَا لَبِثَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِنَّهُ نَفَذَ كَذَا وَكَذَا، فَلَوْ أَتَيْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَأَخَذْتَ لَنَا مِنَ الرَّبْحِ فَاشْتَرَيْتَ لَنَا مَكَانَهُ فَسَكَتَ عَنْهَا، ثُمَّ عَاوَدَتْهُ فَسَكَتَ عَنْهَا، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَدْخُلُ بِدُخُولِهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا تَصْنَعِينَ، إِنَّكَ قَدْ أَذَيْتِيهِ وَإِنَّهُ تَصَدَّقُ بِالْمَالِ، فَبَكَتْ، فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ، كَانَ لِي أَصْحَابٌ فَارُقُونِي قَرِيبًا، مَا أُحِبُّ أَنِّي احْتَبَسْتُ عَنْهُمْ وَأَنَّ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ خَيْرَةً مِنْ خَيْرَاتِ حِسَانٍ أَطْلَعْتُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ لَهَا الْأَرْضُ، وَلَفَلَقَ ضَوْءُ وَجْهِهَا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَلَنْصِيفُ ثُكْسَاهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَأَنْتِ فِي نَفْسِي آخَرَى أَنْ أَدْعَكَ هُنَّ مِنْ أَنْ أَدْعَهُنَّ لَكَ، قَالَ: فَرَضِيَتْ. (١)

- وَعَنِ الْحَسَنِ: أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بَاعَ أَرْضًا لَهُ بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ، فَبَاتَ لَيْلَةً عِنْدَهُ ذَلِكَ الْمَالُ، فَبَاتَ أَرْقًا مِنْ مَخَافَةِ ذَلِكَ الْمَالِ حَتَّى أَصْبَحَ فَفَرَّقَهُ. (٢)

- وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: تَصَدَّقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشَطْرِ مَالِهِ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى خَمْسِمِائَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ عَلَى أَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةِ رَاحِلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَ عَامَّةُ مَالِهِ مِنَ التَّجَارَةِ. (٣)

- وَعَنْ سَعْدَى بِنْتِ عَوْفٍ الْمُرِّيَّةِ: " وَكَانَتْ حَلَّ إِزَارِ طَلْحَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ طَلْحَةُ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ خَائِرُ النَّفْسِ، فَقُلْتُ: مَا لِي أَرَاكَ كَالِحَ الْوَجْهِ؟ وَقُلْتُ: مَا شَأْنُكَ، أَرَأَيْكَ مَنِي شَيْءٌ فَأَعَيْنْتُكَ؟ قَالَ: لَا، وَلَنْعَمَ حَلِيلَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْتِ، قُلْتُ: فَمَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: الْمَالُ الَّذِي عِنْدِي قَدْ كَثُرَ وَأَكْرَبَنِي قُلْتُ: وَمَا عَلَيْكَ؟ أَقْسِمُهُ، قَالَتْ: فَقَسَمَهُ حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ. " قَالَ طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى: فَسَأَلْتُ خَازِنَ طَلْحَةَ: كَمْ كَانَ الْمَالُ؟ قَالَ: أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ. (٤)

(١) أخرجه أبو داود في الزهد (٣٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٤٤).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (١٢٩٣)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٨٥).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٢٩ / ٢٦٥)، وابن المبارك في الزهد (٥٢٠).

- وقالت أيضا: لَقَدْ تَصَدَّقَ طَلْحَةُ يَوْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، ثُمَّ حَبَسَهُ عَنِ الرِّوَاكِ إِلَى الْمَسْجِدِ أَنْ جَمَعْتُ لَهُ بَيْنَ طَرَفَيْ ثَوْبِهِ. ^(١)

- وعن سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: "كَانَ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - أَلْفُ مَمْلُوكٍ يُؤَدُّونَ إِلَيْهِ الْخِرَاجَ، وَكَانَ يَقْسِمُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ثُمَّ يَقُومُ إِلَى مَنْزِلِهِ لَيْسَ مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ". ^(٢)

- وعن نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ لَا يُعْجِبُهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ إِلَّا أَخْرَجَ مِنْهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: وَكَانَ رُبَّمَا تَصَدَّقَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا، قَالَ: وَأَعْطَاهُ ابْنُ عَامِرٍ مَرَّتَيْنِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، فَقَالَ: يَا نَافِعُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي دَرَاهِمُ ابْنِ عَامِرٍ، إِذْ هَبَ فَأَنْتَ حُرٌّ، وَكَانَ لَا يَدُمُ مِنَ اللَّحْمِ شَهْرًا إِلَّا مُسَافِرًا أَوْ فِي رَمَضَانَ، قَالَ: وَكَانَ يَمْكُثُ الشَّهْرَ لَا يَذُوقُ فِيهِ مُزْعَةَ لَحْمٍ.

- وعن نَافِعٍ، قَالَ: إِنْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَيَقْسِمُ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، ثُمَّ يَأْتِي عَلَيْهِ شَهْرٌ مَا يَأْكُلُ فِيهِ مُزْعَةَ لَحْمٍ. ^(٣)

- وعن مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي مَجْلِسٍ، فَلَمْ يَقُمْ حَتَّى فَرَاقَهَا.

- وعن نَافِعٍ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ مِائَةَ أَلْفٍ، فَمَا حَالَ الْحَوْلُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ.

- وعن أَيُّوبَ بْنِ وَائِلٍ الرَّاسِبِيِّ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ - جَارٌ لِابْنِ عُمَرَ - أَنَّهُ أَتَى ابْنَ عُمَرَ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ مِنْ قَبْلِ مُعَاوِيَةَ، وَأَرْبَعَةَ أَلْفٍ مِنْ قَبْلِ إِنْسَانٍ آخَرَ، وَالْفَانِ مِنْ قَبْلِ آخَرَ، وَقَطِيفَةٌ فَجَاءَ إِلَى السُّوقِ يُرِيدُ عِلْفًا لِأَرَاكِتِهِ بِدَرْهَمٍ نَسِيئَةً، فَقَدْ عَرَفْتُ الَّذِي جَاءَهُ، فَاتَيْتُ سَرِيئَتَهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ وَأَحِبُّ أَنْ تَصْدُقَنِي؟ قُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ أَتَتْ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ مِنْ قَبْلِ مُعَاوِيَةَ، وَأَرْبَعَةَ أَلْفٍ مِنْ قَبْلِ إِنْسَانٍ آخَرَ، وَالْفَانِ مِنْ قَبْلِ آخَرَ، وَقَطِيفَةٌ؟ قَالَتْ: بَلَى، قُلْتُ: فَإِنَّهُ يَطْلُبُ عِلْفًا بِدَرْهَمٍ نَسِيئَةً، قَالَتْ: مَا بَاتَ حَتَّى

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١ / ٨٨).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٢٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (١ / ٩٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣ / ١٧١٠)، وفي الحلية (١ / ٢٩٥).

فَرَقَهَا، فَأَخَذَ الْقَطِيفَةَ فَأَلْقَاهَا عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ ذَهَبَ فَوَجَّهَهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقُلْتُ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ مَا تَصْنَعُونَ بِالذُّنْيَا، وَابْنُ عُمَرَ أَتَتْهُ الْبَارِحَةَ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَصَحِّ، فَاصْبَحَ الْيَوْمَ يَطْلُبُ لِرَاحِلَتِهِ عَلَفًا بِدِرْهَمٍ نَيْسِيَّةً.

- وَعَنْ نَافِعٍ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ اشْتَكَى، فَاشْتَرَى لَهُ عُتُقُودٌ عَنَبٍ بِدِرْهَمٍ، فَجَاءَ مُسْكِينٌ، فَقَالَ: أَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَخَالَفَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ بِدِرْهَمٍ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَيْهِ فَجَاءَهُ الْمُسْكِينُ فَسَأَلَ، فَقَالَ: أَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَخَالَفَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ بِدِرْهَمٍ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَيْهِ فَجَاءَهُ الْمُسْكِينُ يَسْأَلُ، فَقَالَ: أَعْطُوهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ خَالَفَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ بِدِرْهَمٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ فَمَنَعَ، وَلَوْ عَلِمَ ابْنُ عُمَرَ بِذَلِكَ الْعُتُقُودِ مَا ذَاقَهُ. (١)

- عَنْ ابْنِ الْمُثَنَّدِ، عَنْ أُمِّ ذَرَّةَ، وَكَانَتْ تَغْشَى عَائِشَةَ قَالَتْ: بُعِثَ إِلَيْهَا بِهَالٍ فِي غِرَارَتَيْنِ قَالَتْ: أَرَاهُ ثَمَانِينَ أَوْ مِائَةَ أَلْفٍ فَذَعَتِ بِطَبْقٍ وَهِيَ يَوْمِئِذٍ صَائِمَةٌ، فَجَلَسَتْ تَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ، فَأُمْسَتْ وَمَا عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ دِرْهَمٍ فَلَمَّا أُمْسَتْ قَالَتْ: يَا جَارِيَةُ هَلُمِّي فِطْرِي فَجَاءَتْهَا بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ ذَرَّةَ: أَمَا اسْتَطَعْتَ مِمَّا قَسَمْتَ الْيَوْمَ أَنْ تَشْتَرِيَ لَنَا لَحْمًا بِدِرْهَمٍ نَفْطُرَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: لَا تُعَنِّفْنِي لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي لَفَعَلْتُ. (٢)

- وَعَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا تَقْسِمُ سَبْعِينَ أَلْفًا وَإِنَّمَا لَتُرْقِعُ جَيْبَ دِرْعِهَا. (٣)

- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، أَنَّهُ قَالَ: أَهْدَى مُعَاوِيَةَ لِعَائِشَةَ ثِيَابًا وَوَرَقًا وَأَشْيَاءَ تُوَضَعُ فِي أَسْطُوَانِهَا فَلَمَّا خَرَجَتْ عَائِشَةُ نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَبَكَتُ ثُمَّ قَالَتْ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَجِدُ هَذَا ثُمَّ فَرَّقَتْهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ وَعِنْدَهَا ضَيْفٌ فَلَمَّا أَفْطَرْتُ وَكَانَتْ تَصُومُ مِنْ بَعْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْطَرْتُ عَلَى خُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَمَرْتُ بِدِرْهَمٍ مِنَ الَّذِي أُهْدِيَ لَكَ

(١) انظر هذه الآثار أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٩٦، ٢٩٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢ / ٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣٥٨٨٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢ / ٤٧).

فأشترى لنا به لحم فاكلناه فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كُلي فوالله ما بقي عندنا منه شيء^(١).

- قال أبو زرعة: لو كان لي صحة بدن على ما أريد كنت أتصدق بهالي كله، وأخرج إلى طرسوس، أو إلى ثعر من الثغور، وأكل من المباحات وألزمها. ثم قال: إني لألبس الثياب؛ لكي إذا نظر إلى الناس لا يقولون: قد ترك أبو زرعة الدنيا ولبس الثياب الدون، وإني لأكل ما يقدم إلى من الطيبات والحلواء؛ لكي لا يقول الناس: إن أبا زرعة لا يأكل الطيبات لزهده، وإني لأكل الشيء الطيب وما مجراه عندي ومجرى غيره من الأدم إلا واحداً، وألبس الثياب الجياد، ودونه من الثياب عندي واحداً؛ لأن جميعاً يعملان عملاً واحداً، ومن أحب أن يسلم من لبسه الثياب؛ يلبسه لستر عورته، فإنه إذا نوى هذا ولم ينو غيره سلم^(٢).

- قال أبو النضر: كان شعبة إذا ركب مع قوم في زورق دفع كرى الزورق عن كلهم^(٣).

- وعن جابر بن زيد قال: لأن أتصدق بدرهم على يتيماً أو مسكيناً، أحب إلي من حجة بعد حجة الإسلام^(٤).

- وعن أصبغ بن زيد قال: كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح؛ وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح؛ وكان إذا أمسى: تصدق بما في بيته، من الفضل من الطعام والثياب؛ ثم يقول: اللهم، من مات جوعاً، فلا تؤاخذني به^(٥).

٢- التطوع بالنفقة على طلبة العلم:

(١) أخرج هذه الآثار كلها أبو نعيم في الحلية (٢ / ٤٧، ٤٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١ / ٣٤٨).

(٣) المصدر السابق (١ / ١٧٣).

(٤) المصدر السابق (٣ / ٩٠).

(٥) المصدر السابق (٢ / ٨٧).

كان يحيى بن خالد يُجْري عَلَى سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ كُلَّ شَهْرٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَكَانَ سُفْيَانُ يَدْعُو لَهُ فِي سَجُودِهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ كَفَانِي الْمُوْنَةَ وَفَرَّغَنِي لِلْعِبَادَةِ فَاكْفِهِ أَمْرَ آخِرَتِهِ. فَلَمَّا مَاتَ يَحْيَى رَأَتْ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي بِدَعَاءِ سُفْيَانَ. (١)

- قَالَ الْحَاكِمُ: دَعَلَجُ الْفَقِيهَةُ شَيْخُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِهِ، لَهُ صَدَقَاتٌ جَارِيَةٌ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ بِمَكَّةَ وَبَبْغَدَادَ وَسَجِسْتَانَ... قَالَ الْخَطِيبُ: كَانَ دَعَلَجٌ مِنْ ذَوِي الْيَسَارِ، لَهُ وَقُوفٌ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ. (٢)

- عَنْ يَحْيَى بْنِ بَكِيرٍ قَالَ: وَصَلَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ثَلَاثَةَ أَنْفُسٍ، بِثَلَاثَةِ آلَافٍ دِينَارٍ: احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ لُهِيعَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفٍ دِينَارٍ. وَحَجَّ، فَأَهْدَى إِلَيْهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَطْبًا عَلَى طَبَقٍ، فَرَدَّ إِلَيْهِ عَلَى الطَّبَقِ أَلْفَ دِينَارٍ. وَوَصَلَ مَنْصُورُ بْنُ عِمَارٍ الْقَاضِي بِأَلْفٍ دِينَارٍ، وَقَالَ: لَا تَسْمَعُ هَذَا ابْنِي، فَتَهْوَنَ عَلَيْهِ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ شُعَيْبُ بْنُ اللَّيْثِ، فَوَصَلَهُ بِأَلْفٍ دِينَارٍ إِلَّا دِينَارًا، وَقَالَ: إِنَّمَا نَقَصْتُكَ هَذَا الدِّينَارَ، لِثَلَاثِ أَساوِي الشَّيْخِ فِي عَطِيَّتِهِ. (٣)

٣- تطوعهم بالنفقة لنصرة الإسلام والمسلمين :

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ " فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. (٤)

ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّوَارِيخِ وَالسِّيَرِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ... كَانَ يَمْلِكُ يَوْمَ أُسْلِمَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَكَانَ يَعْتَقُ مِنْهَا وَيَقْوِي الْمُسْلِمِينَ... (٥)

* عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَوْصَى بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَكَانَ الرَّجُلُ يُعْطَى مِنْهَا أَلْفَ دِينَارٍ.

(١) البداية والنهاية (١٠ / ٢٠٥)، وانظر: إكمال تهذيب الكمال (٥ / ٣٩٠)

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦ / ٣١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧ / ٣٢٢).

(٤) أخرجه أحمد (٤٦٦ / ٧) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٥٩٠) والترمذي (٣٦٦١)، والنسائي في الكبرى

(٨٠٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧١٨).

(٥) صفة الصفوة (١ / ٩٢).

﴿وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَوْصَى لِلْبَدْرِيِّينَ، فَوَجِدُوا مِائَةَ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَ مِائَةَ دِينَارٍ، فَكَانَ مِنْهُمْ عُمَانٌ فَأَخَذَهَا.﴾

﴿وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَوْصَى بِأَلْفِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.﴾^(١)

﴿أَوْصَى الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِثُلْثِهِ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ أَوْصَى بِثُلْثٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَوْصَى بِثُلْثٍ لَوَلَدِهِ، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَدَّهُ عَلَى الْوَرَثَةِ.﴾^(٢)

٤- تطوعهم بمواساة المساكين واليتامى:

﴿عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ: أَنَّ امْرَأَةً ابْنِ عُمَرَ عُوْتِبَتْ فِيهِ، فَقِيلَ لَهَا: أَمَا تَلْطُفِينَ بِهَذَا الشَّيْخِ؟ فَقَالَتْ: فَمَا أَصْنَعُ بِهِ، لَا نَصْنَعُ لَهُ طَعَامًا إِلَّا دَعَا عَلَيْهِ مَنْ يَأْكُلُهُ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمَسَاكِينِ كَانُوا يَجْلِسُونَ بِطَرِيقِهِ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَأَطْعَمْتُهُمْ، وَقَالَتْ هُمْ: لَا تَجْلِسُوا بِطَرِيقِهِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى بَيْتِهِ، فَقَالَ: أَرْسَلُوا إِلَى فُلَانٍ وَإِلَى فُلَانٍ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ بِطَعَامٍ، وَقَالَتْ: إِنَّ دَعَائِكُمْ فَلَا تَأْتُوهُ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنَّ أَرَدْتُمْ أَنْ لَا أَتَعَشَى اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَتَعَشَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ.﴾

﴿عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَفْصٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَعَلَى خِوَانِهِ يَتِيمٌ. وَكَانَ إِذَا تَغَدَّى أَوْ تَعَشَّى دَعَا مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْيَتَامَى، فَتَغَدَّى ذَاتَ يَوْمٍ فَأَرْسَلَ إِلَى يَتِيمٍ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَكَانَتْ لَهُ سَوِيقَةٌ مُحَلَّاةٌ يَشْرِبُهَا بَعْدَ غَدَائِهِ، فَجَاءَ الْيَتِيمُ وَقَدْ فَرَّغُوا مِنَ الْغَدَاءِ وَبِيَدِهِ السَّوِيقَةُ لِيَشْرِبَهَا، فَنَاقَلَهَا إِلَيْهَا، وَقَالَ: خُذْهَا فَمَا أَرَاكَ غُبْنْتَ.﴾^(٣)

٥- تطوعهم بإطعام الناس:

﴿عَنِ ابْنِ سِيرِينَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَرْجِعُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى أَهْلِهِ بِثَمَانِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ يُعَشِّئُهُمْ.﴾^(٤)

(١) سير أعلام النبلاء (١ / ٩٠)

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣ / ٢٤١ / ٣٢٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٨١٤)، وانظر: سير

أعلام النبلاء (١ / ٢٦٨).

(٣) المصدر السابق (١ / ٢٩٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (١ / ٢٧٦).

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا نُسَمِّي جَعْفَرًا أَبَا الْمَسَاكِينِ، كَانَ يَذْهَبُ بِنَا إِلَى بَيْتِهِ، فَإِذَا لَمْ يَجِدْ لَنَا شَيْئًا، أَخْرَجَ إِلَيْنَا عُكَّةً أَثَرُهَا عَسَلٌ، فَشَقُّهَا، وَنَلْعَقُهَا. (١)

٦- تطوعهم بالقضاء بلا أجر:

* عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُثَنِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَسْرُوقٍ: "أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْخُذُ عَلَى الْقَضَاءِ أَجْرًا وَيَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةَ: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ} [التوبة: ١١١] " الْآيَةَ. (٢)

* وَعَنْ حُوَيْطِبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، أَخْبَرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّعْدِيِّ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَمْ أُحَدِّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا، فَإِذَا أُعْطِيََتِ الْعُمَالَةُ كَرِهَتَهَا؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ؟، قُلْتُ: إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبَدًا وَأَنَا بِخَيْرٍ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، قَالَ عُمَرُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا، فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: خُذْهُ، فَتَمَوَّلْهُ، وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَإِلَّا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ. (٣)

* وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ؛ قَالَ: أَرْسَلَ عَدِي بْنُ أَرْطَاةٍ إِلَى الْحَسَنِ بِمِائَتِي دِرْهَمٍ، فَرَدَّهَا فَزَادَهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ: إِنِّي لَمْ أَرُدَّهَا اسْتِقْلَالًا لَهَا، وَلَكِنِّي لَا أَخْذُ عَلَى الْقَضَاءِ أَجْرًا. (٤)

٧- تطوعهم بخدمة ضعفاء وعجائز المسلمين:

* عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، فَرَأَاهُ طَلْحَةُ، فَذَهَبَ عُمَرُ فَدَخَلَ بَيْتًا، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتًا آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ طَلْحَةُ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ؛ فَإِذَا بِعَجُوزٍ عَمِيَاءٍ مُقْعَدَةٍ،

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢١٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٢٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٦٣).

(٤) أخبار القضاة (٨/ ٢).

فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى. قال طلحة: ثكلتك أمك طلحة أعثرات عمر تتبع؟^(١)

* عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ زُبَيْدٍ، قَالُوا لَهُ: مَنْ ذَكَرْتَ يَا أَبَا سُفْيَانَ؟ قَالَ: ذَكَرْتُ زُبَيْدًا بْنَ الْحَارِثِ الْيَامِي، أَتَدْرُونَ مَنْ كَانَ زُبَيْدٌ؟ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَيَّامٍ، وَكَانَتْ لَهُ شَاةٌ دَاجِنٌ فِي الْبَيْتِ لَهَا بَعْرٌ كَثِيرٌ فَقَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكُلِّ بَعْرَةٍ مِنْهَا دِرْهَمًا، وَكَانَ زُبَيْدٌ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ مَطِيرَةٌ أَضَاءَ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ فَطَافَ عَلَى عَجَائِزِ الْحَيِّ فَقَالَ: أَوْكِفْ عَلَيْكُمُ الْبَيْتَ، أَتُرِيدُونَ نَارًا؟ ، فَإِذَا أَصْبَحَ طَافَ عَلَى عَجَائِزِ الْحَيِّ وَيَقُولُ: أَلَكُمُ فِي السُّوقِ حَاجَةٌ، أَتُرِيدُونَ شَيْئًا؟^(٢)

(١) صفة الصفوة (١/ ١٠٥-١٠٦)

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥ / ٣١).

٨- تطوعهم بسداد ديون المعسر من المسلمين:

✽ عن أحمد بن الحسين الواعظ، قال: أودع أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي عشرة آلاف دينارٍ لِيَنِيْمٍ، فضاقت يدهُ، فأنفقها، وكبر الصبيُّ، وأذن له في قبض ماله. قال ابن أبي موسى: فضاقت عليَّ الأرض، وتحيرت، فبكرت على بغلي، وقصدت الكرخ، فانتَهت بي البغلةُ إلى درب السلويِّ، ووقفت بي على باب مسجدٍ دعلج، فدخلت فصليتُ خلفه الفجر، فلما انفتل رَحَبَ بي، وقمنا فدخلنا داره، فقدمت لنا هريسةً، فأكلت وقصرت، فقال: أراك مُتَقَبِّضًا؛ فأخبرتهُ، فقال: كُلْ فَإِنَّ حاجتك تُقْضَى، فلما فرغنا، استدعى بالذهب والميزان، فوزن لي عشرة آلاف دينارٍ. وقمتُ أطيُرُ فرحًا، فوضعتُ المالَ على القربوس، وعطيتهُ بطيلسانِي، ثم سلّمتُ المالَ إلى الصبيِّ بحضرة قاضي القضاة، . . (١)

٩- تطوعهم بصلات جزيلة لإخوانهم ولو كانوا أغنياء:

عن طلحة بن عبيد الله: أَنَّهُ أَتَاهُ مَالٌ مِنْ حَضَرَمَوْتَ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ، فَبَاتَ لَيْلَتَهُ يَتَمَلَّمُ. فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: مَا لَكَ؟. قَالَ: تَفَكَّرْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ، فَقُلْتُ: مَا ظَنُّ رَجُلٍ بِرَبِّهِ يَبِيْتُ وَهَذَا الْمَالُ فِي بَيْتِهِ؟. قَالَتْ: فَإِنَّ أَنتَ عَنْ بَعْضِ أَخْلَاقِكَ؟ فَإِذَا أَصْبَحْتَ، فَادْعُ بِجِفَانٍ وَقِصَاعٍ، فَتَسْمُهُ. فقال لها: رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنَّكَ مُوَفِّقَةٌ بِنْتُ مُوَفِّقٍ، وَهِيَ أُمُّ كُلُّثُومَ بِنْتُ الصَّدِّيقِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ، دَعَا بِجِفَانٍ، فَتَسَمَّهَا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَبَعَثَ إِلَى عَلِيٍّ مِنْهَا بِجِفْنَةٍ. فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: أَبَا مُحَمَّدٍ! أَمَا كَانَ لَنَا فِي هَذَا الْمَالِ مِنْ نَصِيبٍ؟ قَالَ: فَإِنَّ كُنْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ؟ فَشَأْنُكَ بِمَا بَقِيَ. قَالَتْ: فَكَأَنْتَ صُرَّةٌ فِيهَا نَحْوُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. (٢)

(١) سير أعلام النبلاء (١٦ / ٣٣).

(٢) المصدر السابق (١ / ٣٠-٣١).

✽ وعن جعفر، قال: حدثنا بعض أصحابنا قال: كان موركق يتجر فيصيب المال فلا تأتي عليه جمعة وعنده منه شيء، يلقي الأخ فيعطيه أربعين، خمسين، ثلاثين فيقول: ضعها عندك حتى تحتاج إليها، ثم يلقاه بعد ذلك فيقول: شألك بها، فيقول الأخ: لا حاجة لي فيها، فيقول: إنا والله ما نحن بأخذها أبداً فشألك بها.

رواه حماد بن زيد عن جميل، عن موركق مثله، وقال: كره أن يعطيهم على وجه الصدقة. (١)

١٠- تطوعهم بإقراض إخوانهم المسلمين:

✽ عن طلحة بن عبد الله بن عوف، قال: كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف: ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضي دينهم، ويصل ثلثاً. (٢)

١١- تطوعهم بقضاء ديون أقاربهم وكفاية الفقراء منهم:

✽ عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: كان طلحة يغل بالعراق أربع مائة ألف، ويغل بالسراة عشرة آلاف دينار، أو أقل، أو أكثر، وبالأعراض له غلات، وكان لا يدع أحداً من بني تميم عائلاً إلا كفاه، وقضى دينه، ولقد كان يرسل إلى عائشة إذا جاءت غلته كل سنة بعشرة آلاف، ولقد قضى عن فلان التيمي ثلاثين ألفاً.

✽ عن عثمان بن عبد الرحمن: أن طلحة بن عبيد الله قضى عن عبيد الله بن معمر، وعبد الله بن عامر بن كرز ثمانين ألف درهم. (٣)

١٢- تطوعهم بما يحبون من أموالهم:

✽ عن نافع، قال: كان ابن عمر إذا اشتد عجه بشيء من ماله قربته لربه عز وجل، قال نافع: وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحداهم فيلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر رضي الله تعالى عنه على تلك الحالة الحسنة اعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم إلا أن يمدعوك، فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله عز وجل تخدعنا له، قال نافع: فلقد رأيتنا

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢ / ٢٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١ / ٨٨).

(٣) المصدر السابق (١ / ٣٢-٣٣).

ذات عَشِيَّةٍ وَرَاحَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى نَجِيبٍ لَهُ قَدْ أَخَذَهُ بِإِلٍ عَظِيمٍ، فَلَمَّا أَعْجَبَهُ سَيْرُهُ أَنَاخَهُ مَكَانَهُ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا نَافِعُ انْزِعُوا زِمَامَهُ وَرَحْلَهُ وَجَلِّلُوهُ وَأَشْعِرُوهُ، وَأَدْخِلُوهُ فِي الْبَدَنِ.

* عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ عَلَى نَاقَتِهِ - يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ - إِذْ أَعْجَبَتْهُ، فَقَالَ: إِنْخُ، فَأَنَاخَهَا ثُمَّ قَالَ: يَا نَافِعُ حُطَّ عَنْهَا الرَّحْلُ، فَكُنْتُ أَرَى أَنَّهُ لَشَيْءٍ يُرِيدُهُ - أَوْ لَشَيْءٍ رَابَهُ مِنْهَا - فَحَطَطْتُ الرَّحْلَ، فَقَالَ لِي: انْظُرْ هَلْ تَرَى عَلَيْهَا مِثْلَ رَأْسِهَا؟ فَقُلْتُ: أُنْشِدُكَ إِنَّكَ إِنْ شِئْتَ بِعَتَهَا وَاشْتَرَيْتَ بِثَمَنِهَا، قَالَ: فَحَلَّلَهَا وَقَلَّدَهَا، وَجَعَلَهَا فِي بَدْنِهِ، وَمَا أَعْجَبَهُ مِنْ مَالِهِ شَيْءٌ قَطُّ إِلَّا قَدَّمَهُ.

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَعْتَقَ جَارِيَتَهُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا رَمِيثَةُ، وَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢]، وَإِنِّي وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَجِبُكَ فِي الدُّنْيَا، أَذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ لِرَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

* عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ نَزَلَ الْجُحْفَةَ - وَهُوَ شَاكٍ - فَقَالَ: إِنِّي لَأَشْتَهِي حَيَاتَنَا، فَالْتَمَسُوا لَهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا حُوتًا وَاحِدًا، فَأَخَذَتْهُ امْرَأَتُهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي عُبَيْدٍ فَصَنَعَتْهُ، ثُمَّ قَرَّبَتْهُ إِلَيْهِ، فَأَتَى مَسْكِينٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: خُذْهُ، فَقَالَ أَهْلُهُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قَدْ عَنَيْتَنَا وَمَعَنَا زَادَ نُعْطِيهِ، فَقَالَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ يُحِبُّهُ. (١)

١٣- تطوعهم ببناء المساجد وتوسيعها وحفر الآبار:

* عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أُنْشِدُكُمُ اللَّهَ، وَلَا أُنْشِدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿مَنْ حَفَرَ رُومَةً فَلَهُ الْجَنَّةُ﴾؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ﴾؟ فَجَهَّزْتُهُمْ، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ (٢).

* عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَشْرَفَ عُثْمَانُ مِنَ الْقَصْرِ، وَهُوَ مَحْصُورٌ، فَقَالَ: أُنْشِدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حِرَاءٍ، إِذْ اهْتَزَّ الْجَبَلُ، فَرَكَلَهُ بِقَدَمِهِ، ثُمَّ قَالَ:

(١) أخرج هذه الآثار أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٩٤ - ٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً (٢٧٧٨) ووصله الحافظ في تعليق التعليق وذكر من وصله هناك (٤٢٨/٣).

اسْكُنْ حِرَاءً، لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صَدِيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ، وَأَنَا مَعَهُ؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: أَنْشُدْ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، إِذْ بَعَثَنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ، إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: هَذِهِ يَدَيَّ، وَهَذِهِ يَدُ عُمَرَ، فَبَاعَ لِي؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: أَنْشُدْ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ يُوسِّعُ لَنَا هَذَا الْبَيْتَ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَتِ لَهُ فِي الْجَنَّةِ؟ فَابْتَعْتُهُ مِنْ مَالِي، فَوَسَّعْتُ بِهِ الْمَسْجِدَ؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: وَأَنْشُدْ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ جَيْشِ الْعُسْرَةِ، قَالَ: مَنْ يُنْفِقُ الْيَوْمَ نَفَقَةً مُقَبَّلَةً؟ فَجَهَزْتُ نِصْفَ الْجَيْشِ مِنْ مَالِي؟ قَالَ: فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، وَأَنْشُدْ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رُومَةَ يُبَاعُ مَاؤُهَا ابْنُ السَّبِيلِ، فَابْتَعْتُهَا مِنْ مَالِي، فَابْتَحْتُهَا ابْنَ السَّبِيلِ؟ قَالَ: فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ. ^(١)

١٤- تطوعهم في سبيل الله:

* عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ: أَوَلُكُنَّ تَتَّبِعُنِي أَطُولُكُنَّ يَدًا، فَكُنَّا إِذَا اجْتَمَعْنَا بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَمُدُّ أَيْدِيَنَا فِي الْحَائِطِ نَتَطَاوُلُ فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى تُوَفِّيَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَكَانَتْ امْرَأَةً قَصِيرَةً وَلَمْ تَكُنْ أَطُولَنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ بِطُولِ الْيَدِ الصَّدَقَةَ وَكَانَتْ امْرَأَةً صَنَاعًا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَتَصَدَّقُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ^(٢)

* قَالَ جُوَيْرِيَةُ بِنُ أَسْمَاءَ: بَاعَ الزُّبَيْرُ دَارًا لَهُ بِسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! غُبِنْتَ. قَالَ: كَلَّا، هِيَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ^(٣)

* عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: بَاعَ ابْنُ عُمَرَ أَرْضًا لَهُ بِمِائَتِي نَاقَةٍ، فَحَمَلَ عَلَى مِائَةٍ مِنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاشْتَرَطَ عَلَى أَصْحَابِهَا أَنْ لَا يَبِيعُوا حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهَا وَادِيَ الْقَرْيِ. ^(٤)

١٥- تطوعهم بالنفقة على الفقراء والصالحين:

(١) أخرجه أحمد (٤٢٠)، والنسائي (٣٦٠٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٠)، ومسلم (٢٤٥٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٧ / ١).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٩٦ / ١).

﴿عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ الْمِسُورِ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، بَاعَ أَرْضًا لَهُ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَسَمَهُ فِي فَقَرَاءِ بَنِي زُهْرَةَ، وَفِي الْمُهَاجِرِينَ، وَأُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ الْمِسُورُ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ بِنَصِييْهَا، فَقَالَتْ: مَنْ أَرْسَلَ بِهَذَا؟ فَقُلْتُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَتْ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: " لَا يَخْنُو عَلَيْكَ بَعْدِي، إِلَّا الصَّابِرُونَ "، سَقَى اللَّهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ. (١)

١٦- تطوعهم لحراسة تجار المسلمين من اللصوص:

﴿عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: قَدِمْتُ رِفْقَةً مِنَ التُّجَّارِ، فَنَزَلُوا الْمُصَلَّى، فَقَالَ عَمْرُو لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: هَلْ لَكَ أَنْ نَحْرُسَهُمُ اللَّيْلَةَ؟ فَبَاتَا يَحْرُسَانِهِمْ، وَيُصَلِّيَانِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمَا. فَسَمِعَ عَمْرُو بَكَاءَ صَبِيٍّ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ، فَقَالَ لِأُمِّهِ: اتَّقِ اللَّهَ، وَأَحْسِنِي إِلَى صَبِيِّكَ. ثُمَّ عَادَ إِلَى بَكَائِهِ، فَسَمِعَ بَكَاءَهُ، فَعَادَ إِلَى أُمِّهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ، وَأَحْسِنِي إِلَى صَبِيِّكَ. ثُمَّ قَالَ لَهَا: إِنِّي لِأَرَاكَ أُمَّ سَوْءٍ، مَا لِي أَرَى ابْنَكَ لَا يَقِرُّ؟! قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، قَدْ أَبْرَمْتَنِي مِنْذُ اللَّيْلَةِ، إِنِّي أُرِيغُهُ عَنِ الْفِطَامِ فَيَأْبَى. قَالَ: وَلَمْ؟ قَالَتْ: لِأَنَّ عَمْرًا لَا يَفْرُضُ إِلَّا لِلْفُطُمِ. قَالَ: وَكَمْ لَهُ؟ قَالَتْ: كَذَا وَكَذَا شَهْرًا. قَالَ: وَيَحْكُ لَا تُعْجِلِيهِ! فَصَلَّى الْفَجْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: بُؤْسًا لِعَمْرٍ، كَمْ قَتَلَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ! ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: لَا تُعْجِلُوا صَبِيَانَكُمْ عَنِ الْفِطَامِ، فَإِنَّا نَفْرِضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ. وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْآفَاقِ. (٢)

١٧- تطوعهم بتذكيرهم السلاطين حقوق الرعية عليهم:

(١) أخرجه أحمد (٢٤٧٢٤) والطبراني في الأوسط (٩١١٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٥٦/٩): رَوَاهُ

الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وانظر الصحيحة للألباني (٣٣١٨)

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤ / ٣٥٥)، وصفة الصفوة (١ / ١٠٦)، و مسند الفاروق لابن كثير (٢ /

✽ قال أحمد بن حنبل: دخل سفيان بن عيينة على معن بن زائدة وهو باليمن، ولم يكن سفيان تالطخ بشئ من أمر السلطان بعد، فجعل سفيان يعظه ويذكر له أمر المسلمين، فجعل معن يقول له: أبوهم أنت؟ أخوهم أنت؟ (١)

✽ قال عبد الرزاق: قدمنا مكة، وقدمها الذي يقال له: المهدي، فحضرت الشوري وقد خرج من عنده وهو مغضب فقال: أدخلت أنفا على ابن أبي جعفر، فقال لي: يا أبا عبد الله طلبناك فأعجزتنا، فأمكننا الله منك في أحب المواضع إليه، فارفع إلينا حوائجك؟ قال: فقلت: وأي حاجة تكون لي إليك وأولاد المهاجرين وأولاد الأنصار يموتون خلف بابك جوعاً؟

فقال لي أبو عبيد الله: يا أبا عبد الله لا تكثر الفضول واطلب حوائجك من أمير المؤمنين، فقلت: مالي إليه من حاجة، لقد أخبرني إسماعيل بن أبي خالد أن عمر بن الخطاب حج، فقال لصاحب نفقته كم أنفقنا في حجنا هذا؟ قال: اثنا عشر ديناراً، قال: أكثرنا، أكثرنا، أو قال: أسرفنا أسرفنا، وعلى أبوابكم أمور لا تقوم لها الجبال الراسيات.

قال فقال لي ابن أبي جعفر: يا أبا عبد الله أفرأيت إن لم أقدر أن أوصل إلى كل ذي حق حقه فما أصنع؟ قال: تفر بدينك، وتلزم بيتك، وتترك الأمر ومن يقدر أن يوصل إلى كل ذي حق حقه، قال فسكت، وقال لي أبو عبيد الله أراك تكثر الفضول إن كانت لك حاجة فاطلبها وإلا فانصرف، قال فانصرف. (٢)

✽ عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي نعيم: إن الفريابي ذكر أن سفيان دخل على أبي جعفر بمنى فقال: اتق الله فإنك إنما أنزلت هذه المنزلة بأسيايف المهاجرين والأنصار، وأبنائهم يموتون جوعاً وهزلاً، حج عمر بن الخطاب فبلغت نفقته ستة عشر ديناراً وأنت فيما أنت، قال فتأمر أن أكون مثلك؟ قال لا، تكون دون ما أنت فيه وفوق ما أنا فيه، قال فأخرجت. (٣)

١٨ - تطوعهم بالشفاعة لقضاء الحاجة:

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٥٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ١١٠).

(٣) المصدر السابق (١/ ١١٣).

✽ عن الوليد بن مزيد، عن الأوزاعي أنه كتب إلى أبي عبيد الله وزير الخليفة:

أما بعد، قسم الله لك ولما أنت فيه عاصما من سخطه، ونية تعمل عليها، وتؤدي بها حق من يلزمك فيها وجدت السبيل إليه طلب الفرج عنه إذا استغاث بك، وكنت رجاءه في نفسه بإذن الله، وأنه لا يزال من أولئك متوسل بي إليك فلا آلوک فيه نصحا، وعند العقاب ومعينة الحساب لا تستكثر عملا، ولا تستقل ذنبا فألهمك الله ذكره وطلب الوسيلة عنده.

ثم إن يزيد بن يحيى الخشني في حبس أمير المؤمنين أصلحه الله، وكان من أعوان بن الأزرق ولم يبلغني عنه سوء قرف به، وقد طالت إقامته فيه، فإن رأيت رحمك الله أن يكون من المهدي كتاب إلى أمير المؤمنين أصلحه الله فيه يذكر من أمره ما نرجو تخلصه به مما هو فيه من ضرر الحبس فعلت. أعانك الله على الخير وجعله أغلب الأمور عليك، وآثرها عندك، والسلام عليك ورحمة الله. (١)

✽ رسالة الأوزاعي إلى المهدي ابن أمير المؤمنين في شفاعة لأهل مكة في تقويتهم:

عن الوليد بن مزيد عن الأوزاعي أنه كتب إلى المهدي: أما بعد فإن الله عز وجل جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعده من ولادة المؤمنين إماما وقُدوةً وأُسوةً حَسَنَةً في رَحْمَتِهِ بِأَمَّتِهِ وَالرَّافَةِ عَلَيْهِمْ وَخَفَضِ جَنَاحِهِ لَهُمْ في عَفْوِهِ عَنْهُمْ، قال الله عز وجل في صفة رسوله (بالمؤمنين رؤف رحيم)، فأسأل الله أن يعزِمَ لأمير المؤمنين والأمير على الصبر بالتَّشَبُّهِ بنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاعتصام بسنته ومنافسة الأخيار أعمال البر، وَيَجْعَلَ ثَوَابَهُمَا في يَوْمِ الْبَعْثِ الْآمِنِ وَالْإِفْضَاءِ إلى رضوان الله عز وجل.

وَقَدْ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ حَفِظَهُ اللهُ مِنْ خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ بِحَالِ الْأَمِينِ الْمُصَدِّقِ، إِنَّ شَكَالَ مَنْ مَسَّهُ الضَّرُّ مِنْ أُمَّتِهِ لَمْ يَتَّهَمْ نُصْحَهُ وَلَمْ يُجِبْهُ قَوْلُهُ، وَإِنْ دَافَعَ عَنْهُمْ رَهَقًا أَوْ طَلَبَ لَهُمْ عَفْوًا أَخَذَ بِقَلْبِ الْخَلِيفَةِ تَوْفِيقُهُ، وَأَحْدَثَ لَهُ بِمَا الْقَى إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ سُورًا إِنْ شَاءَ اللهُ، فَجَعَلَ اللهُ الْأَمِيرَ لِأُمَّتِهِ أَمْنَةً وَمَالًا وَرِضَاهُمْ بِهِ وَاحِدًا بِأَفْتَدَتِهِمْ إِلَيْهِ.

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١٨٧).

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَانِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ مَقَانِعِ أَهْلِ مَكَّةَ كِتَابٌ يَذْكُرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ مِنْ غَلَاءِ أَسْعَارِهِمْ، وَقِلَّةِ مَا بَأْيَدِهِمْ مُنْذُ حُسِّ عَنْتِهِمْ بَحْرُهُمْ وَاجْدَبَ بَرُّهُمْ، وَهَلَكَتْ مَوَاشِيهِمْ هَزْلاً، فَالْحِنْظَةُ فِيهِمْ مُدَّانٍ بِدَرِّهِمْ، وَالذَّرَّةُ مُدَّانٍ وَنِصْفُ بِدَرِّهِمْ، وَالزَّيْتُ مُدُّ بِدَرِّهِمْ، ثُمَّ هُوَ يَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ غَلَاءً، وَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِفَرَجٍ عَاجِلٍ لَمْ يَصِلْ كِتَابِي حَتَّى يَهْلِكَ عَامَّتُهُمْ أَوْ بَعْضُهُمْ جُوعاً، وَهُمْ رَعِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ وَالْمَسْتُورُ عَنْهُمْ.

وَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ الزُّهْرِيَّ يَقُولُ إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ وَكَانَتْ سَنَةً شَدِيدَةً مُلِحَّةً مِنْ بَعْدِ مَا اجْتَهَدَ فِي إِمْدَادِ الْأَعْرَابِ بِالْإِبِلِ وَالْقَمَحِ وَالزَّيْتِ مِنَ الْأَرْيَافِ كُلِّهَا حَتَّى بُلِحَتْ مِمَّا أَجْهَدَهَا، قَامَ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَرْزَاقَهُمْ عَلَى رَعْوَسِ الظَّرَابِ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ فَأَغَاثَ عِبَادَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُفْرِجْهَا مَا تَرَكْتُ أَهْلَ بَيْتِ لَهْمٍ سَعَةً إِلَّا أَذْخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَعْدَادَهُمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ اثْنَانِ يَهْلِكَانِ مِنَ الطَّعَامِ عَلَى مَا يُقِيمُ الْوَاحِدَ، فَبَلَّغْنَا أَنَّهُ حُمِلَ إِلَى عُمَرَ مِنْ مِصْرَ وَحَدَّثَهَا الْفُوفَ إِرْدَبً.

وَبَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: هَلْ عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ تَبِيتَ فِصَالَهُ رَوَاءَ وَجَارِهِ طَاوٍ إِلَى جَنْبِهِ؟ فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ أَنْ يُلَحَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِغَاثَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَمَنْ حَوْكُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي بَرِّهِ وَبَحْرِهِ بِحَمْلِ الطَّعَامِ وَالزَّيْتِ إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِهَلَاكِ أَحَدٍ مِنْهُمْ جُوعاً فَعَلَّ.

وقد حدثني داود بن علي أن عمر بن الخطاب قال: لو هلكت شاة على شاطئ الفرات ضياعاً ظننت أن الله عز وجل سيسألني عنها.

وإنما الأمر واحد، وكل من العدل في الحكم عليه يوم القيامة مشفق إلا أن يعفو الله عز وجل ويرحم، وهي أمتكم وأحق من خلفتم فيها بالعفو والرفقة رسول الله ﷺ، ألحقكم الله به مصلحين وأوردكم عليه بإحسان والسلام. (١)

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١٩٢).

*رسالة الأوزاعي إلى أمير المؤمنين شفاعته في زيادة أرزاق أهل الساحل:

عن الوليد بن مزيد عن الأوزاعي أَنَّهُ كَتَبَ: أَمَّا بَعْدُ، وَلِيَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أُمُورَهُ بِمَا وَلِيَ بِهِ أُمُورَ مَنْ هَدَى وَاجْتَبَى، وَجَعَلَهُ بِهِمْ مُقْتَدِيًا؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ كَتَبَ إِلَيَّ أَلَا أَدْعُ إِعْلَامَهُ كُلَّمَا فِيهِ صَلَاحٌ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْزِي عَلَى مَنْ عَمِلَ بِهِ، وَيُحْسِنُ عَلَيْهِ الثَّوَابَ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُلْهِمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ مَا يُبْلِغُهُ بِهِ عَمُّهُ وَرِضْوَانَهُ فِي دَارِ الْخُلُودِ.

وَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَفِظَهُ اللَّهُ قَصَرَ بِأَهْلِ السَّاحِلِ عَلَى عَشْرَةِ دَنَانِيرَ فِي كُلِّ عَامٍ سَلَفًا مِنْ عَطِيَّاتِهِمْ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ إِنْ نَظَرَ فِي ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي عَشْرَةِ دَنَانِيرَ لَا مَرِيءَ ذِي عِيَالٍ عَشْرَةَ أَوْ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ كِفَافٌ وَإِنْ قَوَّتْ عَشْرَةٌ وَقَتَّرَ عَلَى عِيَالِهِ، فَمَا جَمَعَ الرَّجُلُ عَشْرَتَهُ فِي غَلَاءِ السَّعْرِ فِي شِرَاءِ طَعَامٍ لِعِيَالِهِ مَا يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا ثُمَّ يُدَانُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي إِدَامِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ النِّفَقَةِ عَلَيْهِمْ فِي عَشْرَةِ لِقَابِلٍ، وَلَوْ أَجْرَى عَلَيْهِمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ فِي أَعْطِيَّاتِهِمْ سَلَفًا فِي كُلِّ عَامٍ خَمْسَةَ عَشَرَ دِينَارًا مَا كَانَ فِيهَا عَنْ مُصْلِحِ ذِي عِيَالٍ فَضْلٌ وَلَا قَدْرٌ كِفَافٍ، وَأَهْلُ السَّاحِلِ بِمَنْزِلٍ عَظِيمٍ غَنَاؤُهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَمِرُّ لِبُعُوثِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فصول إلى ثُغُورِهِ وَلَا سِيَاحَةٍ فِي بِلَادِ عَدُوِّهِمْ حَتَّى يَكُونَ مِنْ وَرَاءِ بَيْضَتِهِمْ وَأَهْلُ ذِمَّتِهِمْ بِسَوَاحِلِ الشَّامِ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَدُوًّا إِنْ هَجَمَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّهُمْ إِذَا كَانَ الْقَيْظُ تَنَاقَبُوا الْحَرَسَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ رَجَالًا وَرُكْبَانًا، وَإِذَا كَانَ الشِّتَاءُ قَاسُوا طُولَ اللَّيْلِ وَقَرَّهُ وَوَحْشَتَهُ حَرَسًا فِي الْبُرُوجِ، وَالنَّاسُ خَلَفَهُمْ فِي أَجْنَادِهِمْ فِي الْبُيُوتِ وَالْأَدْفَاءِ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَفِظَهُ اللَّهُ أَنْ يَأْمُرَ لَهُمْ فِي أَعْطِيَّاتِهِمْ قَدْرَ الْكِفَافِ وَيُجْزِيَهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ عَامٍ فَعْلًا، وَقَدْ تَصَرَّ مَتِ السَّنَةِ الَّتِي كَانَتْ تَاتِيهِمْ فِيهَا عَشْرَاتِهِمْ وَدَخَلُوا فِي غَيْرِهَا حَتَّى اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُمْ، وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ضُرُّهَا، وَهُمْ رَعِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَسْئُولُ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّهُ لَحَبِيبٌ إِلَيَّ أَنْ أَفَارِقَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي نَفْسِهِ وَلَا مَالِهِ، أَتَمَّ اللَّهُ عَلَى الْأَمِيرِ نِعْمَتَهُ وَأَحْسَنَ بَلَاءَهُ فِي رَعِيَّتِهِ.

وَقَدْ قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ بِالْعَطِيَّةِ مِنَ التَّقَةِ وَالْكِسْوَةِ الَّتِي أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَافَاهُ اللَّهُ بِقَسْمِهَا فِي أَهْلِ السَّاحِلِ فَقَسَمْنَاهَا فِيهِمْ مِنْ دِينَارٍ لِكُلِّ رَجُلٍ وَدِينَارَيْنِ، وَقَلَّ الْمَالُ عَنِ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ فَلَمْ يُقَسَّمْ فِيهِمْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلِلْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ وَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ فِي الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَمِنْ خُمْسِ الْمَغَانِمِ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ بِهَا يُقَسَّمُ فِيهِمْ فَعَلَّ، جَعَلَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَسُولِهِ ﷺ مُتَشَبِّهًا فِي رَافَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَتَمَّ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ وَمُعَافَاتَهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. ^(١)

رسالة الأوزاعي إلى سليمان بن مجالد في التعطف بالمكتوب عند الخليفة في التماس الفداء لأهل قاليقلا:

عن الوليد بن مزيد عن الأوزاعي أنه كتب إلى سليمان بن مجالد: أما بعد، فإننا وإن لم يكن جمعنا وإياك تلاق ولا بدء كتاب كنا على تواصل منه، لم يبطئ منا عنك ما يجد المسلم من البشر لإخوانه، وإن كانت الآفاق بهم مفترقة فإن الألفة بحمد الله جامعة، وروح الله يجرى بين عبادِهِ، فنسأل الله أن يجعلك وإيانا من نعمته في ذات بيننا على توفيق يدخلنا به برحمته في عباده الصالحين. ثم إنه ينبغي لمن نعشه الله من الجهل وأفضل عليه بمعرفة ما نفع من الأمور وما ضر منها أن يتوقى إهمال نفسه ورفض السعي بالنصيحة لله عز وجل في عباده.

وإنك من الحق بسبب معرفة به وبنعمة من حجة الله عندك وبمكان ممن إليه جماع أمر أمة محمد ﷺ فلا تدافع ما أنت مسئول عنه، إن رأيت أن دونه قرابة أو لطف بطانة إذا كان بموقع من الحجاب عنه موضوع، ومن أن قال لم يتهم، وإن خولف لم يستغش فإن عذر عليه أمر في موطن أدرك غيره في سواه.

وقد رأيت أن أكتب إليك في أمر رأيته لك له موضعا، وأرجو أن تكون بما عليك فيه من الحق عالما إن شاء الله، إن ترك لن يؤمن سوء تبعته وتعجيل الغير إلا أن يعفو الله ويلهم المخرج والتوبة إليه، وذلك فيما أصاب المشركون من عذارى المسلمين ونسائهم بقاليقلا، وترك

^(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١٩٣).

مفاداتهم؛ فإن بكاءهم إلى الله عز وجل بمرأى، وأصواتهم منه بمسمع، حين يكشف المشركون عوارثهم، وحين ينظرون من أولادهم إلى صبغة الكفر بعد الإيمان، فالله الله فيهن فإنك من أمرهن بسبق، وبحيث إن قلت فيهن بخير سمع منك أو كان معذرة إلى الله عز وجل، فأد رحمك الله حصتك فيهن إلى الله، وحصص من لا يستطيع أن يقع موقعك من ولي أمورهم، واشتر نفسك بذلك من الله وبمالك فإنك تقرض كريماً شاكراً عسى الله إن مس عباده بعقاب نجاك منه أو برحمة يخلصك بها، وقد كتبت إلى أمير المؤمنين فيهن بكتاب بعثت به إليك لتدفعه إليه، ولكن بما أحببت من تقديم القول فيهن سبباً أسأل الله أن يجعلك فيما يحب أن يقيم به في عباده معاوناً، وبالحق فيه قائماً وأن يؤتيك عليه من لدنه أجراً عظيماً والسلام عليك ورحمة الله. ^(١)

١٩- تطوعهم بالنصيحة للغير:

*عن إبراهيم بن شيان قال: سمعت إسماعيل بن عبيد يقول: لما حضرت أبي الوفاة، جمع بنيه، وقال: يا بنيّ عليكم بتقوى الله، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه، وعليكم بالصدق، حتى لو قتل أحدكم قتيلاً، ثم سئل عنه، أقر به، والله ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن؛ يا بنيّ، وعليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين، فوالله، لقد رأيتني وأنا لا أخرج من بابي، وما ألقى مسلماً، إلا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي؛ أفترون أني لا أحب لنفسي إلا خيراً. ^(٢)

٢٠- تطوعهم بتعاهد إخوانهم:

*عن ابن عطاء عن أبيه قال: تعاهدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى، فعودوهم؛ وإن كانوا مشاغلي، فأعينوهم؛ وإن كانوا نسوا، فذكروهم؛ وكان يقال: امش ميلاً، وعد مريضاً؛ وامش ميلين، وأصلح بين اثنين؛ وامش ثلاثاً، وزر أخاً في الله. ^(٣)

٢١- تطوعهم بصنائع المعروف:

^(١) المصدر السابق (١/ ١٩٨).

^(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٨٥ - ٨٦).

^(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٩٨).

✽ عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرًا، أو جمعة، أو ما شاء الله، أحب إلي من حجة بعد حجة؛ ولطبق بدانق، أهديه إلى أخ لي في الله عز وجل، أحب إلي من دينار، أنفقه في سبيل الله عز وجل. (١)

✽ عن الزهري قال: استكثروا من شيء لا تمسه النار؛ قيل: وما هو؟ قال: المعروف. (٢)

✽ عن الحسن بن أبي الحسن قال: والله، لقد أدركت أقوامًا: كان أحدهم يخلف أخاه في أهله أربعين عامًا، ينفق عليهم. (٣)

✽ عن بشر بن منصور، أنه ما قام في المسجد سائل قط، فلم يعط شيئًا، إلا أعطاه. (٤)

✽ عن سفيان بن عيينة قال: نزل محمد بن المنكدر على محمد ابن سوقة بالكوفة، فحمله على حمار؛ فسألوه، فقالوا: يا أبا عبد الله، أي العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن؛ قالوا: فما بقي مما يستلذ؟ قال: الإفضال على الإخوان. (٥)

✽ كان إبراهيم بن أدهم: إذا بقي من الدقيق في الغرارة قليل، تركه لهم، ويعمل في القطاير. يعني: الرهص.

✽ وعن أبي الوليد قال: قال رفقاء إبراهيم: تعالوا نأكل كل خبز في الجونة، حتى إذا جاء، لم يجد شيئًا، عجل ليلة أخرى. يعني: يرجع قبل أن يفنى الخبز. وكان يبطئ بعد العشاء الآخرة؛ قال: فأكلوا كل شيء في الجونة، وأطفئوا السراج، وركدوا؛ قال: فجاء إبراهيم، فنظر في الجونة، فلم يجد فيها خبزًا؛ فقال: إنا لله، ركدوا بلا عشاء؛ قال: فقدح، وأسرج، فعجن، وخبز لهم سلة؛ قال: ثم نبههم، فقال: اجلسوا اجلسوا، ما كنتم تعملون لكم عشاء قبل أن

(١) المصدر السابق (١/ ٣٢٨).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٧١).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٢٧٠).

(٤) المصدر السابق (٦/ ٢٤٠).

(٥) المصدر السابق (٥/ ٦).

ترقدوا؟ قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: انظروا: أي شيء أردنا به، وأي شيء عمل هو؟^(١)

* عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ذهب السخاء، والكرم، والجود، والمواساة؛ فمن لم يواس الناس بماله، وطعامه، وشرابه؛ فليواسهم: ببسط الوجه، والخلق الحسن؛ لا تكونون في كثرة أموالكم تتكبرون على فقرائكم، ولا تميلون إلى ضعفائكم، ولا تنبسطون إلى مساكينكم.^(٢)

* عن يزيد بن ميسرة قال: كان إبراهيم يطعم الناس والمساكين أسمن ما يكون من غنمه، ويذبح لأهله: المهزول، والرديء منها؛ فكان أهله يقولون له: أتذبح للناس والمساكين: السمين من غنمك، وتطعمنا المهزول؟ فقال إبراهيم عليه السلام: بشئ مالي أن التمس خير ما عند ربي، بشر مالي.^(٣)

عن عمرو بن عثمان قال: قال لي الربيع: سألت رجل الشافعي، فقال: إني رجل من أمري كيت وكيت، تأمر لي بشيء؟ وما كان معه يومئذ إلا ديناراً، فأعطاه إياه؛ فقال له بعض جلسائه: هذا، لو أعطيته درهما، أو درهمن، كان كثيراً؛ فقال: إني أستحي أن يطلب مني رجل، بيني وبينه معذرة، فلا أعطيه.^(٤)

٢٢- تطوعهم بقضاء الحوائج:

* عن ابن عباس قال: كان عمر رضي الله عنه إذا صلى صلاةً جلس، فمن كانت له حاجةٌ كلمه، ومن لم تكن له دخل، فصلّى ذات يوم فلم يجلس، قال: فجئت فقلت: يا يرفا، بأمر المؤمنين شكوى؟ قال: "لا، والحمد لله"، قال: فجاء عثمان رضي الله عنه فجلس، فلم يلبث أن جاء يرفا فقال: قم يا ابن عفان، قم يا ابن عباس، فدخّلنا على عمر رضي الله عنه، وعنده

(١) المصدر السابق (٧/ ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٣٨٩).

(٣) المصدر السابق (٥/ ٢٣٨).

(٤) المصدر السابق (٩/ ١٣٠).

صَبْرَةٌ مِنَ الْمَالِ، عَلَى كُلِّ صَبْرَةٍ مِنْهَا كَثْفٌ، فَقَالَ: "إِنِّي نَظَرْتُ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَوَجَدْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَشِيرَةً، فَخُذُوا هَذَا الْمَالَ فَاقْتَسِمُوهُ، فَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ فَرُدَّاهُ". فَأَمَّا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَحَثَا، وَأَمَّا أَنَا فَقُلْتُ: وَإِنْ نَقَصَ شَيْءٌ أُمَّمَتَهُ لَنَا؟ قَالَ: "سِنْشِنَةُ مِنْ أَحْزَمٍ، أَمَا تَرَى هَذَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَمُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ يَأْكُلُونَ الْقَدَّ؟" قَالَ: قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ هَذَا عِنْدَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَأْكُلُونَ الْقَدَّ، وَلَوْ فُتِحَ هَذَا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ صَنَعَ غَيْرَ الَّذِي تَصْنَعُ، قَالَ: فَكَانَتْهُ فَرَعَ مِنْهُ، فَقَالَ: "وَمَا كَانَ يَصْنَعُ؟" قُلْتُ: لِأَكُلَ وَأُطْعِمَنَا، قَالَ: فَنَشَجَ حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَضْلَاعُهُ وَقَالَ: "لَوَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْهَا كَفَافًا، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي".^(١)

* عن الأوزاعي، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر، فدخل بيتًا، ثم دخل بيتًا آخر؛ فلما أصبح طلحة، ذهب إلى ذلك البيت؛ فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى؛ فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع.^(٢)

* أخرج ابن سعد عن ابن عمر وعائشة وابن المسيب وغيرهم رضي الله عنهم دخل حديث بعضهم في حديث بعض وكان مما جاء في الحديث "وكان يحلب للحبي أغنامهم، فلما بويع بالخلافة قالت جارية من الحبي: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا!، فسمعها أبوبكر رضي الله عنه فقال: "بلى والله لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه"، فكان يحلب لهم فربما قال للجارية من الحبي: يا جارية أتحيين أن أرغي لك (من الإرغاء: الحلب بحيث يأتي عليه الزبد) أو أصرِّح (من التصريح: الحلب بدون الزبد) فربما قالت: أرغ وربها قالت: صرح فأني ذلك قالت فعل".^(٣)

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٨٣ / ٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الطبقات لابن سعد (١٨٦ / ٣).

* عن عامر بن عبيدة قال: أول ما أنكر من عمر بن عبد العزيز: أنه خرج في جنازة، فأتى ببرد كان يلقي للخلفاء، يقعدون عليه إذا خرجوا إلى جنازة؛ فألقي له، فضربه برجله، ثم قعد على الأرض؛ فقالوا: ما هذا؟ فجاء رجل، فقام بين يديه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، اشتدت بي الحاجة، وانتهت بي الفاقة، والله سائلك عن مقامي غداً بين يديك. وفي يده قضيب قد اتكأ عليه بسنانه؛ فقال: أعد علي ما قلت؛ فأعاد عليه؛ قال: يا أمير المؤمنين، اشتدت بي الحاجة، وانتهت بي الفاقة، والله سائلك عن مقامي هذا بين يديك؛ فبكى، حتى جرت دموعه على القضيب؛ ثم قال: ما عيالك؟ قال: خمسة، أنا، وامرأتي، وثلاثة أولادي؛ قال: فإن الفرض لك ولعيالك عشرة دنانير، ونأمر لك بخمسمائة: مائتين من مالي، وثلاثمائة من مال الله؛ تبلغ بها، حتى يخرج عطاؤك. (١)

* عن شعبة قال: لولا حوائج لي إليكم، ما جلست معكم؛ وكانت حوائجه: أن يسأل لجيرانه الفقراء. (٢)

* عن شقيق بن إبراهيم قال: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم، إذ مر به رجل من الصنائع؛ فقال إبراهيم: أليس هذا فلاناً؟ قيل: نعم؛ فقال لرجل: أدركه، فقل له: قال لك إبراهيم: مالك لم تُسلم؟ قال: لا والله، إن امرأتي وضعت، وليس عندي شيء، فخرجت شبه المجنون؛ فرجعت إلى إبراهيم، وقلت له: فقال: إنا لله، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به الأمر؛ فقال: يا فلان، انت صاحب البستان، فاستسلف منه دينارين، وادخل السوق، فاشتر له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر إليه؛ فدخلت السوق، وأوقرت بدينار من كل شيء، وتوجهت إليه، فدققت الباب؛ فقالت امرأته: من هذا؟ قلت: أنا، أردت فلاناً؛ قالت: ليس هو هنا؛ قلت: فمري بفتح الباب، وتنحي؛ قال: ففتحت الباب، فأدخلت ما على البعير،

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٨٩).

(٢) المصدر السابق (٧/ ١٤٥).

وألقيته في صحن الدار، وناولتها الدينار؛ فقالت: على يدي من هذا؟ قلت: قولي: على يد أخيك: إبراهيم بن أدهم؛ فقالت: اللهم، لا تنس هذا اليوم لإبراهيم. ^(١)

* عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، أنه قال لبعض إخوانه: يا أبا فلان، إذا كانت لك إلي حاجة، فلا تكلمني فيها، ولكن: اكتبها إلي في رقعة، ثم ارفعها إلي، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال؛ وقد قال الشاعر:

لا تحسبن الموت موت البلى وإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا أشد من ذاك لذل السؤال
وقال الشاعر أيضا:

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضاً وإن نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال
فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً فابذله للمتكرم المفضل ^(٢)

* قال ابن أبي الدنيا: قيل لمعاوية بن عبد الله بن جعفر: ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر؟ قال: كان ليس له مالٌ دون الناس هو والناس في ماله شركاء، من سألته شيئاً أعطاه، ومن استمنحه شيئاً منحه إياه، لا يرى أنه يفتقر فيقتصر، ولا يرى أنه يحتاج فيدخر. ^(٣)

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا شعيب بن صفوان، أن حمزة بن بيض، دخل على ابن يزيد بن المهلب، يعني مخلد بن يزيد، وهو في السجن فأنشده:

أتيناك في حاجة فاقضها... وقُل مرحباً يجب المرحب
فقال: مرحباً، فقال:

ولا تكلنا إلى معشر... متى يعدوا عدة يكذبوا
فإنك القرع من أسرة... هم خضع الشرق والمغرب

(١) المصدر السابق (٧/ ٣٨٢، ٣٨٣).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢١٠).

(٣) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا (ص: ٦٠).

وَفِي أَدَبٍ مِنْهُمْ مَا نَشَأْتِ . . . فَنِعْمَ لَعَمْرُكَ مَنْ أَدَّبُوا
بَلَغَتْ لِعَشْرِ مَضَتْ مِنْ سَنِيكَ . . . كَمَا يَبْلُغُ السَّيِّدُ الْأَشْيَبُ
فَمَعَكَ فِيهَا جِسَامُ الْأُمُورِ . . . وَهُمْ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا
وَجُدْتَ فَقُلْتَ أَلَا سَائِلٌ . . . فَيَسْأَلُ أَوْ رَاغِبٌ يَرْغَبُ
فَمِنْكَ الْعَطِيَّةُ لِلْسَّائِلِينَ . . . وَمَنْ يَنْوُبُكَ أَنْ يَطْلُبُوا

فَقَالَ لَهُ: هَاتِ حَاجَتَكَ، فَقَضَاهَا قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَالَ: وَأَمَرَ لَهُ بِهَاتَةِ الْفِ". (١)
*وَكَانَ مُسْلِمَةً بَنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَوَائِجِ، وَخَافَ أَنْ يَضْجَرَ قَالَ لِأَذْنِهِ:
اأَذِّنْ جُلُوسًا، فَيَأْذُنُ هُمْ، فَيَفْتَنُ وَيَفْتَنُونَ فِي مُحَاسِنِ النَّاسِ وَمُرُوءَاتِهِمْ، فَيَطْرَبُ لَهَا وَيَهْتَاكِ
عَلَيْهَا، وَيُصِيبُهُ مَا يُصِيبُ صَاحِبَ الشَّرَابِ، فَيَقُولُ لِحَاجَتِهِ: اأَذِّنْ لِأَصْحَابِ الْحَوَائِجِ فَلَا يَنْقَى
أَحَدٌ إِلَّا قُضِيَتْ حَاجَتُهُ. (٢)

*جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُ فِي حَاجَةٍ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْتَكِفٌ، فَأَتَى
الْحَسَنَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ: لَوْ مَشَى مَعَهُ لَكَانَ خَيْرًا مِنْ اعْتِكَافِهِ، وَاللَّهِ لَأَنْ أُمَشِي مَعَكَ فِي
حَاجَتِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اعْتِكَافِ شَهْرٍ. (٣)

*قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ: مَا رَدَدْتُ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ أَقْدِرُ عَلَى قَضَائِهَا، وَلَوْ كَانَ فِيهَا ذَهَابٌ مَالِي.
(٤)

٢٣- تطوعهم بنصرة الضعفاء وفك الرقاب:

*عن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب، وهو يقول:
أحد، أحد، فيقول: أحد أحد الله يا بلال، ثم يقبل ورقة على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك
ببلال من بني جمح، فيقول: أحلف بالله إن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا، حتى مر به أبو

(١) المصدر السابق (ص: ٦١).

(٢) المصدر السابق (ص: ٦٢).

(٣) المصدر السابق (ص: ٦٣).

(٤) المصدر السابق (ص: ٦٤).

بكر الصديق بن أبي قحافة يومًا، وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين، حتى متى؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، قال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك، أعطيك به، قال: قد قبلت، قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، وأخذ بلالا فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر من مكة ست رقاب - بلال سابعهم - عامر بن فهيرة، شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا، وأم عبيس، وزنيرة، فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: حرقوا، وبيت الله ما يضر اللات والعزى وما ينفعان، فرد الله إليها بصرها، وأعتق النهدي وابتنتها، وكانت لامرأة من بني عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما تطحنان لها، وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدا، فقال أبو بكر: حلا يا أم فلان، قالت: حلا، أنت أفسدتها فأعتقها، قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أونفرغ منه يا أبا بكر، ثم نرده عليها؟ قال: أوداك إن شئتما. ومر أبو بكر بجارية بني مؤمل، حي من بني عدي بن كعب، وكانت مسلمة وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك، وهو يضربها حتى إذا مل قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملالة، فعل الله بك، فتقول كذلك فعل الله بك، فابتاعها أبو بكر فأعتقها، فقال عمار بن ياسر، وهو يذكر بلالا وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء، وإعتاق أبي بكر إياهم، وكان اسم أبي بكر عتيقا:

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عَنْ بِلَالٍ وَصَحْبِهِ... عَتِيقًا وَأَخْزَى فَاكِهًا وَأَبَا جَهْلٍ
عَشِيَّةً هُمَا فِي بِلَالٍ بِسَوْءَةٍ... وَلَمْ يَخْذَرَا مَا يَخْذَرُ الْمَرْءُ ذُو الْعَقْلِ
بِتَوْحِيدِهِ رَبِّ الْأَنَامِ وَقَوْلِهِ... شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ رَبِّي عَلَى مَهْلٍ
فَإِنْ يَقْتُلُونِي يَقْتُلُونِي وَلَمْ أَكُنْ... لِأُشْرِكْ بِالرَّحْمَنِ مِنْ خِيفَةِ الْقَتْلِ
فَيَا رَبَّ إِبْرَاهِيمَ وَالْعَبْدِ يُوسُفَ... وَمُوسَى وَعِيسَى نَجِّنِي ثُمَّ لَا تُثَلِّ
لِمَنْ ظَلَّ يَهْوَى الْعَيَّ مِنْ آلِ غَالِبٍ... عَلَى غَيْرِ بَرٍّ كَانَ مِنْهُ وَلَا عَدْلٍ.^(١)

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ١٢٠).

أشكال العمل التطوعي

أشكال العمل التطوعي

بما سبق من بيان فضل العمل التطوعي من كلام الله وكلام نبيه ﷺ وأقوال السلف، فقد ينشط ويستجيب لهذا الترغيب أفراد، وقد يشترك مجموعة من الناس لهدف تطوعي نبيل، لذا تظهر صور وأشكال للعمل التطوعي فقد يكون العمل فردياً لكل واحد رؤيته وطريقته في القيام بما يوافق قناعاته، وقد يكون جماعياً يشارك فيه مجموعات ذات هدف واحد، ولكل نوع مجالات ومزاياه وبعض سلبياته.

ولتفصيل هذا الأمر يأتي هذا المبحث بذكر تأصيل العمل الفردي والعمل المؤسسي ما له، وما عليه.

أولاً: العمل الفردي التطوعي:

وهو عمل أو سلوك اجتماعي يمارسه الفرد من تلقاء نفسه وبرغبة منه وإرادة ولا يبغي منه أي مردود مادي، ويقوم على اعتبارات أخلاقية أو اجتماعية أو إنسانية أو دينية كمساعدة محتاج أو تعليم أمي، أو تفريج كربة، أو إصلاح ذات البين.^(١)

الأدلة على مشروعية العمل الفردي التطوعي:

نستطيع أن نقول: إن كل النصوص الواردة في الكتاب والسنة حاثّة على العمل الصالح المتعدي النفع تدل دلالة واضحة على ذلك. والأدلة في هذا كثيرة جداً، ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**^(٢)

قال النووي رحمه الله: المراد بالساعي: الكاسب لهما العمل لمؤنتهما.^(٣)

(١) معالم العمل التطوعي لجمال القرش.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٣١٣/١٨).

ومن التطبيق الفعلي من النبي ﷺ: قول خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ: (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) (١)

ومن الصحابة رضي الله عنهم: حديث المنذر بن جبر، عن أبيه، قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ خُفَاءُ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِإِلَافِ أَذْنٍ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١] وَالْآيَةَ الْآتِيَةَ فِي الْحَشْرِ: {اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر: ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبُصْرَةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ (٢)

والأمثلة والنماذج على ذلك كثيرة مبسطة في غير هذا الموضوع من الكتاب.

(١) أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).

ثانيا: العمل المؤسسي التطوعي (الجماعي)

تعريف العمل المؤسسي التطوعي الخيري:

- هو عبارة عن هيئات منظمة رسمية أو غير رسمية تقوم بالدعوة إلى الله، وإحياء التكافل الاجتماعي بين المسلمين وفق الوسائل والأساليب المشروعة نيابة عن المحسنين الذين يدعمونها مادياً ومعنوياً؛ طمعاً في رضا الله عز وجل، ثم رغبة في دلالة الناس إلى الدين الحق وتمسكهم به. (١)

- أو هو عبارة عن: كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء وفعالية العمل، لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجان كبرى وفرق عمل وإدارات متخصصة: علمية، ودعوية، واجتماعية؛ بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرار في دائرة اختصاصها. (٢)

أهمية العمل المؤسسي الخيري ومشروعيته:

العمل التطوعي المؤسسي ما هو إلا صورة من صور العمل الجماعي الذي هو أحد ركائز قوة الأمة التي حفلت النصوص الكريمة آمرة به وحاثه عليه.

قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: ٢].

وقال سبحانه: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ (٣)

وَعَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ شَرِيحٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ" (١)

(١) العمل الخيري المؤسسي للمطوع (ص ١٢٠).

(٢) مجلة البيان (١٤٣/ ص ٤٦)

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

قال النووي: الهنات جمع هنة، وتطلق على كل شيء والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة. (٢)
وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا
بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبُ
الْقَاصِيَةَ. (٣)

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ،
وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ؛ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى.
(٤)

ولا غرو؛ فالعمل المؤسسي يستثمر الجهود ويوحدها، وهو أكثر ثباتًا ونضجًا واستقرارًا
وقابلية للنجاح، ولا نزاع حول أهميته وأولويته. (٥)

ومن الأدلة على مشروعية العمل الجماعي:

- أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة، فقام إبراهيم عليه السلام
استجابة لأمر الله، وطلب من ابنه إسماعيل أن يساعده على تنفيذ هذا الأمر الإلهي،
ويعينه في بناء الكعبة، فقال له: ((يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ
رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينَنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى
أَكْمَةِ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ
يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ
عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢ / ٢٤١).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

(٥) مجلة البيان (٦ / ٢٢٥).

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٢٧]، قَالَ: فَجَعَلَا يَنْبِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٢٧].. (١)

- ذو القرنين وأصحاب السد: لقد مكن الله عز وجل لذي القرنين في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، فتوفرت القدرة والسلطة، وتهيأت أمامه أسباب القوة والنفوذ التي لم تتوفر لكثير غيره.. وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا [الكهف: ٨٣ - ٨٤]، ومع ذلك لم يستغن ذو القرنين عن معونة الآخرين حينما أراد أن يقوم بعمل كبير، وإنجاز عظيم: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} [الكهف: ٩٣ - ٩٤]، فصارحهم ذو القرنين بأن مثل هذا العمل الضخم يحتاج إلى التعاون، ولا يتم دونه؛ فقال: مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا [الكهف: ٩٥].. . . الآيات، فماذا كانت نتيجة هذا التعاون العظيم؟ كانت نتيجته إتمام عمل عظيم، سد منيع، لا يستطيع مهاجموه أن يعلو ظهره، ولا أن يحدثوا فيه خرقاً. فحبسوا بهذا السد أمة عظيمة، وهي يأجوج ومأجوج، وإلى اليوم يحاولون إحداث خرق فيه لكن هيهات هيهات إلى أن يأذن الله، إن ذا القرنين ومن معه أحسنوا العمل فعجز العدو عن خرقه.

- تعاون الصحابة في حفر الخندق: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً.. . على الإسلام ما بقينا أبداً

والنبي ﷺ يحبهم ويقول: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة... فبارك في الأنصار والمهاجرة)).^(١)

- ومنه تعاون أبي بكر وأهل بيته مع النبي ﷺ في هجرته: حيث جهز أبو بكر راحلتين عندما أعلمه النبي ﷺ بالهجرة، وخاطر بنفسه وهاجر مع النبي ﷺ، وعندما وصلا غار ثور دخل أبو بكر أولاً ليستبرأ الغار للنبي ﷺ كي لا يصيبه أذى، وأعدت أسماء بنت أبي بكر لهما جهاز السفر، وكان عبد الله بن أبي بكر يأتي لهما بأخبار قريش، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر يريح الغنم عليهما وهما في الغار ليشربا من لبنها^(٢)..

- ومنه تعاون الصحابة رضوان الله عليهم في بناء مسجد النبي ﷺ: عندما قال النبي ﷺ لبني النجار: ((يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فقال أنس: فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين، وفيه حرب وفيه نخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين، فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم، وهو يقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة)).^(٣)

- ومنه تعاون الأنصار مع المهاجرين بعد الهجرة:

قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَحَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَأَنْظُرُ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوَيْتَ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ، تَزَوَّجْتُهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقٌ قَيْنَقَاعٍ، قَالَ: فَعَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ

(١) البخاري (٢٨٣٥).

(٢) البخاري (٣٩٠٥).

(٣) البخاري (٤٢٨).

الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَكْثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَزَوَّجْتَ؟"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "وَمَنْ؟"، قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: "كَمْ سُقْتَ؟"، قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ -، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ" (١)

- ومن تعاون الصحابة أيضًا: موقفهم في قصة سلمان رضي الله عنه عندما كاتب سيده، وكان فقيرًا لا يملك ما كاتب عليه، فقال النبي ﷺ للصحابة: ((أعينوا أخاكم)) (٢) فأعانوه، حتى تحرر من رقه وأصبح حرًا.

وترجع أهمية القوة والانسجام في العمل الجماعي إلى الأسباب الآتية: (٣)

١- تحقيق التعاون بين أفراد العمل: حيث إن جزءًا كبيرًا من أي عمل يتم في ظل مجموعة من الأفراد، وكلما كان التعاون والتفاهم بين هذه المجموعة أكبر كلما كانت الإنتاجية في العمل أكبر والأداء أكثر كفاءة، والعكس صحيح.

٢- يجب العاملون أن يعملوا في ظل جماعات لأنها تشبع احتياجاتهم الاجتماعية، وتحميهم من أي أخطار خارجية، وتقوي التفاهم والمشاركة الوجدانية وبذلك يتم تحقيق التوازن بين إنتاجية الفرد وإشباع حاجاته.

٣- تساعد على حل المشكلات بطريقة أكثر فاعلية عن طريق الاستفادة من المواهب المختلفة للأفراد، كما تخلق في الأفراد المشاركين في اتخاذ القرار الحافز القوي لتنفيذ هذا القرار الذي أجمعوا عليه ويشعرون بالمسئولية تجاهه.

٤- تزيد من سهولة الاتصال بين الأعضاء والمشرفين في تنفيذ العمل، وتتدفق المعلومات بسهولة من أسفل إلى أعلى من الأعضاء إلى المشرفين، ومن أعلى إلى أسفل 'من المشرفين إلى الأعضاء؛ مما يؤدي إلى عمل بطريقة أكثر فاعلية.

(١) البخاري (٢٠٤٨).

(٢) مسند أحمد (٢٣٧٣٧).

(٣) انظر: العمل الجماعي لإبراهيم الفقي، والعوامل الخمسة لخلل العمل الجماعي لباتريك لينسيوني

٥- رفع الجودة، حيث يوجد الاهتمام بتحقيق الجودة والدقة؛ لأن العاملين يشعرون أنهم جزء من نشاط الفريق، ويرغبون في أن يظهر فريقهم بصورة جيدة قدر الإمكان، إضافة إلى ذلك يطمئن أعضاء الفريق إلى حصول كل واحد منهم على حاجته من الفريق لإنجاز أفضل عمل ممكن، وذلك نتيجة تعاون الأعضاء مع بعضهم البعض.

الفرد وأهمية دوره في العمل المؤسسي التطوعي (الجماعي):

إن الفرد هو العنصر الأساس في بناء الأمة، ولكن شرط قيامه بدوره الأكمل هو تعاونه مع بقية أفراد الأمة، والأمة التي يتعاون أفرادها هي أمة الريادة؛ لأن تعاونهم يضيف كل فرد إلى الآخر إضافة كيفية لا كمية، ومن ثم تتوحد الأفكار والممارسات من أجل تحقيق رسالة الأمة.

وقد كان النبي ﷺ يربي صحابته على الروح الجماعية، روح الأمة، كما ضرب مثلاً - للمجتمع - بقوم أفلتتهم سفينة، إن أراد أحدهم خرقها وجب على الجميع الأخذ على يده، وإلا غرقوا جميعاً؛ كما جاء في حديث الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا ارَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا" (١)

فالمسؤولية في بلوغ الريادة تقع على الأمة جميعاً في مقابل أمة الكفر. (٢)

حكم العمل الجماعي

لقد تباينت آراء أطيف العمل الإسلامي إزاء هذه القضية على النحو التالي:

القول الأول: بدعية العمل الجماعي:

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣)

(٢) مجلة البيان (١٤٣/ص ٤٦).

يرى هذا الفريق أنه لا شرعية لقيام هذه التجمعات ابتداء في مرحلة الاستضعاف، وأن الجماعة والبيعة لا تكون إلا بعد التمكين ونصب الإمام، ومجمل ما عولوا عليه في هذه المسألة ما يأتي:

١- إن الأحاديث الواردة في لزوم الجماعة ووجوب البيعة لا تنصرف إلى شيء من هذه التجمعات، وإنما يقصد بها الجماعة التي هي الأمة، والبيعة التي تعقد للإمام الذي يجتمع عليه الناس كلهم، أو جمهورهم وأهل الشوكة منهم على الأقل، ويكون له من الغلبة ما يمكنه من حراسة الدين وسياسة الدنيا به.

٢- ما أدت إليه هذه التجمعات من انقسام الصف الإسلامي وتهارج أتباعه، وتكريس الفقرة بين العاملين للإسلام، وإضعاف الولاء للجماعة بمفهومها العام والشامل.

٣- ما أثر عن السلف من أنه إذا تفرق الناس فلا يتبع أحد في الفرقة، فإما جماعة المسلمين بمفهومها العام وإما الاعتزال، وقد جاء في حديث حذيفة ((...فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا؟ قَالَ ﴿فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ﴾))^(١).

٤- الاعتبار الأمنية وما يترتب على هذه التجمعات من التعجيل بضرب العمل الإسلامي، واستعداد خصومه عليه، ومع ما يترتب على ذلك من الفتن، وانكسار الدعوة، وصد الناس عن سبيل الله.

يقول الدكتور بكر أبو زيد: (والخلاصة أن البيعة في الإسلام واحدة من ذوي الشوكة: أهل الحل والعقد لولي المسلمين وسلطانهم وأن ما دون ذلك من البيعات الطرقية والحزبية في بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة كلها بيعات لا أصل لها في الشرع، لا من كتاب الله ولا سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولا عمل صحابي ولا تابعي، فهي بيعات مبتدعة، وكل بدعة ضلالة وكل بيعة لا أصل لها في الشرع فهي غير لازمة العهد، فلا حرج ولا إثم في تركها ونكثها، بل الإثم في عقدها؛ لأن التعبد بها أمر محدث لا أصل له، ناهيك عما يترتب

(١) البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (٤٨١٢).

عليها من تشقيق الأمة وتفرقها شيعاً وإثارة الفتن بينها، واستعداد بعضها على بعض فهي خارجة عن حد الشرع سواء سميت بيعة أو عهداً أو عقداً^(١)

القول الثاني: وجوب العمل الجماعي:

وجمهور هذا الاتجاه على أن إقامة الجماعات الدعوية، والانتظام في سلوكها على أساس الطاعة لأمر، واجب من الواجبات الشرعية في هذا الزمان، فمن تخلف عنه فهو آثم. ومجمل ما عولوا عليه:

١- أنه ما لا يتم الواجب به إلا فهو واجب، و أمور الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله هي من أهم الواجبات التي على الأمة السعي نحو تحقيقها كسبيل إلى تحكيم الشريعة، وهي لا تتم إلا باجتماع وإمام مطاع.

٢- أن إقامة جماعة المسلمين من أهم الواجبات المفروضة على الأمة، والجماعات الدعوية هي السبيل نحو هذه الجماعة.

القول الثالث: مشروعية العمل الجماعي:

ويرى أصحاب هذا الرأي أنه لا منازعة في مشروعية الاجتماع على الخير والتعاقد عليه، والتزام الطاعة للقائم عليه في غير معصية، وذلك بالشروط الآتية:

١ - ألا يتضمن تحزباً على أصل بدعي يخالف أصول أهل السنة والجماعة، فإن مثل هذا التحزب هو أساس نشأة الفرق الضالة،

قال الشاطبي رحمه الله: (أن هذه الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات؛ إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية؛ لأن الكليات نص من الجزئيات غير قليل، وشاذها في الغالب ألا يختص بمحل دون محل، ولا بباب دون باب، واعتبر ذلك بمسألة التحسين العقلي، فإن المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافاً في فروع لا تنحصر، ما بين فروع عقائد وفروع أعمال.

(١) حكم الانتماء للأحزاب والجماعات الإسلامية، الشيخ بكر أبو زيد، ص ١٢٨

ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة، عاد ذلك على كثير من الشرعية بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضًا، وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفتلة^(١).

٢- ألا يقصد به منازعة السلطان المسلم -إن وجد- والسعي في نقض بيعته وحل عقدة إمامته؛ وذلك للأدلة التي تحرم النكث وتلزم بالأئمة وتوجب الطاعة لهم في غير معصية، وتنهى عن منابذتهم إلا بالكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان.

٣- ألا يعقد الولاء والبراء على أساس الانتساب إلى هذا الاجتماع؛ لأن معقد الولاء والبراء هو الكتاب والسنة على رسم منهاج النبوة لا غير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وَأَمَّا لَفْظُ "الرَّعِيمِ" فَإِنَّهُ مِثْلُ لَفْظِ الْكَفِيلِ وَالْقَبِيلِ وَالضَّمِينِ قَالَ تَعَالَى: {وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} فَمَنْ تَكَفَّلَ بِأَمْرِ طَائِفَةٍ فَإِنَّهُ يُقَالُ هُوَ زَعِيمٌ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ تَكَفَّلَ بِخَيْرٍ كَانَ مَحْمُودًا عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ مَذْمُومًا عَلَى ذَلِكَ. وَأَمَّا "رَأْسُ الْحِزْبِ" فَإِنَّهُ رَأْسُ الطَّائِفَةِ الَّتِي تَنْحَرِبُ أَيْ تَصِيرُ حِزْبًا فَإِنْ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ فَهُمْ مُؤْمِنُونَ هُمْ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ. وَإِنْ كَانُوا قَدْ زَادُوا فِي ذَلِكَ وَنَقَصُوا مِثْلَ التَّعَصُّبِ لِمَنْ دَخَلَ فِي حِزْبِهِم بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي حِزْبِهِمْ سَوَاءٌ كَانَ عَلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَهَذَا مِنَ التَّفَرُّقِ الَّذِي ذَمَّهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ فَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَمَرَا بِالْجَمَاعَةِ وَالْإِتِّلَافِ وَنَهَيَا عَنِ التَّفَرُّقِ وَالْإِخْتِلَافِ وَأَمَرَا بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَنَهَيَا عَنِ التَّعَاوُنِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ. (٢)

كلام بعض العلماء في مشروعية إنشاء الجمعيات للعمل التطوعي

هذه نقولات عن أهل العلم في مشروعية الجمعيات الخيرية والدعوية، ومشروعية الانتماء إليها والعمل من خلالها، بالضوابط التي جاءت في ثنايا كلامهم.

١. اللجنة الدائمة للإفتاء:

(١) الاعتصام، الإمام الشاطبي، (٧١١-٧١٢)

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٩٢-٩٣).

سئل اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز وعضوية المشايخ: عبد الله بن قعود وعبد الله بن غديان وعبد الرزاق عفيفي:

هل يجوز جمع الأموال للمشاريع الخيرية وبيع الكتب الإسلامية في المساجد بفرنسا؟
فأجابت:

"يجوز جمع التبرعات المالية في المسجد للجمعيات الخيرية؛ لما في ذلك من التعاون على البر والخير، وقد قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}.

٢- فتوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الفرق والجماعات والجمعيات

السؤال الثاني: ما واجب علماء المسلمين حيال كثرة الجمعيات والجماعات في كثير من الدول الإسلامية وغيرها، واختلافها فيما بينها حتى إن كل جماعة تضلل الأخرى، ألا ترون من المناسب التدخل في مثل هذه المسألة بإيضاح وجه الحق في هذه الخلافات، خشية تفاقمها وعواقبها الوخيمة على المسلمين هناك؟

ج: "إن نبينا محمداً ﷺ بين لنا درباً واحداً يجب على المسلمين أن يسلكوه وهو صراط الله المستقيم ومنهج دينه القويم، يقول الله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

كما نهى رب العزة والجلال أمة محمد ﷺ عن التفرق واختلاف الكلمة؛ لأن ذلك من أعظم أسباب الفشل وتسلط العدو كما في قوله جل وعلا: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}، وقوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ}.

فهذه دعوة إلهية إلى اتحاد الكلمة وتآلف القلوب، والجمعيات إذا كثرت في أي بلد إسلامي من أجل الخير والمساعدات والتعاون على البر والتقوى بين المسلمين دون أن تختلف أهواء أصحابها فهي خير وبركة وفوائدها عظيمة.

أما إن كانت كل واحدة تضلل الأخرى وتنتقد أعمالها، فإن الضرر بها حيثئذ عظيم والعواقب وخيمة، فالواجب على المسلمين توضيح الحقيقة ومناقشة كل جماعة أو جمعية ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده ودعا إليه نبينا محمد، ﷺ ومن تجاوز هذا أو استمر في عناده لمصالح شخصية، أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله، فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله جل وعلا: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولاً وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً، لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك، والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم، وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون على تفريق كلمة المسلمين وتشيت شملهم وبذر أسباب العداوة بينهم، نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة، إنه ولي ذلك والقادر عليه". (١)

وقال أيضاً: "والجمعيات إذا كثرت في أي بلد إسلامي من أجل الخير والمساعدات والتعاون على البر والتقوى بين المسلمين دون أن تختلف أهواء أصحابها؛ فهي خير وبركة وفوائدها عظيمة، أما إن كانت كل واحدة تضلل الأخرى وتنتقد أعمالها؛ فإن الضرر بها حيثئذ عظيم، والعواقب وخيمة". (٢)

٣. الشيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى:

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة تحت عنوان: "واجب العلماء تجاه الأزمات الكثيرة والنكبات التي حلت بالعالم الإسلامي".

(٢) مجموعة فتاوى ومقالات ابن باز ضمن الجواب عن السؤال السادس (٥/٢٠٢-٢٠٤).

سئل الشيخ الألباني رحمه الله - كما في ﴿سلسلة الهدى والنور﴾ (شريط رقم: ٥٩٠) - عن جمعية الحكمة الليمانية الخيرية، فأجاب:

"أي جمعية تُقام على أساس من الإسلام الصحيح، المستنبطة أحكامها من كتاب الله، ومن سنة رسول الله، ومما كان عليه سلفنا الصالح، فأى جمعية تقوم على هذا الأساس؛ فلا مجال لإنكارها واتهامها بالحزبية؛ لأن ذلك كله يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾، والتعاون أمرٌ مقصود شرعاً، وقد تختلف وسائله من زمن إلى زمن، ومن مكان إلى مكان، ومن بلدة إلى أخرى، ولذلك فاتهم جمعية تقوم على هذا الأساس بالحزبية أو بالبدعية؛ فهذا لا مجال إلى القول به؛ لأنه يخالف ما هو مقرر عند العلماء من التفريق بين البدعة الموصوفة - بعمامة - بالضلالة، وبين السنة الحسنة.

السنة الحسنة: هي الطريقة تُحدث وتوجد لتوصل المسلمين إلى أمر مقصود ومشروع نصّاً، فهذه الجمعيات في هذا الزمن لا تختلف من حيث وسائلها عن الوسائل التي جدت في هذا العصر لتسهّل للمسلمين الوصول إلى غايات مشروعة؛ فما نحن الآن في هذه الجلسة من استعمال المسجلات - على أشكالها وألوانها - إلا من هذا القبيل، إنها وسائل أحدثت، فإذا استعملت فيما يحقق هدفاً وغرضاً شرعياً؛ فهي وسيلة مشروعة، وإلا فلا، كذلك وسائل الركوب الكثيرة والمختلفة اليوم، من السيارات والطائرات ونحو ذلك؛ هي أيضاً وسائل، فإذا استُعملت في تحقيق مقاصد شرعية؛ فهي شرعية، وإلا فلا".

وسئل أيضاً - كما في ﴿سلسلة الهدى والنور﴾ (شريط رقم: ٣٥٨) - عن حكم الجمعيات الخيرية التي تقوم بمساعدة الفقراء والمحتاجين وتقوم بأعمال خيرية؟

فأجاب: إذا كانت الجمعية - الخيرية كما تقول -، وهذا يعود بنا إلى أن نقول: أن القضية واحدة في كل بلاد إسلامية، فإذا كان عندكم جمعية خيرية، وعندنا أيضاً يمكن أكثر من جمعية خيرية، في سوريا أيضاً وهكذا، والجواب يشمل كل هذه الجمعيات في كل بلاد الدنيا، وبخاصة الذين يعيشون في بلاد الكفر، في أوروبا في أمريكا إلى آخره، إذا كانت هذه الجمعيات قائمة على الأحكام الشرعية، فهي جائزة، وهي داخلة في عموم قوله تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾، وفيها بعد: ﴿وَلَا يَخْصُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، وهذه الآية دائماً نقرأها، إذن الحُص على طعام المسكين هذه أمر مشروع".

وقال الشيخ -رحمه الله- في الهدى والنور (ش/٧٩٢) جواباً على السؤال التالي:

"السائل: هل هناك تلازم بين التحزب المذموم، والعمل الجماعي المنظم في الدعوة إلى الله؟
الشيخ: العمل الجماعي المنظم في الدعوة إلى الله قد يكون حزباً، وقد لا يكون حزباً، أنا شخصياً ومعى بلا شك ناس أفاضل لا يرون مانعاً من تقسيم الأعمال بين أفراد المسلمين بين وجماعاتهم؛ فكل جماعة تقوم بواجب على النحو الذي ذكرته آنفاً بالنسبة للمجدين، ولكن كما أننا لا نتصور تعادياً بين أولئك المجدين؛ وإنما تجمعهم دائرة الإسلام الواسعة على ما قد يكون في كل فرد من هؤلاء الأفراد من نقص كما ألمحت إليه آنفاً، كذلك أقول في الجماعات التي تنظم أمرها للقيام بالدعوة إلى الإسلام؛ إذا كانت هذه الجماعات ليس بينها تباعد وتدابير وتعادي يصل الأمر إلى أن يتحزب الفرد في هذه الجماعة على الجماعة الأخرى بالباطل، هذه الجماعات لا بد من وجودها، لكن لا بد أن تكون مرتبطة بمنهج وبمبدأ موحد لا بد من هذا تماماً".

٤. الشيخ الإمام محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى:

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله كما في "مجموع فتاواه ورسائله":

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد؛ فإن خلافاً يدور بين الشباب في بلدنا حول جواز إقامة جمعيات خيرية تقوم برعاية المساكين والأيتام، وتنشئة الشباب على القرآن، بتوفير الجو المناسب لهم؛ للقيام بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية.

فبعض الشباب يرى أن ذلك بدعة لا تجوز؛ لأنها لم تكن موجودة في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ويصل الخلاف إلى حد الشتائم والسباب والتوتر، الذي يظهر لمن عنده أدنى بصيرة أنه يخالف روح الإسلام، الذي ينهى عن الاختلاف والتدابير والتنازع بالألقاب.

فنرجو يا فضيلة الشيخ أن توجه نصيحة لهؤلاء الشباب مصحوبة بالفتوى الشرعية، فإنه ظهر لي أن الجميع يحبونكم ويثقون بعلمكم، جزاكم الله خيراً ورعاكم.
فأجاب الشيخ رحمه الله:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، لا بأس بتكوين لجنة لقبول الصدقات والزكوات وغيرها من النفقات الشرعية؛ لأن ذلك من الوسائل إلى ضبط هذه الأمور تحصيلاً وتوزيعاً، وهذا مقصود شرعي لا يقصد به إلا ضبط هذه الأشياء، وما كان وسيلة لمقصود شرعي فلا بأس به، ما لم يقصد التعبد بنفس الوسيلة".

وجاء في مجموع الفتاوى والرسائل (٣٩/١٦):

"من محمد الصالح العثيمين إلى الأخ المكرم - حفظه الله -
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتابكم الكريم المؤرخ ٣٢ رمضان ١٣٩٧هـ وصل، سرني صحتكم الحمد لله على ذلك، وأسأله أن يتم نعمته على الجميع ويرزقنا شكرها، كما سرني نبأ وصول جوابي على كتاب الأخ. حول تأخير صلاة العيد، وأشكر جمعيتكم على عنايتها بذلك، وأسأل الله أن يرزقنا جميعاً البصيرة في دينه والثبات عليه.

كما أفيدكم بأني أحب مواصلة الكتابة والتعرف على أحوال الجمعية لأن هذا يهم الجميع.
وقد تضمن كتابكم المذكور أربع مسائل بل خمساً:

المسألة الأولى: تأسيس مركز إسلامي في مدينة. . . وأنا أؤيد فكرة تأسيسه للأسباب التي ذكرها مؤيدو الفكرة، ولما فيه من ظهور شأن الإسلام، وبيان اعتزاز أهله به وعنايتهم بشؤونهم، ثم إنه لا بد أن يلفت نظر أهل المدينة فيجتمع إليه من يمكن دعوته إلى الإسلام فيسلم إذا خلصت نية الداعي، وسلك طريق الحكمة في دعوته، ففكرة تأسيسه فكرة جيدة نبيلة نافعة للإسلام والمسلمين إن شاء الله.

والأسباب التي ذكرها المعارضون مدفوعة بكون بعضها غير وارد إطلاقاً وبعضها غير مؤثر".

وقال أيضا. رحمه الله. في مجموع الفتاوى والرسائل (٢٢٥/١٦):

"من محمد الصالح العثيمين إلى الأخ المكرم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

كتابكم الكريم المؤرخ ٢٧ من الشهر الماضي وصلني قبل أمس أي يوم الأربعاء ١٠ من الشهر الحالي، سرنا صحتكم الحمد لله على ذلك، ونسأل أن يديم علينا وعليكم نعمته، ويرزقنا شكرها.

كما سرنا كثيراً تكوين جمعية إسلامية من الطلبة والعمال المسلمين في المدينة التي أنتم فيها في. . . ، تهتم هذه الجمعية بأمر الإسلام والمسلمين، فنسأل الله أن يثبتهم على ذلك، وأن يرزقهم البصيرة في دين الله، والحكمة في الدعوة إليه".

ما يمتاز به العمل المؤسسي (الجماعي) عن العمل الفردي:

- ١ - تحقيق مبدأ التعاون والجماعية الذي هو من أسمى مقاصد الشريعة.
- ٢ - تضيق الفجوة بين عمل الدعاة، وردم الهوة بينهم بتحقيق ذلك المبدأ، وتأسيس الأعمال المشتركة بينهم؛ فإن ذلك يقلل التصادم والنزاع، وهي الطريقة المتبعة بين الدول في تأسيس اللجان والمجالس المشتركة، وهو ما لم يشعر بعض الدعاة بأهميته وضرورته بعد.
- ٣ - تحقيق التكامل في العمل، وذلك في عمل الفرد عزيز، فكثيراً مما يحصل من القصور في عمل الفرد يتلشى في عمل المؤسسة؛ إذ المفترض حدوث التكامل باجتماع الجهود، والمواهب، والخبرات، والتجارب، والعلوم، مع التزام الشورى، والتجرد للحق.
- وأيضاً: فإن العمل الفردي يصطبغ بصبغة الفرد، بينما المفترض أن يخلو العمل المؤسسي من ذلك.

- ٤ - الاستقرار النسبي للعمل، بينما يخضع العمل الفردي للتغير كثيراً قوة وضعفاً أو مضموناً واتجاهاً بتغير الأفراد، أو اختلاف قناعاتهم.

٥ - القرب من الموضوعية في الآراء أكثر من الذاتية؛ حيث يسود الحوار الذي يفرض قيامه وضع معايير محددة وموضوعية للقرارات تنمو مع نمو الحوار، في حين ينبنى العمل الفردي على قناعة صاحبه.

٦ - دفع العمل نحو الوسطية والتوازن؛ إذ اجتماع الأفراد المختلفين في الأفكار والاتجاهات والقدرات يدفع عجلة العمل نحو الوسط، أما الفرد فلو توسط في أمر فلربما تطرف - إفراطاً أو تفريطاً - في آخر.

٧ - توظيف كافة الجهود البشرية، والاستفادة من شتى القدرات الإنتاجية؛ وذلك لأن العمل المؤسسي يوفر لها جو الابتكار والعمل والإسهام في صنع القرار، بينما هي في العمل الفردي أدوات تنفيذية رهن إشارة القائم بالعمل، ويوم أن أعرض المسلمون عن هذا العمل خسروا كثيراً من الطاقات العلمية والعملية، فانفرد أصحابها بالعمل، أو فتروا عنه.

٨ - ضمان استمرارية العمل بإذن الله تعالى لعدم توقفه على فرد يعتريه الضعف والنقص والفتور، ويوحشه طول الطريق وشدة العنت وكثرة الأذى.

وللمثال: فقد كان من أقوى أسباب استمرار التعليم قوياً في الدولة الإسلامية حتى في عصور الضعف السياسي: قيامه على المؤسسات العلمية القوية التي تمدّها الأوقاف، كما تمد سائر الجهود الدعوية والإغاثية التي لم يتجرأ عليها إلا في العصر الحديث واليوم نرى استمرار المؤسسات الغربية قوية تساندها جمعيات كثيرة.

٩ - عموم نفعه للمسلمين؛ لعدم ارتباطه بشخصية مؤسسه، وهذا بدوره ينمي الروح الجماعية الفاعلة، ويحيي الانتماء الحقيقي للأمة، وهذا مكن قوتها.

١٠ - مواجهة تحديات الواقع بما يناسبها؛ فإن الأمة اليوم يواجهها تحدٍّ من داخلها، في كيفية تطبيق منهج أهل السنة مع الاستفادة من منجزات العصر، دون التنازل عن المبادئ، كما يواجهها تحدٍّ من خارجها مؤسسي منظم؛ والقيام لهذا وذاك فرض كفاية لا ينهض به مجرد أفراد لا ينظمهم عمل مؤسسي، كما لا ينهض أفراد الناس لتحدي العمل المؤسسي في مجالات الحياة الاقتصادية، أو السياسية، أو الإعلامية، أو غيرها.

١١- الاستفادة من الجهود السابقة والخبرات التراكمية، بعد دراستها وتقييمها بدقة وإنصاف وحيادية، وبذلك يتجنب العمل تكرار البدايات من الصفر الذي يعني تبديد الجهود والعبث بالثروات.^(١)

الضوابط الرئيسة لنجاح العمل المؤسسي الخيري (الجماعي):

لكي يحقق العمل المؤسسي الخيري النجاح المعقود عليه بعد توفيق الله لا بد من مراعاة بعض الضوابط التي تسهل له الوصول إلى هذا النجاح المنشود:
ومن أبرز هذه الضوابط: -

١- استشعار القائمين بهذا العمل المؤسسي الخيري لأهميته في نشر الدعوة: فقناعة هؤلاء الأفراد بهذا الأمر لها دور أكيد في نجاح الجهود الدعوية المتنوعة التي يقوم بها العمل المؤسسي الخيري.

٢- الالتزام بالشورى: بحيث تصدر القرارات فيه من مجالس الإدارة أو اللجان المخولة لا أن يكون الرئيس أو الفرد هو مصدر القرار فوجود مجلس إدارة لا ينقل العمل من كونه عملاً فردياً إلى عمل مؤسسي فقد توجد بعض المنظمات أو الجمعيات التي لها لوائح وأنظمة ومجالس إدارة ومع ذلك فهي تمارس العمل الفردي لكون القائم عليها يتفرد بإصدار القرارات والآراء فلا بد إذن أن يستمد صلاحياته من المجلس لا العكس وأن تملك هذه اللجان مراجعة القرارات ونقضها تحقيقاً للمصالح العام، وفي هذا عمل بمبدأ الشورى الإسلامي الذي أكد على تداول الآراء ومناقشتها قبل العمل بها، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨)} [الشورى: ٣٨]

قال القرطبي: كانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به.^(٢)

(١) مجلة البيان (١١٧/ص ٣٨)، (١٤٣/ص ٤٦)

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥/٩)

٣- الالتزام بقيام العمل المؤسسي الخيري على الأسس الإدارية الرئيسة والتي تتكون من أربع وظائف رئيسة وهي: -

الوظيفة الأولى: التخطيط والدراسة قبل تنفيذ البرامج والنشاطات: -
ولضبط الخطط، وإتقان تنفيذها، وبلوغ الأهداف، يراعى الآتي:
أ - الأناة في التخطيط، والحماسة في التنفيذ؛

فالأول: لمراعاة القدرات والإمكانات، ومعرفة التحديات وحسن تقدير العواقب، وتحاشي مخاطر السرعة، والثاني: لاستباق الخيرات، وكسب الزمان، واغتنام المهمة، ومبادرة العزيمة.
ب - أهمية قيام المؤسسات بأداء أعمالها بأساليب علمية حكيمة تكفل استمرارها وأداءها لعملها على الوجه المطلوب، وحتى لا تتعرض لكيد الكائدين وأساليب المغرضين، ولا ينبغي أن يكون أهل النفاق أكثر حنكة منا؛ فكم نالوا أهدافهم من جمعياتهم وأعمالهم حتى بلغوا منهاهم.^(١)

الوظيفة الثانية: تنظيم العمل المؤسسي الخيري وترتيب أعماله.

الوظيفة الثالثة: التوجيه.

الوظيفة الرابعة: الرقابة.

٤- الاهتمام باستقطاب العنصر البشري وتنميته في العمل المؤسسي الخيري حتى يتمكن العمل المؤسسي الخيري من تحقيق النجاح المنشود فلا بد من الاعتناء بالعاملين والاهتمام بكفاءتهم لكونهم واجهته الحقيقية.

٥- الاهتمام بالعاملين والقياديين ذوي الملكة الإدارية المميزة وأصحاب التخصص في العلوم المختلفة، لأن كسب أولئك يعود بالنفع على العمل المؤسسي الخيري الذي هو بحاجة لمختلف التخصصات والإفادة منها في مشاريعه وبرامجه المتعددة.

٦- الاهتمام بتنمية الموارد المالية للعمل المؤسسي الخيري فهي عماد مهم يعينها على أداء رسالتها وتفعيل برامجها وتوسعها في نشر الدعوة.

(١) مجلة البيان (١٤٣/ص ٦٤)

٧- العمل على التجديد المناسب والتبديل الموضوعي في الطاقات البشرية وما يسمى بالدوران الوظيفي حتى يتم الجمع بين خبرة الكبار وحيوية الشباب، ويسمح للشخص باكتساب مزيد من الخبرة في مواقع متعددة من العمل؛ مما يعين على رفع مستوى كفاءة العمل وأدائه، مع مراعاة أن بعض الأعمال لا يقوم بها إلا متخصصين فلا يتم هذا التجديد إن لم يكن في صالح العمل.

٨- الاهتمام بالكيف لا بالكم.

٩- عدم المبالغة التي قد تصل للغلو في النظرة إلى الأفراد وتضخيم أدوارهم على حساب الباقي مما يترك أثراً سلبياً يؤثر في العمل المؤسسي الخيري وقد فطن لذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عزل خالد بن الوليد خشية تعلق الناس به وربطهم النصر بقيادته لذلك فلا بد من الاعتدال في النظرة للمسؤولين.

١٠- على المسؤولين في العمل المؤسسي أن يلتزموا بواجباتهم ليكونوا قدوة حسنة لمن يعمل معهم يجسدون في أعمالهم الأخلاق الإسلامية والمثل الإدارية؛ لكون أدائهم سينعكس سلباً أو إيجاباً على العاملين معهم.

١١- تسامي العاملين في العمل المؤسسي الخيري عن الخلافات وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية ولن يتم ذلك إلا بالتعاون والإخلاص والحذر من الحسد والعدل والإنصاف وتقوية الشعور بهوم المسلمين والحرص على وحدة الصف ليقوي بعضهم بعضاً.

١٢- التدريب المستمر للعاملين لرفع مستوياتهم وإكسابهم المهارات المناسبة لهم من أجل زيادة الإنتاج والتطوير.

١٣- العمل على الدراسة الدورية لأنظمة عمل المؤسسة وأهدافها وتغيير ما يحتاج إلى تغيير منها لتناسب مع ظروف العمل وواقعه.

١٤- العمل الدؤوب بصبر وثبات وحكمة على إزالة العوائق والعقبات التي قد تعترض تنفيذ بعض البرامج بعد دراستها وإيجاد الحلول المناسبة لها.

١٥- الاجتهاد في استمرار العطاء وفعل الخير ونشره وذلك مطلب شرعي جاء الحث عليه في النصوص الكثيرة.

١٦- الاستفادة التامة من الأخطاء والملاحظات التي قد يقع فيها العمل الخيري والاجتهاد في تلافيها في المستقبل.

١٧- مراقبة الله تعالى في جميع التصرفات وأن يجعل كل عامل ومسئول نصب عينيه قوله تعالى: {وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)} [التوبة: ١٠٥] وقوله تعالى: {وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١)} [يونس: ٦١].^(١)

الصفات الشخصية وأثرها في تحقيق العمل الجماعي^(٢):

لا يتصور الحديث عن العمل الجماعي في ميدان الدعوة بدون التركيز في الحديث عن علاقة رجل الدعوة بغيره من الناس وطبيعة هذه العلاقة.

يجب أن يعي رجل الدعوة، وهو وارث النبوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والموجه والمربي، يجب أن يعي أن تكون علاقته بالناس - كل الناس - وثيقة عميقة دقيقة. علاقة يحكمها الحب لهم، والحرص على إرشادهم وتوجيههم، وبذل النصح لهم، ورسم سبل الهداية لهم، والغيرة عليهم.

وإذا كان الأمر كذلك فإن من تمام الوعي للمسؤولية وحب التعاون والمعاونة أن يدرك أن الناس فئات وطبقات؛ فيتعامل مع كل فئة حسب طبيعتها ووظيفتها، والناس ينقسمون إلى عامة وغير عامة. فالعامة هم من ليسوا في موقع السلطة والمسئولية، من

(١) العمل الخيري المؤسسي للمطوع (ص ١٢٦ - ص ١٤٣) بتصرف

(٢) بتصرف من التعاون بين الدعوة مبادئه وثمراته، للشيخ د: صالح بن عبد الله بن حميد. مجلة البحوث

الأهل والأقارب والجيران وأهل الحي والقرية والبلدة وألوان المعارف والارتباطات والصدقات. وغير العامة كل ذي مسئولية مخاطب حسب مسؤوليته - صغيرة كانت أو كبيرة - من ولاية الأمر والمربين والعلماء والمعلمين وأصحاب الوظائف العامة والخاصة والمواقع الاجتماعية المؤثرة.

وإذا كان الأمر كذلك فعلى رجل الدعوة قبل أن ينتظر معاونة الناس واستجابتهم أن ينظر في نفسه وأخلاقه ومؤهلاته.

وهذا استعراض لأهم الصفات التي يؤثر تحقيقها واستجلاؤها في العمل الجماعي تحقيقاً واستمراراً.

١ - عقد الأخوة الإيمانية:

إن من أهم صفات رجل الدعوة استشعار عقد الأخوة في الله، الأخوة الحقة، أخوة من أجل نصره دين الله، إنه العقد الذي يشعر فيه المسلم بعامة ورجل الدعوة بخاصة أنه ليس وحيداً ولا فرداً.

وعليه فإن من أولى واجبات الداعية تجنب ما يعكر هذا الصفو، من هنات وهزات تورث نفرة القلوب ووحشة النفوس، يتجنب في هذا الباب كثرة العتاب والمرء والجدل، وبخاصة إذا شابه رائحة استعلاء وحب تميز وظهور. والتعريض في العتاب مقدم على التصريح مع حفظ الغيبة والثبات على الوفاء وترك الكلف بعيداً عن الأنانية وضيق الأفق والتعلق بصغائر الأمور والانشغال بها.

وللسلف رحمهم الله في هذا أقوال محفوظة وعبارات مسبوكة تنتصب دلائل ومناثر على ما نحن بصددده.

يقول الحسن رحمه الله: "المؤمن مرآة أخيه إن رأى فيه ما لا يعجبه سدده وقومه وحاطه وحفظه في السر والعلانية، فثقوا بالأصحاب والإخوان والمجالس" ^(١).
ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه. وكفى بالمرء عيباً أن يجد على الناس فيما يأتي أو يبدو لهم منه ما يخفى عليه من نفسه وأن يؤذيه في المجلس بما لا يعنيه" ^(٢).

ومن أقوال بعض الحكماء: "من جاد لك بمودته فقد جعلك عديل نفسه، فأول حقوقه اعتقاد مودته، ثم إيناسه والانبساط إليه في غير محرم، ثم نصحه في السر والعلانية، ثم تخفيف الأثقال عنه، ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة أو يناله من نكبة، فإن مراقبته في الظاهر نفاق، وتركه في الشدة لؤم" ^(٣).

ويقول عطاء بن أبي رباح رحمه الله: "تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو نسوا فذكروهم" ^(٤).
ويقول أبو جعفر بن صهبان رحمه الله: "كان يقال: أول المودة طلاقة الوجه، والثانية: المودة، والثالثة: قضاء حوائج الناس" ^(٥).

وهي كما ترى إشارات عابرة لما ينبغي أن يكون عليه رجل الدعوة من مبادرات ومحاسبة للنفس قبل محاسبة الآخرين أو انتظار عونهم.

(١) الإخوان لابن أبي الدنيا ص (١٣١).

(٢) الجامع لأبي زيد القيرواني ص (١٩٩).

(٣) أدب الدنيا والدين، ص (٢١٦).

(٤) إحياء علوم الدين، ٢ / ١٧٦.

(٥) الإخوان لابن أبي الدنيا، ١٩٤.

بل مهما تأملت وتعمقت فلن تجد في عقد الأخوة وصدق المودة كما صار بين موسى وأخيه في ميدان الدعوة والنبوة.

قال بعض السلف: ليس لأحد أعظم منة على أخيه من موسى عليه السلام على أخيه هارون عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا معه إلى فرعون وملئه، ولهذا قال ربه في حقه: {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} الأحزاب الآية ٦٩، وقال في مقام آخر: {وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا} مريم: ٥٣.

٢- الإخلاص:

الحديث عن الإخلاص كثير وواسع، وكتب العلماء رحمهم الله المتقدمين منهم والمتأخرين قد ملئت وشحنت بذكر فضله وعظم أثره والحث عليه ومراقبة النفس فيه. وخلاصة القول فيه أن الحديث عنه كثير، والدعوة إليه بين الناس عامتهم وعلماهم ودعاتهم كثيرة ومستمرة، ولكن العمل والتطبيق عزيز وعزيز جدا. والذي ينصب فيه الحديث هنا أثر الإخلاص في تحقيق التعاون، وعليه فليعلم رجل الدعوة أنه إن كان يضيق ذرعا بمساعدة إخوانه ومبادراتهم ومناصحتهم وتوجيههم وفتح الميادين الواسعة أمامهم إن كان يضيق بذلك فليتهم نفسه وليراجع إخلاصه. إن عليه - إن كان مخلصا - أن يبادر بفسح المجال للكفاء الأمين بالإسهام في ميادين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن هناك علاقة بينة بل تنازع جلي بين بذل التعاون والرغبات الشخصية. فالصدق في التعاون وبذله يستلزم تنازلا عن الرغبات الشخصية والأهواء الذاتية.

ومن قام بالتعاون على وجهه، ووفى أعباءه ومتطلباته، إنما يغلب هواه، ويتجرد في إخلاصه؛ بل إنما يقدم المصالح العليا، والحاجات الكبرى، على المصالح الخاصة.

ومنه يدرك الناظر أثر التعاون الحقيقي في بناء الوحدة وكبح شر الشرذم، ومن هنا تتجلى التراجحات بين التعاون والمنافع الذاتية. إنها قضية أساسية يجب أن تحتل مكانة أرفع لدى الدعاة والمفكرين في ميادين الدعوة.

٣- البعد عن التعصب والحزبية:

ليس أضر على الدعوة بعامة والعمل الجماعي بخاصة من الحزبية المنغلقة والمذهبية الضيقة، بل لا يكدر صفو الأخوة الإيمانية، ولا يضعف الرابطة الإسلامية أعظم من الحزب المقيت والتعنصر البغيض.

كيف يرجى التعاون، بل كيف تبني الروابط، والوجه الطليق والابتسامة الرقيقة والتحية الحارة حكر على الحزب والجماعة والطائفة، أما غيرهم فنصيبه العبوس والوجه الكاشح أو اللقاء البارد والابتسامة الباهتة؟!.

كيف تمد جسور التعاون وأخطاء الأصحاب يهون من شأنها، ويغض الطرف عنها، وتدخل في دائرة الاجتهاد المأجور. أما غيرهم فيسقط اللسان في التشهير به، ويرفع الصوت في تكبير أخطائه. أخطاء الجماعة وأغلاطها يستجلب لها المسوغات، ويستغفر لأصحابها، فهي عندهم لا تخدش في أصل المنهج، ولا تعيق المسيرة. أما غيرهم فأخطاؤهم غير مسوغة ولا مبررة؟!.

بل كيف يرجى التقارب - فضلا عن التعاون - إذا كان المتمي عندهم محصورا ومحاصرا، فلا يقرأ إلا كتب الجماعة، ولا يتلمذ أو يتلقى إلا عن شيوخ الحزب والمذهب؟!.

إذن كيف يبنى التعاون من هذا التلميذ، ضيق الأفق، مذبذب الشخصية، لا ينظر إلا من زاوية واحدة، ولا يدور إلا في فكر منغلق.

ما الذي يدفع إلى مثل هذا؟ هل هو حب التعاون؟ أم حب التجمع واستكثار الأتباع.

إن الطريق الأصوب والهدي الأقوم بإذن الله أن يفتح الباب واسعا أمام الدعاة، وبخاصة المتبدئون منهم؛ ليجلسوا إلى العلماء، ويستفيدوا من كل ذي خبرة؛ فيتربون على الأدب وحسن السمات، يتلقون من علماء ربانيين، فقهاء عاملين، لا يقصدون إلى استكثار الأتباع، ولا منافسة ذوي الرئاسة، أو مزاحمة أصحاب الزعامات، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٤- فقه الاختلاط:

من أهم أسباب تحقيق التعاون إحسان الاختلاط بالناس؛ لكسب مودتهم، وتوثيق الروابط بهم، بل إنهم مادته وميدانه.

اختلاط يخبر به أحوال الناس، ويميز طبقاتهم، من أجل حسن التعامل معهم، ومعالجة أخطائهم، وتقدير ظروفهم، من غير تجريح أو تقرع. اختلاط ينبئ عن اهتمام بهم، ومراعاة لمشاعرهم وأحاسيسهم، أدب في الخطاب والنداء، ودعوة بأحب الأسماء، مصحوبا بتبسم وتخير للكلمات الطيبات، طلب الدعاء بظهر الغيب، حسن المنظر والهيئة، المبادرة بتقديم المعونة، الإيجابية في المشاركات، والوفاء بالالتزامات، حفظ الأسرار، التواضع والحلم والأناة، والبعد عن التكلف، وتجنب التصرفات المزرية.

٥- التناوب في العمل وتقاسم الحمل:

في التعاون الصحيح يكون التفرغ الأكثر لأداء رسالة الدعوة ونشرها، وتوزيع أعباء الحياة ومشاغلهها. فالمتعاونان يمكن أن يوزعا الوقت بينهما ليقوم كل واحد بالضروري في حياته، ومن ثم تتوفر الأوقات لعمل الدعوة والإصلاح.

ومن خبر التعاون هذا قصة عمر رضي الله عنه والتي أوردها البخاري رحمه الله في صحيحه وغيره، حيث قال عمر رضي الله عنه: ﴿كنت أنا وجاري من الأنصار من بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ

ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك^(١)... إلخ القصة في خبر هجر النبي ﷺ نساء... .
وقد بوب لذلك البخاري رحمه الله بقوله: "باب التناوب في العلم".
قال الحافظ في الفتح: "إن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه، ليستعين على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته، لما علم من حال عمر أنه كان يتعاني التجارة إذ ذاك"^(٢).

خطوات إنشاء عمل جماعي فعال:

أولاً: خطط للعمل الجماعي:

- ١ - حدد أهداف الجماعة خلال الفترة القادمة شهر - سنة - أكثر مثل:
كمية العمل، جودة العمل، نمو القسم، طريقة أداء العمل، اللوائح التي يقدمها القسم.
- ٢ - حدد كيف تريد أن ينظر الآخرون إلى جماعة عملك، وما الصفات الأساسية التي تود أن تميز جماعة عملك.
- ٣ - حدد نقاط القوة والصفات التي تميز عملك؛ هل هي التكلفة قليلة، أم الجودة، أم خدمة العميل، أم الوقت، أم ماذا؟! !
- ٤ - حدد القيم التي تؤمن بها الجماعة والتصرفات السلوكية التي تعتقد أنها أهم لعمل الفريق "مثل الأمانة، الالتزام، الثقة، الإتيان، الشورى، التعاون... وغيرها من القيم".

(١) البخاري (٨٩)، مسلم (١٤٧٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٢٣، ٢٢٤). والجار هو عتب بن مالك الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه.

٥- حدد طبيعة علاقة الجماعة بغيرها من جماعات العمل الأخرى، وحدد طبيعة التعاون، والتنسيق، وتبادل الرأي والمنفعة بين الجماعات.

مكونات العمل الجماعي:

- ١- حدد مسئولياتك وأدوارك باعتبارك قائداً للفريق، وحدد مسئولية الجماعة فيما يتبقى من الأعمال، وهنا تنبيه مهم لخطأ يقع فيه كثير من القادة؛ حيث ينشغلون بأداء أدوار يستطيع غيرهم أداءها بينما لا يجدون الوقت الكافي لأداء دورهم الأساسي؛ ما يؤدي إلى انخفاض كفاءة العمل بصورة كبيرة؛ ولذا فحتى لا تنجرف في تيار الأدوار الجزئية التي يستطيع غيرك أداءها حدد من البداية ما هي أدوارك، وما هي أدوار بقية الفريق؛ ومن أهم الأدوار التي عليك أدائها كمسؤول:
 - تخطيط العمل وتحديد الأهداف.
 - تنظيم العمل وتقسيم الوظائف، وتحديد دور كل وظيفة.
 - توجيه الفريق ودفعه للعمل وتحفيزه.
 - الرقابة على أداء الفريق، والتأكد أن الخطة تسير في طريقها دون تعطل، وإصلاح الأخطاء.
 - التفكير الدائم في كيفية تطوير العمل وتطوير الفريق، وعدم الوقوف على المستوى الحالي.
 - حل المشكلات الإدارية التي تظهر في العمل، واتخاذ القرارات المناسبة لحلها مثل انخفاض الإنتاجية، وارتفاع نسبة غياب بعض العاملين، وعدم الوصول إلى مستوى الجودة المطلوب.
- ٢- حدد مسئولية ودور كل شخص في الجماعة.
- ٣- حدد التدريب والتطوير اللازم لك ولكل عضو في الفريق.

٤- تأكد من أن كل فرد لديه الاتجاهات النفسية السليمة تجاه الجماعة وتجاه النجاح في العمل، ويتم ذلك من خلال توضيح مزايا العمل في الجماعة، والمزايا الشخصية التي ستعود على كل فرد، وضوابط وأخلاقيات العمل الجماعي، وكيفية علاج مشكلات العمل الجماعي.

٥- ضع إجراءات وسياسات العمل حتى يمكن للجماعة أن تحقق أهدافها مثل:

* إجراءات تقييم أداء أعضاء الجماعة.

* إجراءات الحضور والانصراف.

* إجراءات تعيين موظفين جدد.

* أنظمة الإجازات ووضع جداولها.

* إجراءات الثواب والعقاب.

* صلاحيات تمثيل القسم.

* صلاحيات التعامل مع العملاء.

تصميم العمل الجماعي:

١- حدد خطوات العمل وتدققها في الجماعة، ويشمل ذلك بداية العمل وإجراءاته ونهايته ونواتجه، وذلك حتى يتم العمل بالكامل.

٢- وضع خرائط تدفق تشرح بالتفصيل إجراءات وخطوات العمل بالتفصيل من بدايته إلى نهايته.

٣- حدد أساليب التفاعل بين أفراد الجماعة، وذلك من خلال تحديد دور الاجتماعات والمقابلات، كما يتحدد في هذا المجال أيضًا أخلاقيات العمل اليومية بين الأعضاء وأساليب التعامل مثل:

* ضرورة مساعدة كل فرد لزميله.

* يتحلى الأفراد بالافتح الذهني.

* عدم إخفاء أية معلومة.

* لا يهاجم أي فرد زميله.

تنفيذ العمل الجماعي:

- ١ - ضع الخطط التنفيذية التفصيلية لعمل كل عضو من أعضاء فريق العمل. فعلى سبيل المثال وضعت الخطة التالية لأحد الأعضاء: صرف قائمة المواد من المخزن ثم الاتصال بالعميل والاتفاق مع العميل على المواصفات المطلوبة وإعداد الأفلام والصور ثم تجميعها وطباعتها وإعداد الصور الصغيرة والكبيرة والبروفات، ثم إعداد الطلبية في شكلها النهائي ثم تسليمها للعميل.
- ٢ - تأكد من أن الأدوار تؤدَّى بالشكل المطلوب مع تقييم أداء العمل الفردي والجماعي.

٣ - حل مشاكل النزاع والخلاف بين أطراف الجماعة.

٤ - قم بعمل تقييم للتفاعل بين الأفراد في العمل الجماعي، وذلك من خلال النظر في مدى تنفيذهم للموضوعات التالية:

* التزام أعضاء الجماعة بأخلاق العمل الجماعي.

* التنسيق بين أعضاء الجماعة.

* مساعدة وتدريب أعضاء الجماعة بعضهم لبعض.

* مناقشة أعضاء الجماعة مشاكلهم معًا بوضوح، وإيجاد حل مشترك لها^(١).

من ميادين العمل الجماعي:

لقد أقام الإسلام التعاون بين المسلمين على أساس محكم، ومد له في كل ناحية من نواحي الحياة بسبب. فالتمثيل القرآني لأهل الإيمان أنهم كالبنيان المرصوص، وفي

(١) انظر: العمل الجماعي لإبراهيم الفقي، والعوامل الخمسة لخلل العمل الجماعي - باتريك لينسيوني

التمثيل النبوي كالجسد الواحد. فأمر الإسلام ومطلوباته لا تتحقق على وجهها إلا بالتعاون. ودين الله بنيان شامخ لا يقوم ولا يثبت إلا حين تتراس لبناته وتتضامن مبانيه لتسد كل لبنة ثغرتها.

وإذا كان الله سبحانه قد خلق الخلق لعبادته وطاعته فإن هذه العبادات والطاعات أنواع: قلبية عقلية كالإيمان، وبدنية كالصلاة، ومالية كالزكاة، ومركبة من البدن والمال كالحج والجهاد.

وكل هذه العبادات بأنواعها لا تقام ولا تشاد إلا بوسائلها: من صحة الفكر، وسلامة البدن، وسعة ذات اليد. ولهذه الوسائل وسائل: من التفقه في الدين، والإحسان في الأعمال؛ من زراعة وصناعة وحرف، وإتقان في العلوم والمعارف؛ من الطب والحساب والهندسة والمعامل والمختبرات. ومن المقطوع به - كما سبق - أن الإنسان بمفرده بل حتى الرهط من الناس والجماعة المحدودة من القوم لا تستطيع بهذه الوسائل الانفراد بتحقيق هذه المقاصد. ومنه يتبين حاجة الناس إلى الاجتماع والتآزر، فذلك ما تقتضيه الفطرة، ويتطلبه الدين، وتتظم به الشؤون، وتستقيم به العلوم. وهذا بعض البسط لصور من العمل الجماعي في أحكام الإسلام وآدابه، وإذا استجلاها رجل الدعوة عرف ضرورة ذلك في ميدانه ومجاله.

فالصلوات الخمس جماعة وجمعة، وصلاة العيدين وآدابهما، والحج بشعائره، وعقد النكاح بوليّمته وآدابه، وعقيقة المولود، وإجابة الدعوى حتى للصائم، كلها مناشط عبادية اجتماعية تعاونية، ولا تكون صورتها الشرعية إلا كذلك. وينضم إلى اجتماع الأعياد اجتماع الشدائد والكرب في صلوات الاستسقاء والكسوف والجنّازة.

إنه انتظام عجيب بين أهل الإسلام في مواطن السرور والحزن، ناهيك بصورة الأخوة، ومبدأ الشورى، وحقوق المسلمين فيما بينهم؛ في القربى والجوار والضيف وابن السبيل

واليتامى والمساكين، مع ما يحيط بذلك من سياج الآداب الاجتماعية؛ من إفشاء السلام، وفسح المجالس، ودمج الزلة، مما بسطه قانون الأخلاق في الإسلام، مما سيأتي إشارة منه في الصفات الشخصية المؤثرة في التعاون. أما أنواع المعاملات والتعاملات فذلك جلي في عقود المضاربة والعارية والهبة والمهاداة وفرض الدية على العاقلة.

وثمة صور من المعاونات في كف الظلم، ونصرة المظلوم، ودفع الصائل بسلاح أو مال. بل هل يقوم الجهاد، وتقام الحدود، وتستوفى الحقوق، ويقوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالعمل الجماعي والتآزر^(١).

ومن هنا قال القرطبي رحمه الله: "فواجب على الناس التعاون، فالعالم يعين بعلمه، والغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة، فالمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم".^(٢)

فإذا وضع المسلمون أيديهم على هذه الأسباب الوثيقة، يتقدمهم أولو الأمر والعلماء والدعاة بلغوا المكانة المحفوفة بالعزة المشار إليها بقوله سبحانه: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} المنافقون: ٨. ^(٣)

أسباب الإحجام عن العمل المؤسسي الخيري:

(١) تفسير القاسمي ٢٥/٦.

(٢) تفسير القرطبي ٤٧/٦.

(٣) التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته، للشيخ د: صالح بن عبد الله بن حميد. مجلة البحوث الإسلامية (١٩٥/٥١).

ولسائل أن يقول: عَمَلٌ بهذه المزايا ما الذي حدا بالأمة اليوم إلى أن يحجم البعض عنه؟

ويجاب: بأن للأمر خلفيات وأسباباً، منها:

- ١ - طبيعة المجتمعات الإسلامية المعاصرة عامة، وعدم ترسخ العمل المؤسسي في حياتها؛ لما اعتراها من بُعد عن الدين أدى إلى تأصل الفردية، وضعف الروح الجماعية، والحوار والمناقشة والمشاركة، ولما حلّ بها من تخلف حضاري أقعدها عن الأخذ بأسباب الفاعلية والنجاح، فأصابها التأخر وتبدد الطاقات.
- ٢ - ضعف الملكة الإدارية لدى كثير من العاملين في الحقل الإسلامي، بسبب إهمال العلوم الإنسانية التي أفاد منها الغرب، وهذا مما ورثه العاملون عن مجتمعاتهم. وقد أدى هذا الضعف إلى الجهل بالعمل المؤسسي ومقوماته وأسباب نجاحه فتلاشت الخطط، وأغلقت دراسة الأهداف وإقامة المشاريع، وصار العمل مجرد ردود أفعال غير مدروسة أو عواطف غير موجهة.
- ٣ - حاجة الدعوة إلى الانتشار، مع قلة الطاقات الدعوية المؤهلة؛ مما حدا بكثير من الدعاة إلى التركيز على الكم لا الكيف، والغفلة عن قدرة العمل المؤسسي على الموازنة بين الكم والكيف، وتحقيق أكبر قدر منها.
- ٤ - الخلط بين العمل الجماعي والمؤسسي، والظن بأن مجرد قيام الجماعة يعني عملاً مؤسسياً، في حين أن كثيراً من التجمعات والمؤسسات لا يصدق عليها حقيقة هذا الوصف؛ لانعدام الشورى، والمركزية في اتخاذ القرار.
- ٥ - الشبهات العارضة التي يتذرع بها الممانعون من العمل الجماعي، بحجة بدعيته؛ فأحجموا بذلك عن العمل المؤسسي انطلاقاً من هذه الشبهة.
- ٦ - حداثة العمل الإسلامي المعاصر، فإنه إذا ما قورن عمره بعمر المؤسسات الغربية بان قصيراً جداً. يقال هذا لئلا تُهضم الحقوق، ولكي نقرب بالحديث من الإنصاف

لهذه الصحوۃ المباركة؛ حيث نرى بواذر الاهتمام بالمجالات الإدارية أكثر من ذي قبل^(١).

(١) مجلة البيان (١٤٣/ ص٤٦).

آليات تفعيل العمل التطوعي

آليات تفعيل العمل التطوعي

أولاً: التخطيط الجيد:

تمهيد:

إن من أولى وظائف الإدارة التخطيط الذي له عدة مفاهيم ناقشها عدد كبير من الكتاب والباحثين، وما يهم في هذا الفصل هو التعرف على المفهوم الإسلامي للتخطيط الإداري، ونبدأ بتعريفه من ناحية اللغة.

تعريف التخطيط لغة:

قال ابن فارس: (خَطَّ) الخاء والطاء أصل واحد؛ وهو أثرٌ يمتدُّ امتداداً. فَمِنْ ذَلِكَ الْخَطُّ الَّذِي يُخَطُّهُ الْكَاتِبُ. وَمِنْهُ الْخَطُّ الَّذِي يُخَطُّهُ الزَّاجِرُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ} [الأحقاف: ٤]، قَالُوا: هُوَ الْخَطُّ. وَمِنْ الْبَابِ الْخِطَّةُ: الْأَرْضُ يَخْطُهَا الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ هُنَاكَ أَثَرٌ مَمْدُودٌ.^(١)

وفي المعجم الوسيط: (التخطيط) وضع خطة مدروسة للنواحي الاقتصادية والتعليمية والإنتاجية وغيرها للدولة.^(٢)

تعريف التخطيط اصطلاحاً:

هو أسلوب عمل جماعي في منظمة يأخذ بالأسباب لمواجهة توقعات مستقبلية، ويعتمد على منهج فكري عقدي - يؤمن بالقدر ويتوكل على الله - ويسعى لتحقيق هدف شرعي: هو عبادة الله وتعمير الكون.^(٣)

(١) معجم مقاييس اللغة (٢ / ١٥٤).

(٢) المعجم الوسيط (١ / ٢٤٤).

(٣) التخطيط: دراسة في مجال الإدارة الإسلامية وعلم الإدارة العامة، فرناس البنا (٨٥) نقلاً من: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٥١ للسنة السابعة عشر، بحث بعنوان: التخطيط الإداري بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الوضعي، تأليف: د/ فيصل بن أحمد شعبي (٢٥٢).

وهناك تعريف آخر للتخطيط وهو: " عملية است فراغ الو سع من قبل الفرد أو الجماعة في الأخذ بالأسباب الشرعية والاستفادة من دروس الماضي والحاضر لوضع التدابير اللازمة لمواجهة المستقبل، مع التوكل على الله فيما قدر من نتائج لتحقيق أهداف تتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية أو لا تتعارض معها ".^(١)

وهناك تعريف ثالث للتخطيط وهو: " الإعداد لمواجهة تحديات إنجاز العمل في المستقبل، ولا يترك تحت رحمة المفاجآت، بل يؤخذ في الاعتبار توقعات المستقبل والإمكانيات المتاحة حالاً ومستقبلاً، وهو ما يتجلى في قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: ٦٠] ^(٢)

ويمكن تعريفه أيضاً بأنه: هو النشاط الذي ينقلك مما أنت عليه الآن إلى ما تطمح بالوصول إليه ^(٣).

إن الهدف من عملية التخطيط الاستراتيجي هو تحديد شكل المستقبل المؤمل إنجازه، ذلك المستقبل الذي يتناسب مع عناصر القوة في البيئة الداخلية ومع الفرص المتاحة في البيئة الخارجية في نفس الوقت الذي يؤدي إلى تقليل وتحييد عناصر الضعف في البيئة الداخلية والمخاطر الكامنة في البيئة الخارجية.

تتكون هذه المرحلة من أربعة أنشطة متسلسلة يتم اتباعها بالترتيب. وتتصف هذه النشاطات بكونها متتابعة أي أن وظيفة النشاط اللاحق إنجاز النشاط السابق له، وهكذا. وتتألف هذه المرحلة من النشاطات التالية:

أولاً: تحديد رسالة المنظمة.

ثانياً: صياغة الأهداف الاستراتيجية.

ويجب أن تتصف الأهداف بمجموعة من الصفات الهامة:

(١) مجلة الشريعة، المصدر السابق (٢٥٢).

(٢) الفكر الإداري الإسلامي والمقارن (١٦١).

(٣) التخطيط د/ سامي سلمان.

- الأهداف قصيرة المدى.

- الأهداف متوسطة المدى.

- الأهداف بعيدة المدى.

ثالثًا: وضع الخطط الاستراتيجية.

رابعًا: وضع السياسات. (١)

أهمية التخطيط في الإسلام.

أولًا: في القرآن الكريم

لقد ورد في القرآن الكريم آيات تشير إلى الاهتمام بالتخطيط، وهي بذلك تعلن سبق الإسلام للنظريات الحديثة حول الاهتمام بالتخطيط، فمنها:

١- فيما يتعلق بالتخطيط بصفة عامة والتخطيط العسكري بصفة خاصة، يقول الحق

تبارك وتعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [الأنفال: ٦٠]

يقول السعدي رحمه الله: أي {وَأَعِدُّوا} لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم.

{مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} أي: كل ما تقدرُونَ عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة

ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف

الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية، والمراكب البرية

والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم

المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعْلَمُ الرَّمْيُ، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال النبي ﷺ: {أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ} ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند

القتال، ولهذا قال تعالى: {وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} وهذه العلة

موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

(١) التخطيط د/ سامي سلمان.

فإذا كان شيء موجوداً أكثر إرهاباً منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأموراً بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب.^(١)

٢- **قال تعالى:** {وَابْتَغِ فِيما آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [القصص: ٧٧]

ففي هذه الآية توجيه رباني لجميع البشر بأن يخططوا تخطيطاً قد يتجاوز الفترة الزمنية للتخطيط طويل الأجل المعروف لدى الفكر الإداري الوضعي. أي أن على كل فرد أو جماعة أو منظمة أو دولة التخطيط والأخذ بالأسباب ليس فقط فيما يخص الحياة الأخروية، وإنما أيضاً فيما يخص الحياة الدنيا.

٣- توجد إشارة واضحة في القرآن الكريم إلى استعمال نبي الله يوسف عليه السلام لخطة طويلة المدى للتصدي لكارثة اقتصادية زراعية كانت ستحدق بمصر وسيعاني منها المصريون العناء الكبير. . إذ يقول المولى جلا وعلا عن يوسف عليه السلام أنه قال: {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ } [يوسف: ٤٧ - ٤٩]

وهذا ما يسمى بالتخطيط طويل المدى، ومدته الزمنية خمس عشرة سنة، ويمكن تقسيم هذه

الخطة إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: خطة إنتاجية.

المرحلة الثانية: خطة ترشيد للاستهلاك.

المرحلة الثالثة: خطة ادخار.

(١) تفسير السعدي (٣٢٤).

فالمرحلة الأولى والثانية تدعوان إلى مضاعفة الإنتاج الزراعي وذلك في قوله {دأباً} بنشاط متواصل، وفترات متعاقبة لمدة سبع سنوات، ثم تحثان على ترشيد الاستهلاك في الأكل والاستعمال على أن يتم ترك الجزء الأكبر من المحصول في سنبله، وهذه هي مرحلة الادخار، فهو أبقى وأحفظ من التلف والفساد نظراً لعناصر الحفظ التي أودعها الله تعالى فيها لسلامة المحصول، ثم مواجهة السبع سنين العجاف والضنك الاقتصادي الشديد بالاحتياطي من المحصول الذي أعدته المرحلة الثالثة من الخطة، فتمر هذه الأزمة بسنواتها السبع بسلام. ثم يأتي من بعد ذلك الانفراج الاقتصادي وتزدهر المزارع، وتكثف المحاصيل، ويغيث الله تعالى البلاد والعباد بالخيرات حتى يكثر فيه العصير وهو علامة الرخاء والخير الذي يعم المجتمع. وهكذا تمكن نبي الله يوسف عليه السلام، بتوفيق ربه عز وجل له، وبما آتاه الله تعالى من علم وحكمة وبصيرة وأمانة من استشفاف المستقبل من خلال رؤيا عزيز مصر ثم عرض الحلول المرحلية للكارثة الاقتصادية لمواجهتها والخروج منها بسلام.^(١)

٤- ومع صورة أخرى من صور التخطيط الذي ورد في القرآن الكريم ولكنه من نوع آخر؛ ففي سورة الكهف آيات تشير إلى قوم عانوا الكثير من اضطهاد يأجوج ومأجوج وطغيانهم مما دفعهم إلى اللجوء إلى ذي القرنين، فيقول المولى عز وجل على لسان هؤلاء المستضعفين: {قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} [الكهف: ٩٤]

قال المفسرون: إن ذا القرنين ذهب متوجهاً من المشرق، قاصداً للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدا بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوماً، لا يكادون يفقهون قولاً لعجمة ألسنتهم، واستعجاب أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به السنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: {إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} بالقتل وأخذ

(١) مقدمة في الإدارة الإسلامية أحمد المزجاجي (١٥٨ وما بعدها).

الأموال وغير ذلك. {فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا} أي جعلاً {عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبدلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: {مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ} أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم {أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} أي: مانعا من عبورهم عليكم.

{أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك.

{حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ} أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد {قَالَ انْفَحُوا} النار أي: أوقدوها إيقادا عظيما، واستعملوا لها المناfix لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد {قَالَ أَتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قَطْرًا} أي: نحاسا مذابا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكما هائلا وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} أي: فما لهم استطاعة، ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته. (١)

ومن الملاحظ أن ذا القرنين دعاهم إلى العمل الجماعي المخطط والمنظم كما يلي:

- ١ - قوة بشرية (عماله). ٢ - قوة مالية. ٣ - قوة آلية. ٤ - قوة مواد خام. (٢)

ثانياً: التخطيط في عهد الرسول ﷺ :

لقد عمل الرسول ﷺ وأصحابه بالتخطيط الإداري، ووضع خططاً سليمة وعملية منذ بداية فترة نبوته حتى نهايتها، ويمكن تقسيم هذه الخطط إلى الآتي:

(١) تفسير السعدي (٤٨٦).

(٢) مقدمة في الإدارة الإسلامية (١٥٩ وما بعدها).

- ١- التخطيط للدعوة. ٢- التخطيط للهجرة.
 - ٣- التخطيط العسكري. ٤- التخطيط العمراني.
 - ٥- التخطيط الاجتماعي. ٦- التخطيط الاقتصادي.
 - ٧- التخطيط السياسي والإداري.
- أولاً: التخطيط للدعوة:

عندما تحمل النبي ﷺ مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى أعد خططاً عملية ومرحلية وذلك من أجل تنفيذ الخطة الرئيسية للدعوة، وتحقيق الهدف الرئيسي لها. وهذه الخطط المرحلية مرتبة ترتيباً حكيماً وفقاً لأهميتها، وهي كالتالي:

١- الدعوة السرية لهذا الدين:

لما كان دين الإسلام - الدين الجديد آنذاك - بدعة مرفوضة مجهولة من قبل قريش فإن رفضها له أمر وارد، ولذا كان من الحكمة البالغة عدم مفاجأتهم بما يكرهون، فبدأ النبي ﷺ دعوته سرّاً، واستمر في هذا العمل الخفي لفترة ثلاث سنوات بعزيمة وإصرار ونشاط دؤوب.

٢- أول من بدأ النبي ﷺ بدعوته إلى الإسلام هم أهله وعشيرته وأقرب الناس إليه من أصحابه، ثم دعا كل من توسم فيه الخير وعرف فيه حب الصدق والعدل؛ إذ إنه كان هناك نفر من قريش من هم على الملة الحنيفة - ملة إبراهيم - وهؤلاء هم أصفى نفوساً وأسرع استجابة للدعوة. فدعى زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وابن عمه علي بن أبي طالب وأبا بكر رضي الله عنهم جميعاً، ثم أسلم آخرون سرّاً بعدهم.

٣- كان النبي ﷺ يستخدم الأسلوب الهاديء، والموعظة الحسنة.

٤- كان يحاول بقدر الإمكان رد الاعتداء مكتفياً بحماية نفسه من الأذى ولا يعتدي على أحد قط تنفيذاً لأمره تعالى: {وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [الأحزاب:

٥- بدأت بعد ذلك الدعوة الجهرية، والإعلان عنها استجابة لأمر الله تعالى بذلك:

{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر: ٩٤]

ومن هنا بدأ النبي ﷺ ينادي بأعلى صوته من على جبل الصفا، وفي كل مكان قائلاً: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. (١)

واستخدم النبي ﷺ في هذه المرحلة عدة نماذج للدعوة إلى الله فمنها:

- ١- دعوته الناس إلى الاجتماع من أجل أن يبلغهم.
- ٢- ذهابه إلى أماكن تجمع الناس وتبليغهم دعوته.
- ٣- رحلته من أجل التبليغ.
- ٤- تكليفه من أسلم تبليغ من لم يسلم.
- ٥- تكليف من تعلم أن يبلغ من لم يتعلم.
- ٦- إرساله الرسل والرسائل لتبليغ الملوك والأمراء.

ثانيًا: التخطيط للهجرة:

وقد تضمنت عملية التخطيط للهجرة ثلاث مراحل وهي كالآتي:

المرحلة الأولى: الهجرة الأولى إلى الحبشة: وقد تمت هذه الهجرة في شهر رجب من السنة الخامسة من النبوة، وكانت بإذن من الله تعالى وأمر من النبي ﷺ إذ طلب من بعض أوائل المسلمين الهجرة إلى الحبشة لأنه على علم بملكها أصحمة النجاشي بأنه ملك عادل لا يظلم عنده أحد.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المرحلة الثانية: الهجرة الثانية إلى الحبشة: وتمت في نفس السنة، وذلك بعد التأكد من مدى توافر الأمن والأمان والحماية للمهاجرين الأول، وكان عددهم في المرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع نسوة، وفي مقدمتهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

المرحلة الثالثة: الهجرة إلى المدينة النبوية، ونتج عن هذه المرحلة استراتيجيتان أساسيتان هما:

١- بيعة العقبة الأولى: وفيها بويع النبي ﷺ في موسم الحج من مجموعة قوامها اثنا عشر رجلاً قادمون من المدينة، وأرسل معهم الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه؛ ليعلمهم القرآن ويشرح لهم دين الإسلام ويفقههم فيه.

٢- بيعة العقبة الثانية: وتمت هذه البيعة بعد اتصالات سرية جرت بين رسول الله ﷺ وبين وفد من المدينة النبوية قدم للحج وكان عددهم هذه المرة بضعا وسبعين. ومن أهم الخطط التي أعدها النبي ﷺ، وقام بتنفيذها من أجل الوصول إلى دار الهجرة الآتي:

١- تدبير احتياجات الهجرة: أي تحديد الاحتياجات الأساسية والضرورية للرحلة الطويلة كالمال ووسائل النقل ومؤونة الطريق والأعوان.

٢- السماح لأبي بكر بمرافقته في الهجرة.

٣- اختيار وقت الظهيرة كوقت مناسب لإعلام أبي بكر الصديق بأمر الهجرة وذلك لسببين:

الأول: ليخالف عادته في المجيء إلى أبي بكر، فربما يتم رصده إذا جاء في مياعده المعتاد، وهو أحد طرفي النهار بكرة أو عشية.

الثاني: لأنه وقت القيلولة، ويندر أن ترى أحداً في مكة في هذا الوقت خارج بيته خصوصاً أن ذلك كان في أحد أشهر الصيف.^(١)

٤- الخروج من بيته بحفظ الله تعالى وحمايته رغماً عن أنف محاصريه من كفار قريش، والتمويه بمبيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ؛ حتى يتمكن ﷺ من مغادرة مكة في حين أن الكفار واقفون أمام بيته ﷺ يرصدون علياً على أنه هو النبي ﷺ.

(١) الهجرة النبوية المباركة (دراسة تحليلية موثقة)، تأليف: عبد الرحمن البر (٦٨).

- ٥- اتباعه خط سير مخالف لما كان يتوقعه الأعداء الذين جدوا في طلبه في الطريق الشمالي، بينما هو سلك الطريق الجنوبي المتجه إلى اليمن حتى بلغ جبل ثور ثم بعد ذلك اتجه إلى الشمال.
- ٦- لجأ إلى غار في هذا الجبل للاستراحة من متاعب المشي الطويل وحماية نفسه وصاحبه.
- ٧- بقاؤه في الغار لمدة ثلاث ليال.
- ٨- خصص عبد الله بن أبي بكر ليكون وسط قريش بمكة في النهار، وليوافيه مساءً بالمعلومات المهمة.
- ٩- خصص أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بإحضار الطعام إليهما.
- ١٠- كلف عامر بن أبي فهر أن يرعى غنمه على آثار سير عبد الله وأسماء بعد ذهابهما إلى مكة ليطمس أي علامة تدل على تحركهما.
- ١١- اتفق مع عبد الله بن أريقط الليثي لإحضار راحلتين، وليكون دليلاً لهما في رحلتها حتى يصلا إلى المدينة. (١)
- ١٢- بيان أن الرسول ﷺ يأخذ بالأسباب الشرعية - أي التخطيط للهجرة - مع الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، فبعد أن أخذ كل الأسباب التي يملكها البشر ووقعت المحنة في شيء خارج عن طاقته وقدرته (وصول المشركين إلى باب الغار) كانت ثقته بالله تعالى لا تحد، حيث قال ﷺ : ما ظنك يا أبا بكرٍ باثنينِ اللهُ ثالثُهُما. (٢)
- ثالثاً: التخطيط العسكري:**

(١) انظر في ذلك: الروض الأنف للسيهلي (٣ / ٧ وما بعدها)، وسبل الهدى والرشاد للصالحى (٢ / ٣٠٠ وما بعدها)، والسيرة النبوية الصحيحة للعمرى (١ / ١٣٢، ١٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

يتمثل هذا النوع من التخطيط في الغزوات والسرايا التي قام بها المسلمون بدءاً من: غزوة الأبواء، وبواط، والعشيرة، وبدر، والحديبية، وفتح مكة، وسرية عبيدة بن الحارث وحمزة، وفق مخطط الرسول ﷺ.

لقد كان الرسول ﷺ يعدُّ خططاً عسكرية يبين فيها كيفية اتخاذ الموقع للجيش المسلم أثناء المعركة.

وكان ﷺ يقسم وحداته إلى مقدمة ومؤخرة وميمنة وميسرة وقلب.

ومن أهم المضامين الأساسية التي كانت تحملها خطط رسول الله ﷺ للمعارك، ما يأتي:

- ١- زرع الخوف في قلوب مشركي مكة والقبائل الموالية لهم.
- ٢- تهديد طريق تجارة قريش إلى الشام، أي تهديد اقتصاد مكة.
- ٣- عقد المحالفات والموادعات مع القبائل لضمان تعاونها أو حيادها، لتأمين الوجود الإسلامي في المدينة.
- ٤- إبراز قوة المسلمين أمام اليهود والمشركين داخل المدينة والقبائل العربية خارجها.
- ٥- تدريب قوات الجهاد على التحمل والطاعة وتنفيذ الأوامر وحسن التصرف في حالة حصول مفاجآت.
- ٦- تأمين حدود الدولة الناشئة والتي أعلنتها وثيقة المدينة، حتى لا يجرؤ أحد على مباغتها أو التعدي عليها.
- ٧- تأصيل عظمة الجهاد في نفس كل مسلم بالحث عليه، وإبراز منزلة المجاهدين في سبيل الله تعالى في الدنيا والآخرة.
- ٨- توخي الحذر الشديد أدى إلى عملية استطلاع مستمرة عن تحركات الأعداء مما دفع المسلمين إلى مباغته العدو بقوة وحزم لإثبات وجودهم على الساحة العسكرية.
- ٩- إفهام الأعداء بأن فترة المهادنة والاستسلام قد ولّت إلى غير رجعة، وأن أي اعتداء سوف يواجه ردّاً أعنف مما يتوقعونه.

١٠- إعطاء الصلاة وضعًا خاصًا في الخطط العسكرية نظرًا لأهميتها القصوى، ولكن لا ينصرف المسلمون بكاملهم إلى الصلاة فيغدر بهم العدو ويميل عليهم ميلة واحدة، ولا ينصرفون عنها تمامًا، ولذلك نزلت آيات صلاة الخوف. ^(١)

رابعًا: التخطيط العمراني:

ظهر التخطيط العمراني في الإسلام منذ وجود الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة وذلك من خلال البناء الحسي والمعنوي للمساجد والدول والمساكن. فالجانب الحسي للتخطيط العمراني تضمن بناء مسجد قباء والمسجد النبوي، وبيوت زوجات الرسول ﷺ، ومنازل المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم.

وأما الجانب المعنوي فقد بادر الرسول ﷺ فور وصوله إلى المدينة لإقامة المسجد لتحقيق معان سامية، منها ما يلي:

١- تحقيق عبادة الله وحده، وهو الهدف الذي دعا الرسول ﷺ والمسلمين معه إلى الهجرة وبناء هذا المجتمع الجديد.

٢- نشر الأخوة والمحبة بين المسلمين، حيث يلتقون خمس مرات يوميًا يتآلفون، ويتفقدون أحوال بعضهم بعضًا، ويتبلغون برعاية القائد وأوامر الله تعالى. وأي تنظيم سياسي في العالم لم يستطع أن يضبط أتباعه بهذه المواعيد ويجعلهم يسلمون أنفسهم للقيادة خمس مرات يوميًا.

٣- نشر روح المساواة والعدل بين المسلمين، وذلك لوقوفهم على صعيد مشترك من العبودية.

٤- تكوين نواة للمدينة الحديثة، حيث نمت حول المسجد مشروعات تعمير المدينة، وأصبح المحور الذي يضبط اتجاهات نموها وامتدادات شوارعها منذ ذلك الحين حتى العصر الحاضر. ^(١)

^(١) انظر: مجلة الشريعة (العدد ٥١ / ٢٦٩)، مقدمة في الإدارة الإسلامية (١٥٠ وما بعدها).

وننتقل إلى نموذج آخر للتخطيط في هندسة المدن في صدر الإسلام وذلك عندما كتب الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قائد الجيش الإسلامي في الكوفة بأرض العراق سعد بن أبي وقاص يأمره بدراسة وضع المدينة مع كبير المهندسين (بأن يخطط لهم المدينة، ووضع له القواعد التي يتعين عليه اتباعها بأن يجعل عرض شوارعها الرئيسية أربعين ذراعاً، وما يليها ثلاثين، والصغيرة عشرين. وأن يجعل فيها أزقة: الزقاق سبعة أذرع، ليس دون ذلك شيء).^(٢)

خامساً: التخطيط الاجتماعي:

أدى تدفق المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة إلى حصول العديد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والصحية، ذلك أنهم تركوا أهلهم ومعظم أموالهم في مكة، مما أدى إلى عدم قدرتهم على ممارسة التجارة، وشعورهم بالوحشة، وحينهم إلى مكة وتعرضوا للإصابة ببعض الأمراض، مثل الحمى.

ومن أجل التخفيف عن المهاجرين شرع الرسول ﷺ نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وحل الإسلام محل قرابة الدم والنسب في شؤون الحياة.

فكانت فكرة الإخاء بداية تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الفئتين الأساسيتين اللتين تشكلان المجتمع الجديد في المدينة ريثما يستعيد المهاجرون مقدراتهم المالية والاجتماعية.

وإن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة.

واتخذ الرسول ﷺ من حقيقة التآخي أساساً لمبادئ العدالة الاجتماعية والتي تدرجت فيما بعد بشكل أحكام وقوانين شرعية ملزمة، ولكنها كلها إنما تأسست وقامت على تلك

(١) انظر: المدينة في صدر الإسلام: الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، تأليف: محمد العيد الخطراوي (٥٥)، مجلة الشريعة الكويتية (العدد ٥١ / ٢٦٤، ٢٦٥).

(٢) عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة (٣٢٠) نقلاً عن: مقدمة في الإدارة الإسلامية (١٦١).

الأرضية الأولى، ألا وهي الأخوة الإسلامية، ولولا هذه الأخوة العظيمة، لما كان لتلك المباديء أي أثر تطبيقي في شد أزر المجتمع الإسلامي ودعم كيانه. ^(١)

سادسا: التخطيط الاقتصادي:

وأما ما يتعلق بالجانب الاقتصادي فقد وضع الإسلام أصولاً وقواعد ثابتة لاقتصاد الأمة؛ إذ يجب على أي خطة اقتصادية لأي مجتمع مسلم أن تقوم على ركائز رئيسية أهمها:

- ١- تحريم الربا وكل ما يؤدي إليه ولعب القمار بكل أنواعه.
- ٢- التصدي للغش والتدليس واستغلال الناس بالباطل في البيع والشراء.
- ٣- منع الاحتكار لكل أنواع السلع وخاصة الضرورية منها.
- ٤- حصر الموارد المالية للدولة الإسلامية وأهمها الآتي:
 - أ- إيرادات الزكاة والصدقات والهبات.
 - ب- خمس الغنائم والمعادن والركاز، والمستخرج من البحار.
 - ج- الفبي وأنواعه كما أشار الفقهاء: كالخراج والجزية.
 - ٥- حصر النفقات للدولة الإسلامية وأهمها الآتي:
 - أ- مصاريف الزكاة الثمانية التي وردت في آية الصدقات.
 - ب- المصاريف العسكرية وهي نوعان: مدنية لحماية الأمن والنظام في داخل البلاد، وحربية للدفاع عن الأمة من أي اعتداء خارجي.
 - ج- نفقات الخدمات العامة: كالتعليم والصحة والطرق ونحوها، . . . الخ. ^(٢)

سابعاً: التخطيط السياسي والإداري:

^(١) انظر: مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، تأليف: محمد لقمان الندوي (٧٩)، الأمة والدولة في سياسة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، تأليف: نزار عبد اللطيف الحديثي (١٤٣)، فقه السيرة للبوطي (١٤٨)، مجلة الشريعة (العدد ٥١ / ٢٦٦).

^(٢) مقدمة في الإدارة الإسلامية، أحمد بن داود المزجاجي (١٥٥ وما بعدها).

استكمالاً للوحدة السياسية التي كان يهدف إليها الرسول ﷺ بعد أن وُحِدَ بين الأوس والخزرج، وبعد أن آخى بين المهاجرين والأنصار، أراد أن يحمي المسلمين من اليهود كأخطر فئة كانت في المدينة حينذاك، إضافة إلى إدخال الأمن والطمأنينة على نفوس غير المسلمين من أهل المدينة، فرأى عليه الصلاة والسلام أن ينظم علاقة المسلمين مع اليهود ليأمن شرهم وغدرهم، وكتب بينه وبينهم كتاباً ينظم تلك العلاقة. وأطلق على هذا الكتاب اسم وثيقة أو موادعة المدينة، وهو يتألف من عدة بنود. (١)

والمطالع لهذه الوثيقة يلاحظ تضمينها لعدة مبادئ تهدف إلى حماية المجتمع الجديد، سواء من الناحية السياسية أو الإدارية أو الاجتماعية. (٢)

وأهم ما يمكن ملاحظته فيها:

- ١- أنه لم يثبت من قبل أن أي دولة قامت منذ أول أمرها على أساس وثيقة مكتوبة غير هذه الدولة الإسلامية، فإنما تقوم الدول أولاً ثم يتطور أمرها إلى وضع هذه الوثيقة. (٣)

(١) ذكر هذه الوثيقة ابن إسحاق في السيرة النبوية وقال: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأمواهم وشرط لهم واشترط عليهم "بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة تغدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وذكرها كاملة انظر الروض الأنف (١٧١/٤) وقد حقق الدكتور أكرم ضياء العمري هذه الوثيقة في كتابه السيرة النبوية الصحيحة (٢٧٤/١) وبين أن طرقها ضعيفة لكن لها شواهد وفقرات في أحاديث صحيحة وقال: وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في أحكام الشريعة سوى ما ورد منها في كتب الحديث الصحيحة فإنها تصلح أساساً للدراسة التاريخية.

(٢) الإدارة الإسلامية: المنهج والممارسة، تأليف: حزام ماطر المطيري (٩٦).

(٣) انظر: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، تأليف: أحمد إبراهيم الشريف (٣٨٧) بتصرف.

- ٢- وضع وثيقة الدولة الإسلامية الجديدة القواعد الأساسية ورسم الخطوط العريضة لمنهاج الحكم والسلطة وعلاقات الأفراد والجماعات في الدولة الناشئة، فكانت الوثيقة السياسية الأولى، وتضمنت سبعة وأربعين بنداً.^(١)
- ٣- حددت الوثيقة ثلاثة معالم رئيسية وهي:
 - حقوق وواجبات المسلمين في الدولة الإسلامية.
 - حقوق وواجبات غير المسلمين في الدولة الإسلامية.
 - أحكام عامة لجميع المواطنين.^(٢)

أساليب التخطيط:

للمعملية التخطيطية أساليب ومداخل متعددة تم استخدامها واقعياً في كثير من المنظمات، وعلى مراحل تاريخية متعددة، وهذه الأساليب لا تخرج عن:

- ١- أسلوب التجربة والخطأ.
 - ٢- أسلوب التقليد.
 - ٣- الأسلوب العلمي.
- ولنأخذ كل أسلوب منها بشيء من التفصيل:

أولاً: أسلوب التجربة والخطأ:

يعتمد هذا الأسلوب على محاولة تجربة أي قرار تخطيطي يتم التوصل إليه مع الاستمرار في تجربة قرارات أخرى إلى أن يتم التوصل إلى حلول للمشكلة موضع القرار التخطيطي. إن استخدام هذا الأسلوب ممكن في حالة واحدة هي ثبات واستقرار كل العوامل الداخلية والخارجية التي تؤثر على أداء المنظمة، وإن كنا نؤكد على استحالة توافر هذه الحالة، ومما يؤخذ على هذا الأسلوب أيضاً ارتفاع تكلفته، وأيضاً يخلق مواجهة مستمرة مع الأفراد العاملين لكثرة تغيير وتعديل الخطط.

(١) انظر: الحكم والإدارة في الإسلام، تأليف: أكرم رسلان ديرانية (٥٩).

(٢) انظر: فقه السيرة النبوية، تأليف: منير محمد غضبان (٣٧٢).

ثانيًا: أسلوب التقليد:

يعتمد هذا الأسلوب على تطبيق السياسات والبرامج والجراءات للمشاكل المشابهة. إن استخدام هذا الأسلوب لا يأخذ في اعتباره اختلاف بيئة المواقف، وبالتالي فإن الحل لا يمكن تطبيقه بالمطلق، إنما يمكن لمتخذ القرار التخطيطي الاسترشاد بالإطار العام للكيفية التي تم التوصل من خلالها للقرار، ولا بد أن نشير أيضًا أن هذا الأسلوب يحتاج إلى كثير من الوقت والتكاليف إذا ثبت عدم الملاءمة للحل أو للقرار مع البيئة المطبقة فيه مرة ثانية.

ثالثًا: الأسلوب العلمي:

يعتبر هذا الأسلوب من أكثر الأساليب تطبيقًا في منظمات الأعمال، ويعتمد على التعمق في دراسة وتحليل المعلومات للتوصل إلى حقائق يمكن السيطرة عليها، ومن ثم ينتقل إلى تحديد البدائل، ومن ثم اختيار البديل الأكثر قبولًا لتنتهي مراحل هذا الأسلوب باتخاذ القرار التخطيطي أو قرار حل المشكلة المتعلقة بالتخطيط.^(١)

مراحل التخطيط:

ويقصد بمراحل التخطيط الأطوار التي تمر بها الخطة من بدايتها حتى نهايتها، وهي ثلاث مراحل أساسية:

- ١- مرحلة الإعداد.
- ٢- مرحلة التنفيذ.
- ٣- مرحلة المتابعة والتقييم.

ولنذكر نبذة مختصرة عن كل مرحلة من هذه المراحل، ليستعين بها العاملون في المجال التطوعي.

أولًا: مرحلة الإعداد:

ويقصد بها فترة تكوين الخطة، وتعتمد على ثلاثة عناصر رئيسية يمكن إيجازها على النحو التالي:

(١) الإدارة عملية ونظام (٦١، ٦٢).

العنصر الأول: التعرف على الحالة أو المشكلة، والاعتراف بأهميتها وضرورة التصدي لها، والنظر إليها بواقعية من العاملين في هذا المجال.

العنصر الثاني: جمع المعلومات الضرورية عن الحالة أو المشكلة سواء أكانت شفوية من مصادر موثوقة أم مكتوبة بدقة للمساعدة في إعداد الخطة الإعداد السليم.

العنصر الثالث: الدراسة والتحليل لإقرار الخطة ويتم ذلك حسب الخطوات الآتية:

١- فحص الحالة والتعرف على مسبباتها وقدمها أو أحداثها ومدى علاقتها بعوامل أخرى محيطة بها.

٢- الاطلاع على التقارير المقدمة بصدد ما من ذوي الاختصاص.

٣- العمل على دراستها بدقة وبصورة موضوعية بعيدة عن أي مؤثرات عاطفية أو شخصية.

٤- الأخذ بالشواهد والسوابق: أي الاستفادة القصوى من الأحداث الجارية والتجارب السابقة التي حدثت لقضايا مشابهة حتى يمكن معرفة الطرق والأساليب التي اتبعت في تكوين الخطة الصحيحة لمواجهة تلك الحالة.

٥- إقرار الخطة بعد حصول المدير على المشورة السليمة من المحيطين به، وينبغي ألا يستقل بنفسه في وضع خطته.

إن هذه العناصر الثلاثة تؤكد على أن القرار - أيًا كان نوعه - في الإدارة الإسلامية هو أبعد ما يكون عن العشوائية والارتجال، وأن اهتمام القائد الإداري بعملية القرار تدفعه إلى الفحص الدقيق للحالة، والدراسة العميقة للمعلومات الخاصة، وطلب المشورة لاتخاذ موقف معين صحيح. وهذا ما قام به المصطفى ﷺ في جميع قراراته المدنية والعسكرية، وسار على نهجه صحابته الأبرار رضي الله عنهم مثل الخليفة أبي بكر في قرار التصدي للمرتدين ومانعي الزكاة وتأديبهم. وكذلك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي اعتاد أن يحصي الناس عددًا، ويعلم عن أوضاعهم وأعمارهم قبل قرار توزيع العطاءات عليهم. . . وهكذا دواليك.

ثانيًا: مرحلة التنفيذ:

ويقصد بها الجانب التطبيقي للخططة، وذلك من خلال الأحكام التي توصل إليها القائد عندما كانت الخططة مشروعاً. ومرحلة التنفيذ هذه لا تقف عند حد العمل بموجب الخططة إنما تتضمنها مجموعة من التعليمات والنصائح التي يوجهها القائد باستمرار إلى فريق العمل في الجهاز الإداري وذلك من أجل ضمان التنفيذ الجيد بأعلى قدر ممكن من النجاح.

وهكذا خرج خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف القائد العسكري أسامة بن زيد رضي الله عنه ليس لتوديعه فحسب، بل لتزويده أيضاً بكل النصائح والإرشادات والتوجيهات التي حثه على التقيد بها من أجل إنجاح الخططة. وفي هذا قال: " . لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعزقوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة، ولا بيعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

وسوف تقدمون على أقوام يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها". (١)

وكذلك فعل مع خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم، وغيرهم من القادة العسكريين، وما ينطبق على الجانب العسكري ينطبق على الجوانب الأخرى الإدارية والمالية والاجتماعية وغيرها.

ثالثاً: مرحلة التقييم:

ويقصد بها فحص العملية الإدارية لمعرفة ما إذا تمت بطريقة صحيحة أو غير صحيحة. وهي لا تظهر إلا بعد متابعة القائد ومعاونيه لجميع الممارسات الإدارية التي قام بها الجهاز الإداري والمعتمدة في الخططة وذلك للتأكد من أنها تسير وفقاً لما رسم لها. وفي هذه المرحلة بالذات تتم مقارنة الأهداف التي تحققت بالأهداف الموضوعية سلفاً في الخططة من أجل التأكد من الوصول إلى الأغراض المتفق عليها. (١)

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١ / ١٧٢).

العوامل والاعتبارات التي يجب مراعاتها عند وضع الخطة:

هناك عدة عوامل يجب مراعاتها عند وضع الخطة ينبغي ملاحظتها، منها:

- ١- الوضوح.
 - ٢- المرونة.
 - ٣- المشاورة في وضع الخطة:
- مشاورة العاملين في المنظمة شيء ضروري وأساسي لضمان درجة عالية من النجاح عند التنفيذ.
- وهذا الأمر لا ينبغي أن تخلو منه المنظمات التطوعية، فكم من النجاح ستحققه المنظمة من وراء هذا الأمر، وكم من الخسارة التي تصيب الأعمال التطوعية من فقد هذا الأمر، ومن هنا جاء الأمر الإلهي لنبيه محمد ﷺ بمشاورة أصحابه، وألا يستقل برأيه، مع أنه المؤيد بالوحي الإلهي فقال تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: ١٥٩].
- ولقد طبق النبي ﷺ مبدأ الشورى مع أصحابه رضي الله عنهم في أمور كثيرة منها:
- ١- قبوله لرأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه حينما أشار عليه بمكان الحرب.
 - ٢- مشاورته ﷺ أصحابه في أسرى بدر.
 - ٣- مشاورته لأصحابه رضي الله عنهم قبل غزوة أحد.
 - ٤- قبوله لرأي سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق في غزوة الأحزاب (٢).
 - ٤- مراعاة الجانب الإنساني:
- يجب على المخطط وهو يضع الخطة أن يتذكر دائماً أنه يتعامل مع عنصر بشري، ذلك أن التنفيذ يتم بواسطة أفراد لهم مجموعة من العواطف والمشاعر، والاستعدادات ولهم دور بارز في إتمام العمل.
- ٥- دقة المعلومات والبيانات:

(١) انظر: مقدمة في الإدارة الإسلامية، أحمد بن داود المزجاجي الأشعري (١٦٠ وما بعدها).

(٢) انظر تحت هذا المبحث فصل عن الشورى في هذه الموسوعة.

إن البيانات الصحيحة والمعلومات الدقيقة هي الأساس الذي تبنى عليه الخطة، وعلى أساسها يتم تحديد الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة، للخطة والوقت المناسب لتنفيذها والصورة التي سيكون عليها الوضع عند التنفيذ من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كافة.

٦- الإعلان عن الخطة:

والهدف من إعلان الخطة هو وضع العاملين أو المواطنين في الصورة الحقيقية للأسس التي قامت عليها الخطة والأهداف التي تتوخى تحقيقها.^(١)

٧- التوكل على الله تعالى:

المخطط المسلم يعلم ويعتقد أن الله تعالى هو المدبر والمصرف لهذا الكون، وما التخطيط الإسلامي إلا من باب الأخذ بالأسباب الشرعية، وليس من باب التدخل في علم الغيب والادعاء بالمعرفة التامة بمستقبل الفكر والأداء والإنجاز.

وأما عنصر التوكل والاعتماد على الله تعالى في تلقي النتائج مع الأخذ بالأسباب الشرعية، فقد قال الرسول ﷺ في معنى التوكل لما قال له رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلْهَا وَأَتَوَكَّلْ، أَوْ أُطْلِقْهَا وَأَتَوَكَّلْ؟ قَالَ: اَعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ.^(٢)

فوائد التخطيط:

١- التخطيط يساعد على تحديد الاتجاه، وذلك لأن التخطيط في الأصل مبني على أهداف سبق للإنسان تحديدها.

فالعامل في المجال التطوعي لكي يؤتي العمل ثماره لابد له من تحديد أهدافه التي يصبو إلى تحقيقها، وإلا سيشقت جهده ويتبدد في كل اتجاه.

٢- التخطيط يساعد على تنسيق جهود العاملين وجعلها متناغمة مع بعضها البعض.

(١) عناصر التخطيط الإداري الفعال د/ محمد العامري.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦٨)، وفي تخريج مشكلة الفقر (٢٢).

فكل العاملين في المجال التطوعي يخدم بعضهم بعضًا، ويبنى بعضهم على عمل الآخرين؛ وبذلك تتحقق الأهداف المحددة التي اتفق عليها.

٣- التخطيط يقدم معايير واضحة ومقاييس محددة للتقدم لتحقيق الأهداف؛ ذلك أن الخطوات التي يتم تنفيذها والإجراءات التي يتم اتخاذها تعطيك فكرة عن مدى التقدم لتحقيق الهدف، وهذه الأهداف والإجراءات متتابعة وتنجز حسب الأولوية والأهمية، ومن ثم فهي بالفعل معايير واضحة ومقاييس محددة للتقدم.

٤- التخطيط يجعل العاملين في العمل التطوعي مستعدين للخطوات القادمة، فالخطوات والإجراءات المنفذة هي جزء من المنظومة المراد تحقيق الهدف بها. ولذلك عندما تقوم بخطوة فإن هذه الخطوة تقود طبيعيًا إلى خطوة أخرى، يكون هذه الخطوات محسوبة أصلاً، وهي أمور سبق لك التفكير فيها وتأملت نتائجها، وبطبيعة الحال ستكون مستعدًا لعمل الخطوة وتحمل نتائجها.

وبدون التخطيط كيف يتصور المتطوع وجود خطوات؟ وإذا وجدت فلا شك أنها ستكون عشوائية وغير مدروسة.

٥- التخطيط يكشف لك عن الحقائق ويوضح لك الأمور. فوجود برنامج زمني، وأولويات مرتبة، وخطوات محددة بتواريخ معينة. يكشف لك كامل الحقائق عن أهدافك والخطوات التي حددت للوصول إليها. هل الأهداف ملائمة؟ هل الخطوات تقود إلى الأهداف؟ هل هناك صعوبة في بعض الخطوات ويمكن استبدالها بخطوات أخرى؟ هل يعني ذلك تعديل في الأهداف؟ أم في الخطوات والإجراءات. . ؟ هل تحتاج وقتًا أطول لبعض الأهداف؟

فعملية التخطيط لابد أن تتسم بالمرونة حتى لو أدى ذلك إلى تغيير في الأهداف أو جزء منها.

٦- التخطيط يقدم الحوافز ويعزز من الثقة بالنفس، فتحديد الأهداف والشعور بإنجازها واحدًا بعد الآخر يحفز على المزيد من الإنجاز والعمل والتخطيط، كما يعزز الثقة بالنفس ويغمر الفرد المتطوع بمشاعر الانجاز والفرح والنجاح.

هذا وقد أشارت الدراسات النفسية إلى أن شعور الإنسان بأنه يسير في اتجاه هدفه، أو أنه قريب منه يشحنه بروح قوية من الحماس والنشاط، ويجعله يتذوق طعم النجاح ويتنقل من نجاح إلى آخر.^(١)

٧- يساعد التخطيط على ممارسة الوظيفة الرقابية بدرجة عالية من الفاعلية.^(٢)

(١) العادات العشر للشخصية الناجحة، د. إبراهيم بن حمد القعيد (٢٠٧: ٢١٠).

(٢) الإدارة عملية ونظام، كامل بربر (٦٠).

ثانيًا: التدريب

تعريف التدريب لغة:

التدريب في اللغة: التدريب على وزن تفعيل من دَرَبَ بالأمر دَرْبًا ودُرْبَةً، وتَدَرَّبَ: ضَرِيَ ودُرِّبَ به وعليه وفيه: ضَرَّاهُ. والمَدْرَبُ من الرجال: المَجْرَبُ. . والمَدْرَبُ: الذي قد أصابته البلى ودربته الشدائد حتى قوي ومرن عليها. وقد درب بالشئ يَدْرُبُ ودرب به إذا اعتاده وضري به، تقول: ما زلت أعفو عن فلان حتى اتخذها دربة. . والدارب: الحاذق بصناعته. (١)

ومن هذه المعاني والمرادفات اللغوية يتبين أن التدريب يكون بمعنى التعويد والحذق والتمرين، بحيث يتأهل المتدرب ويتعرف على ما هو بصده؛ ليكون فيما يتدرب فيه حاذقًا متقنًا متمرسًا خبيرًا، بحيث يعرف دقائق صناعته وأسرارها، ويعرف مع ذلك كيف يستفيد من ملكاته وقدراته بدقة وإحكام. (٢)

التدريب اصطلاحًا:

يكاد يجمع المتخصصون في التدريب والموارد البشرية بأن التدريب هو: "نشاط منظم مستمر مخطط له، يهدف لزيادة معارف الفرد وتغيير اتجاهاته، وتطوير مهاراته؛ بهدف الوصول إلى أداءٍ أكثر فعالية، يجعله قادرًا على مواصلة عمل ما بكفاءة وفعالية". (٣) أو هو: "عملية إدارية تسعى إلى زيادة مهارات الموظف ومعلوماته كمًّا ونوعًا؛ من أجل رفع كفاءته، وزيادة إنتاجيته، وتوسيع مداركه في مجال عمله". (٤) أو يمكن تعريف التدريب بشكل مختصر بأنه "نقل معرفة ومهارات محددة وقابلة للقياس". (١)

(١) لسان العرب (١ / ٣٧٤). بتصرف

(٢) تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، تأليف: د. عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب.

(٣) برنامج المدرب المعتمد (٢٧) تأليف: سامح أبو لبن، شركة كفاءة الدولية للتنمية والتدريب، ٢٠١١.

(٤) مقدمة في الإدارة الإسلامية (٤١٥).

التدريب في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح.

تمهيد:

إن الإسلام قد حرص على طلب العلم، واعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة، والعلم هو البداية الرئيسية لأي نوع من أنواع التدريب في حياة المسلم. ويكتسب العامل في المجال التطوعي قوته وكفاءته من خلال البرامج التدريبية الضرورية المناسبة والمعدة إعدادًا جيدًا.

ولهذا يصبح معيار الأفضلية بين العاملين واضحًا ومعلنًا؛ إذ إن المؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف، واليد العليا خير من اليد السفلى وفي كل خير. هذا " وإن الجمع بين التعليم الديني والتعليم الدنيوي فقط هو الذي سيهيئ أرضية سليمة للأشخاص؛ لمعرفة قيم مجتمعاتهم، ورفع كفاءتهم وقدراتهم للتمكن من كسب عيشهم على نحو حلال، واكتساب القدرة على المشاركة الكاملة في تطوير العلوم والتكنولوجيا وتحقيق المقاصد. وقد اهتمت الأدبيات الفقهية بتركيز القرآن الكريم والسنة المطهرة على العلم، وفي هذا يقول الإمام أبو زهرة " تدريب الشخص ليكون مصدر منفعة وليس مصدر ضرر لمجتمعه". (٢)

يمكن إدراك مفهوم التدريب من خلال عدة مفاهيم وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والتي من خلالها أيضًا نستطيع إدراك أهمية التدريب في الإسلام وهي كما يلي:

أولاً: تأصيل التدريب من كتاب الله تعالى:

(١) انظر: تأصيل نشاط التدريب من منظور إسلامي وطبيعة المعرفة في الصناعة المالية الإسلامية، تأليف: أحمد محمد محمود نصار.

(٢) انظر: الرؤية الإسلامية للتنمية في ضوء مقاصد الشريعة (٣٧) بتصرف يسير، تأليف: د. محمد عمر شابرا، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، ط أولى ٢٠١١.

١- قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (سورة الأنفال: آية ١٦)، وتشير الآية الكريمة إلى أهمية الإعداد السابق والذي لا يتأتى إلا من خلال التدريب. ^(١)

لذلك نرى أن بعض علماء الإدارة في العصر الحديث يُعرِّفون التدريب بأنه "حالة من التأهب" يمارسها العاملون بالمنظمات لمواكبة التغيرات التي تحدث في بيئة العمل، والتعامل معها بأعلى درجة من الإدراك والمهنية.

٢- صنيع الله تعالى مع أنبيائه ورسوله:

إن الله تبارك وتعالى أرسل رسلاً إلى أقوامهم، وأمرهم بالإنذار والتبشير، وعلم سبحانه أن هؤلاء الرسل سيواجهون شدائد ومصاعب، وسيقف الطغاة في وجوههم، وأنهم سيكونون في حاجة ماسة إلى معونة من لدنه تبارك وتعالى تساعد في مهمتهم الشاقة الجسمية. والمتأمل لصنيع الله تعالى مع أنبيائه -مما نقرأه في كتاب الله تعالى أو مما نعلمه من سنة رسوله ﷺ- يعجب لهذا الإعداد الدقيق والتدريب العميق، ويستفيد بذلك أهمية أن يتدرب على أمور كثيرة اقتداءً بهذا الصنيع الإلهي العجيب؛ إذ إن هذه الأخبار التي وصلت إلينا المراد منها الاقتداء والاتعاظ، ومحاولة الاستفادة منها في واقعنا المعاصر، مع ما يراد من سوقها إلى الناس من التعبد بها إن كانت آيات كريمات.

هذا ومن طرائق التدريب التي وردت في سيرتهم ما يلي:

أولاً: جعلهم رعاة للغنم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَائِطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ. ^(١)

^(١) انظر: تنمية القوى العاملة في الفكر الإداري الإسلامي والمعاصر (٥٤٢) تأليف: محمد حسين خليل، وقائع ندوة الإدارة في الإسلام رقم ٣١، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، ط١، ١٩٩٥.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " قال العلماء: الحِكْمَةُ في الهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها، وشدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها، وتفاوت عقولها؛ فجبروا كسرهما، ورفقوا بضعفها، واحسنوا التعاقد لها؛ فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة؛ لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم. (٢)

ثانياً: بداية النبوة بالرؤيا الصادقة في النوم:

ثبت في حديث عائشة وهي تحكي عن بدء الوحي إلى النبي ﷺ أنها قالت: " أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ". (٣)

قال القاضي عياض رحمه الله: " في هذا حكمة من الله تعالى، وتدريب لنبية ﷺ لما أَرادَه الله - جلَّ اسمُه - به؛ لئلا يفجأه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشرية، فبدأ أمره بأوائل خصال النبوة وتبشير الكرامة، من صدق الرؤيا.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦٢). (القيراط) معيار في الوزن وفي المقياس، اختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة وهو اليوم في الوزن أربع قمحات، وفي وزن الذهب خاصة ثلاث قمحات ومن الجرامات = ٠,٢١٢٥ من الجرام، وفي القياس جزء من أربعة وعشرين، وهو من الفدان يساوي خمسة وسبعين ومائة متر.
انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٢٧)، بحث في تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة (٢٨) تأليف: عبد الله بن سليمان المنيع.

(٢) فتح الباري (٤/ ٤٤١) وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٣٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣).

وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضوء، وسماع الصوت، وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة، حتى استشعر عظيم ما يراد به، واستعدّ لما ينتظره، فلم يأت الملك إلا لأمر عنده مقدّماته وبشاراته". (١)

ثالثاً: تحبيب الخلوة للنبي ﷺ :

قالت عائشة رضي الله عنها في الحديث السابق: "ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارٍ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءٍ".

إن الأمور العظيمة الضخمة تحتاج إلى تهيئة وإعداد كبيرين قبل الإقدام عليها، ومن ذلك الإعداد للعزلة الوقتية التي يحتاجها كل من يريد أن يجمع شتات أمره، ويحزم أمره، ويصل على أمر فاصل ورأي ناضج فيما يريد أن يقدم عليه.

والله تبارك وتعالى علم أن نبيه محمداً ﷺ مقدم على أمر عظيم جليل خطير، فحُبِّبَ إِلَيْهِ الْعِزْلَةَ وَرَغَبَهُ فِيهَا، فَكَانَ يَتَعَبَّدُ بِغَارٍ حِرَاءٍ لَيَالِيَ ذَوَاتِ عَدَدٍ، مُنْفَرِّدًا وَحِيدًا قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِالرَّسَالَةِ الْعَظِيمَةِ. (٢)

قال الكرمانى رحمه الله: " وهو شأن الصالحين وعباد الله العارفين. وقال الخطابي: حبيت العزلة إليه؛ لأنّ فيها فراغ القلب، وهي معينة على التعبد وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويخشع قلبه وهي من جملة المقدمات التي أرهصت لنبوته وجعلت مبادئ لظهورها". (٣)

وقال ابن الملّين نقلاً عن الخطابي أيضاً: " فحبيب إليه الخلوة لينقطع عن مخالطة البشر، فينسى المألوفات من عاداته، فيجد الوحي منه مراداً سهلاً لا حَزَنًا وَعِزًّا، ولمثل هذا المعنى كانت مطالبة الملك لهُ بالقراءة وضغطه". (٤)

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١ / ٤٧٩).

(٢) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي (٦٨) تأليف: د. محمد بن موسى الشريف.

(٣) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١ / ٣٢).

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢ / ٢٤٩).

ومن أمثلة الإعداد والتهيئة للأنبياء أيضاً: إعداد الله تعالى ذكره لموسى عليه السلام. قال تعالى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} [الأعراف: ١٤٢]

قال السعدي - رحمه الله -: "أراد تبارك وتعالى أن يتم نعمته عليهم، بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية، والعقائد المرضية، فواعد موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى، ويتهيأ لوعده الله، ويكون لنزولها موقع كبير لديهم، وتشوق إلى إنزالها".^(١)

ثالثاً: الصلاة الطويلة الشاقة نحو قيام الليل:

إن الله تبارك وتعالى أعد نبيه ﷺ للمهمات الثقيلة التي سيقبل عليها بقيام الليل والتطويل فيه، وبالتدريب على المشاق التي تخالط هذا القيام حتى يستطيع أن يواجه أعباء الدعوة بعد ذلك وهو قد اعتاد المشاق وتدرَّب على تذليل الصعاب.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦)} [المزمل: ١ - ٦]

رابعاً: التدريب على مواجهة الطغاة:

إن الله تعالى كلف رسله عليهم الصلاة والسلام الإبلاغ والإنذار، وساعدهم على هذا بمعجزات وأسعفهم بآيات بينات، ولقد أعد الله تعالى بعض أنبيائه فترَّبوا على التعامل مع هذه المعجزات.

وليس أعظم ولا أدل على هذا من قصة موسى عليه الصلاة والسلام، فالله تبارك وتعالى أرسله إلى أممي القبط وبني إسرائيل، وهي مهمة صعبة ولا شك، ولكن الله تعالى أعانه فدرَّبَه قبل الرسالة وأثناءها، إذ مرَّت عليه أحداث جسام قبل الرسالة صقلته وهيئاته، ولعل أبرز ما هيأه الله تعالى به السنوات التي قضاها عند الرجل الصالح في مدين.

(١) تفسير السعدي (٣٠٢).

ثم إن الله تعالى اصطفاه في مشهد مهيب بطريقة لم تتكرر في عظمتها ومهابتها وقوتها لنبي آخر، وكان في هذا حكماً كثيرة، منها - والله أعلم - تدريبه ليوواجه هيبة فرعون وصورته التي تصوّر عليها من العظمة والطغيان.

ثم إن الله تعالى درّبه على مواجهة فرعون تدريباً كافياً شاملاً للمهمة التي أرسله من أجلها - جلّ جلاله -، والمتأمل لقصته في كتاب الله تعالى يعلم هذا، فقد قال جلّ جلاله:

{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفِي بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ الْقَهَا يَا مُوسَى (١٩) فَالْقَاهَا إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {طه: ١٧ - ٢١}

والله تبارك وتعالى كان قادراً على تثبيت موسى لأول وهلة، لكن من الحكم في هذا الصنيع هو أن ندرك أن الله سنناً في كونه يجب احترامها والتدريب على التعامل معها.

ثم إن الله تعالى جرأ نبيه موسى عليه الصلاة والسلام على مواجهة الطاغية وماذا يقول له وكيف يرد، فقال:

{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى {النازعات: ١٧ - ١٩}

وطمأنه تعالى بقوله: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى {طه: ٤٦} و{قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ {القصص: ٣٥}

فهل بعد هذا التدريب تدريب؟!

خامساً: تدريب النبي محمد ﷺ على إجابة الأسئلة الموجهة إليه.

ومن المواقف التدريبية في كتاب الله تعالى - أيضاً - ما علمه رسوله محمد ﷺ من كيفية الإجابة على الأسئلة المستقبلية، فمن ذلك:

١- {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢) { [البقرة: ١٤٢، ١٤٣]

٢- {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ

اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ إِلَّا قَلِيلًا

{ [الفتح: ١٥]

وغيرها الكثير.

ثانياً: تأصيل التدريب من السنة المطهرة:

كان النبي ﷺ حريصاً على تبليغ الدين على أتم وجه، وقد صنع بأبي هو وأمي ﷺ، وفي سبيل

ذلك كان حريصاً على عدة أمور، منها:

أن يدرّب أصحابه رضي الله تعالى عنهم على أعمال متنوعة ليحسنوا قيادة الأمة من بعده ﷺ .

وقبل ذلك كان ﷺ يحثهم على الأخذ بأسباب القوة، والتي لا تكتسب إلا بالتدريب، وفي هذا

يقول ﷺ: **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**.^(١)

وقال عليه الصلاة والسلام " **أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ** ".^(٢)

وقالها عليه الصلاة والسلام بعد إدراكه لأهمية الرماية ودورها في إنشاء القوة الذاتية لدى

الفرد المسلم.

هذا وإن هناك عدداً وافراً من المواقف التدريبية في سنة المصطفى ﷺ يظهر معها بوضوح

مدى العناية الفائقة التي أولاهها النبي ﷺ لهذه المسألة المهمة، ويظهر معها - أيضاً - عظمة

هذا الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان؛ فمن تلك المواقف:

١- تدريب الصحابة على الدعوة وطرائقها:

لما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن علّمه ماذا يصنع، ودربه على الكلام مع القوم الكافرين.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٧).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فَرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ. (١)

ففي قوله ﷺ: " إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ " وصف لمن سيذهب إليهم معاذ لدعوتهم؛ حتى يكون على معرفة بمن سيقدم عليهم، ولأن أهل الكتاب يُفترض أن يكونوا أكثر قبولاً للدعوة من غيرهم من الوثنيين، وأيضاً قد يجادل أحد منهم فيكون على استعداد لجداهم بالتي هي أحسن.

هذا، وقد دربه - أيضاً - على التدرج في الدعوة، إذ لا فائدة من دعوة قوم إلى فروع وهم عن الأصول غافلون، ولا فائدة من دعوتهم إلى أصل كان غيره أولى منه وأجدر بالدعوة إليه. (٢)

٢- تدريب الصحابة على القضاء والفتوى:

كان النبي ﷺ يعهد إلى بعض الصحابة بالقضاء والفتوى، على أننا نعلم أن فتاوى الصحابة لم يكن القصد منها إلا التمرين على الاجتهاد، وذلك لأنه ليس لأحد أن يفتي أو يقضي بحضرة رسول الله ﷺ، ولكن الغرض هو تدريب الصحابة رضي الله عنهم على شؤون القضاء والفتيا بحضرة ﷺ ومن الأمثلة على ذلك:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنه - قَالَ: " بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا "، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ؟، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُبَيِّتُ لِسَانَكَ ".

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦).

(٢) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي (٨٤).

وفي رواية: (فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبَّتْ لِسَانَهُ، وَاهْدِ قَلْبَهُ، يَا عَلِيُّ، إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخَصْمَانِ، فَلَا تَقْضِيَنَّ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخِرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ "، قَالَ: فَمَا اخْتَلَفَ عَلِيٌّ قَضَاءُ بَعْدُ، أَوْ مَا أَشْكَلَ عَلِيٌّ قَضَاءُ بَعْدُ).
(١)

ولا يُنسى في هذا المقام أمره ﷺ سعد بن معاذ أن يحكم في يهود بني قريظة بحضرة ﷺ، فلما حكم فيهم حكمه الشهير المعروف، صوب حكمه، وهذا نوع من التدريب والتعليم.
فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ﴾ فَجَاءَ، فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُفَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسَبَى الذَّرِيَّةُ، قَالَ: ﴿لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ﴾ (٢)

٣- تدريب الخيل والخيالة على الجهاد في سبيل الله:

فقد كان النبي ﷺ يعقد المسابقات بين الخيل والفرسان ليرى أيهم أسبق، وفي هذا دليل على مدى اهتمامه ﷺ بالتدريب.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: سَابَقَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْخَيْلِ، فَأَرْسَلَتِ الَّتِي ضُمِّرَتْ مِنْهَا، وَأَمَدَّهَا إِلَى الْخَفِيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ، وَالَّتِي لَمْ تُضْمَرْ أَمَدَّهَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ فَيَمَنُ سَابِقَ. (٣)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: " وَفِي الْحَدِيثِ مَشْرُوعِيَّةُ الْمُسَابَقَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعَبَثِ؛ بَلْ مِنَ الرِّيَاضَةِ الْمُحْمُودَةِ الْمُؤَصِّلَةِ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَقَاصِدِ فِي الْغَزْوِ، وَالْإِنْتِفَاعِ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَهِيَ دَائِرَةٌ بَيْنَ الْإِسْتِحْبَابِ وَالْإِبَاحَةِ بِحَسَبِ الْبَاعِثِ عَلَى ذَلِكَ.

(١) أخرجه أحمد (٨٨٢)، وأبو داود (٣٥٨٢)، وصححه الألباني في (الصحيحة ١٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٣٦).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: لَا خِلَافَ فِي جَوَازِ الْمُسَابَقَةِ عَلَى الْخَيْلِ وَغَيْرِهَا مِنَ الدَّوَابِّ وَعَلَى الْأَقْدَامِ وَكَذَا التَّرَامِي بِالسَّهَامِ وَاسْتِعْمَالِ الْأَسْلِحَةِ لَهَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْرِيبِ عَلَى الْحَرْبِ". (١)

٤- تدريب الصحابة على أمور دنياهم:

فقد كان ﷺ يدرّب أصحابه على شؤون دنياهم، ويعلمهم العفة والاستغناء عن الناس. عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ أَحَبُّلًا، فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَبِيعَ، فَيَكْفَ اللَّهُ بِهِ وَجْهَهُ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أُعْطِيَ أَمْ يُنْعَى﴾ (٢) ثالثاً: تأصيل التدريب من عمل السلف الصالح رضي الله عنهم ومن بعدهم.

قد كان للصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن بعدهم من صدر هذه الأمة أعمالٌ في التدريب على شؤون العمل الإسلامي، وتبعهم على ذلك جماعات من الخلف كانت لهم أياد بيضاء في هذا الباب، فمن تلك النماذج:

١ - تدريب عمر أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما وشرائحاً على القضاء:

عَنْ شُرَيْحِ الْقَاضِي قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: "أَنْ أَقْضِيَ بِمَا اسْتَبَانَ لَكَ مِنْ قَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ كُلَّ أَقْضِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فاقْضِ بِمَا اسْتَبَانَ لَكَ مِنْ أُمَّةِ الْمُهْتَدِينَ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ كُلَّ مَا قَضَتْ بِهِ أُمَّةُ الْمُهْتَدِينَ فَاجْتَهِدْ رَأْيَكَ، وَاسْتَشِرْ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ". (٣)

وفي تدريبه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه بكتابته الوثيقة العمرية:

كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، فَافْهَمْ إِذَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا نَفَازَ لَهُ، أَسَى النَّاسِ فِي مَجْلِسِكَ وَفِي وَجْهِكَ وَقَضَائِكَ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يَبْتَاسُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ، الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ، وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا، وَمَنْ ادَّعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً فَاضْرِبْ لَهُ أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، فَإِنْ بَيَّنَّهُ أُعْطِيََتْهُ بِحَقِّهِ، وَإِنْ أَعْجَزَهُ ذَلِكَ اسْتَحْلَلْتَ

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٧٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٣٧٣).

(٣) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (١ / ٦٦، ٦٧).

عَلَيْهِ الْقَضِيَّةُ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ أَبْلَغُ فِي الْعُذْرِ وَأَجْلَى لِلْعَمَاءِ، وَلَا يَمْنَعَنَّكَ قَضَاءُ قَضَيْتَ فِيهِ الْيَوْمَ فَرَاغَتْ فِيهِ رَأْيُكَ فَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ أَنْ تُرَاجِعَ فِيهِ الْحَقَّ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ لَا يُبْطِلُهُ شَيْءٌ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ، وَالْمُسْلِمُونَ عُذُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِلَّا مُجَرَّبًا عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ، أَوْ مَجْلُودًا فِي حَدٍّ، أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاءٍ أَوْ قَرَابَةٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى مِنَ الْعِبَادِ السَّرَائِرَ، وَسَتَرَ عَلَيْهِمُ الْحُدُودَ إِلَّا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْإِيمَانِ، ثُمَّ الْفَهْمَ الْفَهْمَ فِيهِ أَذْلَى إِلَيْكَ مِمَّا وَرَدَ عَلَيْكَ مِمَّا لَيْسَ فِي قُرْآنٍ وَلَا سُنَّةٍ، ثُمَّ قَائِسُ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ وَاعْرِفِ الْأَمْثَالَ، ثُمَّ اْعْمِدْ فِيهَا تَرَى إِلَى أَحَبِّهَا إِلَى اللَّهِ وَأَشْبَهَهَا بِالْحَقِّ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ وَالْقَلْقَ وَالصَّجَرَ وَالتَّأْذِي بِالنَّاسِ وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. . . (١)

٢- تدريب عمر رضي الله تعالى عنه الناس على القوة والاختشيان:

قد كانت حال الفاروق معروفة في هذا الباب، لكنه لم يكتف بحاله بل أراد حمل الناس على أن يكونوا أقوياء فيهم خشونة الرجال وقوتهم، فهذا هو يقول لأهل الشام:

" انتزروا، وارتدوا (٢)، وانتعلوا، وألقوا الخفاف، وارموا الأغراض (٣)، وألقوا الركب، وانزوا نزواً على الخيل (٤)، وعليكم بالمعدية (٥)، أو قال: العربية، ودعوا التمتع وزبي العجم. . . " (٦)

٣- التدريب على قراءة القرآن العظيم:

كان جبريل ينزل بالقرآن العظيم على النبي ﷺ فيتعلم منه كيفية نطقه وتجويده، ثم إن النبي ﷺ علم الصحابة كيفية نطق القرآن العظيم وتجويده، وجهد الصحابة رضي الله تعالى

(١) إعلام الموقعين (١ / ٦٧، ٦٨). وقال: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه. وانظر هناك الكلام على دراسة الأثر وشرحه.

(٢) أي: البسوا الإزار والرداء.

(٣) أي: تدريبوا على إصابة الهدف.

(٤) أي: لا تستعينوا بشيء على ركوب الخيل بل اقفزوا عليها قفزاً.

(٥) نسبة إلى معد بن عدنان وكان خشناً.

(٦) عيون الأخبار لابن قتيبة (١ / ٢١٦).

عنهم في تعليم التابعين وتدريبهم على كيفية نطق القرآن العظيم وتجويده، وكان عدد منهم رضي الله تعالى عنهم قد تفرَّغوا لهذه المهمة الجليلة، منهم: الفاروق عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم رضي الله تعالى عنهم، وأخذ عنهم التابعون وأقرأوا تابعيهم. . . وهلمَّ جرًّا. وهذا أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه، كانت له طريقة فريدة يعلم بها الناس القرآن، وذلك بجامع دمشق، فكان إذا صَلَّى الفجر اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريف، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع على عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك. وكان عدة من يقرأ في المسجد ألفاً وستمائة ونيفاً، فإذا أحكم واحد منهم القراءة ترك عريفه وقرأ على أبي الدرداء. ^(١)

فهذه الطريقة الفريدة في التدريب على قراءة القرآن العظيم مما يحسن ذكره هاهنا في التأصيل لأهمية التدريب وبيان أخذ أسلافنا به على وجه حسن. ^(٢)

٤- التدريب على قضايا علمية متنوعة:

ثم إنه كان في سلف هذه الأمة وخلفها رجال عظماء، وعلماء كبراء حرصوا على أن يكون لهم تلاميذ يقتفون أثرهم من بعدهم، وينسجون على منوالهم، فعلموهم ودرَّبوهم، وهذا مأثور معروف.

فقد كان لأبي حنيفة رحمه الله تعالى أصحاب يتعلمون منه ويتدرَّبون، وكذلك كان للإمام مالك والشافعي وأحمد، وكثير غيرهم من أئمة الهدى ورؤوس الرشاد.

وعلى هذا درج السلف والخلف، وظهر ما يسمى بالمعيد، وهو الذي تدرَّب على إعادة الدرس بعد الشيخ للطلبة، وبرزت المدارس الفقهية الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، وهي - على الحقيقة - حلقات علم وتدريب على أصول المذهب وكيفية الاستنباط بموجب

^(١) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١ / ٦٠٦) مكتبة ابن تيمية.

^(٢) انظر: أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، تأليف: د. محمد نعيم ياسين. نشر دار الأرقام. الكويت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤.

تلك الأصول، وكان المشايخ يدرّبون طلابهم على الاستنباط والتصنيف، وكانوا يشجعوهم على مناقشة الآراء الفقهية بجرأة وقوة حتى تتكون عند أولئك الطلاب الملكات الفقهية المهمة.

وهناك بعض العلوم لا تفهم إلا بالتدريب والمشافهة كالتجويد والقراءات، وأصول الفقه والمنطق والفلسفة، وقد كان التدريب علامة بارزة في هذه الحقول العلمية، وقد ذكر بعض الأئمة في بعض كتبهم جوانب من التطبيقات والتدريبات على بعض مطلوبات الشارع الحكيم في جانب الزهد والرقائق، منها - على سبيل المثال - التدريب على التأثر بقراءة القرآن الكريم، فقد قال الإمام النووي مدرّباً على البكاء والتأثر عند قراءة القرآن:

"وَطَرِيقُهُ فِي تَحْصِيلِ الْبُكَاءِ أَنْ يَتَأَمَّلَ مَا يَقْرَأُهُ مِنَ التَّهْدِيدِ، وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، وَالْمَوَاقِيقِ وَالْعُهُودِ، ثُمَّ يَفَكِّرَ فِي تَقْصِيرِهِ فِيهَا، فَإِنْ لَمْ يَخْضُرْهُ عِنْدَ ذَلِكَ حُزْنٌ وَبُكَاءٌ، فَلْيَبْكْ عَلَى فَقْدِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنَ الْمَصَائِبِ".^(١)

أهداف التدريب:

إنه لمن المعروف لدينا اليوم أن العالم المتقدم مادياً يسعى بقوة للوصول إلى المثال المطلوب في كل جوانب الحضارة المادية، ويبدل بسخاء في سبيل هذا الأمر، ومن أهم الوسائل التي تصل بالمجتمع إلى إتقان الحضارة واستيعابها هو التدريب الذي يشكل مدخلاً رئيساً إلى تحسين إمكاناتنا الحالية، وتحسين أدائنا، وهو الوسيلة الفعالة في بلوغ الأهداف التي نرسمها.

إن من المجمع عليه الآن أن ما يتعلمه المرء وما يكتسبه من مهارات أهم بكثير مما ورثه عن آبائه من ذكاء وألمعية، فالتقدم العلمي الهائل وما أفرزه من وضعيات واعتبارات مختلفة جعل كل ما هو فطري ضئيلاً وقليل الجدوى في التعامل مع الأشياء والنظم المعقدة.

إن الحاجة إلى التدريب في العمل التطوعي تنبع من اعتبارات عديدة، ونذكر منها:

١- اكتساب معلومات ومهارات جديدة:

(١) المجموع شرح المذهب (٢ / ١٦٥). وانظر: أسس في الدعوة ووسائل نشرها، تأليف: د. محمد عبد القادر أبو فارس. نشر دار الفرقان. عمّان. الطبعة الأولى سنة ١٤١٢.

فمن أولى مهمات التدريب تعليم المتطوع وتبصيره بما يحتاجه من مهارات ومعرفة يحتاجها في عمله، وأن هذا يجعله متميزاً على من دونه في هذه المعرفة، والله تعالى قد قال في كتابه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩]

وإن العامل في المجال التطوعي يحتاج ولا بد إلى تطوير معلوماته، وعدم ركونه على ما عرفه سابقاً؛ فإن كل شيء يتجدد من حوله بسرعة مذهلة، وإن المعلومات التي كانت معه قبل الانخراط في العمل تتآكل مع مرور الأيام، فيضيق نطاق المعرفة لديه، ويحتفظ بالحد الأدنى الذي يساعده على أداء مهمته على نحو قاصر أو شبه مقبول، إن طول الخدمة يؤدي إلى التكرار والرتابة مما يقتل روح التجديد والاستمتاع بالعمل.

هذا وإن بإمكان التدريب أن يشعر المتطوع باكتساب معلومات ومهارات وطرق جديدة لا عهد له بها، كما أن بإمكانه أن ينعش معلومات ومعارف ذبلت.

٢- التدريب طريق الارتقاء:

إن من أهمية التدريب تمكين المتطوع من أداء عمله أداءً متقناً كما حث على ذلك النبي ﷺ بقوله: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقَنَهُ" (١).

وإن الذين لا يشعرون بالحاجة إلى التدريب هم أولئك الذين يعيشون على هامش الحياة، وكلما اقتربت الأمة من بؤرة الحياة المعاصرة شعرت أن حاجتها إلى التدريب والتطوير أشد، وإن أشد الناس حاجة إلى الرقي والتقدم هم العاملون في المجال التطوعي، ليوكبوا التقدم السريع لما يحدث في العالم من حولهم، وليكونوا أيضاً محترفين لعملهم لا مجرد هواة يسировون في عملهم كيفما اتفق.

ولذا فمن غير المستغرب أن تكون أمريكا على رأس قائمة الدول المهتمة بالتدريب حيث تنفق عليه بسخاء بالغ، وتذكر بعض الإحصاءات أن أمريكا حكومة وشعباً تنفق على التدريب سنوياً ١٢٠ مليار دولاراً.

(١) أخرجه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٢٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١١١٣).

ومن اللافت للانتباه أنه كان في أمريكا عام ١٩٥٨ (٣٢) محطة تلفازية تُعني بالتعليم والتدريب، ومعظم دولنا الإسلامية خالية من أية محطة تعليمية أو تدريبية إلى اليوم.^(١)

٣ - تشجيع العامل المتطوع على أن يقوم بعمله خير قيام أملاً في تحسين سجل حسناته عند خالقه عز وجل القائل: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف: ٣٠]

٤ - القضاء على المشاكل الإدارية أو الفنية التي تعترض العمل التطوعي، أو التخفيف منها من أجل تيسيره وتسهيله؛ استجابة لدعوة الرسول ﷺ: يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا.^(٢)

٥ - إيجاد تعاون جماعي فعال بين العاملين المتطوعين، وتنشيطه نتيجة لتوافر المهارات والمعلومات بينهم بشكل يكمل بعضهم بعضاً، ولاريب أن هذا التعاون مطلوب شرعاً لقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: ٢]^(٣)

٦ - ومن جوانب أهمية التدريب القصوى أنه يكسب الشخص المتدرب ثقة في نفسه، وقوة في انطلاقاته لم يكن يجدهما في نفسه من قبل؛ إذ المرء مجبول على الخوف مما يوكل إليه ويُناط به، ويحسب لذلك حسابات متعددة، فإن دُرِّب على ما هو مقدم عليه فإنه يزول بذلك ما يجده في نفسه من خوف وتحسس وجهود وقصور، ويُقبل راضياً سعيداً على ما كلف به من أعمال مهما عظمت أهميتها وصعب القيام بها.^(٤)

وسائل التدريب:

إن هناك وسائل عديدة للتدريب كالمناقشة الجماعية والندوات والاجتماعات وحضور المؤتمرات والدورات العلمية والبرامج التي تقوم بها بعض المؤسسات وغير ذلك.

(١)(٢) حول التربية والتعليم، د. عبد الكريم بكار (٣٩٨ - ٤٠٠) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩) ومسلم (١٧٣٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظر: مقدمة في الإدارة الإسلامية (٤١٦ وما بعدها).

(٤) كيف نرتقي بأنفسنا، د. عبد الكريم بكار (٥٣، ٥٤).

وإن اهتمام الإسلام بتنمية قدرات الموظف على القيام بمهام عمله على الوجه المطلوب تجسد منذ فجر الإسلام بعناية النبي ﷺ بمن يستعملهم عمالاً وقضاةً وأمراء لخدمة المسلمين، فكان النبي ﷺ يقوم بتدريبهم من خلال إسداء النصيحة والإرشاد والتوجيه السديد لهم أفراداً وجماعات.

ولقد اتبع الرسول ﷺ أساليب راقية جداً للإيضاح، تعتبر من وسائل التعليم التي لم يعرفها الفكر الحديث إلا في القرن العشرين، منها على سبيل المثال:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مَرْبَعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: " هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجْلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَاهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَاهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا " (١).

وشرح هذا النموذج النبوي وفقاً لما جاء في الحديث هو كالاتي:

- ١- الخط المستقيم الذي وسط المربع يمثل الإنسان.
- ٢- والمربع بأضلاعه يمثل الأجل المحيط بالإنسان.
- ٣- والخط المستقيم الخارج من يسار المربع هو الأمل قريباً كان أو بعيداً.
- ٤- الخطوط التي تخترق مربع الأجل لتصل الإنسان من أي جانب تمثل الأعراض كالإخفاق والمرض وآخرها الموت.

إن للتدريب وسائل متعددة تعدد الأفكار والمناهج والقدرات، وهو أوسع من أن يحاط به في صفحات، ولكن ما أورده هاهنا له تعلق واضح بالتدريب على العمل الإسلامي خاصة ومنها العمل التطوعي:

أولاً: إنشاء المؤسسات الخاصة بالتدريب الدعوي العلمي:

ويمكن إنشاؤها في الجامعات، ومراكز الدعوة، ومراكز هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووزارة الشؤون الإسلامية، والمراكز التعاونية، ومراكز دعوة الجاليات إلخ. . .

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٧).

حيث يتولى التدريب في تلك المؤسسات علماء كبار جمعوا إلى جانب العلم الحنكة والتجربة الطويلة، فيقدمون عصارة جهدهم وخبرتهم الطويلة إلى الأجيال الجديدة. وينبغي إلزام من يريد التصدر للدعوة - كُلُّ في مجاله - بحضور دورات في تلك المؤسسات حتى تُصقل مواهبه، وينضبط عنده التلقي المقرون بالتدريب والتجربة، فيخرج إلى المجتمع وقد نضج، وارتقى العلم النظري الذي حازه إلى سُدة العمل التطبيقي الذي هو - في الحقيقة - ثمرة العلم.

إننا في حاجة ماسة فعلاً لإنشاء مثل هذه المؤسسات التدريبية، وما أقلها في العالم العربي مقارنة بما هو موجود عند الغرب.

ثانياً: تضمين مناهج الجامعات والمعاهد والمدارس العليا قضايا التدريب على العمل الإسلامي:

إن تضمين التدريب في المناهج وجعله جزءاً أساسياً من المواد التي تلقى على الطالب هو الضامن - بإذن الله تعالى - أن يخرج جيل قادر على حمل أعباء الدعوة الفعلية. والناظر إلى خريجي الجامعات والمعاهد يجد أن قليلاً منهم يستطيع أن يتحدث ويخاطب الجمهور، أو إذا خاطبهم أن يكون مقنعاً سلس الأسلوب جزل العبارة. ويجب ألا يُستعجل في إخراج الطلاب إلى المجتمع وهم ليسوا بعد مؤهلين للدعوة والتأثير.^(١)

ثالثاً: الاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة:

وذلك نحو الشبكات الداخلية الحاسوبية، والشبكات الحاسوبية العامة (الإنترنت)، والقنوات الفضائية الإسلامية والثقافية الجادة، وقنوات الإذاعات المسموعة، فلو بثت كل تلك الوسائل المرئية والمسموعة مواداً مبرجة مرتبة عن كفاءات مختلفة متعددة للعمل الإسلامي بطرائق علمية مدروسة من كبار العلماء والمفكرين، لعاد ذلك بالخير العظيم على العمل الإسلامي في جميع بقاع الأرض.

(١) جريدة اللواء الإسلامي ٣ / ٨ / ١٤٢٠. نقلاً عن التدريب وأهميته في العمل الإسلامي د. محمد بن

إن تلك الوسائل تتميز بالانتشار الواسع مما يجعلها وسيلة جادة علمية لنقل الخبرة والتجربة إلى قطاع واسع من الجماهير المتعطشة للعمل الإسلامي العام الجاد.

إن في أنحاء العالم كله جماهير تتحرق لتعرف كيف تدعو إلى الله تعالى، وكيف تُنشئ مؤسسات إعلامية إسلامية، وكيف تُنشئ أو تساهم في إنشاء أعمال اقتصادية قائمة على مبادئ الإسلام، وهي متعطشة للمعرفة والثقافة الإسلامية الصحيحة النافعة، وهلمَّ جرًّا، فكم إذاً يكون من المفيد أن نقدم لها البرامج التدريبية النافعة التي تساهم في تعميق الحس الإسلامي لديها، ومن ثم تحويله إلى قوة متمثلة في مؤسسات متعددة الأغراض تساهم في إنشاء المجتمع الإسلامي الصحيح.

عرض لنموذج عملي للتدريب على عمل من الأعمال التطوعية
تمهيد:

إن التدريب يشمل أموراً كثيرة أعظم من أن تحصر في كتاب أو يتحدث عنها في عجلة كهذه؛ إذ قلماً أمر يهم المسلم في شؤون الدعوة إلا وهو محتاج فيه إلى تدريب، لكننا سنذكر هنا نموذجاً للتدريب على هذا العمل التطوعي، ويقاس عليه غيره إن شاء الله تعالى.

التدريب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إسلامي متفق عليه، لكن كيف يؤدي هذا الواجب؟ ومتى يقدم المرء على النصح ومتى يُججم؟ وما هي قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي تتعلق بهذا الأمر المهم.

والذي يعني به هذا المبحث هو التدريب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيجاد هذا الباعث في نفوس الصالحين؛ وذلك لأن جماهير غالبية من الدعاة والصالحين قد قصرُوا في هذا الباب، وتركوه حتى صار بينهم وبينه نُفرة طبيعية، لا لشيء إلا لأن كل متروك مهجور يكون بينه وبين النفس الإنسانية نُفرة ووحشة.

ولقد كثرت المصنفات في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستقر في النفوس وجوبه وأهميته، ولقد درس هذا الموضوع طلابٌ كثر في المعاهد الدراسية وفي غيرها، ولكن التطبيق

أمر آخر؛ إن الطبيب يدرس ست سنوات لكن لا يسمح له مزاولة المهنة إلا بعد سنة امتياز سابعة يدرب فيها على أيدي أطباء مهرة، وبعد ذلك يمنح الشهادة بأنه أهل وحائز للمهارة المطلوبة، وقس على ذلك المهندسين والفنيين.. فكيف يتخلف عن هذا الأمر المهم - وهو التدريب العملي - الطلبة الدارسون لقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أو العاملون فيه تطوعاً وتقرباً إلى الله تعالى واحتساباً للأجر.

ولا بد أن يعلم أن التدريب مهم غاية الأهمية في هذا الباب؛ لأنه يكفل عدم الغلو والشطط أو التساهل، ويكفل التقليل من الأخطاء العملية في هذا الباب، وفي الوقت نفسه يحفظ الداعية من اليأس والإحباط اللذين قد ينتجان من نفرة المدعو أو خشونته أو غير ذلك، أو ينتجان من رؤية الداعية كثرة المنكرات وقلة حيلته وضعفه في هذا الباب.

الخطوات العملية في هذا الباب:

١ - مصاحبة داعية بصير مجرب، والتلقي على يديه كيفية تطبيق قواعد الأمر والنهي بدون تساهل ولا غلو؛ فقد كان عدد من السلف يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر في رجال صالحين تخيروهم على عينهم وارتضوهم في هذا الباب، منهم هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما حيث كان يأمر بالمعروف في رجال معه. (١)

و منهم عبد الرحيم بن محمد العلثي البغدادي الذي كان شيخ بغداد في وقته ومن أجل علماء الحديث، وكان ملتزماً بالسنة زاهداً، وكان له أتباع وأصحاب يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (٢)

٢ - مصاحبة رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جولاتهم الدعوية، والاستفادة مما عندهم من خير كثير في هذا الباب، ويمكن أن يتم هذا بتنسيق محدد في زمان الإجازات ونحوها، ويمكن أن يكون هذا التنسيق بالتوظيف في الهيئة لمدة زمنية محددة تطوعاً واحتساباً، وهذه فرصة حسنة.

(١) انظر: تهذيب الكمال للمزي (٣٠ / ١٩٥).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (١٥ / ٥٤٥).

٣ - إنشاء معهد خاص للتدريب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإشراف على تطبيق هذه الشعيرة المباركة على أيدي علماء شجعان أقوياء مجربين؛ فإن هذه الأمة بحاجة ماسة إلى مثل هذه المؤسسات الدعوية المهمة.

٤ - التدريب على الصبر على الإيذاء النفسي والجسدي، وطريق المرء إلى هذا هو تفهم وتدبر هذه الآية الكريمة {أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٢، ٣] وأيضًا معرفة سير الأنبياء والصالحين قبله وكيف أوذوا وصبروا.

٥ - التدرب على الشجاعة ومحاولة اكتساب ما يمكن اكتسابه من هذه الصفة المهمة، والطريق إلى التطبع بهذه الصفة والتزود منها تدبر هذه الآية {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١] وأمثالها من الآيات، وقراءة سير الشجعان والأبطال، فإن هذا يعود على المرء بفائدة كبيرة.

٦ - الاطلاع على سير الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر من الأنبياء والصالحين، فإن هذا يقوي المرء ويشجعه ويسكبه استهانة بعواقب الأمر والنهي التي يقف دونها أكثر الدعاة والصالحين وتؤثر فيهم أيما تأثير.

٧ - زج النفس وإغماسها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خير الوسائل للتدرب عليه، والخطأ وارد ومقبول من المبتدئ.

٨ - التدرج في التطبيق مع البصيرة النافذة والحكمة والموعظة الحسنة؛ فإن هذا من شأنه أن يرسخ عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النفوس.

فبهذه القواعد التدريبية العلمية وأمثالها يتدرب الدعاة عمليًا على هذه العبادة الواجبة والشعيرة الربانية الثابتة، وينكسر الحاجز النفسي الذي حال بينهم وبينها سنوات طوالًا، ويشعرون أثناء أداء هذه العبادة بلذة إيمانية رائعة، ويرفعون عن الأمة إثم فرض الكفاية هذا، والله أعلم. ^(١)

(١) انظر: التدريب وأهميته في العمل الإسلامي (١٠٧ وما بعدها).

ثالثاً: التحفيز

تمهيد:

ما الذي يحفز الإنسان على قصّ نجاحاته في العمل؟ وما الذي يجعل العاملين في مؤسسة ما متحفزين لأداء أفضل ما عندهم؟ وما الذي يجعل نفس العاملين في ظروف أخرى مُثبطين؟. هناك ما يدفع كلاً منا لفعل شيء ما، فالجوع يدفعك أن تأكل، والعطش يدفعك أن تشرب. هناك ما يحفزنا إلى العمل ويجعلنا نحاول أن نأتي بأفضل أداء، وهناك أشياء قد تُثبّطنا وتجعل الإنسان يكاد لا يجد طاقة ليتحرك.

هذه المحفزات والمثبطات هي من الأمور التي ينبغي أن يعيها أي مدير؛ لأن التحفيز يجعلك تحصل على طاقات هائلة من العاملين، والتثبيط يجعلك تخسر هذه الطاقات. التحفيز يجعل الإنسان يفكر في حلول، والتثبيط يجعله يؤدي ما عليه ولا يحاول أن يبذل أي جهد زائد.

التحفيز يجعل الإنسان يؤدي وهو مستمتع بالأداء، والتثبيط يجعله يؤدي ما لا بد من أن يؤديه وهو كاره.

فالأداء يتناسب مع قدرة الإنسان على أداء العمل، وعلى حافزه لأداء العمل فكلما زاد الحافز لهذا الإنسان يتحسن الأداء.

ومن المؤكد أننا كبشر لسنا نشبه الآلات في شيء، لنا طبيعة خاصة، لا نعمل بضغط على زر، بل إن البشر كل البشر ما هم إلا مجموعة من الأحاسيس والمشاعر، والعمل لا بد أن يرتبط بتلك المشاعر. ولذا فحسن أداء العمل أو سوءه يرتبط بمشاعر العاملين نحو ذلك العمل، ولذا يدرك المدير الناجح كيفية التعامل مع الأفراد لإخراج أفضل ما لديهم نحو العمل المنوط بهم عن طريق التحفيز.

تعريف التحفيز لغة واصطلاحاً:

التحفيز لغة:

قال ابن فارس: (حَفَزَ) الحاءُ والفاءُ والزَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْحَثِّ وَمَا قَرَّبَ مِنْهُ.

فالحَفَزُ: حَثُّ الشَّيْءِ مِنْ خَلْفِهِ.

وَالرَّجُلُ يَحْتَفِزُ فِي جُلُوسِهِ إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ، كَأَنَّهُ حَاتًّا حَتَّهُ وَدَافِعًا دَفْعَهُ.

فالحَفَزُ: حَثُّ الشَّيْءِ حَثِيًّا مِنْ خَلْفِهِ، سَوِّقًا أَيْ دَفْعَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَالْحَفَزُ: الإِعْجَالُ، حَفَزَنِي عَنْ

كَذَا وَكَذَا يَحْفِزُنِي حَفْزًا، أَيْ: أَعْجَلَنِي وَأَزْعَجَنِي. (١)

تعريف التحفيز اصطلاحاً:

لقد عرَّف العلماء التحفيز بعدة تعريفات كلها متقاربة، ومؤداها واحد، فمنها:

هو: مجموعة الدوافع التي تدفعنا لعمل شيء ما. (٢)

أو هو: شعور داخلي لدى الفرد يولد فيه الرغبة لاتخاذ نشاط أو سلوك معين يهدف منه

الوصول إلى تحقيق أهداف معينة. (٣)

أو هو: عبارة عن مؤثرات خارجية، تحفز الفرد وتشجعه على القيام بأداء أفضل. (٤)

أو هو: عبارة عن تلك العوامل أو العناصر التي تشجع النقص في حاجات الأفراد، والتي

عن طريق إشباعها تتولد الرغبة لدى الفرد في بذل المزيد من الجهد؛ لتحسين مستوى أداء

الإنتاج في مجال عمله. (٥)

الفرق بين الدافع والحافز:

الدافع للعمل:

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٨٥)، والعين (٣/ ١٦٤)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٢٧)، الصحاح (٣/ ٨٧٤)، والمحکم والمحيط الأعظم (٣/ ٢٢٩)، والمخصص (٣/ ٣٥٢)، وشمس العلوم ودواء كلام

العرب من الكلوم (٣/ ١٥١٧)، ولسان العرب (٥/ ٣٣٧).

(٢) فن تحفيز العاملين (١٥) تأليف: آن بروس وجمس بيتوني، ترجمة: زكي مجيد حسن، ط. مؤسسة المؤتمن للتوزيع.

(٣) الحوافز (١٣) تأليف: عادل الجودة ط. المنظمة العربية للعلوم الإدارية ١٩٨٣ م.

(٤) السلوك التنظيمي (٩٣) تأليف: عبد المجيد عبد الغني الطجم وآخرين، دار النوايح، جدة ١٤١٧ هـ.

(٥) حوافز العمل بين الإسلام والنظريات الوضعية (١٣، ١٤) تأليف: محمد عقلة الإبراهيم.

شيء ينبع من نفس الفرد، ويثير فيه الرغبة في العمل؛ أي هو دفعة من الداخل، أو قوة داخلية تكتمل في نفس الإنسان، وتدفعه للبحث عن شيء محدد، وبالتالي توجه تصرفاته وسلوكه باتجاه ذلك الشيء أو الهدف.

وأهم تلك الدوافع هي الحاجات الإنسانية باختلاف أنواعها التي تنبع من شعور الإنسان بالحاجة إلى شيء معين فتخلق تلك الحاجة رغبة محددة في الحصول على ذلك الشيء فيسعى إلى البحث عما يشبع تلك الحاجة.

الحافز على العمل:

هو شيء خارجي يوجد في المجتمع، أو البيئة المحيطة بالشخص يجذب إليه الفرد باعتباره وسيلة لإشباع حاجاته التي يشعر بها، وعلى ذلك فالفرد الذي يشعر بالحاجة إلى النقود يدفعه ذلك الشعور إلى البحث عن عمل، ويكون تفضيله لعملٍ على آخر هو بقدر زيادة الأجر (الحافز) في حالة عن أخرى؛ إذ يتجه الفرد نحو ذلك الحافز الذي يحقق أقصى إشباع ممكن لحاجاته.

والتحفيز المادي والمعنوي للأفراد العاملين يحقق أفضل النتائج، ولا سيما الشباب منهم، فأما التحفيز المعنوي فيربط القلوب بالآخرة فيما يراد الإقدام عليه من العمل، وأما التحفيز المادي فبإعداد شيء من الجوائز ونحوها. (١)

الفرق بين التحفيز والإثابة:

تنبع أهمية التحفيز لكونه يعتبر المرحلة التي تسبق العمل، وهو ما يمكن أن نسميه بـ "التهيئة".

فكلما كان التحفيز جيداً كلما كان إنجاز العمل أجود، وكانت معدلات الإنجاز مرتفعة. ويعتبر التحفيز من أهم ما يبحث عنه الإنسان، ويتنظره من الغير، لذا عليك أن تدرك الطبيعة الإنسانية وكنهاها.

(١) انظر: واجبات العمال وحقوقهم في الشريعة الإسلامية مقارنة مع قانون العمل الفلسطيني (١/ ٨٨)، والإدارة عملية ونظام (١٤١) تأليف: كامل بربر.

التحفيز في الشرع:

أولاً: في القرآن الكريم:

إن التحفيز منهج ربّاني، ورد ذكره في العديد من آيات القرآن، مفاده دفع الناس إلى الخير والعمل، وتحذيرهم من الشرّ والفشل؛ إذ وردت في غير ما موضع من كتاب الله آيات تحث على التحفيز بشتى أنواعها:

١- قال تعالى: ﴿مَنْ عَمَلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال الشوكاني رحمه الله: " هذا شروعٌ في ترغيب كل مؤمنٍ في كل عملٍ صالحٍ، وتعميمٌ للوعود. ومعنى مَنْ عَمَلْ صَالِحًا: مَنْ عَمَلْ عَمَلًا صَالِحًا أَيْ عَمَلٍ كَانَ، . . . ، وقد جعل سبحانه الإيمان قيدًا في الجزاء المذكور؛ لأنَّ عَمَلْ الْكَافِرِ لَا اعْتِدَادَ بِهِ، . . . ، ثم ذكر سبحانه الجزاء لمن عَمَلْ ذَلِكَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَقَالَ: فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَقَدْ وَقَعَ الْخِلَافُ فِي الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ بِإِذَا تَكُونُ؟ فَقِيلَ: بِالرِّزْقِ الْحَلَالِ، . . . وَقِيلَ: بِالْقَنَاعَةِ، . . . وَقِيلَ: بِالتَّوْفِيقِ إِلَى الطَّاعَةِ، . . . وَقِيلَ: الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ حَيَاةُ الْجَنَّةِ. . . الخ " (١).

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَٰئِكَ هُمُ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَثِرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١]

قال السعدي رحمه الله: " إحسان العمل: أن يريد العبد العمل لوجه الله، متبعًا في ذلك شرع الله. فهذا العمل لا يضيعه الله، ولا شيئًا منه، بل يحفظه للعاملين، ويوفيههم من الأجر، بحسب عملهم وفضله وإحسانه، وذكر أجرهم بقوله: {أُولَٰئِكَ هُمُ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ

(١) انظر: فتح القدير (٣ / ٢٣٠، ٢٣١).

تَحْتَهُمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ}. (١)

٣- ويقول - عز من قائل -: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]

يمنح الله الحوافز للعاملين في صورتها الإيجابية (الثواب)، والسلبية (العقاب)، فهو يعدُّ الذين يفعلون الخير بأن لهم ثواباً كبيراً، والذين يعملون الشرَّ لهم عذاب عظيم.

٤- قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]

تشير الآية إلى اهتمام الإسلام بقضية المكافأة على العمل الصالح والعمل المشمر، فهذه مكافأة على عمل واحد إيجابي، يكافأ بعشر أمثاله، وهذا تعزيز ودعم معنوي، ودافع مستمر في عمل الصالحات.

ثانياً: التحفيز في السنة:

- ١- تحفيزه ﷺ على إحياء الأرض الموات:
عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ". (٢)

حيث يعد هذا تحفيزاً على استصلاح الأراضي وزراعتها وإحيائها بالبناء والعمارة عليها.

- ٢- تحفيزه ﷺ على إعطاء الأجير حقه:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ" (٣)

ففي الحديث ترهيب لمن يستأجر الأجير ولا يعطه حقه بعد قيامه بما أنيط به

٣- تحفيزه ﷺ على كفالة اليتيم:

(١) تفسير السعدي (٤٧٥، ٤٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٣٧٨)، وأبو داود (٣٠٧٣)، وصححه الألباني في الإرواء (١٥٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٧).

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى. (١)

٤- تحفيزه ﷺ على سن السنة الحسنة في الإسلام:

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ. (٢)

٥- تحفيزه ﷺ للمجاهدين على بذل الجهد في سبيل الله:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيْنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ. (٣) ففي هذا تحفيز منه صلى الله عليه وسلم للجنود على الثبات والإقدام وتحقيق النصر.

٦- تحفيزه ﷺ لمن يخدمه بمرافقته معه في الجنة:

عن رِبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوُضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ. (٤)

أيُّ تحفيز بعد هذا التحفيز؟! وأيُّ تواضع بعد هذا التواضع؟! وأيُّ تكريم بعد هذا التكريم؟!، وكيف بالرسول الذي يوحى إليه ﷺ وهو يسأل خادمه عن حاجته؟ وهذا الأمر لم يكن مخصوصاً بريبعة فحسب؛ بل شامل لجميع خدمه ﷺ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَقُولُ لِلْخَادِمِ: "أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟" (٥) وفي هذا بيان باهتمامه ﷺ بكافة شرائح المجتمع وتحفيزهم.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١).

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٥) أخرجه أحمد (١٦٠٧٦). وانظر: الصحيحة (٢١٠٢).

٧- تحفيزه ﷺ بلفت الانتباه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ - أَوْ شَابًّا - فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَسَأَلَ عَنْهَا - أَوْ عَنْهُ - فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟ قَالَ: فَكَانَتْهُمْ صَغُرُوا أَمْرَهَا - أَوْ أَمْرَهُ - فَقَالَ: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ تَمْلُوءُ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُتَوَرَّهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ. ^(١)

وبفعل النبي ﷺ هذا كأنه ينقل لنا مجموعة من الرسائل التحفيزية:

أولها: إظهار منزلة هذه المرأة وكرامتها بإتيان قبرها والصلاة عليها من أفضل الخلق ﷺ ، وهذه منقبة ظاهرة لهذه المرأة رضي الله عنها.

الثاني: أنه ﷺ بتفقدته لها يوضح للأمة ما ينبغي أن يكون عليه القائد من الاهتمام بكافة شرائح المجتمع.

ثم رسالة ثالثة ومهمة: وهي أن البعض قد يستصغر ما كانت تقوم به هذه المرأة من تنظيف المسجد، فبين النبي ﷺ بفعله واهتمامه هذا أن تقدير العاملين ينبغي أن يكون للجميع مهما كان صفة عمله، ولننظر إلى أولئك نظرة احترام وتقدير لما يقدمون.

٨- تحفيزه ﷺ للأنصار بالثواب الأخروي الدائم:

ومن أبلغ أمثلة التحفيز النبوي على هذا النوع، هذه القصة العظيمة التي حفظتها لنا كتب السنة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَانَتْهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصَبِّهِمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ كُلُّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُحَيِّبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: كُلُّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: "لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْنَا كَذًا وَكَذَا، أَنْتَرَضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ،

(١) أخرجه البخاري (٤٦٠)، ومسلم (٩٥٦) واللفظ له.

لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشَعْبًا لَسَلَكَتُ وَادِي الْأَنْصَارِ وَشَعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارُ وَالنَّاسُ دِثَارُ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَهُ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ". (١)

هذه الكلمات خاطب النبي ﷺ قلوب الأنصار - رضي الله عنهم - ومشاعرهم قبل أن يخاطب آذانهم، وأكد لهم حقيقة الأمر، وحفزهم عليه الصلاة والسلام حتى رضوا بالله ورسوله والدار الآخرة، وكان من وصفهم:

"فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا". (٢)

٩- تحفيزه ﷺ بإعطاء المال:

ومن تنويع النبي ﷺ في التحفيز أنه كان يحفز البعض بالمال، وقصة الأنصار السابقة دليل على تحفيزه ﷺ للمؤلفة قلوبهم، وقد كان النبي ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، تحفيزًا للناس لهذا الدين وترغيبًا لهم بالإسلام.

فعن أنس رضي الله عنه قال: "ما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ عَتَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلُمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ". (٣)

١٠- تحفيزه ﷺ بإعطاء الألقاب المناسبة:

لقد كان النبي ﷺ يحفز أصحابه رضوان الله عليهم ويصفهم بألقاب يحملونها في حياتهم وبعد مماتهم وهي منقبة لهم عظيمة وكبيرة.

فلقب أبا بكر "بالصديق" تحفيزًا له على تصديقه ومؤازرته للنبي ﷺ، ولقب خالد بن الوليد "بسيف الله" تحفيزًا له شجاعته وإقدامه في الغزوات، ولقب أبا عبيدة "بأمين هذه الأمة"،

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٢) أخرجه أحمد (١١٧٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

وغيرها من الألقاب التي بقيت لهم وسام شرف من قائد الأمة ﷺ ورضي الله عنهم وأرضاهم.

١٢- تحفيزه ﷺ لعقول أصحابه بالسؤال والتعلم:

لقد تكرر من النبي ﷺ أسلوب تحفيز عقول أصحابه رضوان الله عليهم عن طريق السؤال، فتارة يقول لهم: "أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟" (١). وأخرى يقول لهم: "أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي الْيَوْمِ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟" (٢). وثالثة يقول لهم: "أَتَعْلَمُونَ مِنَ الشَّهِيدِ مَنْ أَمْتِي؟" (٣).

كل هذه الأسئلة منه ﷺ تستثير عقول أصحابه رضوان الله عليهم وتحفزهم للتعلم والاستزادة من الخير.

١٣- تحفيزه ﷺ عن طريق الترهيب:

وهو نوع معروف عند من تحدثوا عن التحفيز وأنواعه، ويعني على مستوى المؤسسات عندما تكون المؤسسة مهددة بالخطر فيذكر القائد الأفراد بالأخطار التي تحيط بالمؤسسة؛ ليبذل معظم الأفراد جهودًا استثنائية لزيادة فعالية العمل.

وقد كان النبي ﷺ يستخدم هذه الطريقة في بادئ الدعوة عندما كان المسلمون في حالة استضعاف.

فَعَنْ حَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ - رضي الله عنه - قَالَ: شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسْقُ بِائْتِنَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ حِمِّهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٩٦).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩٩٨).

دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُثَبِّتَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ. (١)

وفي هذه العبارات تحفيز وتسلية لهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم.

١٤- تحفيزه لأصحابه ببذل النفس للجهاد ومعرفة خبر العدو:

عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذْتَنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِمَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِمَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِمَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأَتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ:

اذهبْ فَأَتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذَعْرُهُمْ عَلَيَّ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَلَا تَذَعْرُهُمْ عَلَيَّ، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَعْتُ قُرْرًا، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَرَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: قُمْ يَا نَوْمَانُ. (٢)

أهمية التحفيز:

إن مما لا يجهله أحد أن تشجيع الإنسان وتحفيزه لعمل الخير، وخصوصاً إذا كان عملاً تطوعياً له أهمية كبرى في قيام هذا العمل واستمراره، وسنذكر الآن بعضاً من الأمور التي تدل على أهمية التحفيز في العمل التطوعي:

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٨).

- ١- أنه وسيلة إلى إتقان العمل: فإن من أهم مرتكزات العقيدة عند المسلم، يقينه بأن الله يراقبه في حله وترحاله وسائر أحواله وأفعاله، ذلك بأن الله سبحانه وتعالى لا يغفل عن شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.
- ونتيجة لهذه الرقابة الإلهية تنتظم حياة المسلم في كل لحظة من لحظات عمره، وفي أي ميدان من ميادين العبادة والعمل والإنتاج، ويندفع إلى العمل بحافز من نفسه وباعث من ذاته - لا سوطاً يسوقه من الخارج - وذلك الباعث الذاتي هو ثمرة إيمانه بالله تعالى.
- والمؤمن لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل؛ بل يهيمه أن يجوده ويتقنه ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه. (١)
- ٢- يعتبر التحفيز هو السبيل إلى المبادرة المستمرة، والإبداع المتجدد، والديمومة على هذا العمل.
- ٣- هو طريق المقترحات الخلاقة، التي تعالج جوانب القصور الحاصل في العمل.
- ٤- يعتبر أداة التغيير والتطوير والتصحيح عبر إدخال عناصر فعالة وجديدة، في مواقف العمل تزيد من حيويتها.
- ٥- يؤدي إلى تحقيق التوازن الحيوي، الذي يجعل عناصر نظام العمل تتحرك بانسجام وحيوية تطويرية.
- ٦- يحدث رد فعل قوي في بيئة العمل الداخلية، والخارجية تؤثر بفاعلية على التنفيذ والمتابعة. (٢)
- ٧- وأيضاً يدفع العاملين ويشحذ همهم لإظهار المزيد من الاهتمام بما بين أيديهم من عمل، وللوصول إلى استخدام أفضل لطاقتهم وقدراتهم.

(١) انظر: الإيمان والحياة (٢٧٤) تأليف: د. يوسف القرضاوي.

(٢) انظر: التحفيز المعنوي وكيفية تفعيله في القطاع العام الحكومي العربي (٧) تأليف: محمد مرعي مرعي، المنظمة العربية للتربية الإدارية ٢٠٠٣م.

٨- يساهم في إشباع بعض رغبات العاملين واحتياجاتهم، والتجاوب مع أحاسيسهم ومشاعرهم التي لا بد من فهمها للتعامل معها بما يناسبها وبما يحافظ على مستوى عال من الرضا والروح المعنوية للعاملين.^(١)

من وسائل التحفيز:^(٢)

إن هناك الآن العديد من النظريات والوسائل الحديثة لتحفيز العاملين في أي مجال، ولكن أفضل تلك الوسائل، وخصوصاً للعاملين في المجال التطوعي هي تلك التي تجمع في ثناياها الموصفات التالية:

- ١- توضيح الرؤية البعيدة للعاملين واقتناعهم بها.
- ٢- توضيح الهدف ومساعدتهم في فهمه وتشكيله، ودورهم في تحقيقه.
- ٣- مشاورتهم ومشاركتهم في القرارات التي تؤثر عليهم، وإعلامهم بتطور الأحداث.
- ٤- احترامهم وتقديرهم ومراعاة احتياجاتهم، والانفتاح معهم.
- ٥- إعطائهم صلاحيات واسعة لأداء مهامهم المكلفين بها، والثقة بهم عند الأداء، أي جعل المنفذ لهذا العمل مسؤولاً عن نتائجه.
- ٦- أن يكون القائد قدوة لهم، صادقاً معهم، خلوقاً وعادلاً في تعامله مع من حوله ومتواضعاً بينهم.

٧- تحويل نقاط ضعف الأفراد إلى نقاط قوة.^(٣)

ولأن الوسائل متعددة ومتنوعة؛ فإنه ينبغي على العاملين في المجال التطوعي أن يراعوها في أنفسهم، وأيضاً يستخدموها وينوعوا بينها في تحفيز غيرهم، فما يناسب شخصاً قد لا يناسب

(١) انظر: حوافز العمل في الإسلام والنظريات الوضعية (٢٤) مرجع سابق.

(٢) من المهم الإشارة إليه أن ما ذكر من صور التحفيز في السنة النبوية يعتبر أيضاً وسائل عملية فعالة للتحفيز، فلا ينبغي الغفلة عن مثل هذا.

(٣) انظر: صناعة القائد (٩٥) تأليف: طارق السويدان، فيصل عمر باشرحيل. مكتبة العبيكان، الطبعة

آخر، وكل هذا من أجل الوصول إلى المستوى الأفضل في العمل التطوعي، فمن هذه الوسائل:

أولاً: سؤال النفس عن سبب القيام بالعمل:

لماذا أقوم بهذا العمل؟!

السؤال يستثير مشاعر الرغبة داخل الإنسان لمعرفة الإجابة، والسؤال كذلك يشغل الذهن بطلب الإجابة، ومن ثمَّ فهو من الوسائل المهمة لتنبيه العقل، فإذا ما انتبه العقل كان من السهل استشارة المشاعر بالوسائل الأخرى.

لذلك علينا أن نسأل أنفسنا قبل أداء العمل:

لماذا أقوم بهذا العمل؟!

تأمل قوله تعالى لموسى عليه السلام: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} [طه: ١٧]

فالله عز وجل يعلم أن ما بيمينه عصا، ولكن المطلوب هو تركيز انتباه موسى - عليه السلام - لأقصى درجة.

والقرآن مليءٌ بالتوجيهات والمعاني الإيمانية التي تسبقها أسئلة، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الصف: ١٠].

وقوله: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} [الكهف: ١٠٣].

وقوله: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ} [النبا: ١، ٢].

والسنة كذلك مليئة بتوجيهات ومعاني إيمانية تسبقها أسئلة وهكذا في كل أعمالنا.

ثانياً: تذكُّر الله عز وجل:

من الوسائل المهمة التي تحفز للعمل التطوعي، وتوجه النية توجيهاً صحيحاً: تذكُّر الله عز وجل في هذا العمل، وكيف أنه سبحانه وتعالى يحب من عبده القيام بهذا العمل، وأنه - سبحانه - يباهي بنا الملائكة عندما نقوم به، وأن هذا العمل وسيلة لنيل مرضاته، وأن العبودية له سبحانه تستدعي القرب منه بالأعمال الصالحة، فتستثير هذه المعاني - عندما نتذكرها - مشاعر الشوق والرغبة في الله عز وجل.

والآيات التي تؤكد هذا المعنى كثيرة.

منها قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ} [النحل: ٩٠]
وقوله: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

وقوله: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ} [البقرة: ٢٦٥].

ونجد في السنة كذلك أحاديث كثيرة تبدأ بالتذكير بالله عز وجل وأنه يحب من عبده القيام بهذا العمل كقوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقَنَهُ. (١)
وقوله: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ سَمَحَ الْبَيْعِ، سَمَحَ الشَّرَاءِ، سَمَحَ الْقَضَاءِ. (٢)
وقوله: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ. (٣)
فإذا ما أراد العامل المتطوع أن يقوم بفعل شيء مما أراد أن يتطوع به لله تعالى فليتذكر أن الله تعالى يحبه، ويجب عمله، ويجب من تقرب به إليه.

وعلى قائدي العمل التطوعي أن يذكروا من تحتهم بهذا الأمر بين الحين والآخر؛ حتى لا ينحرف مسارهم، ويقوم المتطوع بعمله على أحسن وجه وأكملة.

ثالثاً: التذكير بفضل العمل وأهميته:

النفس البشرية جُبلت على الرغبة في تحصيل أي نفع يُتاح أمامها، لذلك فمن أيسر وسائل استشارة المشاعر تجاه القيام بعمل ما: التذكير بالعائد الذي سيعود على المرء نظير أدائه له،

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٢)، وأبو يعلى (٤٣٨٦). وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي (١٣١٩)، والحاكم (٢٣٣٨). وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٤٨).

ولقد حفلت نصوص القرآن والسنة بذكر الثواب المترتب على الأعمال لتكون حافزاً قوياً للقيام بها.

فعلى سبيل المثال:

من الآيات القرآنية قوله تعالى في فضل الإنفاق: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١].

وفي فضل الجهاد: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الصف: ١٠ - ١٢].

ومن الأحاديث النبوية: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئاً. (١)
وقوله ﷺ في فضل الإنفاق:

مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصَاحِبِها، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ (٢)، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ. (٣)

فعلينا إذن الاجتهاد بتذكير أنفسنا بفضل العمل قبل القيام به.

فإن مشاعر الرغبة داخل القلب تستثار كلما أدرك المرء أهمية العمل الذي ينوي القيام به، فعلى سبيل المثال: إذا ما قام العبد بتذكير نفسه قبل قراءة القرآن بأنه سيقراً كلام الله وما فيه من

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه. الفلو: بفتح الفاء، وضم اللام، وتشديد الواو، هو الفرس أول ما يولد.

روعة وجلال، وأنه سيتناول الدواء الرباني الذي فيه شفاؤه، وأنه سيتعرض للنور المبين الذي يبدد الظلمات في عقله وقلبه، وأن الملائكة تقترب منه لتسمع قراءته و... ، فإن ذلك من شأنه أن يستثير مشاعر الرغبة والشوق نحوه، فيقبل عليه إقبال الظمان على الماء.

وإذا ما قام المرء بتذكير نفسه قبل زيارته لمريض أن هذه الزيارة سترفع معنويات المريض - بإذن الله - وتُسري عنه، وأنه سوف يجني منها رقة في قلبه، وامتناناً لربه؛ لأنها ستذكره بنعمة العافية التي يتقلب فيها، فمن المتوقع أن يُقبل عليها بمشاعر متأججة. وعند الإنفاق في سبيل الله يُذكر المرء نفسه بأن هذا الإنفاق قد يكون سبباً في إنقاذ مريض من الموت، وسد حاجة فقير معسر، وشكر لنعمة اليسار والغنى... الخ.

خامساً: الترهيب من ترك العمل:

من طبيعة النفس أنها إذا ما حُوفت خافت، فإذا ما نجحنا في تذكير أنفسنا بخطورة ترك العمل الصالح أو التهاون في أدائه وما قد يترتب على ذلك من أضرار في الدنيا والآخرة؛ فإنها ستدفعنا للقيام به.

من الوسائل المهمة لاستثارة مشاعر الرهبة والشعور بالخطر الدافعة للعمل: التذكير بخطورة ترك العمل الصالح، أو بخطورة الإقدام على فعل المعاصي.

ومن ذلك قوله تعالى في الترهيب من ترك الإنفاق: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: ٣٨].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: ٩].

وفي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورد عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رضي الله عنه - قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ ".^(١)

(١) أخرجه أحمد (٢٣٣٠١)، والترمذي (٢١٦٩). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠).

سادسًا: التشجيع:

من الحوافز ذات الأثر البالغ على النفس استشعار المرء تقدير الآخرين له، فيؤدي ذلك إلى فتح منافذ الاستماع لهم، وزيادة الرغبة في القيام بما يطلبونه منه. هذه الوسيلة ينبغي أن نستخدمها مع أنفسنا أو مع الآخرين في حدود ضيقة حتى لا تأتي بنتيجة عكسية وتتحول إلى صورة من صور المدح الذي يؤدي إلى استعظام المرء لنفسه، وشعوره بالأفضلية الذاتية على غيره. والمتأمل في القرآن والسنة يجد مواقف عديدة استخدمت فيها هذه الوسيلة في التحفيز للقيام بالعمل.

فعلى سبيل المثال: كثيرًا ما يتكرر في القرآن قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} قبل التوجيه إلى العمل المطلوب. . هذا النداء فيه من التقدير والتشجيع ما يحفز النفس للقيام بالعمل. وفي الخطاب الموجه لليهود نجد أن القرآن يناديهم بقوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} أي: يا أبناء النبي إسرائيل، فيكون هذا النداء بمثابة استدراج لهم لكي يستمعوا لما سيُتلى عليهم. وتأمل قول الملائكة لمريم الصديقة: {يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٤٢] فهذا لون من ألوان التقدير الخاص، ليأتي التوجيه في الآية التالية: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} [آل عمران: ٤٣].

وعندما أراد موسى - عليه السلام - أن يدخل ببني إسرائيل الأرض المقدسة ظل يحفزهم بهذه الطريقة قبل أن يطلب منهم هذا الطلب: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [المائدة: ٢٠، ٢١].

وانظر إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه وهو يقول: " أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَجِبُكَ "، فَقُلْتُ: يَا أَبَا أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا أَجِبُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ : " أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدْعَنَّ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ. (١)

ولك أن تتخيل وقع كلمة: يا معاذ: والله إني لأحبك على نفس معاذ، وكيف سيستقبل الكلام بعدها؟!

كما أن لموضوع التشجيع منزلة في توجيهات النبي ﷺ ؛ حيث يؤكد ﷺ أهمية أن يعطى العامل والمروءوس أجره كاملاً إذا أدى ما عليه، فيقول ﷺ : " قال الله تعالى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. "، وذكر منهم: " وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ ". (٢)

بل إن النبي ﷺ يضع المكافآت التشجيعية قبل مزاولة العمل وبعده؛ فهذا هو ﷺ قائداً لجنده البواسل في حنين يحفزهم ويشجعهم على القتال والإثخان في العدو، فيقول: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبَةٌ. (٣)

سابعاً: التذكير بالمواقف الإيجابية السابقة:

فمن الوسائل التي تثير الهممة، وتدفع للقيام بالعمل: تذكر المواقف الإيجابية التي مرت بالمرء في حياته ولها علاقة بالعمل المراد القيام به في الحاضر، فعندما يجد المرء في نفسه تكاسلاً عن قيام الليل يُدَكِّرُ نفسه بيوم كذا وكذا عندما قام نصف الليل وكيف كان ذلك ممتعاً وسهلاً على نفسه، وعندما يستشعر عدم جدوى القيام بعمل ما نتيجة ضيق الوقت وقلة الإمكانيات فعليه أن يُدَكِّرُ نفسه بمواقف إيجابية تعرض لها من قبل وكانت الظروف أشد، ومع ذلك أكرمه الله بالتوفيق والنجاح. .

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي في الكبرى (٩٩٣٧). وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٩٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٢).

تأمل قول الله تعالى لرسوله ﷺ: {وإن يُريدوا أن يَحْدُثُوا فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢)} وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

في هذه الآيات تم التذكير بمواقف سابقة تجلت فيها قدرة الله وتأييده ليأتي التوجيه بعد هذا التذكير {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤)} يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} [الأنفال: ٦٤، ٦٥].

ثامناً: المحاوراة والإقناع والموازنة العقلية (تخيير النفس):

عندما يقتنع المرء بأهمية وقيمة العمل المطلوب قيامه به ومدى نفعه له، فإن ذلك من شأنه أن يدفعه لأدائه بمشاعر الرغبة والاحتياج، وكذلك عندما يقتنع بخطورة وضرر العمل الذي يود فعله فإنه سيعتريه بإرادته.

من هنا تبرز أهمية الحوار والإقناع سواء كان بين المرء ونفسه، أو بينه وبين الآخرين. ومن الضروري أن ينطلق الحوار من قاعدة مفادها أن صلاحك لمصلحتك، وأنتك المستفيد الأول من قيامك بالعمل الصالح، وأنتك - أيضاً - الخاسر من عدم قيامك به. فالنفس لا تحب أو ترضى بفوات مصلحة تنفعها، أو الوقوع في ضرر يؤذيها، لذلك نجد القرآن يستخدم هذه الطريقة في الإقناع:

{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} [الإسراء: ٧].
{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} [فصلت: ٤٠].
{مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} [الإسراء: ١٥].
{وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦)} قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا { [الإسراء: ١٠٦، ١٠٧].

{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا} [الأنعام: ١٠٤].

فهذه الآيات وغيرها تضع المرء في مواجهة مع نفسه، وتُشعره بالاحتياج الشخصي للعمل، وأنه الفائز إن عمله، والخاسر إن تركه {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: ٢٠].

وعندما طلبت زوجات النبي ﷺ التوسعة في النفقة نزل القرآن يحاورهن: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]. وتأمل الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين الشاب الذي أتاه يطلب منه أن يأذن له بالزنا:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ، مَهْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اذْنُهُ "، فَذَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، فَجَلَسَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِحَالَاتِكَ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ "، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (١)

فالرسول ﷺ لم ينهره أو يؤيخه عندما طلب منه هذا الطلب المحرم، بل حاوره، ووصل به إلى القناعة التامة بأن هذا لا يصلح.

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢١١)، والطبراني (٧٧٥٩)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٢٩): رجاله رجال الصحيح. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٢٥١): أخرجه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧١٢).

وهذا عبد الله بن رواحة عندما وجد في نفسه بعض التردد في معركة مؤتة، ظل يُحاورها، ويقول لها:

أقسمت يا نفسُ لتَنْزِلَنَّ طائعةً أو لتُكَرِهَنَّ
إن أجلبَ الناسَ وشدُّوا الرِّثَّةَ ما لي أراك تكرهين الجنة؟
قد طال ما قد كنتِ مطمئنة هل أنتِ إلا نُطفة في شَنَّة؟
وقال أيضًا:

يا نفسُ إن لا تُقتلي تموتي هذا جِهامُ الموت قد صُلِّيت. ^(١)

تاسعًا: التحفيز من خلال إبراز القدوة:

من طبيعة النفس أنها لا تُحب أن يسبقها أو يتميز عليها أحد، لذلك علينا أن نستثير مشاعر الغيرة، ونوجهها التوجيه الصحيح نحو القيام بالعمل المطلوب من خلال التذكير بأناس قاموا به وبغيره على أحسن وجه.

فتقول لنفسك قبل الإنفاق: تذكري فلان الذي كان يُنفق كذا وكذا، ولم يترك لنفسه إلا القليل.

تذكري الصحابي عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى الذي لم يترك الصلاة في المسجد. والقرآن مليء بالآيات التي تُحفِّز المسلمين للقيام بالعمل الصالح من خلال ذكر نماذج بشرية قامت به خير قيام، كقوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ} [النحل: ١٢٠، ١٢١]. {وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦].

والقدوة الحاضرة أقوى في التأثير في النفس من غيرها، فكما قيل: عمل رجل في ألف رجل، أفضل من قول ألف رجل لرجل.

وأيضًا: إذا أردت أن تكون إمامي، فكن أمامي، والقدوة إمامة بلا إمارة.

^(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١ / ٢٣٤)، وحلية الأولياء (١ / ١٢٠).

عاشراً: القصة:

للقصة دور بارز في تحريك المشاعر، وإبراز العواطف، وتثبيت الأفكار في الأذهان، فهي لا تحتاج إلى جهد كبير لنقل أفكارها إلى النفس؛ لأن من شأن النفس الإنسانية إذا مرّت بحدث من الأحداث أن تتفاعل معه.

كما لا يخفى ما للقصة من دور في التأثير على نفوس المخاطبين بها، إذ لا تنتهي القصة إلا ويكون المستمع أو القارئ أو المشاهد قد عاش في تجربة نفسية، وقطع رحلة طويلة بحسب طول القصة، ترك في النفس آثاراً وجدانية وروحية، وأصبح مهيباً أكثر وأكثر للقيام بما تدل عليه القصة.

فعلى سبيل المثال: عندما نقرأ حديث إنما الأعمال بالنيات، فهو بلا شك يُذكرنا بأهمية الإخلاص لله عز وجل، لكننا نجد أنفسنا أكثر تأثراً ورغبة في الإخلاص عندما نقرأ القصة التي ذكرها الرسول عليه الصلاة والسلام عن الثلاثة الذين كانوا في سفر فدخلوا غاراً يستريحون فيه، فانطبقت عليه صخرة، فدعوا الله بإخلاص، وتذكروا أعمالاً لا يظنون أنهم كانوا فيها من المخلصين حتى ترحلت الصخرة فخرجوا من الغار سالمين.

لذلك من المناسب تذكير أنفسنا بقصة مؤثرة لها علاقة بالعمل الصالح الذي نود القيام به، وبخاصة مع تلك الأعمال التي أَلْفَنّا القيام بها فأصبحت تؤدي بلا روح.

حادي عشر: ضرب المثل:

من فوائد المثل (إبراز صورة معنوية في صورة حسية فيقبلها العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الأذهان إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم. . فيكون وقعها التأثيري أقوى وأومض في النفوس والعقول.

والأمثال تخاطب عقول الناس بما يعرفونه، وتجعل ما هو غائب ماثلاً أمامهم فتُقرب إليهم البعيد). (١)

لذلك قيل بأن: المعلم الناجح هو الذي يُكثر من ضرب الأمثال.

(١) الإعجاز التأثري في القرآن (١٨٨ - ١٩٠).

فعلينا استخدام هذه الوسيلة للتأثير على المشاعر قبل القيام بالعمل وبخاصة عند مخاطبة الآخرين.

والقرآن والسنة بها الكثير من الأمثال التي تُقرب المعاني البعيدة في صور قريبة محسوسة، ومن ذلك قوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٢٩].

وقوله: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمَثَالُ نُضِرُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: ٢١].

ومما جاء في السنة قوله ﷺ: تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِيهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى. (١)

الثانية عشرة: الصورة المؤثرة:

المشاهد التي تراها العين يصل مدلولها إلى العقل والقلب بصورة سريعة وتكون أشد تأثيرًا على المشاعر مما يُنقل عن طريق السمع. . انظر إلى موسى - عليه السلام - وقد تأثر وغضب عندما أعلمه الله عز وجل بما فعله قومه من عبادة العجل، لكنه لم يلق الألواح التي في يديه، ولكن عندما ذهب لقومه ورآهم بعينيه اشتد غضبه واشتد، وألقى الألواح، وفي هذا المعنى جاء الحديث.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ، إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعِجْلِ، فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَحَ، فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا، أَلْقَى الْأَلْوَحَ فَانْكَسَرَتْ". (٢)

لذلك من الوسائل العظيمة للتحفيز: استخدام الصورة الحية، والمشاهدة المؤثرة التي تعلق في الذهن وتستثير المشاعر في اتجاه ما ترمي إليه الصورة.

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦) عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٤٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٢١٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

وها هي صورة أخرى:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَفَفَتْهُ، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسَكَّ^(١) مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَاحْذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدَرَاهِمٍ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا شَيْءٌ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكَّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ^(٢).

تخيل معي - أخي القارئ - مدى تأثير هذا المشهد على الحاضرين، وكيف ستكون علاقتهم بالدنيا بعد ذلك.

الثالثة عشر: الاستفادة من الأحداث غير المألوفة:

يزداد إرهاف الحس، وتأجج المشاعر، ويقظة العقل عندما تحدث أمام المرء أحداث غير مألوفة، ويصبح على درجة عالية من الاستعداد للتلقي، لذلك نجد القرآن الكريم بعد الأحداث الكبيرة التي مرت بالصحابه رضوان الله عليهم ينزل ليعلمهم ويوجههم ويربيهم حتى يستفيدوا من هذه الأحداث في مزيد من الاستقامة لله عز وجل، وبخاصة أن النفوس تظل مدة من الزمن متعلقة بتلك الأحداث، وتكون فيها على استعداد لتلقي التوجيهات المتعلقة بها، ومثال ذلك:

١- تعقيب القرآن الطويل على حادثة الإفك وكيف يستفيدون منها بعد ذلك: {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ} [النور: ١٢]، {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور: ١٧].

٢- وتعقيبه على ما فعله حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - في محاولته - غير الناجحة - لإخبار أهل مكة بعزم الرسول ﷺ على السير إليهم ودخول مكة فاتحًا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِهَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ

(١) أسك: أي مقطوع الأذنين. النهاية لابن الأثير (٢ / ٣٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٧).

الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [المتحنة: ١].

٣- وكذلك التعقيب القرآني بعد غزوة بدر، وأحد، وبني النضير، والأحزاب، وما فيها من دروس وعبر وتوجيهات نحو مزيد من الاستقامة.

٤- ولقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك مع الصحابة رضوان الله عليهم ويربط دومًا بين الحدث غير المألوف والمعاني الإيمانية الدالة عليه.

ففي يوم من الأيام وبينما كان الرسول ﷺ بين صحابته إذ جاءه سُبَيٌّ، وفي هذا السبي امرأة تسعى ملهوفة مضطربة قد ضاع منها رضيعها، واستمرت على هذا الحال الشديد حتى وجدته، فأخذته وضمته إلى صدرها بشدة ثم أرضعته.

هذا المنظر شاهده الصحابة فأثر فيهم غاية التأثير، فلم يتركه ﷺ يذهب سُدى، بل وجهه توجيهًا إيمانيًا، فقال لهم: أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَكَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَكُلُّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا. (١) (٢)

أنواع التحفيز وكيف ومتى نستخدمها؟

وأخيرًا. . . إن التحفيز أقسام وأنواع مختلفة، يمكن توزيعها وفقًا لمعايير مختلفة، ومن هذه المعايير ما يلي:

أولاً: تقسيم الحوافز من حيث النوع:

هناك عدة أنواع من الحوافز:

١- الحوافز المادية: هي التي تشبع حاجات الفرد المادية مثل الحاجة للأكل، الملبس، المأوى. . . المكافآت، هدايا عينية ورمزية مثلًا وهي حوافز ملموسة، تتخذ أشكالًا متنوعة كالأجر، والعلاوات السنوية، والزيادات في الأجر لمقابلة الزيادة في نفقات المعيشة،

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) نظرات في التربية الإيمانية (٧٥-٨٧) تأليف: مجدي الهلالي.

والمشاركة في الأرباح والمكافآت والأجور التشجيعية، وضمان استقرار العمل وظروف وإمكانيات العمل المادية، وساعات العمل والخدمات المختلفة التي تقدمها الإدارة للعاملين.

٢- الحوافز المعنوية: هي تلك التي ترضي الحاجات الذاتية للإنسان (كال حاجة للتقدير والثناء على الجهود المبذولة) إلى جانب إشباعها للحاجات الاجتماعية مثل الكلمة الطيبة، والشكر والثناء، والتكريم، والدعاء، وامتنيازات أخرى يحتاجها الفرد. كال حاجة إلى الأصدقاء والانتفاء إلى الجماعة، والتي تزيد من تماسك العاملين وتشدهم نحو العمل، ومن أبرز أشكالها، إتاحة فرص الترقية والتقدم أمام الأفراد وإتاحة الفرصة لهم للمشاركة في رسم السياسات واتخاذ القرارات الخاصة بإدارة العمل، ومنح الأوسمة والشهادات والألقاب، ونشر أسماء المبدعين البارزين عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، واتباع وسائل التكريم للمبدعين

ثانيًا: تقسيم الحوافز من حيث الفئة المستهدفة:

١- الحوافز الفردية: هي الحوافز التي تقدم إلى فرد بعينه.
مثل تزويج موسى عليه السلام، قال الله تعالى {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَجْرِنِي ثَمَانِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)} [القصص: ٢٧، ٢٨]

٢- الحوافز الجماعية: هي التي تقدم للجماعة مادامت أهداف المؤسسة رهينة في تحقيقها بجهود المجموعة، ومدى تعاونهم، والحوافز الجماعية لها تأثيرها بالمقارنة مع الحوافز الفردية. ولا تعني الحوافز الجماعية منح نصيب موحد لكل فرد في المجموعة بل وفق ما يقدم كل فرد ضمن مجموعته.

ثالثًا: تقسيم الحوافز من حيث طبيعة الجزاء:

- ١- الحوافز الإيجابية: هي تلك الحوافز التي تنمي روح الإبداع والتجديد في العمل.
- ٢- الحوافز السلبية.

رابعًا: تقسيم الحوافز من حيث الإمكانيات:

- ١- الحوافز الأولية أو الأساسية.
- ٢- الحوافز الاجتماعية والذاتية، وهي التي تتوفر في جو العمل وتشبع رغبات الأفراد الأساسية، الاجتماعية والذاتية.

ومن المعاصرين من جعل أساليب التحفيز أربعة هي:

- الأول: التحفيز الإيجابي: وهو ما ينجم عنه زيادة في تكرار استجابات العمال المرغوب فيها.
- الثاني: التحفيز السلبي أو التجنب: وهو عبارة عن شيء مثير إذا توقف تقديمه للعامل ينجم عن ذلك تكرار الأفعال المرغوب فيها، كالعامل الذي يحضر إلى العمل متأخرًا باستمرار، فيلقى اللوم من صاحب العمل، أو المشرف على المنشأة، فيبدأ بالحضور في موعد العمل من أجل أن يوقف لوم صاحب العمل، ولكي يُبعد نفسه عن الانتقاد، بمعنى آخر فإن استجابة الموظف لتعليمات صاحب العمل تزداد عند استبعاد الأشياء غير المحببة لنفس العامل.
- الثالث: التحفيز عن طريق الإخماد أو الإطفاء: ويعني عدم التدخل من صاحب العمل، بهدف إزالة سلوك غير مرغوب فيه، فاستجابة العمال يجب تحفيزها من أجل تكرارها وإلا أخذت بالتضاؤل والخمود.
- الرابع: التحفيز عن طريق العقاب بأنواعه المادية والمعنوية: وينتج عنه إنهاء السلوك المعيب، فالموظف الذي يترك عمله قبل الوقت المحدد يُعاقبه مسئوله من أجل تغيير السلوك المفروض.^(١)

(١) انظر: واجبات العمال وحقوقهم في الشريعة الإسلامية مقارنة مع قانون العمل الفلسطيني (١/ ٨٨)، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال (١٥٤).

رابعاً: تحديد الأهداف

تعريف الهدف لغة واصطلاحاً:

الهِدَفُ: الغَرَضُ...، وهو كلُّ شيءٍ عريض مرتفع. وأَهْدَفَ الشَّيْءُ، إذا انْتَصَبَ". (١)
وقد وردت كلمة هدف في سنة النبي ﷺ كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَرَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ. فَأَسْرَ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ. وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَرَبَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ، هَدَفٌ أَوْ حَائِشٌ نَخْلٍ قَالَ ابْنُ أَسْمَاءَ فِي حَدِيثِهِ: يَعْنِي حَائِطًا نَخْلٍ. (٢)

قال المناوي: "الهدف -محركاً- كل شيء عظيم مرتفع، والغرض وقولهم من صنف فقد استهدف أي انتصب كالغرض يرمى بالأقاول". (٣)

ومن معاني الهدف أيضًا كما قال المناوي رحمه الله (الغرض)، وهذا الذي استعمله النبي ﷺ في أكثر من مناسبة، منها:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا. (٤)
فالأهداف والأغراض بمعنى واحد.

وأما الهدف اصطلاحاً:

فهو الغاية التي يُسعى إلى الوصول إليها وإلى تحقيقها، والغرض الذي يُراد إدراكه ونيله. (٥)

أهمية وجود الأهداف:

من الأدوات الأساسية في تحسين وضعية الفرد أن يكون له هدف يسعى إلى تحقيقه. ونرى أن حيوية وجود هدف واضح في حياتنا تنبع من اعتبارات عديدة، أهمها:

(١) العين (٤ / ٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٤٢).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٤٣).

(٤) أخرجه مسلم (٥٨).

(٥) المنجد في اللغة والأعلام، مادة هدف، (ص ٨٥٨).

١- إن كل ما حولنا في تغير دائم، والمعطيات التي تشكل المحيط الحيوي لوجودنا لا تكاد تستقر على حال، وهذا يجعل كل نجاح نحققه معرضاً للزوال؛ ووجود هدف أو أهداف في حياتنا، هو الذي يجعلنا نعرف على وجه التقريب ما العمل الذي سنعمله غداً، كما أنه يساعد على أن نتحسس باستمرار الظروف والأوضاع المحيطة؛ مما يجعلنا في حالة دائمة من اليقظة، وفي حالة من الاقتدار على التكيف المطلوب.

وقد جرت عادة الكثيرين منا أن يسترخوا حين ينجزون عملاً متميزاً؛ مما يضعهم على بداية الطريق إلى أزمة تنتظرهم. ولذا فإن الرجل الناجح، هو الذي يسأل نفسه في فورة نجاحه عن الأعمال التي ينبغي أن يخطط لها، ويقوم بإنجازها؛ فالتخطيط هو الذي يجعل أهمية المرء تأتي قبل الحدث. أما معظم الناس فإنهم لا يفكرون إلا عند وجود أزمة، ولا يتحركون إلا حين تحيط بهم المشكلات من كل جانب، أي يستيقظون بعد وقوع الحدث، وبعد فوات الأوان! ولا يجوز أن يكون العمل التطوعي هكذا يسير تبعاً للأزمات فيصبح مفعولاً به لا فاعلاً. وتصبح إدارته هي إدارة أزمات فقط.

٢- إن وعي كثيرين منا بـ (الزمن) ضعيف، ولذا فإن استخدامنا له في حل مشكلاتنا محدود. وحين يجتمع الناس برجل متفوق فإنهم يضعون بين يديه كل مشكلاتهم، ويطلبون لها حلولاً عاجلة متجاهلين عنصر (الزمن) في تكوينها وتراكمها، وطريقة الخلاص منها. ووجود هدف في حياة الواحد منا يجعل وعيه بالزمن أعظم، ويجعله يستخدمه في تغيير أوضاعه. إذا سأل كل واحد منا نفسه:

ماذا بإمكانه أن يفعل تجاه جهله بعلم من العلوم مثلاً أو قضية من القضايا؟ فإنه يجد أنه في الوقت الحاضر لا يستطيع أن يفعل أي شيء يذكر تجاه ذلك. أما إذا سأل نفسه: ماذا يمكن أن يفعل تجاهه خلال خمس سنين؟ فإنه سيجد أنه يستطيع أن يفعل الكثير؛ وذلك بسبب وجود خطة، واستهداف للمعالجة، وهما دائماً يقومان على عنصر الزمن. إنني أعتقد أن كثيراً من الخلل المنهجي في تصور أحوالنا، وحل أزماتنا، يعود إلى ضيق مساحة الرؤية، ومساحة الفعل معاً، وذلك كله بسبب فقد النظر البعيد المدى.

٣- إن كثيرًا من الناس يظهرون ارتباطًا عظيمًا في التعامل مع (اللحظة الحاضرة) وذلك بسبب أنهم لم يفكروا فيها قبل حضورها، فتتحول فرص الإنجاز والعطاء إلى فراغ قاتل ومفسد؛ وهذا يجعلنا نقول: إننا لا نستطيع أن نسيطر على الحاضر، ونضبط إيقاعه، ونستغل إمكاناته، إلا من خلال مجموعة من الآمال والأهداف والطموحات، وبهذا تكون وظيفة الهدف في حياتنا هي استثمار اللحظة الماثلة على أفضل وجه ممكن.

إن ملامح خلاص جيلنا، والجيل القادم على الأقل من وهن التخلف والانكسار قد تبلورت في أمرين: المزيد من الالتزام بالمنهج الرباني، والمزيد من التفوق، ولا نستطيع أن نجعل هذين الأمرين حقيقة واقعة في حياتنا من غير تحديد أهداف واضحة. (١)

شروط وضع الأهداف:

١- أن تكون الأهداف قابلة للإنجاز:

قد يضع الإنسان لنفسه أهدافًا كبيرة، لكنه يفشل في تحقيقها لا لخلل فيها، وإنما لكونها غير قابلة للتنفيذ أصلاً، ربما من قبله فقط أو من قبل أي شخص آخر، لذا فالمؤسسات الناجحة هي التي تضع أهدافًا تقبل التنفيذ.

والهدف القابل للتنفيذ هو الهدف الذي يناسب قدرات الشخص نفسه-أو المؤسسة- وإمكانياته ومستواه، لذا نجد في بعض مؤسساتنا اليوم مشاريع ضخمة تنطلق ولكنها سرعان ما تفشل بعد فترة وجيزة؛ لكون تلك الأهداف غير قابلة للتنفيذ في ذلك البلد بالذات لسبب أو لآخر.

ولنوضح ذلك بمثال من السيرة النبوية الكريمة:

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَلَمْ تَرَيَ أَنَّ قَوْمَكَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ، واقتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: لَوْلَا حَدَثَانُ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ. (٢)

(١) أهمية رسم الأهداف، د. عبد الكريم بكار، مجلة البيان (العدد ١٢١)، رمضان ١٤١٨ هـ

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٨٤)، ومسلم (١٣٣٣).

فكان من جملة أهداف النبي ﷺ أن يهدم بناء الكعبة ويقيمها على أصل بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ويدخل الحجر، ويجعل لها بابين. . ، وهو هدف رائع ونافع، لكن النبي ﷺ راعى عدم إمكانية تنفيذه وقتئذٍ، لكون الناس قريبي عهد بجاهلية، وقد تتحقق مفسدة في الهدف أكبر من المنفعة، فترك النبي ﷺ تنفيذ هذا الهدف.

٢- تحديد الأهداف بشرط أن تكون قابلة للقياس أو الوصف:

خلق الله تعالى هذا الكون بنظام دقيق، فهو يسير وفق غاية محددة وهدف منشود، وهذا النظام الكوني البديع مرآة تدلّ على أن كل شيء فيه له هدف.

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} [الأنبياء: ١٦]، فالله جل جلاله خلق هذا الكون ونظمه، وجعل له أهدافاً بينة وواضحة {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩] فالإنسان -أي إنسان- لو تأمل قليلاً بتجرد تام في ملكوت السموات والأرض لما ملك نفسه أن يعترف بهذا الخالق العظيم.

ولما كان الإنسان خليفة في هذه الأرض كان عليه أن يعرف الهدف الذي يعيش من أجله، ويسعى لتحقيقه، وإلا فإنه ولد وعاش وسيموت وهو لا يدري لم خلق وأين سيمضي.

ولقد حدّد الله -سبحانه وتعالى- الهدف من خلق الإنسان قبل خلقه!، فقال: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠]، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فقال: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر: ٢٩]

وحدد له وظيفته في هذا الكون، فقال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]

وحدّد ﷺ مضمون رسالته، والغاية منها، منذ أوّل يوم، إذ صعد على جبل الصفا في قلب مكة، فصّاح بهدفه، فأخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّافَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ

أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو هَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو هَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يُدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} ^(١) [المسد: ٢]

فالنبي ﷺ جمع عشيرته وأقاربه على صعيد واحد، وحدد لهم الهدف الذي بعث من أجله، بكل وضوح ودقة وإيجاز.

وتأسيًا بالنبي ﷺ نقول: كلما كان الهدف في العمل التطوعي محددًا بدرجة أكبر، كانت وجهة حركة العاملين واضحة أكثر.

ومثال ذلك في العمل التطوعي الدعوة إلى الله تعالى فإذا أردت لدعوتك أن تكون قوية مؤثرة تجمع عليها الناس، يؤيدونها ويناصرونها، فعليك أن تكون واضحًا في عرضها، واضحًا في عرض أهدافها. ^(٢)

٣- أن يكون الهدف واقعيًا:

ونعني به أن يكون له أثر على الواقع لا أنه خيالي غير واقعي، أو هدف لا يتحقق بأي شكلٍ من الأشكال.

ولذا سعى النبي ﷺ لإصلاح الشباب والحفاظ على السلوك القويم فهم عصب الأمة، والشريان الحي لها، وحياة الأمم بحياة شبابها، وضياعها بانحرافهم عن القيم والثواب. فكان من أهم الأهداف النبوية تحصين الشباب من المزالق الفكرية والخلقية، إذن الهدف كان (حماية الشباب من الانحراف) وهذا هدف واقعي، ليس خياليًا.

^(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

^(٢) خواطر في الدعوة ووضوح الأهداف، محمد العبدية، مجلة البيان العدد ٢٣٨. وانظر أيضًا: نظرات في التربية بالأهداف، بقلم عبد الله عبد الرحمن البريدي. مجلة البيان العدد ١٢٢، شوال ١٤١٨ هـ.

وكمثال على تعامل النبي ﷺ بواقعية تامة مع هذا الهدف، فمثلاً منعهم من الزنا، دعاهم ورغبهم في الزواج وإنشاء الأسر القويمة، ولما كان هذا الهدف واقعياً فقد ترك أثراً واضحاً في نفوس الشباب

وكذلك ترغيب النبي ﷺ عدي بن حاتم بأمور ما كانت في خلدته وما تصور يوماً وقوعها لكن النبي ﷺ وعده بها وأخبره بأن هذه الأمانى واقعة لا محالة

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: ﴿يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟﴾ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: ﴿فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الظُّعَيْنَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَارِ طَبِئِ الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ -، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى﴾، قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمَزٍ؟ قَالَ: " كِسْرَى بْنُ هُرْمَزٍ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيْنَ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيَسَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلَ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ " قَالَ عَدِيُّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: ﴿اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قَالَ عَدِيُّ: فَارَأَيْتُ الظُّعَيْنَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمَزٍ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ: ﷺ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ (١)

وهذا مهم جداً الالتفات إليه في الأعمال التطوعية؛ فليبتعد العاملون فيها عن الأحلام الوردية، والأمانيات الكبيرة، وليبدأوا بأهداف صغيرة مرحلية سهل تحقيقها مع وضع أعينهم على الهدف الأكبر لهم.

٤- وضع تاريخ محدد لإنجاز الهدف:

فإن الهدف لا يصبح هدفاً فعالاً حتى يوضع له تاريخ محدد لإنجازه، ويعتبر تحديد هذا التاريخ خطوة حاسمة في زيادة الحافز والالتزام لديك.^(١)

والأهداف الناجحة هي التي تحمل خطة زمنية محددة، لها نقطة انطلاق ونقطة انتهاء. وكل هدف ليس له زمن محدد يكون عشوائياً غير منضبط، فمثلاً: من أراد حفظ كتاب الله تعالى فلا بد أن يضع لنفسه خطة زمنية مرسومة يومية وأسبوعية وشهرية، وهكذا كل مشروع لا بد له من خطة زمنية ليحقق هدفه.

فالزمن ليس ملكاً لنا إلى ما لا نهاية، وطاقاتنا قابلة للنفاذ. ثم إن القيمة الحقيقية للأهداف، لا تتبلور إلا من خلال الوقت الذي يستغرقه الوصول إليها، والجهد والتكاليف التي نحتاجها. ولهذا كله فالبديل عن وضوح الهدف، ووضوح تكاليفه المتنوعة، ليس سوى العبث والهدر والاستسلام للأمانى الخادعة!^(٢)

(١) العادات العشر للشخصية الناجحة، تأليف: د. إبراهيم القعيد (١٤٦، ١٤٨).

(٢) أهمية رسم الأهداف، مجلة البيان (العدد ١٢١).

وسائل العمل التطوعي

مقدمة

تعريف الوسائل:

الوسائل في اللغة فهي: جمع وسيلة، والوسيلة تطلق على المنزل عند الملك والدرجة، وهي ما يتقرب به إلى الغير، وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل^(١)

وأما الوسيلة في الاصطلاح فلها معنيان:

- معنى عام: وهو أن الوسائل هي الأفعال التي يتوصل بها إلى تحقيق المقاصد. والمراد بالأفعال: ما يصدر من العبد سواء كان من أفعال الجوارح أم القلوب^(٢)
- معنى خاص: أنها الأفعال التي لا تقصد لذاتها، لعدم تضمنها المصلحة أو المفسدة، وعدم أدائها إليها مباشرة، ولكنها تقصد للتوصل بها إلى أفعال أخرى هي المتضمنة للمصلحة أو المفسدة والمؤدية إليها^(٣)

وعرف القرافي رحمه الله الوسائل بأنها: الطرق المفضية إلى المقاصد^(٤)
وفي القواعد والأصول لابن سعدي رحمه الله عرفها بأنها: "الطرق التي يسلك منها إلى الشيء، والأمور التي تتوقف الأحكام عليها من لوازم وشروط"^(٥)
ضوابط الوسائل والأساليب في الأعمال التطوعية:

لوسائل العمل التطوعي ضوابط حتى لا تنحرف عن قواعد الشرع، ولا تخرج عن الأهداف التي وضعت من أجل نجاح الدعوة إلى الله.

الضابط الأول: الانضباط بأحكام الشرع: أي: يشترط أن تكون الوسائل والأساليب مأخوذة من نصوص الكتاب والسنة، أو أن تكون مستنبطة عن طريق المصادر الشرعية الأخرى مثل:

(١) لسان العرب مادة وسل ١١/٧٢٤، المصباح المنير، مادة وسل ٢/٦٦٠.

(٢) ينظر: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفى مخدوم، ص ٤٨.

(٣) ينظر: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفى مخدوم، ص ٤٨.

(٤) الفروق ٢/٣٣.

(٥) القواعد والأصول الجامعة ص ٢٥.

الاجتهاد، القياس، الاستحسان، المصالح المرسله، ومعنى ذلك ألا تستخدم الوسائل والأساليب المحرمة والممنوعة، أي: التي جاء النهي عنها في الكتاب مثل: المزمار.

الضابط الثاني: ألا يؤدي استعمالها من أجل مصلحة إلى الوقوع في مفسدة أعظم: أي: لا تترتب مفسدة على استخدام الوسيلة أكثر من المصلحة التي كان يجب أن تحققها؛ لأنه قد تكون الوسيلة مشروعة، ولكن استخدامها يترتب عليه مفسدة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى- في هذه الآية الكريمة: "ففي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية، وهي: أن الوسائل تعتبر بالأمر التي توصل إليها". (١)

الضابط الثالث: مراعاة الأولويات: إنه يجب على الداعي أن يراعي الأولويات في استخدامه الوسيلة والأسلوب، ومراتب الوسائل والأساليب تابعة لمراتب مصالحها، فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل، ثم تترتب الوسائل بترتب المصالح والمفاسد، فمن وفقه الله للوقوف على ترتيب المصالح عرف فاضلها من مفضوها ومقدمها ومؤخرها.

الضابط الرابع: ألا تكون الوسيلة أو الأسلوب شعاراً للكفار، مثل البوق والناقوس لليهود والنصارى.

فعلى المتطوع أن يتجنب في عمله أية وسيلة تعد شعاراً من خصائص الكفار مهما كان نوعها، هذا في الأمور العقدية، أما ما يخص الشئون الدنيوية، فما وافق الشرع أخذ به، وما خالفه تركه، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها.

والخلاصة: أن الوسائل والأساليب لإتمام العمل التطوعي ليست توقيفية بالكلية، ولا اجتهادية على الإطلاق، وإنما فيها ما هو توقيفي وهو المنصوص في الكتاب والسنة، ومنها ما هو اجتهادي، ولكنه مضبوط بضوابط الشرع.

(١) تفسير السعدي ص: ٢٦٨.

ومن القواعد التي اتفق عليها علماء الأمة قاعدة:

الوسائل لها أحكام المقاصد^(١)

تعتبر قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد من القواعد الفقهية المعروفة والمشهورة عند العلماء، وقد ذكرها أو أشار إليها غير واحد من أهل العلم، منهم القرافي في الفروق حيث قال: "القاعدة أن الوسائل تتبع المقاصد في أحكامها، فوسيلة المحرم محرم، ووسيلة الواجب واجبة، وكذلك بقية الأحكام"^(٢)

وذكرها كذلك الطوفي حيث قال: "ومن كليات القواعد: أن الوسائل تتبع المقاصد"^(٣) ومن أشار إليها الشافعي في كتابه الأم، حيث قال: "الذرائع إلى الحلال والحرام تشبه معاني الحلال والحرام".^(٤)

ونقصد بالقاعدة الفقهية: ذلك الحكم أو الأمر الكلي أو القضية الكلية التي تفهم منها أحكام الجزئيات التي تندرج تحت موضوعها وتنطبق عليها.^(٥)

المعنى الإجمالي للقاعدة

المعنى الإجمالي لقاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد هو: أن الأفعال المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها ولها طرق تفضي إليها، فإن تلك الطرق يختلف حكمها باختلاف حكم مقاصدها، فما يتوقف عليه الواجب واجب، وما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون، وما يتوقف الحرام عليه فهو حرام، ووسائل المكروه مكروهة، ووسائل المباح مباحة.

قال ابن القيم رحمه الله: "لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها

(١) قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد د. نايف بن جمعان الجريدان

(٢) الفروق ١١١/٣-١١٢.

(٣) مختصر الروضة للطوفي ٨٩/٣.

(٤) الأم للشافعي ٥٧/٤.

(٥) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ص ١٥

والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها؛ فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل؛ فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يجرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه، وتثبيتاً له، ومنعاً أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضاً للتحريم، وإغراء للنفس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك؛ فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعد متناقضاً، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده. وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه، وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه" (١)

ما يدل على هذه القاعدة

يدل لهذه القاعدة أدلة كثيرة منها:

١. قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيهِمْ ظُلْمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا تَخَمُّصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} التوبة: ١٢٠.

قال القرافي رحمه الله: {فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ عَلَى الظُّلْمِ وَالنَّصَبِ وَإِنْ لَمْ يَكُنَا مِنْ فِعْلِهِمْ بِسَبَبِ أَنَّهَا حَصَلًا لَهُمْ بِسَبَبِ التَّوَسُّلِ إِلَى الْجِهَادِ الَّذِي هُوَ وَسِيلَةٌ لِإِعْزَازِ الدِّينِ وَصَوْنِ الْمُسْلِمِينَ فَيَكُونُ الْإِسْتِعْدَادُ وَسِيلَةً الْوَسِيلَةَ} (٢)

٢. قوله تعالى: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} الأحزاب: ٣٢.

قال السعدي رحمه الله: "فهذا دليل على أن الوسائل لها أحكام المقاصد؛ فإن الخضوع بالقول واللين فيه في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم منع منه" (٣)

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٠٨/٣ - ١١٠.

(٢) الفروق للقرافي ٣٣ / ٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٦٤.

٣. قوله تعالى: {وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ} زَيْتَهُنَّ {النور: ٣١}.
قال ابن عثيمين رحمه الله: "فأرشد إلى المنع من الأمر المباح إذا كان يفضي إلى فعل محرم"^(١).

^(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٠/٦٢٥.

ونشر في ذكر أهم الوسائل لنشر العمل التطوعي والدعوة إليه

١- القوافل الدعوية التطوعية:

يعيش أغلب المسلمين في القرى والأرياف والبوادي، ومعظمهم إما أهل زراعة وإما أهل ماشية. والخدمات والتسهيلات التي توفرها الدول لهذه الطبقة من الشعب دون ما توفره لسكان المدن الكبرى، ومع ذلك فإن تخلفهم في المجال الدعوي أسوأ منه في المجال المادي؛ لأن أغلب الدول الإسلامية لا تهتم بالجانب الديني من حياة الشعب، ولهذا انتشرت في هذه الطبقة عادات وتقاليد سيئة ومخالفة للشرع - وبعضها يرتكب باسم الدين - كما تنتشر فيهم منكرات وأمراض اجتماعية كثيرة، يختلف أكثرها عما عند أهل المدن الكبرى. والدعاة إلى الله بعيدون عن تلك المناطق النائية، وعلاقتهم بها ضعيفة، ويقل حضورهم فيها واهتمامهم بها، فلذلك تراكمت على أهلها الانحرافات، وفشى فيهم الجهل، وابتعدوا عن الدين الصحيح قليلاً أو كثيراً. ولتقليل هذه الانحرافات والمنكرات ينبغي أن يقوم طلبة العلم والدعاة بجولات دعوية إلى القرى والأرياف يتعرفون من خلالها على أحوال إخوانهم والوقوف على المشاكل التي تقض مضاجعهم، والمساهمة في حلها. وأن يعلموهم أمور دينهم، ويرفعوا احتياجاتهم إلى الجهات الرسمية وأهل الخير من المسلمين لسدها. وأن يشجعوا غيرهم من أهل العلم والدعاة على المشاركة في ذلك، والدال على الخير كفاعله.

ومن التطبيقات العملية في السنة النبوية ما يلي :

خروج النبي إلى الطائف لدعوتهم إلى الإسلام.

فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، فرأى رسول الله ﷺ أن يغير البيئة، وأن يخرج بالدعوة من مكة إلى غيرها، لعله يجد من القبائل والعشائر من يقبل الدعوة، ويحميه حتى يبلغ رسالة ربه، فخرج إلى الطائف ماشياً يلتمس النصرة من ثقيف، رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله - عز وجل -، ولكنها لم تستجب له، وأغرت به صبيانها فرشقوه بالحجارة حتى أدموه، فقابل ذلك بالصبر

والرضا وخرج عائداً إلى مكة، مهموماً حزينا فبعث الله له ملك الجبال لينتقم منهم، فقابل الإساءة بالإحسان والعفو^(١)

إرسال عمرو بن أم مكتوم، ومصعب بن عمير للمدينة:

لما بايع نفر من الأنصار النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى وأرادوا الرجوع إلى المدينة بعث معهم عمرو بن أم مكتوم، ومصعب بن عمير، يعلمان من أسلم منهم القرآن، ويدعوان إلى الله عز وجل، فنزلا على أبي أمامة أسعد بن زرارة، وكان مصعب بن عمير يؤمهم وقد جمع بهم يوماً بالأربعين نفساً، فأسلم على يديهما بشر كثير منهم: أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل، الرجال والنساء، إلا الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، فأسلم يومئذ، وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة. فأخبر عنه النبي ﷺ فقال: عمل قليلاً وأجر كثيراً.

وكثر الإسلام بالمدينة وظهر، ثم رجع مصعب إلى مكة، ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين.^(٢)

* مقترحات وتوجيهات لإنهاء القوافل الدعوية.

١. إعداد دروس ومحاضرات مناسبة لأهل المدن والقرى النائية والتي تساعد على فعل الخيرات والتقرب من الله عز وجل.
٢. اختيار مجموعة من الدعاة ممن له خبرة دعوية واجتماعية.
٣. تركيز القوافل في دروسها على التوحيد ومحاربة الشرك، واتباع السنة وترك الابتداع، ومعالجة الانحرافات القائمة، ومكافحة المنكرات الشائعة في تلك المنطقة، فمن استقام على هذا كان قريباً من فعل الخيرات.
٤. وتهتم بتزكية النفس والمواظ، وتحث على الطاعة وتعظيم حرمان الله وشعائره، وتزهد عن المعاصي والذنوب.

(١) انظر سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام (١/ ١٧٣).

(٢) الفصول في السيرة لابن كثير (ص: ١١٠)

٥. والقوافل تدعوا الناس إلى الخير بسمتها وفعلها قبل قولها؛ لتكون قدوة للمدعوين.
٧. تزود القوافل بمعلومات عن سكان المناطق التي تزورها، وعن عاداتهم وتقاليدهم؛ ليسهل عليهم فهم الواقع، ومواجهته بما يناسبه. ويفضل أن يكون في القافلة أحد أبناء المكان المزار.
٨. تصطحب القوافل بعض الهدايا والتحف لعلماء ووجهاء القرى التي تزورها، كما تصطحب بعض الأدوية، ويرافق القافلة داعية طبيب أو ممرض إن أمكن.
٩. تتغلغل القوافل في السكان، وتخترق صفوفهم وتجالسهم في متدلياتهم، وتخطبهم بلغتهم وعلى مستواهم؛ للوصول إلى ثقتهم ومن ثم التأثير عليهم، وتتصل البعثة بجميع شرائح المجتمع، وتخطب كل شريحة منها بما يناسبها.
١٠. زيارة المدارس، ومقابلة الأساتذة وتوجيههم، وإشعارهم بمسؤوليتهم، وإهداء الكتب والأشرطة لهم.
١١. إجراء مسابقات بين الطلاب وتوزيع الجوائز على الفائزين، ومقابلة الوالدين وتزويدهم ببعض الأفكار التربوية، وحثهم على التعاون مع الأساتذة في تربية الأولاد وتعليمهم.
١٢. الاتصال بالطلاب من أهل القرية في المدن، ومساعدة هؤلاء الطلبة وتوجيههم، والتعاون معهم في دعوة قريتهم.
١٣. الاعتناء بدعوة النساء، وحل مشاكلهن.
١٤. توعية الناس أثناء السفر في المواصلات العامة، وحبذا لو كان مع البعثة مكبرات صوتية.
١٥. تتخذ القوافل المساجد مسكنا لها، وتعتمد على نفسها في النفقات، ولكن لا تمتنع عن ضيافة أهل القرية ودعوتهم إن عرض عليها ذلك.
١٦. تستخدم القوافل كل الوسائل والأساليب المشروعة التي تقرب قلوب الناس إليهم كالدعاء لهم، والرقية على مرضاهم، وزيارتهم، وتعليمهم الأدعية والأذكار المشروعة، وإبداء محاسنهم، والثناء بها عليهم، والشكر لهم على صنائعهم المعروفة، والرفق بهم.

١٧. تعقد القوافل لقاءات واجتماعات مع وجهاء القرى وعلمائها، يقدمون لهم فيها أسباب ودواعي زيارتهم، وأخبار الأمة والدعوة الإسلامية، والمشاكل والمحن التي يتعرض لها المسلمون وأسبابها والحلول المناسبة لها، كما ينبهونهم على مسؤوليتهم أمام الله وأمام أمتهم عن حماية دين الأمة ودنياها، ثم يطلبون منهم تقديم أخبار القرية، ويناقشون معهم في تنمية القرية من كل النواحي، ويختمون لقاءهم بتقديم النصائح والمقترحات لهم لإصلاح القرية وأهلها.

١٨. تهتم القوافل بتحسين علاقة الشباب في القرية بأهلها، وذلك عن طريق إزالة سوء التفاهم بينهم، وتوجيه الشباب إلى حسن التعامل مع المدعوين، وتقدير علمائهم، واحترام كبارهم، وعن طريق تحريض أهل القرية على الاستفادة من الدعوة وإن كانوا صغاراً.

١٩. ومن مهام القوافل الدعوية توعية الشباب في المدن والقرى، ورفع معنوياتهم، وتحسيسهم وبعث روح التنافس فيما بينهم، وربطهم بإخوانهم من الدعوة، والتنسيق معهم في المستقبل.

٢٠. تتعرف القوافل على دعاة وأعيان القرى المزاراة من العلماء والوجهاء؛ لكسب ثقتهم وإقناعهم بقبول الدعوة ومساندتها، وتنشئ معهم علاقات طيبة، وتتبادل معهم العناوين والهواتف؛ لضمان الاتصال بين الطرفين في المستقبل. ويطلبون منهم زيارة مكتب الدعوة إذا قدموا العاصمة؛ لاستضافتهم والاحتفاء بهم مما سيكون له أبلغ الأثر في مواقفهم من الدعوة والدعاة.

٢١. تقدم القوافل تقريراً عن رحلتها الدعوية إلى المكتب المختص، وتركز في تقريرها على توصيف الأوضاع في المناطق التي تمت زيارتها، وعلى العقبات التي تعترض طريق الدعوة في تلك المناطق والفرص الدعوية المتاحة فيها. وتقدم أيضاً الآراء والمقترحات التي يمكن الاستفادة منها في المجال الدعوي، وتبدي الخبرات المكتسبة من الرحلة، وتقدم أحسن الطرق للوصول إلى قلوب المدعوين في المناطق المزاراة.

٢٢. نشر أخبار الجولات الدعوية في الإذاعات والصحف، وإبراز نتائجها الإيجابية، وحث الناس على الاستفادة منها، وتشجيع طلبة العلم والدعاة على المشاركة فيها.
٢٣. تقديم احتياجات أهل القرى الدعوية كبناء مسجد أو خلوة للأغنياء من أهل الخير.^(١)

^(١) مستفاد من مقال بعنوان: القوافل الدعوية والتطوعية في القرى والأرياف أحمد عبد الصمد.

٢- الرسائل والمطويات^(١)

والمطويات: عبارة عن مواضيع تكتب في ورقة واحدة ثم تلف، ومعروفة لدى الجميع وهي سهلة التناول، قصيرة الكلمات، جذابة المنظر، لا تأخذ وقتًا في قراءتها، تعالج موضوعًا محددًا.

أهدافها:

١. توعية الناس بأمور دينهم بأسلوب سهل وواضح.
٢. إيجاد وسائل دعوية سهلة من خلال توزيعها في قطاعات مختلفة من الناس وبأسعار رمزية.
٣. اختيار موضوعات تمس واقع الناس وتهم حياتهم اليومية.
٤. تصحيح كثير من الانحرافات العقدية والأخلاقية والسلوكية.
٥. غرس مبادئ وأفكار إسلامية في نفوس الناس. وغير ذلك من الأهداف.
- ٦- حث الناس على فعل الخيرات والإكثار منها من خلال بيان أهمية العمل الخيري
- ٧- تعريف الناس بأهم المجالات التطوعية التي يمكن أن يشاركوا فيها والاستفادة منها
- ٨- التعريف الموجز بالمؤسسات والهيئات الخدمية وأهم إنجازاتها
- ٩- التعريف بالأمكن الفقيرة (ماديًا أو دعويًا) والتي تحتاج إلى خدمات كثيرة متنوعة لينزح إليها صناع الخير فيجتهدو فيها

أقسام المطويات:

يمكن أن نقسم المطويات بحسب المواضيع التي تطرح فيها ومن ذلك:

أولاً: العقيدة الإسلامية:

وذلك كمعالجة موضوع أو مفهوم عقدي وقع الانحراف فيه، أو جهلت أهميته ومكانته في حياة الناس مثل بيان معنى لا إله إلا الله وشروطها وأركانها، أو نواقض الإسلام، أو بيان عقيدة الولاء والبراء وحكم سب الله عز وجل أو الرسول ﷺ أو مخالفات في الرقية، التوسل

(١) مستفاد من المطويات وسيلة دعوية. موقع صيد الفوائد.

بالأنبياء والأولياء والصالحين الابتداع في الدين والاحتفال بالمولد، حكم السحر والكهانة..
.. وما إلى ذلك من المواضيع أو المفاهيم العقدية.

ثانيًا: الفقه:

وفيها تنشر المواضيع الفقهية مثل الصلاة: شروطها وأركانها ومكانتها في الإسلام وأحكام صلاة المريض وطهارته وغيره من أهل الأعذار، والأضحية وأحكامها، وضوابط العبادة الصحيحة، ، وصفة الحج والعمرة، والزكاة، ، صفة الصوم وصوم النبي ﷺ . . . وما إلى ذلك.

ثالثًا: الأخلاق والآداب:

وهي تعالج فيها مواضيع تحث على خلق فاضل أو تحذر من خلق سيء أو تبين معناهما كالحديث عن: حسن الخلق عامة، أو بر الوالدين، وحسن العشرة، وأدب الطريق، وإفشاء السلام، وحكم المزاح، والحياء، وترك الغضب، سلامة الصدر. . . إلخ

رابعًا: المرأة والأسرة والتربية:

ويتحدث فيها عن مواضيع تهتم المرأة المسلمة في دينها ودنياها كالحديث عن الأم مكانتها ودورها، أو الحديث عن الحجاب وأحكام زينة المرأة، أو تحرير المرأة، وخطر مشاركة المرأة الرجل في ميدان عمله أو مواضيع تتعلق بالفتاة المسلمة مثل إليك يا ابنتي، وأفيقي يا فتاة الإسلام، وفتاة لا تعجبني أو الحديث عن مواضيع تهتم الأسرة المسلمة وصلاحتها والسير بها نحو حياة هنيئة مطمئنة آمنة أو أمور تفسد العلاقات الأسرية وتسعى بها نحو التفكك والضياع، كالحديث عن: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، أو أخطار تهدد الأسرة، وأطفالنا ومعاني الرجولة، ويا بنتي، . . . وغيرها من المواضيع.

خامسًا: الرقائق والمواعظ:

وتتناول مواضيع واضحة معروفة تتركز في الحديث عن: الأعمال المضاعفة الأجور كالشكر والحمد والاستغفار، وفضائلها، أو الحديث عن المحاسبة والتفكير في حال الدنيا ومآلها والآخرة وأهوالها وغير ذلك من المواضيع التي يكون هدفها ترقيق النفس وتهذيبها. . .

سادسًا: الدعوة:

وبها تعالج مواضيع ذات علاقة بالدعوة إلى الإسلام والسبل الموصلة إلى الهداية أو الممانعة من الاستقامة كالحديث عن موانع الهداية وطرق الاستقامة والبدايل الدعوية أو الحديث عن: التعريف بدين الإسلام،... الخ.

سابعًا: السيرة والتاريخ:

كالدروس والعبر من الهجرة، والغزوات والمواقف، والمشاهد وفضائل الصحابة، ومعرفة الأنبياء، وسير الصالحين والافتداء بهم... الخ.

ثامنًا: التعريف بالأعمال الخيرية التي تحتاج إلى جهود جميع الناس بدنيًا كان أو ماديًا

ولعل الأمر قريب فيما صنعه النبي ﷺ في إرسال الكتب إلى الرسل والملوك فأرسل إلى قيصر وكسرى والنجاشي، وغيرهم، وفي كلمات موجزات يبين النبي ﷺ دعوته وغايته ويدعوهم إلى الإسلام

وهذا نموذجه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمَ تَسْلَمَ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ وَ: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا، فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤].^(١)

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

٣- الإنترنت^(١)

لقد جعلت ما يعرف بثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات العالم كله كأنه قرية واحدة يسهل الاتصال بين سكانها بسرعة مذهلة عبر البريد الإلكتروني والشبكة العنكبوتية (الإنترنت) التي أصبحت في السنوات الأخيرة من أبرز وسائل الإعلام والاتصال والتواصل الإنساني، فهي أسرع وسيلة لنقل المعرفة صوت وصورة ونص؛ وبذلك تفوقت على وسائل الإعلام الأخرى.

وعبر الإنترنت التي يستخدمها مئات الملايين في العالم يبرز دور العمل الخيري والإنساني وبخاصة في مجال الإغاثة الإنسانية فقد أصبح من اليسير أن نتعرف على أماكن الكوارث الإنسانية من زلازل وفيضانات وقت حدوثها ومعرفة حجم الكارثة والخسائر وعدد المشردين وعدد البيوت المهدمة؛ وذلك يفيد في التخطيط الجيد لحملة الإغاثة لهذه المنطقة. والإنترنت يمكن أن تفيد أيضا في التواصل المستمر مع الشعوب المختلفة وتقدير احتياجاتها من المشروعات الخيرية والتنمية والكفالات ونقل هذه الاحتياجات إلى أصحاب الأيدي الخيرة في العالم.

فلا يترك المسلم وسيلة للخير إلا طرق أبوابها وسعى إليها، ولهذا يجب أن نستفيد من الإنترنت والتقنيات الحديثة كوسيلة من وسائل دعم العمل الخيري، وكطريق سريع لصناعة الخير.

(١) لا شك أن شبكة المعلومات الالكترونية قد فرضت نفسها على الواقع وهي وسيلة من الوسائل فقد تستعمل في الحق أو في الباطل، لذا لا بد من الحذر في استعمالها في غير الحق، ولأنها وسيلة لا رقيب عليها ولا قيد، فقد يستثمرها البعض في الإضرار وتحصيل مآرب أخرى غير نافعة. فليثق الله كل مسلم ولا يحول هذه الوسيلة إلى وسيلة لنشر الفساد وابتزاز أموال الناس والدعوة للرديلة وليراقب ربه وهو في خلوته ولا يراه أحد إلا الله، والله مطلع على ما في صدره وما تكنه نفسه وما يسطر قلمه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وقال سبحانه: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

ولقد أصبح التبرع عن الطريق الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة من وسائل التعجيل بالبر والعمل الصالح، وهي من أسرع الوسائل لإدخال السرور على المسلم. ومع التطور التكنولوجي، وما يعرف باسم ثورة المعلومات، كما كان لها سلبيات واضحة فقد كان لها إيجابيات أيضاً؛ ومنها بروز مصطلح (التطوع الإلكتروني) أو (التطوع الافتراضي) في الفترة الأخيرة، وخاصة مع توافر الإنترنت في أغلب البيوت، مما جعل أكثر الطبقات ازدحاماً عليه هي فئة الشباب، وربما يكون قد تمدد بشكل واسع على حساب التطوع الميداني الذي يكون على أرض الواقع، كما أن شبكات التواصل الاجتماعي مثل: (تويتر - فيس بوك) قد لعبت دوراً في توسيع نطاق العمل التطوعي بين الشباب، وجعلت من نفسها داعماً أساسياً للعملية التطوعية.

والتطوع الإلكتروني هو: "المهام التطوعية التي تتم بصورة كلية أو في جزء منها، خلال شبكة المعلومات الدولية الإنترنت، سواء من البيت أو من العمل". ويعرف أيضاً باسم (التطوع الافتراضي) و(الأون لاين)^(١).

مميزات شبكة الإنترنت:

١- سرعة وضمان انتقال المعلومات: حيث يستطيع أي فرد أن يرسل خطاباً إلى ملايين الأفراد في وقت واحد من خلال الإنترنت، بعكس البريد العادي الذي يستغرق أياماً بل أسابيع، والعكس صحيح أيضاً، إذ يستطيع ملايين الأفراد تعرف معلومة معينة أو رسالة أو نبأ في وقت واحد إذا عرفت مكانها، وهذا هو المتبع في وكالات الأنباء العالمية، مثل CNN وغيرها.

حيث تضع الأخبار والنشرات الجوية على أجهزة الكمبيوتر، ويستطيع ملايين الناس الحصول على هذه الأخبار دون انتظار.

٢- سرية المعلومات: وهذه السرية تأتي من أن كل جهاز مرتبط بالإنترنت له رقم خاص به أو اسم معروف به، وبالتالي يستطيع أي فرد أن يرسل رسالة إلى جهاز بعينه ويضمن أنها

(١) الإنترنت. . ثورة حديثة في دفع العمل الخيري التطوعي إلى مجالات أرحب. آلاء ممدوح الريدي

خزنت بداخله، ويطمئن إن كانت وصلت أم لا، ووقت الاستلام، ويستطيع المرسل إليه الرد الفوري على الرسالة.

٣- تبادل المستندات: يمكن إرسال واستقبال أي مستند من أي جهاز كمبيوتر مرتبط بالإنترنت مهما كان نوع المستند وحجمه، سواء كان خطاباً أو مذكرةً أو كتاباً أو شريط كاسيت أو فيديو

٤- الحديث والمشاورة وعقد المؤتمرات: لا تحتاج إلى شراء كمبيوتر خاص أو أجهزة اتصال معتمدة، فأني جهاز كمبيوتر يصلح ما دام تم ربطه بخط تليفون، ولا يحتاج الإنترنت إلى مستوى علمي أو فني عالٍ للتشغيل.

٥- التسوق من خلال شبكة الإنترنت:

يمكن طلب مختلف أنواع البضائع التي ترغب الحصول عليها دون الذهاب إلى السوق أو مغادرة البيت. فيمكن شراء مختلف المواد كالكتب وغيرها.

٧- مجموعات النقاش:

يمكن الاشتراك مع مجموعات النقاش من خلال شبكة الإنترنت للالتقاء بمختلف الأفراد والشخصيات حول العالم ممن لهم الاهتمامات ذاتها. ويمكن توجيه أسئلة إليهم أو تقديم أفكار أو مناقشة قضايا هامة

٨- تحويل الطاقات الشبابية ووقت الفراغ لعمل نافع يفيد الشاب نفسه قبل إفادة المجتمع، كذلك فهو يحل مشكلة المكان؛ فقد أصبح لا وجود لها في ظل العمل التطوعي الإلكتروني؛ وبالتالي اختفت مشكلة وسائل الانتقال والمواصلات.

٩- وجود مشاركة متطوعين من مناطق ودول مختلفة، وكذلك أتاح فرصة للنساء للعمل به خصيصاً لمن لا تريد الاختلاط والعمل على أرض الواقع، وأيضاً عدم تحمل المتطوع فوق طاقته، فعندما يجب أن يستريح فهذا أصبح بإرادته ووقتاً يشاء، ويتيح له حرية اختيار الزمان والمكان المناسب له، كما أنه يمنع التضارب، ويحول دون الإحباط..

١٠- أما الميزة الكبرى به، فهي أن هناك بعض الحالات الإنسانية التي تمنع محبي التطوع من التطوع التقليدي، مثل: الإعاقات الجسمية، فمن خلال الإنترنت يستطيع أن يتحدى إعاقاته من خلال مشاركاته الفعالة مع أصحابه^(١).

أسباب إنشاء مواقع العمل الخيري:

وحول الهدف من إنشاء موقع للأعمال الخيرية كانت المسببات التالية:

- ١- السرعة والدقة في توصيل المعلومات والبيانات المتعلقة بمشروعات وكفالات العمل الخيري سواء لمناطق العمل أو للمتبرعين والجهات الداعمة.
- ٢- التواصل الإلكتروني مع المتبرعين وإطلاعهم على الجديد في العمل الخيري من خلال النشرات الدورية التي يتم إرسالها إلى البريد الإلكتروني.
- ٣- توسيع دائرة اختيارات المتبرعين للمشروعات والكفالات التي يرغبون التبرع لها بعرض كم كبير من المشروعات والكفالات قد لا يتسع لها الإعلاميات المطبوعة.
- ٤- المتابعة المستمرة للمشروعات التي تم تنفيذها بنشر معلومات عن مراحل تنفيذ المشروع المتبرع له أو مراحل كفالة المكفول الذي تمت كفالة وعرض التقارير الدورية للمشروعات والكفالات.

٥- نشر أخبار العمل الخيري وإنجازاته ومتابعة ما ينشر في الصحف ووسائل الإعلام.

٦- دعم التواصل والتعاون مع المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي.

أهم الأعمال التطوعية التي يمكن للمتطوع أن يقوم بها من خلال وسيلة الإنترنت

- ١ - التفكير في إنشاء مواقع إسلامية تخدم قضايا لم تطرح في مواقع أخرى أو التخصص في جانب معين من أمور الإسلام.
- ٢ - تكون فريق عمل يخدم المواقع الموجودة بالكتابة أو غير ذلك من وسائل الخدمة.

(١) انظر: الاستفادة من الإنترنت في العمل الخيري الدكتور جاسم مهلهل الياسين، الإنترنت وتطبيقاته في العملية التعليمية، والتطوع عبر الإنترنت يزيل العقبات.

- ٣ - من له لمسة إبداع في التصميم أو الفلاش أو الفيديو فلينزل للمواقع ويبدأ في الخدمة والتعاون ولو كان بمبلغ مالي.
- ٤ - دعم المواقع مادياً وهذه مهمة أصحاب الأموال؛ لأن المواقع تدفع أموالاً للشركة المستضيفة لها وللموظفين وللإعلانات وغيرها من حاجيات المواقع.
- ٥ - فتح مجال التخفيض لأجل الإعلانات لأصحاب المواقع الإسلامية في الجرائد أو القنوات أو بعض المواقع الإعلامية.
- ٦ - دعوة العلماء وأصحاب الأقلام للكتابة في المواقع والمشاركة بالإجابة على الفتاوى والاستشارات.
- ٧ - توضيح أنشطة المواقع ودورها في نفع الناس عبر وسائل الإعلام.
- ٨ - الاستفادة من المقالات والفتاوى الموجودة في المواقع ونقلها إلى المنتديات والمواقع الأخرى لينشر الخير.
- ٩ - نقل الصلوات والمحاضرات عبر البث المباشر، ولقد انتفع بهذه الوسيلة المئات، وخاصة المسلمون في البلاد البعيدة.
- ١٠ - رفع المواد الصوتية من تلاوات ومحاضرات لتتم الاستفادة منها بالسماع.
- ١١ - تغطية الفعاليات الدعوية التي تكون في المدن والمحافظات وتنزيل ذلك في المواقع والمنتديات وفي ذلك إبراز للأنشطة وإعلان لها.
- ١٢ - الاستفادة من البريد الإلكتروني في نشر المفيد من الأخبار والمقالات والصور وغيرها، مع الحرص على عدم نشر المواد غير الموثوق منها أو التي تحوي مبالغاة أو أحاديث لا تصح.
- ١٣ - مراسلة المواقع بالنقد والنصيحة، مع التزام الأدب والإنصاف في النقد.
- ١٤ - الإعلان عن المحاضرات والأنشطة عبر المواقع مما يكون سبباً في نشر الوعي بها ومعرفتها.
- ١٥ - الإعلان عن المواقع المتميزة في المجالس والمنتديات واللقاءات.

- ١٦ - الاهتمام بالمرأة عبر المواقع المتخصصة لها، والتي تراعي حاجياتها وشؤونها ومسائيلها كل ذلك بتصميم متميز وبرمجة رائعة تناسب متطلبات التقنية.
- ١٧ - العناية بالرد على أصحاب الفكر الضال من علماني أو ليبرالي أو تكفيري أو مبتدع منحرف وتأصيل الرد بأدلة الكتابة والسنة مع مراعاة فقه التعامل مع المخالف.
- ١٨ - الاهتمام بأحوال المسلمين وأخبارهم مع الحرص على الخبر الموثوق الذي يعتمد على الدليل القاطع.
- ١٩ - إنشاء ملفات خاصة بحدّث معين أو موسم معين كما تفعله بعض المواقع، وفائدته: " جمع أهم ما يتعلق بالحدث من مواد مكتوبة أو صوتية ".
وهكذا لا يترك المسلم وسيلة للخير إلا طرق أبوابها وسعى إليها، ولهذا يجب أن تستفيد من الإنترنت والتقنيات الحديثة كوسيلة من وسائل دعم العمل الخيري والطريق السريع لصناعة الخير.
- فصناعة الخير لا تنتهي من حياة المسلم، فهو بينها يتقلب، يغرس شجرة الخير في كل مكان وبكل الوسائل المشروعة.^(١)

(١) انظر: الاستفادة من الإنترنت في العمل الخيري الدكتور جاسم مهلهل الياسين، الإنترنت وتطبيقاته في العملية التعليمية.

٤- الدعاية والإعلان

تزايدت أهمية الدعاية والإعلان في وقتنا الحالي بصورة كبيرة جداً. ومع تطور وسائل الاتصال التي جعلت من العالم قرية صغيرة كما يقولون، أصبح الاعتماد على الدعاية والإعلان لتسويق النشاطات التي تقوم بها الجمعيات والخدمات وحتى الأفكار أمراً لا يمكن الاستغناء عنه.

وقد استخدم النبي ﷺ هذه الوسيلة كثيراً من ذلك

الإعلان عن رسالة الإسلام وذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي - ليطون قريش - وفي رواية فهتف: يا صباحاه، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكتتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: ٢]^(١)

الإعلان للمسارعة في الخيرات وذلك كثير ومن ذلك:

- عن أبي عبد الرحمن، أن عثمان رضي الله عنه حين حوَّصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ألسنتم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حفر رومة فله الجنة؟ فحفرتها، ألسنتم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة؟ فجهزتهم، قال: فصَدَّقُوهُ بما قال... " (٢)

- وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر رضي الله عنه:

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨)

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٧٨)

أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ (١)

ويمكن أن نجمل أهمية الدعاية والإعلان في النقاط التالية:

١. الترويج للنشاط والأفكار بأيسر السبل وأقل التكاليف، حين يصل الإعلان باختلاف مضمونه إلى أوسع شريحة يريدوها المعلن، وذلك بعد أن يختار الوسيلة الإعلانية التي يريدوها، سواء كانت مرئية أم مقروءة أم مسموعة.

٢. تعريف المستقبل بأهمية العمل التطوعي دون مشقة يتكلفها حتى يصل له أهمية الأمر

٣. تشجيع التنافس بين العاملين في هذا المجال لتقديم أفضل ما عندهم من إنتاج، وتدفعهم لمحاولة التميز لجذب انتباه المتقاعسين عن هذا الباب.

٥. تعتبر الدعاية والإعلان من أهم الوسائل التي تؤمن الدخل للوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة، حتى إننا نرى اليوم تضخمًا في المساحة الإعلانية في المحطات الفضائية، وزيادة كبيرة في حجم الصحف والمجلات التي تخصص صفحات كثيرة لنشر الإعلانات فيها، ولهذا جانبه السوء المؤثر على الوسيلة الإعلانية، من ذلك مثلاً الحد من حرية هذه الوسائل الإعلامية حرصًا منها على جذب المعلنين.

٦. تستخدم الدول الدعاية والإعلان لتقوم بوظيفة توعية الجماهير لخطر ما، أو تحريضهم للقيام بواجب اجتماعي أو سياسي ما. كما تستخدم في التسويق السياسي الذي: "هو عبارة عن برنامج الحزب أو المرشح والمستهدف توصيله للجماهير المستهدفة، وإقناعهم بالبرنامج. أي إحداث التأثير المستهدف على الرأي العام لجمهور الناخبين".

٧. إن الدعاية والإعلان اليوم تحتل مكانة مهمة وتستخدمها الدول القوية للترويج لأفكارها وللسيطرة على الدول الفقيرة واستغلالها، من خلال ما يسمى بالغزو الثقافي والذي نرى أثره اليوم، حيث سيطرت أفكار غيّرت من نمط الحياة في معظم دول العالم وخصوصًا الدول

الضعيفة التي فتحت أبوابها للدعايات الغربية وأخضعت شعوبها لشتى التأثيرات، مما زادها ضعفًا وقابلية لاستنزاف خيراتها من قبل الدول القوية.^(١)

ومع انتشار الإنترنت زادت أهمية الدعاية والإعلان وخصوصًا عبر الإنترنت فهناك خيارات عديدة أمام الدعاية وسرعة إيصال المعلومة.

الوسائل التي يمكن استخدامها في الدعاية والإعلان:

• الدعاية والإعلان عن طريق المسجد

ويتمثل ذلك في استخدام كل الوسائل المتاحة في المسجد من مذياع يستعمله الإمام للإخبار عن كل أبواب الخير التي يحث الناس على فعلها من مساعدة المحتاجين والفقراء وكفالة اليتيم ودعوة الناس للبذل في الصدقات الجارية وتذكيرهم بأهمية الزكاة وكيف تخرج ولمن تعطى ، كذلك من الوسائل الهامة تعليق لوحات إرشادية في مكان مناسب من المسجد لا يشغل المصلين لبيان الخدمات التطوعية التي تتطلب مساعدة إما مالية أو بدنية أو فكرية

• الدعاية والإعلان عن طريق الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة

ويمكن تفصيل ذلك عبر الآتي:

١- الإعلان في الصحف:

مميزات الإعلان في الصحف:

- ١ - تعتبر الصحف مرنة من حيث اختيار وقت الإعلان والمنطقة الجغرافية التي يغطيها الإعلان، مدينة محلية، أو دولة بأكملها.
- ٢ - كثافة الانتشار الإعلاني في السوق المحلية.
- ٣ - من الممكن تكييف الرسالة الإعلانية لتناسب الظروف الاقتصادية، والاجتماعية في المناطق المحلية.
- ٤ - تكلفة وصول الرسالة الإعلانية للفرد الواحد منخفضة جدًا.

(١) انظر: تخطيط الحملات الإعلانية عبد الرحمن حمود، وتخطيط الإعلان، الاستراتيجيات والموازنات. طارق الحكواتي.

٥ - السرعة في نشر الرسالة الإعلانية، كذلك إمكانية إيقاف الرسالة الإعلانية خلال فترة إنذار لا تتعدى يوماً واحداً.

لكن يعاب عليها قصر عمر الصحيفة وبالتالي قصر عمر الإعلان.

٢- الإعلان في المجلات:

مميزات الإعلان في المجلات:

١ - يعتبر وسيلة تعبيرية ممتازة إذا كان من الضروري استخدام الألوان، والطباعة الجذابة في الإعلان.

٢ - جميع أفراد العائلة تقرأ الجملة، كما أنها تدوم بين أيدي العائلة لمدة أسبوع أو شهر.

٣ - تغطية السوق الوطني بأقل تكلفة.

٤ - يمكن الاستفادة من المجلات المتخصصة في الإعلانات المتخصصة.

٥ - المجلة تقرأ عادة في أوقات راحة المستهلك، لذا يمكن تطويل الرسالة الإعلانية.

عيوب الإعلان في المجلات:

١ - يصعب الاستفادة من الأحداث اليومية المهمة لأنها تصدر شهرياً أو أسبوعياً.

٢ - إن المجلة تحتوي على عدد من المواضيع الجذابة للقارئ مثل القصص والتحقيقات المصورة مما يقلل من قوة الجذب للإعلانات التي بها.

٣- الإعلان الإذاعي:

مميزات الإعلان الإذاعي:

١ - انخفاض تكلفته النسبية.

٢ - إمكانية الوصول إلى أعداد كبيرة من المستمعين.

٣ - إمكانية توجيه الرسالة لجمهور محدد، وذلك لظهور التخصص في المحطات.

٤ - إمكانية الاستفادة من أهمية البرنامج وشخصية المذيع.

عيوب الإعلان الإذاعي:

١ - الاستفادة فقط من حاسة السمع، وبالتالي قصوره عن تزويد الرسالة الإعلانية بالصورة.

٢ - قصر عمر الرسالة الإعلانية.

٣ - عدم التركيز على الرسالة الإعلانية، مثل استماع الراديو أثناء القيادة.

٤ - لا يمكن للمستمع استرجاع الإعلان بعد إذاعته إذا احتاج إلى أي توضيح.

٤ - الإعلان التلفزيوني:

مميزات الإعلان التلفزيوني:

١ - الاستفادة من الصوت والصورة والحركة في جذب انتباه المستهلك.

٢ - ازدياد أهمية الإعلان التلفزيوني نتيجة لانتشار محطات البث عبر الأقمار الصناعية، وتغطية جميع أنحاء العالم.

٣ - يمكن التأثير على جميع أفراد الأسرة في وقت واحد.

٤ - التغطية الشاملة للمناطق الجغرافية في الدولة الواحدة.

عيوب الإعلان التلفزيوني:

١ - ارتفاع تكلفته بالنسبة للوسائل الإعلانية الأخرى.

٢ - يتطلب إخراج الإعلان التلفزيوني خبرات وقدرات فنية.

٣ - قصر عمر الرسالة الإعلانية وصعوبة استرجاعها.^(١)

• الدعاية والإعلان عن طريق الإنترنت وله عدة وسائل منها

• الدعاية والإعلان عن طريق الواتساب:

وسيلة حديثة ومتطورة، تصل للمشارك وتبقى في جهازه، أفضل من الإعلان عبر sms، لأن (sms) محدود الأحرف والواتساب مفتوح الأحرف، يمكن إضافة رابط لصورة أو لمقطع في الإعلان.

• الدعاية والإعلان عبر الإيميلات:

طريقة فعالة للوصول للعميل عبر بريده الإلكتروني في ظل التكنولوجيا المتطورة التي أصبحت لا غنى عنها في وقتنا الحالي وتكسبك علاقة قوية من العملاء.

(١) مبادئ تسويق. أماني كعدور.

• الدعاية والإعلان عبر المنتديات:

وسيلة حديثة توصلك إلى فئة مستهدفة أخرى عبر الكتابة في المنتديات وتفاعل نشاطات مستخدمي الإنترنت في أشهر المنتديات المحلية والعربية. من خلالها يوفر لك الجهد والوقت ويصل إعلانك إلى الكثير من المنتديات حسب الطلب.

• الدعاية والإعلان عبر مواقع التواصل الاجتماعي:

١. فيس بوك Facebook

٢. تويتر twitter

٣. جوجل بلس google plus

٤. إنستغرام Instagram

٥. لينكد إن linkedin

٦. الواتس أب whatsapp

وتفاصيلها كالآتي:

- نقوم بفتح حساب في كل موقع.
- تجهيز كل حساب ورفع المادة العلمية المطلوبة فيه مع الصور.
- الاشتراك في بعض القروبات إن أمكن.
- عمل لوحات إعلانية لكل حساب يدل على الشركة ونشاطها.

• الدعاية والإعلان عبر اليوتيوب:

- عمل قناة علي اليوتيوب باسم الشركة أو المؤسسة.
- عمل لوحات للقناة يعبر عن شركتكم ونشاطها.
- عمل فيديو أو أكثر حسب الطلب يعرض فيه نشاط الشركة وخدماتها ويوضع بداخل القناة.

- نشر القناة بمواقع التواصل الاجتماعي والقروبات والمنتديات^(١)

(١) انظر: أساليب الإدارة المتقدمة للدعاية الإعلامية الدولية. فايز عبد الله مكيد العساف.

٥- المخيمات الصيفية

مقدمة

تنتشر المراكز في فترة الصيف في مختلف دول العالم، وهذه المراكز تحمل أسماء وعناوين مُتعدّدة، منها ما هو تربوي وتعليمي بحث، ومنها ما هو تربوي وترفيهي، ومنها ما هو تسويقي وتجاري، وترفيهي، ومنها ما هو مهني.

تعريف البرنامج الصيفي:

هو مجموعة من الأنشطة الدينية والتربوية والثقافية والاجتماعية الهادفة والمتنوعة، يتم تنفيذها خلال الإجازة الصيفية؛ لاستثمار أوقات فراغ الأبناء، وتلبية احتياجاتهم ورغباتهم، وتشتمل البرامج على:

النشاط الدعوي: غرس المبادئ والأخلاق الإسلامية وتصحيح الأفكار لدى شرائح المجتمع من شباب وفتيات وآباء وأمّهات، وذلك بحضور عدد من العلماء والدعاة للمشاركة والنصح والتوجيه.

النشاط التربوي: عن طريق اكتساب المهارات الدراسية وما يدور في الفصل، والمهارات الحياتية التي تُهيئ الشباب للتفاعل مع الذات ومع الآخرين، والتعلم للعمل.

النشاط الاجتماعي: عن طريق الرحلات والزيارات والمسابقات، وخدمة المجتمع، والعمل التطوعي، والتوعية الصحية والمروية.

النشاط الثقافي: ويتضمّن أعمال المكتبة، والإذاعة، والصحافة، والبحوث، والندوات، والدورات.

النشاط الرياضي: ويحتوي على الألعاب الرياضية الفردية والجماعية.

النشاط الكشفي: ويشمل الرحلات الخلوية (السياحة في البر أو الصحراء).

النشاط الفني: مثل: برامج تحسين الخط، والرسم، والزخرفة، والأشغال، والنحت.

النشاط المهني: مثل: الكهرباء، والنجارة، والسباكة، وأعمال الترميم، والصيانة المنزلية.

النشاط العلمي والحاسب الآلي: ويمارس من خلال رعاية المواهب العلمية والإبداعية وتوفير المواد والأجهزة لإجراء التجارب العلمية تحت إشراف المختص، والتعرف على بعض

المؤسسات العلمية والمصانع، والتعريف بالحاسب الآلي واستخداماته، وبعض تطبيقاته على مستوى الأفراد والمؤسسات.

النشاط الطبي: من خلال دورات في الإسعافات الأولية ومشاركة طبيبات بدورات وتوعية تسهم في بناء الثقافة، وتدريب النساء على الإسعافات الأولية.^(١)

العمل التطوعي والمخيمات الصيفية:

تتميز كثير من الجمعيات الخيرية بإقامة المخيمات الصيفية والتي هي ضمن أنشطتها التي تقدمها للمجتمع، وأيضًا تميزت هذه الجمعيات بإقامة هذه المخيمات سنويًا وهي إحدى الخدمات التي تقدمها الجمعيات لاستغلال الإجازة الصيفية بما يعود بالنفع على هؤلاء الطلاب ولإبعادهم عن الأفكار المتطرفة التي يستغلها كثير من العابثين دون هدف، لتوضيح كثير من الأمور عن هذه المخيمات الصيفية التي تنظمها الجمعيات الخيرية

فأدركت الجمعيات والأندية الشبابية خطورة وقت الفراغ في إجازة الصيف، والآثار السلبية الناجمة عنها؛ لذا تحركت هذه الجمعيات من أجل المحافظة على الأبناء، وتوفير فرص عمل لهم، وحمايتهم من التسكع في الشوارع خلال فترة الصيف، ومنعهم من ارتكاب جرائم الأحداث، وأكدت الجمعيات على أهمية العمل الجماعي التطوعي للشباب، خاصة خلال فترة الصيف؛ بغية إنقاذهم من براثن الفساد والضَّياع، وبما أن الحكومات وحدها لا تستطيع رعاية الشباب وإنقاذهم، فإن دور مؤسسات المجتمع المدني يساهم هو أيضًا في حل مشكلات الشباب؛ لذا أصبح هدف المجتمع المدني تنمية المجتمع وتقديمه من خلال العمل الجماعي التطوعي، ويعتمد هذا العمل على عوامل لكي ينجح، منها الشباب وحماسهم في خدمة مجتمعاتهم،

وتوجد عدة مؤسسات ومراكز تهتم ببرامج الصيف لطلاب المدارس:
معسكرات الشباب:

(١) انظر: البرامج الصيفية (أهدافها، أنواعها، أثرها) عباس سبتي.

ومن أهداف المُعسكرات الشبابية استثمار وقت فراغ الشباب، وإعداد جيل من الشباب يتحمّل مسؤولية تنمية وطنه، وتدريبهم على بذل الجهد والتعاون والاعتماد على النفس، والتقاء الشباب بعضهم ببعض، وتبادل الخبرات بينهم.

المعاهد والجمعيات ذات النفع العام:

تُنظّم المعاهد التدريبية وبعض الجمعيات التعاونية وغيرها برامج في فترة الصيف للأبناء والبنات، وتشتمل البرامج على مختلف الأنشطة الرياضية، والثقافية، والاجتماعية، والدينية، والكمبيوتر، واللغات، والرسم، والخط، والثقة بالنفس، والإسعافات الأولية، وقد تُنفق هذه الجهات الأموال الكثيرة من أجل جذب الشباب إلى هذه الأنشطة، وتحت شعارات مختلفة؛ مثل: "صيف المفاجآت والترفيه".

وتطرح الجهات المعنية ببرامج الصيف إعلاناتها في الصحف المحلية

الأهداف العامة لأنشطة المراكز الصيفية

- ١- بناء الشخصية المتوازنة للطلاب في ضوء العقيدة الإسلامية السمحة.
- ٢- تعريفهم بمؤسسات الوطن ومرافقه، وتنمية روح المحافظة عليها.
- ٣- اكتشاف المواهب لدى الطلاب وصقلها وتدعيم خبراتهم وتنمية مهاراتهم المختلفة.
- ٤- توجيه الانفعالات السلوكية لدى الطلاب وطاقاتهم الفكرية والحركية الوجهة السليمة الإيجابية.
- ٥- حماية الطلاب من آثار الفراغ السلبية واستثماره بالبرامج المفيدة.
- ٦- تدريب الطالب على تحمل المسؤولية والمشاركة الاجتماعية.
- ٧- خدمة البيئة المحيطة، وتفعيل دور المؤسسة التربوية كمركز إشعاع في الحي.^(١)

(١) وسيلة لتعزيز الروح الاجتماعية وغرس الكثير من القيم، ونحنيات الأطفال الصيفية بقلم: فهد اليامي.

٦- البث المفتوح من فضائيات ونحوها:

نسجل ابتداءً أن القنوات الفضائية العربية المقصودة والمؤهلة لحمل الرسائل الإعلامية للعمل الخيري هي: القنوات التابعة للقطاع الحكومي، والتابعة للقطاع الخاص، مع استبعاد قنوات المجون والخلاعة والغناء الهابط والتسلية الفارغة، وقنوات الشعوذة، والقنوات التجارية ذات الهدف الربحي التجاري البحت المنبئة الصلة بأية قيمة إنسانية غير مادية.

وقد يكون من المناسب هنا ربط موضوعنا بالمسؤولية الأخلاقية الاجتماعية الملقاة على عاتق الإعلام العربي والتلفزيوني الفضائي منه تحديداً، تجاه المجتمع؛ لما له من التزامات أخلاقية تقتضيها المهنة والمواثيق الإعلامية من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإعلام العربي، الذي يعمل في هذه البيئة ملزم حضارياً ومهنياً بأن يتمثل القيم التي يدين بها الجمهور المستهدف والمخاطب بشتى رسائله الإعلامية، ولا نرى نوعاً من الإعلام والقنوات الفضائية يحق له أن يتنصل أو يشذ عن هذا الإلزام، وأن ما نراه ييث من برامج وحصص وأعمال إعلامية وفنية تصادم هذا الأمر إنما هو شذوذ وخروج عن الميثاق الذي بمقتضاه تبث قناة تلفزيونية عربية برامجها، حتى وإن لم تنص القوانين والمواثيق والتراخيص الخاصة بالبث صراحة على ذلك، فنحن نرى أن الثوابت الأخلاقية والقيم الحاكمة في المجتمع العربي لها من القوة والسلطان ما يفوق كل القوانين والمواثيق؛ لأنها من المفترض أن تُستمد من تلك القيم والمبادئ والأخلاقيات.

ومن أهم المسؤوليات الأخلاقية المنوطة بالإعلام الفضائي العربي إحياء الفضائل الأخلاقية الأصيلة في المجتمع العربي المسلم -في أغلبه- كالولاء للأسرة وطاعة الوالدين والطابع الإنساني، وأهمية التربية، وقيم الإتيقان والاجتهاد

لا يستطيع المرء أن ينكر قدر ما ساهمت به الفضائيات الإسلامية خلال السنوات الأخيرة في توسيع دائرة الدعوة الإسلامية، حيث تمكن الكثير من الدعاة عبر هذه القنوات الفضائية الإسلامية، من الولوج لمناطق لم يكن من اليسير ولوجها قبل ذلك، فضلاً عن إمكانية الدخول إلى كل بيت يضع في أعلاه هذا الطبق اللاقط لإشارات الأقمار الصناعية.

لذا يشهد العالم الآن طفرة إعلامية غير مسبوقة، وتعددت وسائل الإعلام، فمنها المسموع، ومنها المرئي، ومنها الذي يجمع بين الاثنين، وهناك الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون والمحاضرات والندوات والمؤتمرات. وزاد من انتشار وتأثير وسائل الإعلام الثورة المعلوماتية التي يشهدها العالم من خلال شبكة المعلومات الإنترنت، وتطور وسائل الاتصال، وزيادة أعداد الأقمار الصناعية، وانتشار قنوات فضائية بشكل يصعب من خلاله تمييز الصالح منها. وتؤكد الأبحاث العلمية الإعلامية أن لكل وسيلة من وسائل الإعلام مقدرة خاصة على الإقناع وفقاً للموضوع والجمهور، والبيئة الاجتماعية والثقافية، إلا أن الجمع بين أكثر من وسيلة يحقق تأثيراً أكثر فاعلية، ويُمكن الإعلام من تحقيق أهدافه.

ويهدف الإعلام الخيري إلى تزويد المجتمع المسلم بمعلومات وحقائق وبيانات عن أهمية العمل الخيري الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية، من خلال وسائل اتصالية متخصصة ومتطورة.

وأياً كانت الآثار السلبية التي تقع على المجتمعات الإسلامية من وسائل الإعلام إلا أن لها فائدة كبيرة من نشر الوعي الديني والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي. ومما لا شك فيه أن العمل الخيري استفاد كثيراً من ثورة الإعلام والاتصال، وأصبحنا نرى أخبار العمل الخيري تتصدر صفحات الصحف والمجلات، كما أن بعض المؤسسات الخيرية أصبحت تصدر مجلات متخصصة في العمل الخيري،

وهناك مقومات لا يمكن تجاهلها فيما يتعلق بالإعلام الخيري، منها: وجود كوادر متخصصة في العمل الخيري واتجاهاته وأهميته، بالإضافة إلى الخبرات الفنية الإعلامية المتخصصة، والمتابعة لتطورات العملية الإعلامية ووسائلها، هذا بالإضافة إلى أن الإعلام الخيري يجب أن يتصف بالعالمية ولا يقتصر على قطر أو إقليم بعينه. ولكي يؤتي الإعلام الخيري ثماره على أكمل وجه لابد من توافر قاعدة بيانات عن الاحتياجات الواقعية للمجتمع، كما يجب أن يهتم الإعلام الخيري بعرض الجدوى الاقتصادية من المشروعات المراد تنفيذها لتحقيق أعلى قدر من الشفافية بين مؤسسات العمل الخيري وأعضاء المجتمع، سواء كانوا أفراداً أو شركات.

ويهدف الإعلام الخيري إلى الوصول إلى شرائح المجتمع المختلفة، وخاصة الجهات المانحة، والمستفيدين من العمل الخيري، والمؤسسات الخيرية ذات الصلة، والمؤسسات الحكومية المعنية، ومتخذي القرار.

ويتوقف نجاح الإعلام في العمل الخيري على مدى قدرة المؤسسات الخيرية على تحديد أهدافها، وعرض برامجها، والتعريف بأنشطتها، والاستفادة من تقنيات المعلومات والاتصال. كما لا بد وأن تتعاون المؤسسات الخيرية فيما بينها لإصدار وسائل إعلامية قوية، وبث قنوات فضائية متخصصة في العمل الخيري تعرض لأهدافه، وتساعد على إشاعة ثقافة العمل الخيري بالمجتمعات الإسلامية. ومن الضروري الخروج بالمؤسسات الخيرية من التعريف الضيق، وهو مساعدة الفقراء والمساكين والمرضى، إلى دور المؤسسات الخيرية في التنمية المستدامة للمجتمعات.^(١)

أهمية الإعلام:

- ١- التأثير الكبير على الرأي العام.
- ٢- أن دور الإعلام اليوم لا يقتصر على نقل الخبر فقط أو رواية الأحداث في العالم، بل إن الخطر أكبر بكثير، فإن الحرب القادمة لن تكون حرباً عسكرية، وإنما حروب إعلامية أي أن الإعلام سيأخذ مساحة ودوراً كبيراً في حياة الإنسان حتى تكون خلافات الأمم منصبه فيه.
- ٣- أهمية الإعلام الإسلامي تكمن في تصحيح المفاهيم.
- ٤- يعتبر الإعلام في هذا العصر المحرك الأساسي للفكر وعليه فإن المسؤولية التي تقع على الإعلاميين كبيرة، فالإعلام مرآة المجتمع، ومؤشر لصناع القرار والعين الراصدة لقضايا المجتمع.

- ٥- الإعلام من أعظم أنواع التسويق الفكري والتجاري والسياسي.

أهمية الفضائيات:

^(١) الإعلام والعمل الخيري أحمد عبادة العربي، وانظر: أثر القنوات الفضائية الإسلامية في التوعية الدينية، ياسين صالح علي.

- ١- الإعلام المرئي أقوى أنواع الإعلام في التأثير والجذب.
- ٢- الفضائيات تجاوزت الحدود والأسر، فلا يمكن أن تمنع، فقد وصلت إلى البدوي في الصحراء والقروي في ريفه، والمرأة في خدرها.
- ٣- شريحة الاستهداف أكبر عددًا، فلا يوجد وسيلة إعلامية أكثر عددًا ومتابعين من الفضائية.
- ٤- سهولة أخذ المعلومة فلا يطالب المشاهد بقراءة أو ذهاب للسوق، أو دفع أموال متواصلة، بل يمكن أن يشاهد وهو يأكل أو على فراشه أو يعمل أو غير ذلك.^(١)

علاقة العمل الخيري بالإعلام:

تتجلى هذه العلاقة في ثلاث نقاط:

١. أن العلاقة بين العمل الخيري والإعلام حقيقية، لأنه عمل صادر عن دين هو للناس كافة.
٢. أن الإعلامي الإسلامي ليس وليد اليوم، ولم يكن نتاج حضارة حديثة أو مدنية متطورة، والعمل الخيري بالدرجة الأولى عمل إسلامي.
٣. أن الإعلام للعمل الخيري إعلام متميز عن سواه لأنه منبثق من الإعلام الإسلامي، الذي حمل مبادئ أخلاقية، وأحكامًا سلوكية، وقواعد وضوابط لا يحيد عنها، فهو إعلام واضح صريح، عفيف الأسلوب، نظيف الوسيلة، شريف المقصد.

مهمة الإعلام بالنسبة للعمل الخيري:

يمكن أن تحدد مهمة الإعلام بالنسبة للعمل الخيري بالخطوات التالية:

١. التعريف بالعمل الخيري ومجالاته.
٢. التصدي للحملات المعادية التي يتعرض لها.
٣. إبراز الدور الرائد الذي قام به العمل الخيري في دعم المسيرة الإنسانية والرقى بها وتنمية جوانبها.

(١) الفضائيات الإسلامية بين الواقع والطموح، الدكتور/ عبدالمحسن زين المطيري.

٤. تجميع الطاقات العاملة فكرياً وثقافياً وعلماً وقوة بشرية وحشدتها في سبيل دعمه وخدمته. وبتأمل الواقع نجد أن وسائل الإعلام لم تستطع أن تقدم التغطية الشاملة لتلك المهمة مع أن العمل الخيري فيه الكثير من التفاصيل التي تجذب انتباه الجماهير وتحرك العواطف والاهتمامات الإنسانية.

أهمية العمل الإعلامي للجهات الخيرية:

إن للعمل الإعلامي المخطط أهمية كبرى لا تقاس فقط بجلب التبرعات للجهة الخيرية، فالعمل الإعلامي المنظم يعرف الجمهور بالجهة وأعمالها ويرسم صورة جيدة لديهم عنها، ويوجد شعوراً بالرضا نحوها لما تقوم به وربما صحح العمل الإعلامي بعض المفاهيم الخاطئة عنها، وأعطى صورة ذهنية حسنة تجاهها وكل هذه الآثار وغيرها تقاس بالدراسات العلمية المصاحبة للجهد الإعلامي المخطط، كما أن التعاون الإعلامي بين الجهات الخيرية والمؤسسات الإعلامية يسهم في تحقيق التكامل بين العمل الخيري ومؤسسات المجتمع الأخرى وهو المطلب الذي ناشد به قادة العمل الخيري. وعليه فلم يعد لأي جهة خيرية غنى عن جهاز إعلامي متطور يقدم الوظيفة الإعلامية ويساهم في دعم مسيرتها.

أسباب القصور الإعلامي في الجهات الخيرية:

١. نقص الخبرة.
٢. عدم وجود الموارد الإعلامية.
٣. غياب المفهوم الشامل للعمل المؤسسي.
٤. توهم التعارض بين الإخلاص ونشر الأخبار والأفكار والمشروعات.
٥. الاعتقاد بأن العمل الإعلامي يعني التزيين والمبالغة أو الكذب.
٦. ضعف الإمكانيات والتخطيط.
٧. عدم اقتناع الإدارة العليا بأهمية العمل الإعلامي.
٨. ضعف توظيف الإمكانيات الإعلامية الموجودة.
٩. القيام بالعمل الخيري على أنه هواية لا مهنة.

مستقبل العلاقة بين الإعلام والعمل الخيري:

إذا استطاعت الجهات الخيرية أن توسع من أنشطتها وأفكارها وتجدد في دعاياتها وتخطب جماهير الناس وتؤثر على مشاعرهم وتنتقل إلى المرحلة البعدية لاستراتيجيه العمل الخيري وهي مرحلة (رجع الصدى) فإن مستقبل العلاقة بين الإعلام والعمل الخيري سيتحسن وسيبحث الإعلام عن أخبار هذه الجهات وسيقدمها بالشكل المطلوب.

وهناك عدد من القنوات التي بنت مثل هذه الشراكة في العمل الإعلامي، وما تزال تعرض العديد من النماذج الخيرية المشرفة بل إن بعض القنوات الهادفة المتخصصة حملت على عاتقها خدمة الجمعيات الخيرية التي تعمل في مجال تخصصها، فمثلا بعض القنوات التي تحرص على نشر القرآن الكريم وعلومه وتشجيع الحفاظ صارت من أهم الداعمين لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ومدارس ومعاهد القرآن في العالم الإسلامي، وربما نجد قنوات طبية متخصصة تدعم الجمعيات الخيرية الطبية وأخرى تخدم جمعيات البيئة، وهكذا يتعاون الإعلام المتخصص في دعم العمل الخيري المتخصص.^(١)

(١) الإعلام والعمل الخيري الواقع والمستقبل إعداد الدكتور / فهد بن عبد العزيز السنيدي.

٧- القصص والتجارب الناجحة

للقصص تأثير عظيم في تربية النفس؛ فتأمل أمر الله - عز وجل - للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يَقْصَّ على الناس ما يَعْلَمُهُ من القصص، قال الله - عز وجل - : {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الأعراف: ١٧٦).

وقصص السابقين التي ذُكِرَتْ في الكتاب والسنة الصحيحة تثبت قلوب المؤمنين، قال الله - عز وجل - : {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} (هود: ١٢٠). فإن النفوس تأنس بالافتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به.

فإن الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السمع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفة ما أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس، وقد أصبح أدب القصة اليوم فناً خاصاً من فنون اللغة وآدابها، ومن أبلغ صوره القصص في الكتاب والسنة. (١)

معنى القصص:

قصصت الشيء، إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء ومنه قوله تعالى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ} [القصص: ١١]، أي: اتبعي أثره، وقد يأتي القصُّ والقصُّصُ والقصصُ الصدر من كل شيء، وقيل: هو وسطه (٢).

وللقصة تعاريف كثيرة لدى العلماء، ومنها ما ذكره الرازي بأنها:

"مجموع الكلام المشتغل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة" (٣)

(١) دروس وعبر من صحيح القصص النبوي (ص: ٣)

(٢) أساس البلاغة للزمخشري ٧٧٠ - ٧٧١. لسان العرب. مادة (قصص) ٧٣/ ٧ - ٧٥.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٨٣ / ٨ - ٨٤.

فالقرآن الكريم أطلق لفظ القصص على ما حدث من أخبار القرون الأولى في مجالات الرسائل السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام.^(١)

وقيل: "هي كشف عن آثار وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد لهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها، ليكون لهم منها عبرة وموعظة."^(٢)

فوائد القصص:

وللقصص فوائد كثيرة، منها ما يلي:

- ١ - تصديق الأنبياء، وإحياء ذكراهم، وبيان فضائلهم، كما في قصة إبراهيم في بناء الكعبة.
- ٢ - أنها ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس، {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف: ١١١].
- ٣ - الحث على الأعمال الصالحة والترغيب فيها، بذكر ثمراتها العاجلة والآجلة، كما في قصة أصحاب الغار.
- ٤ - التنفير من الأعمال السيئة، وبيان سوء عاقبتها، كما في قصة النفر الثلاثة، ومنهمم الأقرع والأبرص.

أثر القصص في التربية والتهديب:

مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة، وإلى أمد قصير، ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعا، وأكثر فائدة.

(١) انظر: القصص القرآني في منظومه ومفهومه. عبد الكريم الخطيب ص ٤٠.

(٢) القصص القرآني في منظومه ومفهومه. عبد الكريم الخطيب ص ٤٠.

والمعهود من النفوس أنها تميل إلى سماع الحكايات والقصص، وهي أطول أمداً في الذاكرة ولذا ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم والتربية.

وفي القصص النبوية مادة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزايد تهيئهم، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين.

ويستطيع المربي أن يصوغ القصص النبوية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم.

أهمية قصص النجاح في العمل التطوعي

يشعر الإنسان بسعادة غامرة ونشوة بالغة عندما يستطيع أن يحرز نجاحاً أو يحقق إنجازاً أو أمنية، على مستوى حياته الخاصة، سواء كان ذلك في مجال التحصيل العلمي أو العملي المهني، أو بلوغ المكانة أو الجاه أو تحصيل الثروة، لكن ماذا عنه عندما يكون سبباً في إيصال غيره، من أصحاب الحاجة والظروف الخاصة إلى قمم النجاح والإنجاز، وتذليل الصعاب التي قد تكون عائقاً في وجوههم؟! ليعيشوا حياة كريمة موفقة كأقاربهم.

استطاع العمل الخيري والإنساني قديماً وحديثاً أن يسطرّ عدداً معتبراً من قصص النجاح سواء على مستوى الأشخاص أو المشاريع. ووقف وراء هذا النجاح. ولا يزال محسنون ومتطوعون أو مؤسسات وجمعيات إنسانية ومنظمات مجتمع مدني، ولكنّ قليلاً من هذه القصص ما تمّ تدوينه وتوثيقه، ومن ثمّ تقديمه وعرضه، لأسباب كثيرة لعلّ أهمها الخشية من الرياء والسُّمعة، والرغبة في إخفاء المعروف طلباً لمزيد من الأجر، أو الإهمال وعدم الاكتراث بهذا الجانب وتأثيره المهمّ.

وقصص النجاح كثيرة وهي التي أخذ زمام مبادراتها شخص أو فريق عمل من المتطوعين فأحدثت تغييرات مهمة في حياة الأفراد والمجتمعات، وظهر أثرها فرقاً بيننا في مسار ومستقبل حياتهم في مستويات مختلفة، انتشلتهم من قيعان الضياع والتشرد، ووضعتهم على جادة الحياة السليمة، أو أعادت البسمة لحياتهم بعد ألم ممضٍ أو يأس وقنوط وإحباط، أو أوجدت حلولاً لمشاكل حياتية يعانون منها أو من البيئة المحيطة بهم.

أهمية إمادة اللثام عن هذه القصص الناجحة في المجالين التطوعي والخيري الإنساني عظيمة لعدة أسباب:

- ١- دفع المحسنين وأصحاب المبادرات الإنسانية من المتطوعين لمواصلة جهدهم في مجال خدمة الناس من خلال رؤية ثمرة عملهم، فإذا كان الإنسان يسعد هو وأولاده وذريته بثمره نجاحه الشخصي مادياً ومعنوياً، ويجب أن يرى أثر ذلك عليه، فإنه على نحو متصل يجب أن يرى أثر ذلك على غيره، لما يحققه له ذلك من سعادة روحية وطمأنينة نفسية ورضى داخلي. وقد أفادت دراسة أمريكية للباحث " ستيفن بوست " أن الأشخاص الذين يعملون بإخلاص لمنفعة الآخرين وخدمتهم دون مقابل يشعرون بالسعادة الغامرة والصحة. (١)
- ٢- حثّ رجال الأعمال وأصحاب الثروات والشركات وشريحة الشباب من المتأخرين عن هذا الركاب الخير على أن يحدوا حذو من يسهمون في خدمة مجتمعاتهم، وأن يقبلوا على العمل التطوعي، لما يحدثه من تأثير إيجابي على حياة المبادرين والمستفيدين، والمجتمعات التي يعيشون فيها، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. فضلاً عما يتوجب عليهم في إطار المسؤولية المجتمعية والواجب الديني والأخلاقي.
- ٣- نشر هذه القصص يساعد على تبادل وتلاقح الخبرات في مجال العمل الإنساني، فقد تكون ملهمًا للمهتمين لتطبيقها في بيئات أخرى، أو البناء عليها لتصميم مشاريع أو مبادرات أخرى، أو تطويرها ليكون نفعها أعم وأشمل.
- ٤- توفير نماذج قصصية حقيقية . تراثية وحديثة . لدعم عملية غرس قيم العمل التطوعي لدى الأطفال والناشئة، ونشر ثقافة العمل الخيري والإنساني لدى الشباب وأفراد المجتمع، ونركز هنا على القصص، وما قد يتفرع عنها من أعمال إبداعية أخرى كالدراما والبرامج الوثائقية وغيرها، نظرا للدور التربوي للقصّة، مطالعة ورواية وسردًا، وتأثيرها كوسيلة غير مباشرة ومؤثرة في تحويل القيم إلى أفعال وممارسات سلوكية.

(١) أهمية قصص النجاح في المجالين التطوعي والإنساني. علي أبو النصر الرشيد.

بناء على ما تقدّم نأمل أن تستحدث المؤسسات الخيرية والمبادرات التطوعية في نشراتها ومطبوعاتها ومواقعها الالكترونية صفحات وأعمدة ونوافذ لهذا النوع المتميز والمؤثر من هذه القصص، على أن يتم تدوينها وتقديمها بلغة راقية وقوالب جذابة، بعيدا عن الدعاية والتكلف والتسطيح، ثم تعمله بموازاة ذلك على وسائل الإعلام الجماهيرية، وعلى وسائل التواصل الاجتماعي. كما نأمل أن ينهض باحثون بعد ذلك لجمع ودراسة أثر وتأثير هذه القصص والمواد وتعميمها، بصورة علمية، ليصار من ثم إلى إدماجها أو الإفادة منها في المساقات العلمية في مجال التطوع وخدمة المجتمع، والدورات التدريبية الخاصة بذلك.^(١)

(١) المصدر السابق.

٨- إنشاء مقرات إدارية للعمل التطوعي

وتكمن أهمية ذلك في عدة أمور:

- ١- التواصل مع المتطوعين بصورة مباشرة من خلال جمع التبرعات أو السماع للشكاوى الخاصة وغير ذلك
- ٢- إعطاء مصداقية عند المساهمين في الأعمال التطوعية برؤية ذلك على أرض الواقع من خلال المؤتمنين على هذه الأعمال
- ويمكن إقامة ذلك في وجود:

- ١- المساجد والحديث عنه مفصل في محله من هذه الموسوعة
- ٢- بيت المال، ويعد بيت المال خزانة الدولة الإسلامية التي يحفظ بها مختلف الموارد المالية للدولة، وقد عرف في الدولة الإسلامية ديوان أطلق عليه اسم ديوان بيت المال. كانت مهمته النظر في موارد الدولة ومصارفها. وقد ذكر أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم في كتابه "الخراج" موارد الدولة حسبما جاءت به الشريعة بأنها خمس الغنائم والخراج والصدقات ومن ضمنها الزكاة.

وكان مكان بيت المال في أول الأمر بالمسجد الجامع في العاصمة ثم نقل إلى دار الإمارة أو دار الوزير أو القصر أو إلى دار كانت تسمى بدار الملك في العهد الفاطمي.

هذا وبفناء الجامع الأموي بدمشق قبة من الرخام محمولة على أعمدة يطلق عليها اسم بيت المال، وفي الشرق من قبة الصخرة قبة من المرمر تسمى قبة السلسلة كانت في الأصل^(١)

- ٣- المؤسسات الحكومية المعنية بهذا الأمر كوزارة الأوقاف ووزارة التضامن الاجتماعي وغير ذلك ممن علمت أماكنهم فصار كل يسعى إلى أماكنهم إما سائلاً أو متعاوناً

- ٤- مقرات الجمعيات الأهلية المنشئة والتي تعنى بهذا الجانب والجمعيات الخيرية غالباً تتبع إحدى الوزارات في الدول وتشرف عليها لجان من قبل ولي الأمر وهذه الجمعيات سدت ثغوراً كثيرة في المجال الاجتماعي والدعوي والإصلاحي.

(١) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (ص: ٩٩).

عقبات أمام استمرار العمل التطوعي

عقبات أمام استمرار ونهوض العمل التطوعي:

ويتضمن هذا المبحث جملة من العقبات التي تحول بين العمل التطوعي وبين ازدهاره وتألقه ومنها:

- ١- فقد المراقبة
 - ٢- وقوع الاختلاف والنزاع بين المتطوعين
 - ٣- عدم الأخذ بمبدأ الشورى.
 - ٤- غياب مفهوم العمل الجماعي وانفراد أحد العاملين بالقرار والعمل.
 - ٥- افتقار الهيكل الإداري والتنظيمي للعمل.
 - ٦- التخبط في اتخاذ القرار.
 - ٧- غياب المرجعية الرشيدة.
 - ٨- ضعف الإمكانيات.
 - ٩- قلة الكفاءات.
 - ١٠- عدم الاكتراث بأهمية العمل التطوعي.
 - ١١- الجهل بالأحكام الشرعية - والتي تتعلق بالعمل التطوعي - عن العاملين في المجال التطوعي.
 - ١٢- عدم توافر برامج خاصة لتدريب المتطوعين قبل تكليفهم بالعمل.
 - ١٣- غياب التوعية الإعلامية.
 - ١٤- تهميش دور الشباب في العمل الخيري.
 - ١٥- الفتوية الشخصية.
 - ١٦- ضعف التنسيق بين الجمعيات.
 - ١٧- التربية الأسرية التي تهتم بالتعليم وحده وتهمل زرع روح التطوع.
- واليكم التفصيل

١- فقد المراقبة:

فمن العقبات التي تؤثر على نجاح أي عمل تطوعي أن يفتقد الإنسان المتطوع لخلق المراقبة؛ خاصة أن الأصل في هذه الأعمال أن يرجو العبد من ورائها ثواب الآخرة.

المراقبة خلق عظيم يأتي من تعظيم أمر الله تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته، وإدراك سر ربوبيته وألوهيته عز وجل، وكثير من أولئك الذين يتجاوزون هذا الستر بينهم وبين الله تعالى لم يدركوا معاني هذه الأسماء والصفات.

يعد الوازع الديني ورقابة الضمير وتحقيق مقام المراقبة أنجح قانون وأنجع وسيلة لعدم التعدي على الحرمات، بل نعتها من إعجاز القرآن التشريعي أن ينضبط سلوك الناس دون القانون الذي يضع العقاب.

إن الرجل ليعمل الخير وقد يفتقد لهذا القانون ليعد عقبة كؤود أمام استمرار ونجاح أي عمل خاصة الأعمال الخيرية التي قد لا تضبط إلا بمثل هذا

لذا أذكر بأهمية هذه المسألة حتى لا يفتقدها السائرون إلى الله بفعل الخيرات

تعريف المراقبة وعلامتها:

المراقبة هي: دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ، وَتَيَقُّنُهُ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ. فَاسْتِدَامَتُهُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ هِيَ الْمُرَاقَبَةُ وَهِيَ ثَمَرَةُ عِلْمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِ، نَاطِرٌ إِلَيْهِ، سَامِعٌ لِقَوْلِهِ. وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى عَمَلِهِ كُلِّ وَقْتٍ وَكُلِّ لَحْظَةٍ، وَكُلِّ نَفْسٍ وَكُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ. (١)

وقال ذو النون: عَلاَمَةُ الْمُرَاقَبَةِ إِثَارُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَتَعْظِيمُ مَا عَظَّمَ اللَّهُ، وَتَصْغِيرُ مَا صَغَّرَ اللَّهُ.

(٢)

حَقِيقَةُ الْمُرَاقَبَةِ:

قال ابن القيم:

(١) مدارج السالكين (٢/ ٦٥).

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٣٣١).

المشهد الرابع مشهد الإحسان وهو مشهد المراقبة وهو أن يعبد الله كأنه يراه وهذا المشهد إنما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته حتى كأنه يرى الله سبحانه فوق سماواته مستويًا على عرشه يتكلم بأمره ونهيه ويدبر أمر الخليقة فينزل الأمر من عنده ويصعد إليه وتعرض أعمال العباد وأرواحهم عند الموافاة عليه فيشهد ذلك كله بقلبه ويشهد أسمائه وصفاته ويشهد قيومًا حيًّا سميعًا بصيرًا عزيزًا حكيمًا أمرًا ناهيًا يحب ويبغض ويرضى ويغضب ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو فوق عرشه لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ولا أقوالهم ولا بواطنهم بل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها فإنه يوجب الحياء والإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة والتوكل والخضوع لله سبحانه والذل له. (١)

وقال الغزالي:

المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه، يُثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب. أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب وملاحظته إياه، وأما المعرفة فهي العلم بأن الله مطلع على الصائِر، عالم بالسرائِر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت، ثم للمراقب في أعماله نظران: نظر قبل العمل، ونظر في العمل، أما قبل العمل فلينظر همه وحركته أهى لله خاصة أو هوى النفس ومُتَابَعَةِ الشَّيْطَانِ فيتوقف فيه ويتثبت، فإن كان لله تعالى أمضاه، وإن كان لغير الله استخيا من الله وانكف عنه ثم لا م نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه، وعرفها سوء فعلها وأنها عدوة لنفسها.

وأما النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل فذلك بتفقد كيفية العمل ليتقضي حق الله فيه، ويحسن النية في إتمامه، ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه.

وهذا ملازم له في جميع أحواله؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح، فمراقبته في الطاعات بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات، وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والتندم والإقلاع والحياء والإشتغال بالتفكير، وإن كان في مباح

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ٣٨).

فَمَرَّاقَبْتُهُ بِمُرَاعَاةِ الْأَدَبِ، ثُمَّ بِشُهُودِ الْمُتَنَعِمِ فِي النِّعْمَةِ وَبِالشُّكْرِ عَلَيْهَا. وَلَا يَخْلُو الْعَبْدُ فِي جُمْلَةِ أَحْوَالِهِ عَنْ بَلِيَّةٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا، وَنِعْمَةٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَيْهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْمُرَاقَبَةِ. (١)

المراقبة في القرآن

١- قال الله سبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧]
قال ابن كثير: أي مطلعٌ عليهم يسمعُ كلامَهُمْ وسِرَّهُمْ ونَجْوَاهُمْ ورُسُلُهُ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ تَكْتُبُ مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ مَعَ عِلْمِ اللَّهِ بِهِ وَسمعه لهم، كما قال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [التوبة: ٧٨]

٢- وقال تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزَّحْرُفِ: ٨٠] فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى خَلْقِهِ لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ. (٢)

٣- وقال جلَّ شأنه: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤]

٤- وقال سبحانه: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [يونس: ٦١]

قال ابن كثير رحمه الله: يُخْبِرُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ أُمَّتِهِ وَجَمِيعَ الْخَلَائِقِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانٍ وَلَحْظَةٍ وَأَنَّهُ لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ وَبَصَرِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي حَقَارَتِهَا وَصَغَرِهَا فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْهَا وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ٣٩٨).

(٢) تفسير ابن كثير بتصرف (٨ / ٧٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٤١).

ومن الأحاديث الواردة في المراقبة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، . . . وفيه: قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، . . . {^(١)}

وعند مسلم: "أَنْ تُخْشِيَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" {^(٢)}

٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، ففَاضَتْ عَيْنَاهُ} {^(٣)}

٣- وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا " وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْزُقُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَايَ } {^(٤)}

٤- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: {يَا غُلَامُ، أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟} فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: {اَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، اَحْفَظِ اللَّهَ تَحْذِهِ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، . . . } {^(٥)}

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٤) أخرجه مسلم (١٢٩).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٠٥)، وصححه الألباني صحيح الجامع (١/ ٥٦٩).

٥- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول: فأنزل الله عز وجل: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١] إلى آخر الآية. (١)

٦ - وعن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا، فيجعلها الله عز وجل هباء منثوراً، قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها (٢)

أقوال السلف في المراقبة:

قال نافع مولى ابن عمر: خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سفره لهم فمر بهم راع فقال له عبد الله: هلم يا راعي فأصب من هذه السفره فقال: إني صائم. فقال له عبد الله: في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت بين هذه الشعاب في آثار هذه الغنم وبين هذه الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم؟! فقال الراعي: أبادر أيامي الخالية. فعجب ابن عمر وقال: هل لك أن تبيعنا شاء من غنمك تجترزها نطعمك من لحمها ما تفرط عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليست لي إنها لمولاي. قال: فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلت: أكلها الذئب؟ فمضى الراعي وهو رافع إصبغه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟ قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأين الله! فما عدا أن قدم المدينة فبعث إلى سيده فاشترى منه الراعي والغنم فأعتق الراعي ووهب له الغنم. (٣)

(١) أحمد (٢٤١٩٥)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢ / ٢).

(٣) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٨)، والتبصرة لابن الجوزي (٢ / ٢٥٠).

✽ قال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى. ، فسأله عن تفسيرها فقال: كن أبداً كأنك ترى الله عز وجل^(١).

✽ قال حميد الطويل لسليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: عظمي. فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمرٍ عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت^(٢).

✽ قال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحدز ممن يملك العقوبة^(٣).

✽ وعن قتادة قال: لا يَقْدِرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ ثُمَّ يَدَّعِي لَيْسَ بِهِ إِلَّا خَافَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَبَدَهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ^(٤).

✽ وقال حاتم الأصم: تَعَاهَدُ نَفْسَكَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: إِذَا عَمِلْتَ فَادْكُرْ نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْكَ، وَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَادْكُرْ سَمْعَ اللَّهِ إِلَيْكَ، وَإِذَا سَكَتَ فَادْكُرْ عِلْمَ اللَّهِ فِيكَ^(٥).

✽ قال ابن الجوزي: الحق عز وجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد. لكنّه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه، فأمر بقصد نيّته، ورفع اليدين إليه، والسؤال له. فقلوب الجهّال تستشعر البعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا. والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفّتهم عن الانبساط^(٦).

✽ قال الفضيل بن عياض: تُغْلِقُ بَابَكَ، وَتُرْخِي سِتْرَكَ، وَتَسْتَجِي مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَسْتَجِي مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي فِي صَدْرِكَ، وَلَا تَسْتَجِي مِنَ الْجَلِيلِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ^(٧).

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ٣٩٧).

(٢) إحياء علوم الدين (٤ / ٣٩٨).

(٣) إحياء علوم الدين (٤ / ٣٩٨).

(٤) ذم الهوى لابن الجوزي (ص: ٢٤٥).

(٥) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ١١٠٢).

(٦) صيد الخاطر (ص: ٢١٣).

(٧) تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص: ٤٧٨).

* وقال أعرابيٌّ: خَرَجْتُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي الْمَظْلَمَةِ فَإِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ كَانَتْهَا عَلَمٌ [فائقة الجمال] فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: وَيْلَكَ أَمَا لَكَ زَاجِرٌ مِنْ عَقْلِ؟ أَمَا لَكَ نَاهٍ مِنْ دِينٍ؟! فَقُلْتُ لَهَا: إِيهًا وَاللَّهِ مَا يَرَانَا إِلَّا الْكَوَائِبُ! قَالَتْ: فَأَيْنَ مُكْوِبُهَا؟! (١)

وأخيرًا: فإن المراقبة سبب لإيجاد مجتمع قوي في كل مؤسساته، وسبب للنجاة من الشدائد، وسبب لحفظ النعم وزيادتها، وإلا كانت عائقًا لاستمرار أي عمل تطوعي مهما كان حجمه ومهما كانت أهميته.

(١) ذم الهوى لابن الجوزي (ص: ٢٧٢).

٢- وقوع الاختلاف والنزاع بين المتطوعين

وهذه آفة خطيرة إذا دبت بين المتطوعين فليعلم أن الخير زائل والفشل هو نتاج هذا النزاع والاختلاف قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]

ولنذكر شيئاً من هذا تحت هذه المسائل:

تعريف الاختلاف

الاختلاف هو: التجاذب فيه بالأقوال والأفعال، والمراد به هنا ما انتهى إلى الخصومة والعداوة والتنازع^(١).

والاختلاف في الغرائز والملكات الإنسانية أمر طبيعي في بني آدم نتيجة لاختلاف الطبائع والمشارب، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} هود: ١١٩، وبناء على هذا الاختلاف الطبيعي تبني الحياة ويثرى الوجود بمعطيات الإنسان الهائلة المتجددة على مدى الأيام والشهور والسنين، قال تعالى: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} الزخرف: ٣٢، وعلى أساس هذا النوع من الخلاف تعمر الحياة وتنوع أنشطة الإنسان وبه تحصل مقومات الخلافة في الأرض وتسد حاجات الإنسان في مجالات حياته المختلفة.

هذا ولئن كان الاختلاف في مجالات النشاط الإنساني يؤدي إلى إقامة الحياة السعيدة الممثلة لما أراد الله من خلافة بني آدم في الأرض، فإن الخلاف في مجالات الدين المختلفة سبب لتعاسة الإنسان، وفساد أمره وتشتت شأنه، الأمر الذي يدل دلالة قاطعة على أن الاختلاف في إطار الديانة مذموم من حيث الجملة قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام: ١٥٩ وذلك لأن دين الله واحد والحق فيه واحد لا يتعدد قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} آل عمران: ١٩ وبناء على ذلك فالناس في ذلك أمة واحدة إذ إن

(١) انظر: الشريعة لأبي بكر الآجري (٣ - ٢٠).

جميع الشرائع السماوية جاءت بعبادة الله والكفر بما سواه كما قال سبحانه: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} البقرة: ٢١٣ فلا يكون الاختلاف فيها إلا بالبغي والظلم كما قال سبحانه: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} آل عمران: ١٩ وقال سبحانه: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [الشورى: ١٤].^(١)

الاختلاف في الكتاب والسنة النبوية^(٢)

الاختلاف على ضربين:

الضرب الأول: اختلاف تدم فيه كلا الطائفتين المختلفتين كما قال سبحانه: {وَلَا يَزَالُونَ مُحْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود: ١١٨ - ١١٩] فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف وقال سبحانه: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [البقرة: ١٧٦] وقال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران: ١٠٥] وترجع أسباب الاختلاف المذموم بين طائفتين إلى فساد النية لأن الدافع عليه هو البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض بالفساد، ويرجع أيضا إلى جهل كل من المختلفين بالأمر المتنازع فيه، أو الجهل بالدليل القاطع للنزاع، أو جهل كل من المختلفين بما عند صاحبه من الحق سواء كان ذلك في الحكم أو الدليل، هذا إذا كان عالما بما عنده من الحق حكما ودليلا، وقد بين الله تعالى أن أصل الشر كله الجهل والظلم، قال تعالى: {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: ٧٢].

الضرب الثاني: هو ما حمد الله فيه إحدى الطائفتين؛ وهم المؤمنون، وذم فيه الأخرى، كما قال سبحانه وتعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ

(١) انظر: الاختلاف في أصول الدين وأسبابه وأحكامه د/ إبراهيم البريكاني.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٣٦ - ٤١)

بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا} [الأحزاب: ٧٢] فحمد إحدى الطائفتين ووصفهم بالإيمان،

وقد جاءت السنة بإقرار اختلاف التنوع كما في إقراره ﷺ للصحابه على اجتهداهم في فهم قوله ﷺ: لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة^(١). فمنهم من أخرها أخذا بهذا الحديث ومنهم من أخذ بأحاديث الوقت مخصصا لهذا الحديث.

وفي الآية السابقة ذم الأخرى ووصفها بالكفر، هذا وأكثر الخلاف المؤدي إلى الأهواء والبدع في الأمة المحمدية هو من النوع الأول وسبب ذلك أن كلا من الطائفتين المتنازعتين لا تعترف بما عند الأخرى من الحق ولا تعدل في حكمها لها وعليها.

وجاءت السنة بزم اختلاف التضاد كما في حديث عبد الله بن رباح الأنصاري عن ابن عمر قال: هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ^(٢)

وقد نهى عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما عند الآخر، كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ، وَقَالَ: كَلَّا كُما مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا^(٣).

فدل الحديث على تحريم مثل هذا الاختلاف وأن يكون لنا عبرة فيمن قبلنا حيث اختلفوا بمثل ذلك.

أسباب الاختلاف في الدين:

ويمكن أن نتلمس أسباب الخلاف من نصوص الكتاب والسنة وهي كما يلي:

(١) أخرجه البخاري (٦٤)، ومسلم (٢٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٦).

أولاً: بغى الخلق بعضهم على بعض وظلمهم لبعضهم كما قال سبحانه: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [آل عمران: ١٩] وقال عز وجل: {وَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [الجاثية: ١٧] فحب العلو في الأرض وتسلب الخلق بعضهم على بعض هو من أعظم أسباب الخلاف.

ثانياً: اتباع الهوى الذي يتضمن اتباع ما تهواه النفوس والطباع وترك ما يأمر به الشرع من العدل والإحسان كما قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣] فجمع السبل لكثرتها ووحد سبيله لأنه واحد، واتباع الهوى من أكبر الأسباب في رد الحق والتكبر عليه والإقامة على الباطل والتشبث به كما قال سبحانه: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} [الجاثية: ٢٣]

ثالثاً: اتباع وساوس الشيطان والشيطان عدو لبني آدم كما أخبر بذلك بقوله: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: ٦] وهو لا يألو جهداً في إضلالهم كما قال سبحانه: {إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} [القصص: ١٥]، وقال تعالى: {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ٦٠]، وأوضح لنا أن التفرق والاختلاف ما هو إلا حيلة من حبائله قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩١].

رابعاً: الجهل بالدين فإن في العلم نجاة وفي الجهل هلكة قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩]، والعلم هو طريق المعرفة بالله ودينه ومن علم دين الله وتمسك بذلك العلم لن يضل السبيل لأن العلم النافع هو الطريق الصحيح لحفظ الإسلام، قال تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: ٨٣]

خامساً: إهمال نصوص الشرع قال تعالى: {فَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [المائدة: ١٤]

سادساً: الغرور بالنفس: فالغرور بالنفس يولد الإعجاب بالرأي، والكبر على الخلق، فيصر الإنسان على رأيه، ولو كان خطأ، ويستخف بأقوال الآخرين، ولو كانت صواباً؛ فالصواب ما قاله هو، والخطأ ما قاله غيره، ولو ارعوى قليلاً، واتهم نفسه، وعلم أنها أمارة بالسوء لدفع كثيراً من الخلاف والشقاق، ولكان له أسوة بنينا ﷺ الذي قال الله - تعالى - له: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩]، وإذا كانت صفة التواضع ولين الجانب من أوائل صفات المؤمنين فإنها في حق من انتصب للعلم والدعوة والفتوى والتعليم أوجب وأكثر ضرورة وإلحاحاً^(١).

سابعاً: الغفلة عن العواقب المترتبة على الاختلاف والفرقة أنه يؤدي إلى التمزق والتحزب والفشل إلى الهلاك، قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٠٥]

ثامناً: سوء الظن بالآخرين: فهو ينظر لجميع الناس بالمنظار الأسود؛ فأفهامهم سقيمة، ومقاصدهم سيئة، وأعمالهم خاطئة، ومواقفهم مريبة، كلما سمع من إنسان خيراً كذّبه أو أوله، وكلما ذكر أحد بفضل طعنه وجرحه، اشتغل بالحكم على النيات والمقاصد، فضلاً عن الأعمال والظواهر، والمصادرة للآخر قبل معرفة رأيه، أو سماع حجته، ثم هو لا يتوقف عند هذا الحد، بل لسان طليق في أعراض إخوانه، بسبهم، واتهامهم، وتجريحهم، وتتبع عثراتهم، فإن تورع عن الكلام في أعراض غيره من الفضلاء سلك طريق الجرح بالإشارة، أو الحركة؛ بما يكون أخبث وأكثر إقذاعاً، مثل: تحريك الرأس، وتعويج الفم، وصرفه، والتفاتة، وتحميض الوجه، وتجعيد الجبين، وتكليف الوجه، والتغير، والتضجر^(٢)

تاسعاً: العصبية للأراء والمذاهب.^(٣)

(١) الاختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار. ناصر العمر.

(٢) الاختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار. ناصر العمر.

(٣) انظر: الاختلاف في أصول الدين وأسبابه وأحكامه د/ إبراهيم البريكان، والاختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار. ناصر العمر، وضوابط الاختلاف في ميزان السنه شعبان عبد الله.

سواء كان سياسياً أو مذهبياً أو حزبياً أو لأفراد ورموز، وسواء كان لفرط حب أو فرط بغض.

إن التعصب إذا ران على القلب والعقل وطغى فإنه يحجبهما، ومهما عرضت على المتعصب من الحجج والبراهين فلن يراها.

يقول الماوردي: ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلاً يناظر في مجلس حفل، وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة؛ فكان جوابه عنها أن قال: إن هذه دلالة فاسدة، وجه فسادها أن شيخي لم يذكرها، وما لم يذكره الشيخ لا خير فيه؛ فأمسك عنه المستدل تعجباً؛ ولأن شيخه كان محتشماً. وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل ما رأى هذا الجاهل، ثم أقبل المستدل عليّ، وقال لي: والله لقد أفحمني بجهله! وصار سائر الناس المبرئين من هذه الجهالة ما بين مستهزئ ومتعجب، ومستعيز بالله من جهل مغرب.^(١)

وما أفبح هذا الجهل يوم يسري إلى طوائف تعد نفسها في عداد العاملين للإسلام الذائدين عن حياضه! ويزداد هذا القبح يوم يزعم أصحابها أنهم أهل الفكر المستنير والعقول غير المغلقة، ويتضاعف القبح يوم يتسبون إلى السلف أو السنة، والسلف والسنة من هذا التعصب المقيت براء.

كيف نقضي على الاختلاف المذموم؟

من أعظم منن الله على عباده هو اجتماعهم على الحق وسيرهم عليه، قال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: ١٠٣] مع ذلك فقد أخبر تعالى أن الاختلاف لا بد من وقوعه ليميز الله الحق من الباطل، فيضل من يشاء عدلاً، ويهدي من يشاء فضلاً، فتظهر من آثار حكمه القدريّة نظير ما أظهر لعباده من حكمه الشرعيّة، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود: ١١٨-١١٩].

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٧٠.

فالمرحوم من عباد الله من لا يوجد الخلاف بينهم {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} وأعظم الاختلاف وأشدّه ما كان عن علم وبصيرة إذ أن مقتضى العلم الاجتماع على الحق فإذا حصل الاختلاف فلا يكون إلا ببغي وظلم ظاهر بين قال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٤-٥].

ومن هذا المنطلق فإن اختلاف أمة محمد ﷺ في أمر من أمور الديانة لا يكون إلا مذموماً قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} [آل عمران: ١٠٥]

ولولا أنه مذموم لما حذرهم منه ونهاهم عنه لا سيما وأن بيانه ﷺ أكمل البيان وأظهره مما لا يجعل مجالاً للاختلاف كما في حديث العرْباض بن سارية أن النبي ﷺ قال: "قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ" (١)

ومقتضى النهي عن الاختلاف الأمر بالاتفاق والاجتماع على الحق، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}.

وكذلك اتباع القرآن وسنة رسول الله ﷺ القولية والفعلية والإقرارية بفهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

ثمار التعاون والائتلاف:

- ١- زيادة الألفة، وتنمية المحبة، وتضييق دائرة الفرقة والعداوة.
- ٢- عدم إشغال عامة الناس وضعاف الإيمان بتلقي التهم وسماعها وتداولها، وإشغالهم بدلاً من ذلك بقضايا العلم النافع والعمل الصالح.
- ٣- إشغال أصحاب الطاقات المتميزين بالكتابة والخطابة والحجة والبيان بما هو مفيد ونافع لخدمة الإسلام وأهله، ورصد الباطل وصدّه، ودحض الفساد والانحراف من البدع والمنكرات.

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢).

- ٤- قطع الباب على المنافقين والمرجفين الذين يفرحون بنشر العيوب وتشكيك الناس بدعوة الإصلاح في المجتمع والذين يفرحون بالشماته بالمصلحين.
- ٥- حسم مادة الخلاف وزوال بذرة الشقاق، لكي لا يثيرها من شاء من المرجفين، متى شاء وكيف شاء.
- ٦- إغاطة أصحاب الفساد الذين يفرحون بتفريق الجهود الإصلاحية وضعفها، لينفذوا أغراضهم السيئة بيسر وسهولة، في ظل انشغال أهل الحق بعضهم ببعض، وضعف شوكتهم. وفي حال التعاون توجه الجهود لكشف مخططاتهم الإفسادية، وقطع السبيل عن تحقيق أهدافهم.
- ٧- توحد الكلمة وهذا له أثر بالغ في دحض الباطل وأهله، وإرغامهم على إظهار تعظيم شعائر الله واحترام الدين وأهله.^(١)

(١) هل يمكن التعاون بين المسلمين مع وجود الاختلاف؟ سلمان بن عمر السندي مجلة البيان (١١٦)/ (١٨).

٣- عدم الأخذ بمبدأ الشورى:

تعريف الشورى: هي الإجماع على الرأي، وتولية من يرون ذلك له. (١)
وأيضا: هي تبادل الآراء في أمر من الأمور لمعرفة أصوبها وأصلحها لأجل اعتياده والعمل به. (٢)

وعرفها الدكتور هاني الطعيمات قائلا: الشورى استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في أمر من الأمور العامة المتعلقة بها بهدف التوصل فيها إلى الرأي الأقرب إلى الصواب الموافق لأحكام الشرع تمهيدا لاتخاذ القرار المناسب في موضوعه. (٣)

وهناك من الباحثين من أضفى على الشورى وصف الإيمانية ثم عرفها بناءً على ذلك فقال: الشورى الإيمانية: هي التعاون في تبادل الرأي ومداولته في أمر من أمور المؤمن أو الجماعة المؤمنة أو الأمة المؤمنة على نهج أو أسلوب وأسس وقواعد تحقق أهدافا وغايات تجتمع كلها لتبحث عن الحق أو ما هو أقرب إليه طاعة وعبادة، ويكون النهج والأسلوب والقواعد والأهداف والغايات كلها ربانية يحددها منهاج الله. (٤)

الشورى في القرآن الكريم

١- قال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (آل عمران ١٥٩).

قال الشافعي رحمه الله: قال الله تعالى لنبيه ﷺ : { وشاورهم في الأمر }، ولم يجعل الله لهم معه ﷺ أمرا، إنما فرض عليهم طاعته، ولكن في المشاورة استطابة أنفسهم، وأن يستن بها من

(١) الفصول في الأصول (٤ / ٥٥).

(٢) مناهج الشريعة الإسلامية ٢ / ١٢٨ الشيخ أحمد محيي الدين العجزو.

(٣) حقوق الإنسان وحياته الأساسية د. هاني سليمان الطعيمات.

(٤) الشورى وممارستها الإيمانية د. عدنان علي رضا النحوي.

ليس له على الناس ما لرسول الله ﷺ والاستدلال بأن يأتي من بعض المشاورين بالخير قد غاب عن المستشير، وما أشبه هذا. (١)

قال أبو جعفر الطبري: إن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما حزه من أمر عدوه ومكايد حربه، تألفاً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان، وتعريفاً منه أمتة مأتى الأمور التي تحزبهم من بعده ومطلبها، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه في حياته ﷺ يفعلها. فأما النبي ﷺ فإن الله كان يعرفه مطالب وجوه ما حزه من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه صواب ذلك. وأما أمتة فإنهم إذا تشاوروا مستئين بفعله في ذلك، على تصادق وتآخٍ للحق، وإرادة جميعهم للصواب، من غير ميل إلى هوى، ولا حيد عن هدى، فالله مسددهم وموفقهم. (٢)

قال السعدي رحمه الله:

{وشاورهم في الأمر} أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره:

منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله.

ومنها: أن فيها تسميحاً لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس -إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث- اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة.

ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعماها فيها وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول.

(١) تفسير الإمام الشافعي جمع ودراسة، د. أحمد بن مصطفى الفران (١/ ٤٩٣).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٣٤٣) وما بعدها.

ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي: المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله ﷺ وهو أكمل الناس عقلاً وأغزرهم علماً، وأفضلهم رأياً: {وشاورهم في الأمر} فكيف بغيره؟! (١)

٢- وقال تعالى: {وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [الشورى: ٣٨]

قال البخاري في باب قوله تعالى: {وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} وكان الأئمة بعد النبي . صلى الله عليه وسلم . يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وُضع الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم . (٢)

قال السعدى رحمه الله: {وَأْمُرْهُمْ} الديني والديني {شُورَى بَيْنَهُمْ} أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعاً عن اجتماعهم وتوافقهم وتواددهم وتحابهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عموماً، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله. (٣)

أمثلة على الشورى من القرآن الكريم

١- قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠، ٣١]. وهذا أول مثال على الشورى في الأرض وإن كان الله تبارك وتعالى غني عن مشاورة أحد من خلقه إلا أن الآية خرجت مخرج الإخبار.

(١) تفسير السعدى (ص: ١٥٤).

(٢) تفسير المنار (٥/ ١٧٤).

(٣) تفسير السعدى (ص: ٧٦٠).

٢- قال تعالى: {قَالَتَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَاسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)} [النمل: ٣٢، ٣٣].

وهذه القصة تفيد وجود التشاور بين الحاكم والمحكومين في العصور القديمة فقد أبانت الآية أن ملكة سبأ كانت هي وقومها وثنون يعبدون الشمس، ولكنها مع ذلك بادرت إلى الاستشارة ولم تنفرد بالرأي دونهم.

٣- قال تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤)} [يوسف: ٤٣، ٤٤]، وقد طلب الملك الرأي من الملأ في تفسير هذه الرؤيا لكونها متعلقة بمصير الأمة.

نماذج من الشورى في السنة النبوية:

١- استشارة النبي ﷺ لأصحابه لما أراد الخروج يوم بدر كما قال أنس بن مالك رضى الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: إِنَّا نَأْتِي بِرَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخَيِّضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا، قَالَ: فَتَدَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا (١).

٢- استشارته ﷺ لأبي بكر وعمر في شأن أسارى بدر: قال أبو زميل: قال ابن عباس: فَلَمَّا أَسْرُوا الْأَسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ الْفِدْيَةَ فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَلَكِنْ

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٣).

أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنَا مِنْهُمْ فَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، وَتُمْكِّنَ عَلَيَّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمْكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيًّا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، وَقَادَتْهَا، قَالَ: فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ بَيْكِيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، فَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَذْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةَ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: ٦٨]، فَأَحَلَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ} (١)

٣- كذلك مشورة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه لما سمع رسول الله ﷺ باجتماع الأحزاب وخروجهم إليه، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق، فرضي رأيه. وقال المهاجرون يومئذ: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: "سلمان منا أهل البيت". (٢)

فوائد الأخذ بالشورى (٣):

١- إصابت الحق في الغالب، فإن الآراء إذا عرضت بحرية تامة وأدلى كل بحجته، وكانت النية صحيحة والهدف هو الوصول إلى الحق، وقدمت المصلحة العامة، وتجرد المتشاورون عن الأهواء والدوافع السيئة مع التوكل على الله تعالى فلاشك أن النتائج تكون سليمة والعواقب

(١) أخرجه مسلم (١٣٨٣).

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٤٢)، والدرر في اختصار المغازي والسير (ص: ١٦٩).

(٣) الشورى د محمد علي الصلابي باختصار وتصرف.

حميدة والتسديد والتوفيق ينتزل من الله تعالى، وهذا واضح فيما وقع في عهد الصحابة رضوان الله عليهم (١).

٢- أن العمل بالشورى قربة وطاعة لله عز وجل، ففيه اجتماع الرأي في تحصيل الخير، وتهذيب رأي صاحب الأمر مع الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى، ومما ورد في شأن ذلك ما قاله بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح أو نصيحة حازم (٢)

٣- تلاقح الأفكار، وتكامل الثقة، وتبادل الخبرة والاطلاع على ما عند الآخرين، والاستفادة من الخبرات المتنوعة وبعبارة أخرى حصول التكامل بين أفراد المجتمع (٣).

٤- الشورى تعطي قوة للمجتمع في أكثر من مجال إنساني فعلى سبيل المجال النفسي، فإن الشورى طريق للتخلص من الظواهر المرضية غير الصحية، مثل قلة الإخلاص وضعف الأداء الوظيفي، وإهدار الطاقات المفيدة.

يقول الشعبي: الرجال ثلاثة، فرجل ونصف رجل ولا شيء فأما الرجل التام، فالذي له رأي وهو يستشير، وأما نصف الرجل، فالذي ليس له رأي، وهو يستشير وأما الذي لا شيء، فالذي ليس له رأي، ولا يستشير (٤).

٥- الشورى تشعر المشاركين بالمسؤولية وأنهم مع المسؤول يسعون إلى تحقيق المصالح العامة، ودرء المفاسد في عملية تكاملية.

٦- في الشورى وقاية من الاستبداد وتزود الدولة بالكفاءات والقدرات المتميزة وبها تنحصر عيوب التفرد بالقرار (٥).

(١) فقه الشورى للغامدي ص ٢١٢.

(٢) الشورى د. سامي محمد الصلاحيات ص ٥١.

(٣) فقه الشورى للغامدي ص ٢١٢.

(٤) سنن الكبرى للبيهقي (١٠/١٨٨).

(٥) الشورى د. سامي الصلاحيات ص ٥٢.

٧- الشورى تفجر الطاقات الكامنة في أفراد الأمة، وتشجع ذوي الخبرات وتفسح المجال لكل من لديه خير للأمة أن يدلي برأيه وهو آمن فإن قبل فذاك، وإن رد فقد أدى ما عليه وأعذر ولا تمس كرامته ولا ينال منه (١).

٨. مكافحه نزعات التطرف والعنف:

إن محصلة الاجتهاد الجماعي تقود إلى قرارات معتدلة في الغالب، فالتشدد لا يصدر إلا من أفراد ذوي دوافع ومنازع وعقد تحذوهم وتنزع بهم إلى اتخاذ قرارات متطرفة أو متعسفة أو مفارقة لخطة الحكمة والحسنى، ولكن تبادل الآراء الصادرة من أفراد كثر وأصحاب دوافع متباينة يتجه بالقرار إلى الاعتدال والواقعية في إطار ((فن الممكن والمفيد)) هذا إذا لم يصل بالناس إلى غاية المراد، كما تفسح الشورى مجالاً خصباً لمناقشة آراء أهل التطرف والعنف اللذين يتصورون دائماً أن آراءهم هي الآراء النهائية في الموضوع، أي موضوع، ويعزفون بطبعهم عن التعرف على آراء الآخرين، ولكن بجرّ هؤلاء إلى مجالات الشورى ومشاركة الآخرين لهم في الرأي تتضح لهم القيمة المرجوحة لأفكارهم التي يقدسونها، ولذلك فإن الشورى هي أجدى علاج لحماقات التطرف وشططه فيجب إعطاء الكل متنفساً لإبداء الفكر والرأي، حتى يخففي الشنج والشعور بالحرمان والكبت والاضطهاد، ولذا يحسن البحث عن هذه الطائفة من الناس على الدوام وإعطاؤها حق القول مهما كان معيياً، فأخراج آرائهم إلى الضوء هو المقدمة الأولى لدحضها وهزيمتها، فإنها لا تعيش ولا تتعش إلا في سرايب الظلام (٢).

٩- تسديد النظر إلى المشكلة من زوايا متباينة:

إن إخضاع أي مشكلة للتداول الشوري الحرة يمكن أهل الشورى من رؤيتها من زوايا واتجاهات متباينة متقاطعة، وبذلك تنضاف الرؤى الجزئية بعضها إلى بعض، وتتضام وتتكامل قدر الإمكان، وتشكل في كّل مرئي للجميع ثم تتسق وتتوحد محاولات التحليل

(١) فقه الشورى ص ٢١٣.

(٢) الشورى د. محمد وقيع الله ص ٥٥.

والتشخيص والإسهامات في اقتراح الحلول ولا يتاح ذلك إلا للجماعة المتوحدة لأن العقل الواحد مهما كان كبيراً نافذاً لا يستطيع أن يُلمَّ بجميع المعلومات المتعلقة بكل المشاكل التي يتعرض لها، ويفهمها، ويحللها ويشخصها، ويقترح الحلول المجدية في شأنها. ولعل هذا ما عبر عنه بلغة مختلفة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إذا قال: الرأي كالحيط السحيل، والرأيان كالحيطين المبرمين والثلاثة مرار ولا يكاد ينتقض (١). وأورد الأمام الماوردي في هذا المعنى قوله: لم يزل أهل العقول يفزعون إلى الشورى في كل ما يقع بينهم، ويمدحون فاعله، ويذمون المستبد برأيه، والمرتكب لأهوائه، وقد قال فيه أحد الشعراء:

خليلي ليس الرأي في صدر واحدٍ أشيراً عليَّ اليوم ما تريان (٢)

١٢- تكامل المعرفة النظرية والعملية:

في أحيان كثيرة يأتي امتياز الرأي من تماسه بالواقع المعاش، ويتفوق بتلك الميزة على الرأي النظري، وإن كان هذا الأخير صحيحاً في إطاره النظري، وحين يكتمل هذان الجانبان الركينان للعلم: الجانب النظري والجانب العملي، أو جانب فقه الأوراق وفقه الواقع، يأتي القرار أصوب ما يكون.

١٣. تجاوز الخطوب التي تشل التفكير الفردي:

وتتجلى فضائل الشورى في وقت الخطوب والكروب التي تلحق بالأمم، وتكاد تعصف بها عصفاً فيقف الناس منها ثلاث مواقف متباينة، فمن الناس من يهزمهم الخوف ويشل قدراتهم على التفكير والتحليل واتخاذ القرار، أي قرار، ومنهم من يثير الخوف مشاعرهم باتجاه التحدي وإثبات الذات والاندفاع الأهوج في المواجهة، فيميلون إلى اتخاذ الحلول القصوى في ذلك الاتجاه، ومنهم من يدعوهم الخوف إلى التراجع والتهادن وربما الاستسلام فيقبلون بالدينية من دينهم وديناهم معاً.

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/٣١).

(٢) الشورى د. محمد وقيع ص ٥٢.

فهذه أصناف ثلاث من المواقف تجلب خلل الرأي وتقود إلى أسوأ العواقب، ولكن اجتماع الناس بمختلف توجهاتهم على صعيد واحد في أوقات المحن والدواهي يؤدي إلى تعادل المواقف والوصول إلى الرأي الأصوب قدر الإمكان^(١).
لذا يمكن أن نقول إن عدم الأخذ بمبدأ الشورى بين العاملين في مجال التطوع ليقع أصحابها -غالباً- في بعد عن الصواب وإحداث فجوة بين الرؤساء والمرؤوسين.

(١) المصدر السابق ص ٤٥.

٤- غياب مفهوم العمل الجماعي وانفراد أحد العاملين بالقرار والعمل.

مقدمة:

لقد خلق الله الإنسان مدنيا بطبعه، فركبه على صورة لا تستقيم حياته، ولا يدوم بقاؤه، إلا بمعاونة غيره له من بني جنسه. فقد سخر الله الناس بعضهم لبعض في الغذاء والكساء والتصنيع والحماية بما لا يستطيع أحد منهم أن يستقل بنفسه البتة. ويظهر ذلك جليا حين يقارن الإنسان بالحيوان. فالحيوان لا يحتاج إلى معاونة أحد في تحصيل أسباب بقائه ومعايشه، فعنده من سهولة تحصيل الغذاء والقوة في الحماية ما لا يحتاج معه إلى أحد، بينما الإنسان بقوته الذاتية الفردية لا يستطيع مقاومة كثير من الحيوانات لا سيما الكبيرة منها والمفترسة، فهو عاجز عن المدافعة ما لم يكن معه جمع من جنسه أو آلات قد صنعها بنفسه أو بغيره تقاوم شراسة الحيوان. بل إن قدرته المنفردة لا تفي بتوفير احتياجاته، ولا تستقل بتصنيع آلاته، فهو بحاجة إلى معاونة إخوانه ليحصل على قوت ويحتمي من حر ويتقي من قر ويدفع العدو والصائل.

إذن فالاجتماع والتعاون والتضامن ضروري لنوع الإنسان؛ لتحقيق الحياة على وجهها، ويهنا له العيش، ويتمكن من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض بمقتضى قوله سبحانه وتعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: ٦١]، وقوله سبحانه: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف: ٣٢]، وقوله سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} [الأنعام: ١٦٥] (١).

ولا مانع من الإشارة في هذا المقام إلى ما قد وضع الله في بعض مخلوقاته من غير بني آدم مما يشير إلى تعاون قد فطرت عليه، فقد أعطى ربنا كل شيء خلقه ثم هدى. مخلوقات جعل الله في فطرتها نوع تعاون إما لتأمين غذائها أو الدفاع عن نفسها وجماعتها، ويظهر ذلك في جنسي النمل والنحل.

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون (ص ٤١ - ٤٣).

فقد شوهد أن النمل إذا عثر على عسل في وعاء، ولم يتمكن من الوصول إليه مباشرة؛ لوجود ماء أو سائل يحول بينه وبين هذا العسل، فإنه يتعاون بطريقة فداية انتحارية؛ فتتقدم فرق بعد أخرى فتلتصق بالسائل وتموت، وتتقدم غيرها مثلها حتى تتكون قنطرة من جثث النمل الميت يعبر عليها الأحياء الباقون، فيدخلون الوعاء ويصلون إلى العسل ويبلغون مأربهم. هذا في حال اليسر والغذاء.

أما في حال العسر والتعرض للمخاطر فإن مجاميع النمل إذا تعرضت لتيار مائي داهم - مثلاً - فإن بعضها يمسك ببعض - ثم تكون كتلة كروية متماسكة تتحمل اندفاع التيار، ثم تعمل حركتين في آن واحد، إحداهما: تتحرك فيها الأرجل كالمجاديف في اتجاه واحد نحو أقرب شاطئ، والثانية: حركة دائرية من أعلى إلى أسفل ليتم تقاسم التنفس بين الجميع، فإذا ما تنفس من في الأعلى حصل انقلاب ليرتفع من في جهة القاع، فيأخذ حظه من النفس، وهكذا في حركة دائرية حتى يبلغوا شاطئ الأمان.

فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. وسبحان من وهب الإنسان العقل المفكر ليتأسى ويعتبر ويكتشف ويرقى بفكره - بعد هداية الله وتوفيقه - ليكون خيراً من الأنعام. أما النحل فنظامه في تكوين مملكته وإنتاج عسله وترتيب الأعمال بين أفراد خليته فعجب عجاب في التعاون والتناوب والله في خلقه شؤنون^(١)

ومن فضائل العمل الجماعي:

١ - قول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} {المائدة: ٢}.

قال ابن كثير: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعانة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم^(٢).

(١) يراجع للمزيد مفتاح دار السعادة ١/ ٢٤٢ - ٢٤٩، وتفسير القاسمي ١٠/ ١٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير سورة المائدة.

يقول ابن القيم رحمه الله: وهذا من أجمع المعاني، فإن كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه الإيمان المحض، لا العادة والهوى، ولا طلب المحمدة والجاه، ولا غير ذلك، بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان، وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب^(١).

٢ - قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) واخللْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) واجعلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا} [طه: ٢٥ - ٣٥]

أي: أنت العالم بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا

٣ - قوله تعالى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٣) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} القصص: ٣٤-٣٥.

لقد كان لأهل العلم رحمهم الله وقفات جميلة عند هذه الآيات. ولقد قرروا فيها قرروا أن العمل الجماعي ركن من أركان الهداية الاجتماعية، فالله سبحانه يوجب على الناس إيجابا دينيا أن يعين بعضهم بعضا في كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفرادا وأقواما في دينهم ودنياهم وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفسد والمضار عن أنفسهم^(٢).

أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها:

١ - عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"^(٣).

(١) بدائع التفسير ٢/ ٩٣، ٩٤ بتصرف.

(٢) تفسير المنار ٦/ ١٣١.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١)، مسلم (٢٥٨٥).

قال ابن بطال: تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً في أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهذا الحديث (١).

٢ - عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى.** (٢)

وأمثال هذه الأحاديث المأثورة عن نبينا محمد ﷺ مما فيه الحث على الخير والدلالة عليه والحث على قضاء الحوائج، وبخاصة إذا أدرك المتأمل أن الحاجة في نصوص الشرع ذات مفهوم واسع مما هو مدلول عليه في عموم قوله ﷺ: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده". (٣)

أقسام الناس في العمل الجماعي:

يقسم الماوردي رحمه الله الناس باعتبار ما يقدمونه من معاونته وما يحققونه من معاني الأخوة والتعاون إلى أقسام أربعة:

الأول: من يعين ويستعين.

الثاني: من لا يعين ولا يستعين.

الثالث: من يستعين ولا يعين.

الرابع: من يعين ولا يستعين.

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٢٧/٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، مسلم (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

ثم قال: فأما المعين والمستعين فهو معارض منصف، يؤدي ما عليه ويستوفي ما له، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته ومعدور في استعانتته، فهذا أعدل الإخوان.

وأما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك، قد منع خيره، وقمع شره، فهو لا صديق يرجى ولا عدو يخشى، وإذا كان الأمر كذلك فهو كالصورة الممثلة، يروقك حسناتها ويخونك نفعها، فلا هو مذموم لقمع شره ولا مشكور لمنع خيره، وإن كان باللوم أجدر.

وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل ومعان مستذل، قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة من رجل مستثقل عند إقلاله، ويستقل عند استقلاله، فليس لمثله في الإخاء حظ، ولا في الوداد نصيب.

وأما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلًا في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة، فهذا أشرف الإخوان نفسًا، وأكرمهم طبعًا، فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله - وقل أن يكون له مثل لأنه البر الكريم والدر اليتيم - أن يشني عليه خنصره ويعض عليه بناجذه، ويكون به أشد ضنا منه بنفائس أمواله، وسنى ذخائره؛ لأن نفع الإخوان عام، ونفع المال خاص، ومن كان أعم نفعًا فهو بالادخار أحق، ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رضي سائر أخلاقه، وحده أكثر شيمه؛ لأن اليسير مغفو والكمال معوز^(١)

تعليق:

هذا تقسيم من الهاوردي - رحمه الله - أشبه بالخصر العقلي. وهو تقسيم جميل لتصوير النفوس وأحوال الناس والشخوص. ولكن واقع الناس، وما قضت به سنة الله في هذه الحياة، من بناء الدنيا واستقامة المعاش على المشاركة والمعاونة واتخاذ الناس بعضهم بعضًا سخرًا، يشوش على ما قرره الهاوردي، فلا يتصور في الواقع من أحد - فيما نحن بصده - أن يحقق مبتغاه إلا بتعاقد أطراف من الناس. هذا جانب. ومن جانب آخر، فإن البذل من

(١) أدب الدنيا والدين ص (٢١١ - ٢١٣).

طرف واحد - على نحو ما ذكر الماوردي - لا يسمى إلا إحساناً ومنة ونعمة، وهذا ليس من باب التعاون في شيء إلا من حيث الأثر والفائدة للمحسن إليه والمنعم عليه. كما أن من يستعين ولا يعين قد رضي لنفسه أن يكون عالة على غيره، وجعل حياته مبنية على السؤال والطلب والتطلع إلى ما في أيدي الناس.^(١)

(١) التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته للشيخ، د/ صالح بن عبد الله بن حميد مجلة البحوث الإسلامية (٥١/ ١٩٥).

٥- افتقاد الهيكل الإداري والتنظيمي للعمل:

إن الإسلام دين بني على النظام في كل أحكامه وتعاليمه فما نراه من تنظيم للأعمال في صلواتنا وصيامنا في رمضان وحجنا وسائر أمورنا لتدلنا على أن هذا الدين أراد أن يغرس في قلوب أبنائه النظام والتسيق بين الأعمال وتهذيبها مما يؤثر بالسلب عليها

ولبيان أهمية الهيكل الإداري والتنظيمي لأي عمل وعلى وجه الخصوص في العمل التطوعي نذكر هذه المسائل

١- أورد الكتاب والباحثون الإداريون العديد من التعاريف للهيكل التنظيمي أوجز منها الآتي:

أ. هو الآلية الرسمية التي تتمكن من خلالها إدارة المنظمة عبر تحديد خطوط السلطة والاتصال بين الرؤساء والمرؤوسين.

ب. هو نظام للسلطة والمساءلة والعلاقات بين الوحدات التنظيمية الذي يحدد شكل وطبيعة العمل اللازم للمنظمة. (١)

٢- ترتيب للعلاقات المتبادلة بين أجزاء ووحدات التنظيم، ويشير هذا المفهوم إلى التسلسل الهرمي للسلطة لغايات تحقيق الأهداف بفاعلية. (٢)

٣- هو الإطار الذي تمارس الإدارة بداخله وظائفها. (٣)

١- أهداف التنظيم الإداري:

١- إنجاز الأهداف المطلوبة، وتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المادية والمعنوية.

٢- تحقيق التعاون والانسجام والتكامل بين مختلف مكونات المنظمة.

٣- تحديد المسؤولية وتطبيق مبدأ المساءلة عن الأعمال والتصرفات.

٤- تحديد قنوات الاتصال والربط بين أجزاء المنظمة.

(١) السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال د/ العميان محمود سلمان.

(٢) الإدارة الحديثة المفاهيم والعمليات، عبد الباري دره.

(٣) التنظيم الإداري وبناء هياكل المنظمة، د/ سوار الذهب أحمد عيسى، عرض بور بوينت.

- ٥- تحديد علاقات السلطة والمسئولية بين الرؤساء والمرؤوسين.
- ٦- تحديد علاقات السلطة والمسئولية بين الرؤساء والمرؤوسين والزملاء في نفس المستوى الإداري.

٢- التخصص وتقسيم العمل:

التزم المسلمون بهذا المبدأ، حيث تولى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب أيام الرسول ﷺ كتابة الوحي، وكان يقوم بهذه المهمة في أثناء غيابها أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وتولى الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت كتابة أموال الصدقات، وتولى المغيرة بن شعبة والحسن بن نمر كتابة المعاملات بين الناس وتوثيقها، وكان زيد بن ثابت يعد الكتب إلى الملوك والزعماء. .

وبعد الرسول ﷺ استعان أبو بكر بالصحابه فوزع عليهم الأعمال، فأسند إلى عمر بن الخطاب مسؤولية القضاء، وإلى علي الإشراف على أسرى الحرب، وأسند أمانة بيت المال إلى أبي عبيدة بن الجراح.^(١)

٣- أهمية الهيكل التنظيمي:

إن كفاءة وفعالية التنظيم يتأثر بالبيئة المحيطة، فهناك علاقة واضحة بين البيئة المستقرة والبيئة المتحركة ودرجة تعقيد الهيكل التنظيمي، وهذا التعقيد يتطلب درجة عالية من اللامركزية حتى تتمكن المنظمة من الاستجابة للتغيرات المحيطة •

وتتبع أهمية الهيكل التنظيمي في التالي^(٢)

١. ترتيب العلاقات داخل المؤسسة.
٢. يعد إحدى الأدوات الإدارية التي تساعد التنظيم على الوصول إلى أهدافه حيث يشبه الهيكل التنظيمي بالهيكل العظمي للإنسان كونه يمسك بالأنظمة الفرعية المختلفة لجسم الإنسان، فدون هذا البنيان تبقى الدوائر والأقسام المختلفة وحدات منعزلة عن بعضها.
٣. توضيح الإدارات والدوائر والأقسام والشعب داخل المؤسسة

(١) التنظيم الإداري في الإسلام د. محمد بن علي شيبان العامري.

(٢) تنظيم إجراءات العمل موسى اللوزي.

٤. توضيح المستويات الإدارية في المؤسسة واختصاصات ومسؤوليات كل مستوى. ولا يقف المفهوم المعاصر للهياكل التنظيمية عند حد اعتباره خريطة تنظيمية توضح التبعية الإدارية، والمسئولية الإشرافية أو مجرد تحديد منضبط للاختصاصات الوظيفية للوحدات الإدارية المكونة للتنظيم، وإنما يمثل مع كل هذا أداة هدفها النهائي إلغاء القوى التي تعرقل أداء المنظمات وتحد من انطلاقها نحو غاياتها، ويعتمد نجاح الوزارات في بناء هياكلها التنظيمية على قدرتها في خلق بيئة عمل مناسبة لتحقيق درجة عالية من التكيف والتطابق بين الهيكل التنظيمي وأهداف المؤسسة وكذلك كفاءة العنصر البشر ومواردها.^(١)

٤- الأغراض التي تحققها الهياكل التنظيمية:

من الأغراض التي تحققها الهياكل التنظيمية ما يلي:

١. يبين الهيكل التنظيمي كيفية تقسيم الأعمال بين الموظفين في المؤسسة فتوضح أنواع وعدد الوظائف فيها سواء كانت تلك الوظائف رئيسية يناط بها تحقيق الهدف الرئيسي أم وظائف مساعدة يناط بها القيام بالأعمال الثانوية أم وظائف استشارية يناط بها تقديم التوصيات والمشورة للأجهزة المختلفة.

٢. يوضح الهيكل التنظيمي خطوط السلطة والمسئولية والاتصال الرسمي في المؤسسة فتظهر من له سلطة على من، ومن مسؤول أمام من، ومن يتصل بمن، وعليه فإن كل رئيس أو مرؤوس يتعرف على مكانه في السلم الإداري.

٣. يوضح الهيكل التنظيمي العلاقات والتنسيق بين مختلف الوحدات الإدارية.

٤. يبين الهيكل التنظيمي عدد المستويات الإدارية في المؤسسة وحجم كل منها ونوعية النشاط الذي تمارسه الوحدات المختلفة ومقارنة نطاق الإشراف فيها مما يسهل على المتعاملين في المؤسسة التعرف على واقعها بسرعة.

(١) حول ترشيد الهياكل التنظيمية في الأجهزة الحكومية د. مصطفى كامل.

٥. يوضح الهيكل التنظيمي نطاق الإشراف لكل رئيس من خلال معرفته لعدد المرؤوسين التابعين لكل رئيس ومدى التباين أو التوافق في أعمالهم وبعد المسافة بينهم وبين الرئيس. وفي ضوء ذلك، يمكن للمنظم وضع توصياته إما بالتوسع في تفويض السلطة أو تضيقها وذلك حسب الموقف.

٦. يظهر الهيكل التنظيمي اللجان في المؤسسة، وسلطاتها وعلاقتها بأجزائها، ومستوياتها في الهيكل التنظيمي سواء كانت في المستويات العليا (مثل لجنة المديرين ولجنة التخطيط، ولجنة السياسات العامة، واللجنة المالية. . وغيرها) أم في المستويات الأخرى من الهيكل التنظيمي.

٧. يفيد الهيكل التنظيمي في مجال تدريب الموظفين الجدد فتستخدم في البرامج التدريبية التوجيهية (أو التمهيدية) لتعريف الموظفين بأقسام المؤسسة مواقعهم في التنظيم، ورؤسائهم ومرؤوسيه، والأشخاص الذين سيكونون على اتصال بهم أثناء عملهم.

٨. يعتبر الهيكل التنظيمي بمثابة وثيقة توضيحية يمكن الاستعانة بها لدراسة التطور التاريخي والوظيفي للمؤسسات الإدارية خلال فترة معينة من الزمن.

٩. يستخدم الهيكل التنظيمي لأغراض إعلامية فتساعد الأفراد من خارج المؤسسة التعرف على أقسامها وأعمالها والأشخاص الموجودين فيها بصورة سهلة وسريعة.

١٠. يساعد الهيكل التنظيمي في اكتشاف ومعالجة الانحرافات والأخطاء الموجودة في التنظيم من خلال عملية تحليل الهيكل التنظيمية وعليه، فإنها تكشف العلاقات غير السليمة والتداخل أو الازدواج بين المهام المختلفة.

١١. يفيد الهيكل التنظيمي باعتباره وسيلة في تبيان ما إذا كانت المؤسسة تتبع الأسس والقواعد التنظيمية السليمة كنطاق الإشراف ووحدة القيادة والأمر وتوزيع العمل توزيعاً منطقياً سليماً

٥- عناصر الهيكل التنظيمي^(١)

(١) المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية/ دراسة الهيكل التنظيمي.

من خلال استقراء التعريفات المختلفة للهيكل التنظيمي يتبين لنا أنها تشترك غالباً في عدة عناصر لا بد من توافرها في الهيكل التنظيمي:

وجود الوحدات الإدارية المختلفة للمنظمة.

وضوح التخصص في العمل ووجود مهام محددة.

نطاق الإشراف وخط السلطة والمسئولية.

مواقع اتخاذ القرار من حيث المركزية واللامركزية.

٦- مبادئ التنظيم في الإدارة الإسلامية:

لقد عرّف المسلمون مبادئ التنظيم واستخدموها في تنظيماتهم الإدارية، وبهذا سبقوا رواد الإدارة الحديثة، ولو حاولنا استعراض مبادئ التنظيم في الإدارة الإسلامية، لتبيّن أنّها قد اشتملت على معظم مبادئ الإدارة الحديثة، وفيما يلي أهم مبادئ التنظيم في الإدارة الإسلامية.

أولاً: مبدأ تقسيم العمل:

يعد مبدأ من مبادئ التنظيم، وفي الوقت نفسه مبدأ من مبادئ الإدارة الأربعة عشر، التي وضعها (هنري فايول) رائد مدرسة نظرية الإدارة؛ حيث يتم تقسيم العمل وتوزيعه على مجموعة من الأفراد؛ بحيث تختص كل مجموعة بجزء مُعيّن من العمل حسب قدراتها ومؤهلاتها، كما هي الحال في الصناعات الدقيقة، كالصناعات الإلكترونية، وصناعة السيارات، ويرى علماء الإدارة أنّ هذا المبدأ هو بداية تاريخ الإدارة؛ حيث بدأت بسيدنا آدم - عليه السلام - عندما قام لأول مرة بتقسيم وتوزيع العمل بينه وبين زوجته؛ لتتولى هي شؤون المنزل، ويتولى هو شؤون جلب القوت، كما يطلق على هذا المبدأ مبدأ التخصص عند علماء الاقتصاد، ويعني: الاستخدام الأمثل للقوى العاملة.

وقد ورد مبدأ التخصص في القرآن الكريم؛ { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } [يوسف: ٥٥]، وهذا التخصص عرضه يوسف عليه السلام على عزيز مصر بعد أن كسب ثقته، وهو المنصب الذي تم ترشيح يوسف عليه السلام له من قبل عزيز مصر، والذي

يوازي في الوقت الحاضر وزير المالية والتموين، ويشتمل هذا المنصب أو هذه الوظيفة على التخطيط والتخزين والتوزيع والإحصائيات والأرقام، وما يتطلبه هذا المنصب من مهارات وقدرات، كالحفظ والعلم.

وقد اهتم الرسول - عليه الصلاة والسلام - ومن أتى بعده بالتخصُّص، فكان هناك المتخصصون في شؤون القضاء وشؤون الوُلاة، والعمال والمدرسون، والكتاب، ورجال الحسبة، والمترجمون، وغيرهم في التخصصات المختلفة، التي أتقنها المسلمون في عهد الرُّسول والخلفاء الراشدين، وفي الدول والأمصار الإسلامية من بعدهم.

ثانيًا: السلطة والمسئولية:

تعرف السلطة في الإدارة الحديثة بأنها "القدرة الشرعية التي تناط بشخصٍ ما، أو بوظيفة ما، والتي يجري قبولها ليس فقط من الممارس للقدرة، ولكن من قِبَل الذين تُمارس عليهم أو الأعضاء المتأثرين بها"

كما تعرف على أنها "القدرة أو الحق في اتِّخاذ القرار وإصدار الأوامر"، فالتنظيم الإداري يتطلب سلطةً عليا تدرج السلطة فيها من أعلى إلى أسفل، والسلطة في التنظيم الإسلامي لا تعني التسلط والاستبداد، أو تجاوز حدود الله وشرعه؛ قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وعلى الحاكم أو الرئيس أن يحكم بما أمر الله وبمسئولية حفظ كرامة المرؤوس، واضعًا في اعتباره الحق والعدل ومخافة الله، فالإسلام حَذَر من الظلم ومن الاستبداد والتسلط.

أمَّا المسئولية، فهي المحاسبة على أداء الواجبات المنبثقة عن السُّلطة، ولكي يقوم المرؤوس بهذه الواجبات يجب أن يُعطى السلطات الملائمة، وعلى ذلك يجب أن يقابل المسئولية السلطة الكافية، ولقد وردت المسئولية والمحاسبة في القرآن الكريم؛ قال - تعالى -: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٣]، ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وفي قول النبي الله صلى الله عليه وسلم: ((كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته)).

كما حرص المسلمون على مبدأ الجدارة والكفاية في التنظيم الإسلامي، ومن أمثلة ذلك مطالبة أحد الصحابة الرسول - عليه الصلاة والسلام - في أن يستعمله ويوليه ولاية، فقال عندما طلب أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - قائلاً: "يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبيه، ثم قال: ((يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدّى الذي عليه فيها))" (١).

ويتضح من ذلك ارتباط السلطة بالمسؤولية، فعلى الرغم من ضرورة السلطة والقوة، فإن المسؤولية تقتضي تأديتها بجدارة وكفاءة، وإلا نال صاحبها الندامة والخزي يوم القيامة، ومن الأمثلة المرتبطة بتكافؤ السلطة والمسؤولية في الإدارة الإسلامية ما اتضح جلياً عندما كُلِّفَ أسامة بن زيد بقيادة الجيش في حرب الروم من قبل الخليفة أبي بكر - رضي الله عنه - حيث منحه سلطات واسعة في قيادة الجيش، وعندما رغب أبو بكر أن يستبقي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - استأذن أسامة بن زيد في ذلك للاستعانة به؛ حيث كان عمر بن الخطاب من ضمن جنود المسلمين في الجيش، فقال أبو بكر له: "إن رأيت أن تعينني بعمر، فافعل"، فما كان من أسامة إلا أن لبى طلب الخليفة (٢).

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٥).

(٢) إدارة الذات: مدخل مقترح في الإدارة الإسلامية. الفريق عبدالعزيز بن محمد هنيديز

٧- خطوات بناء الهيكل التنظيمي^(١)

لتحديد كيفية القيام بعملية بناء الهيكل التنظيمي لا بد من القيام بالخطوات التالية:
الخطوة الأولى: تحديد الأهداف للمؤسسة وعدد الوظائف (الأنشطة) التي يتطلبها تحقيق هذا الهدف.

الخطوة الثانية: يتم إعداد قوائم تفصيلية بالنشاطات التي يتطلبها تحقيق أهداف المؤسسة.
الخطوة الثالثة: فإن هذه الخطوة ستركز على تجميع الأنشطة المتشابهة معاً ووضعها في وحدة إدارية واحدة. وهناك أسس متعددة لتجميع الأنشطة (تكوين الإدارات) ومن أهم هذه الأسس:

- (أ) التقسيم (التجميع) حسب الوظائف.
- (ب) التقسيم (التجميع) حسب المنتج.
- (ج) التقسيم (التجميع) حسب العملاء.
- (د) التقسيم (التجميع) حسب المناطق الجغرافية.
- (هـ) التقسيم (التجميع) حسب مرحلة الإنتاج.

الخطوة الرابعة: تحديد العلاقات التنظيمية بعد تكوين الوحدات الإدارية فإنه لا بد من ربط هذه الوحدات مع بعضها من خلال تحديد العلاقات المناسبة بين العاملين في مختلف المستويات الإدارية رأسياً وأفقياً. وهذه العلاقات التنظيمية تتصل بمفاهيم أساسية أهمها: (السلطة، المسؤولية، التفويض، المركزية واللامركزية، نطاق الإشراف، اللجان).

الخطوة الخامسة: تحديد العلاقات بين الوحدات الإدارية بعد إنشاء الوحدات الإدارية في المنظمة كالإدارة المالية، وإدارة الإنتاج، وإدارة التسويق، وإدارة الموارد البشرية، لا بد من إيجاد التنسيق بينها من خلال إيجاد شبكة اتصالات رسمية بينهم تسمح بتبادل البيانات والمعلومات بانسياب ويسر.

(١) مقال منشور في المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية. أميرة حسين

الخطوة السادسة: اختيار وتنمية العناصر البشرية من أجل تنفيذ مهام الوحدات الإدارية بعد الانتهاء من عملية تصميم الهيكل التنظيمي تبدأ عملية اختيار الأفراد لشغل الوظائف الموجودة في الهيكل، ولا بد أن يكون الاختيار قائم على مبدأ (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب).

الخطوة السابعة: رسم الهيكل التنظيمي على شكل مخطط يطلق عليه (الخريطة التنظيمية والخريطة التنظيمية توضح حجم الهيكل التنظيمي (التنظيم)، والتبعية، ونطاق الإشراف لكل شخص وعدد المستويات الإدارية، وتُعطي فكرة عن المناصب المختلفة. وقد تبين الخريطة خطوط انسياب السلطة من أعلى إلى أسفل وقد تكون الخريطة من اليمين إلى اليسار وقد تكون دائرية.

الخطوة الثامنة: إعداد الدليل التنظيمي: في هذه المرحلة يتم إعداد ما يسمى بالدليل التنظيمي وهو عبارة عن ملخص في شكل كتيب يتضمن اسم المنظمة، عنوانها، أهدافها، سياساتها، هيكلها التنظيمي بتقسيماته الرئيسية والفرعية، وإجراءاتها... إلخ.

الخطوة التاسعة: تتمثل في ضرورة مراقبة عملية التنظيم بشكل دائم ومستمر وإدخال التعديلات المناسبة عليه عند الحاجة لذلك حتى يلبي أي متغيرات مطلوبة.

خصائص الهيكل التنظيمي الجيد: (١)

إن الهدف الأساسي للوظيفة التنظيمية في المنظمة هو تسهيل مهمة الإدارة في القيام بتحقيق الأهداف المحددة، ويمكن تحديد أهم الخصائص الواجب توافرها في أي هيكل تنظيمي فيما يلي:

١. الاستفادة من التخصص: يقتضي مبدأ التخصص عمل كل فرد على القيام بأعباء وظيفية واحدة أو أن يتم إنشاء وحدة تنظيمية مختصة بكل عمل، وأن يكون بالإمكان تشغيل هذا الفرد والوحدة التنظيمية لكل وقت العمل، هذا المبدأ يحقق بعض المزايا منها سرعة الإنجاز واتفاق العمل وخفض في التكلفة.

(١) أنواع الهياكل التنظيمية الرسمية، أميرة إسماعيل.

٢. التنسيق بين أعمال المنظمة: إن التنسيق بين جهود الإدارات والأقسام المختلفة يمكن من القضاء على التكرار والازدواجية، ويجب ملاحظة أن تعمل جميع الوحدات التنظيمية بأكثر كفاية ممكنة وفي وقت واحد وبشكل مستمر، ذلك لأن عمل كل جزء منها يتم عمل الجزء الآخر ويعتمد عليه، مثل ذلك قسم المبيعات وقسم الإنتاج، إذ لا يمكن لقسم المبيعات أن يطلب طلبات المستهلكين إذا لم يخدم قسم الإنتاج هذه الطلبات في الوقت المناسب وبالمواصفات المطلوبة.

٣. الاهتمام بالنشاطات المهمة للمنظمة: تختلف نشاطات المنظمة حسب الأولويات، فهناك أنشطة رئيسية وأنشطة ثانوية، فالهيكل التنظيمي الجيد يعطي اهتماماً خاصة للأنشطة الرئيسية من حيث وضعها في مستوى إداري مناسب لأهميتها.

٤. تحقيق الرقابة التلقائية: يقضي مبدأ التلقائية بأن لا يخضع قصدهن أحدهما مراقبة الأخرى لرئاسة شخص واحد، مثال ذلك: لا يحق أن يكون مسئول الشراء في المنظمة هو نفسه الذي يستلم البضاعة عند وصولها إلى المشروعات، وإلا قد تتعرض المنظمة إلى الضرر بسبب عدم وجود رقابة فعالة أو بسبب التلاعب أو إساءة استعمال السلطة.

٥. عدم الإسراف: أن التوسع في التخصص والرغبة في التنسيق والرقابة له تكلفته، وعلى الرغم من أن مجرد التوفير يجب أن لا ينظر إليه كهدف، إلا أنه من الضروري الاهتمام به، ويعتبر الهيكل التنظيمي جيداً إذا تمكن المنظم من تقدير التكاليف والإيرادات المتوقعة لإنشاء الوحدات التنظيمية ومن ثم يقرر التقسيمات التنظيمية التي يتوقع أن تكون فوائدها طويلة الأجل أكبر مما ستكلفه من جهود ونفقات.

٦. مراعاة الظروف البيئية: تؤثر الظروف البيئية للمنظمة على هيكلها التنظيمي، وبالتالي فإن الهيكل التنظيمي الجيد هو الذي يهتم بالظروف المحلية والتغيرات التي تطرأ عليها، بحيث يتكيف ويستجيب التنظيم لهذه التغيرات، كالتغيرات التي تطرأ على الإنتاج أو القوى العاملة أو نوع التكنولوجيا المستخدمة وغيرها من العناصر البيئية المحيطة بالمنظمة •

علاقة تطوير الهياكل التنظيمية بالإصلاح الإداري: (١)

إن تطوير الهياكل التنظيمية يعتبر أحد خطوات زيادة فاعلية الإصلاح الإداري في المؤسسات لأنه يحقق الآتي:

١. إعادة توزيع السلطات والمسؤوليات بما يضمن تقليص مركزية السلطة والمزيد من المشاركة والتعاون.

٢. تحديد الاختصاصات وتوضيحها لتحديد مراكز المسؤولية وإنهاء التعقيد والازدواج في هذه الاختصاصات.

٣. تبسيط إجراءات العمل وتسهيل حركة سيرها بين الفروع والأقسام والوحدات بحيث تتحقق سرعة الانجاز وسهولة الرقابة معا.

٤. إيجاد الصيغة التنسيقية الملائمة بين مختلف الوزارات واللجان الوزارية ووحدات القطاع العام والسلطة المحلية.

٥. ضمان تدفق المعلومات والبيانات من خلال الاتصالات الأفقية والعمودية الصاعدة والنازلة

أنموذج الهيكل التنظيمي للدولة في عصر صدر الإسلام (٢)

مرحلة عهد الرسول ﷺ :

تمثل الهيكل التنظيمي في مرحلة عهد الرسول ﷺ بمستويين هما مستوى الإدارة العليا والإدارة التنفيذية، وكان الرسول ﷺ يمثل السلطة العليا في الجهاز الإداري للدولة الإسلامية، يعاونه من يختارهم من المسلمين الأوائل، فمنهم:

١ - مجلس الشورى: (٧) من الأنصار و(٧) من المهاجرين منهم: حمزة، وأبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وسلمان، وعمار وحذيفة، وأبو ذر، والمقداد، وبلال

٢ - صاحب السر: حذيفة بن اليمان

(١) الإصلاح الإداري الفكر والممارسة د. دياب الحج عارف.

(٢) علم الإدارة العامة د/ الحلو.

- ٣- أمين الخاتم: الحارث بن عوف المرى وحنظلة بن الربيع بن صيفي
- ٤- كُتَّاب الرسول ﷺ: بلغ عددهم (٤٢) منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وخالد، وحنظلة الأشيدى، والعلاء بن الحضرمي، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن رواحه، ومحمد بن مسلمة، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وجهيم بن الصلت، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن أبي سرح
- ٥- كاتب مغام الرسول ﷺ (صاحب المغام) معيقب بن أبي فاطمة وكعب بن عمرو بن زيد الأنصاري
- ٦- كاتب حرث ثمر الحجاز: حذيفة بن اليمان
- ٧- كاتب القبائل: العلاء بن عتبة وعبد الله بن الأرقم
- ٨- إجابة كتب الملوك عن الرسول ﷺ: عبد الله بن الأرقم
- ٩- كاتب أموال الصدقات: الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت
- ١٠- كاتب المعاملات والمدائنات: المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير
- ١١- كاتب التوقيعات إلى الملوك: شرحبيل بن حسنة
- ١٢- شعراء الرسول ﷺ لهجو المشركين: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك
- ١٣- خطيب الرسول ﷺ: ثابت بن قيس
- ١٤- ترجمان الرسول ﷺ إلى الفارسية والرومية والقبطية والحبشية واليهودية: زيد بن ثابت
- ١٥- كتاب المصاحف: ناجية الطفاوى ونافع بن ظريب النوفلى
- ١٦- تعليم النساء الكتابة: شفاء أم سليمان بن أبي حنمة
- ١٧- تعليم أهل الصفة القرآن: عبادة بن الصامت
- ١٨- أول قاض في المدينة: عبد الله بن نوفل
- ١٩- مقرئ المدينة: مصعب بن عمير
- ٢٠- حمل أول لواء عُقد في الإسلام: عبد الله بن جحش

- ٢١- عمال الرسول ﷺ : أبو دجانة الساعدى وسباع بن عرفطة (على المدينة) أبو سفيان بن حرب (على نجران)
- ٢٢- والي مكة: عتاب بن أسيد
- ٢٣- القضاء والمظالم: راشد بن عبد الله
- ٢٤- حفظه القرآن جميعه، منهم: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، عبد الله بن مسعود. (١)

(١) مستفاد من بناء الهياكل التنظيمية، إعداد عدنان ماشي والي، وانظر: كتاب التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية للكتاني.

٦- التخبط في اتخاذ القرار:

إن القائم على العمل التطوعي لا بد أن يحيط علماً بما يدور في فلك عمله حتى يسهل عليه اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، فقد ترى بعض مؤسسات العمل الخيري تنفق المال في غير وجهه الصحيح أو تضعه في غير نصابه أو تقوم بمشاريع في مكان لا يتناسب مع حجم المشروع، وعلى النقيض قد تتلكأ في اتخاذ قرار هام والمجتمع في أمس الحاجة إليه، وما ذاك إلا لتخبطهم في اتخاذ القرار الحاسم في وقته.

ولكي نقف على مدى خطورة هذه العقبة نبين أهميتها من خلال:

مفهوم عملية صنع القرارات:

وتعرف عملية صنع القرارات: بأنها عملية اختيار البديل الأفضل من بين مجموعة من البدائل أو هي عبارة عن تصرف أو مجموعة من التصرفات يتم اختيارها من بين عدد من البدائل الممكنة.

لذا فإن نجاح المؤسسات التطوعية يتوقف على مدى سلامة ورشد القرارات التي يتم اتخاذها.

وتعتبر عملية صنع القرارات هي محور العمل الإداري في المنظمات مهما اختلف نوعها، فكل الوظائف الإدارية في المنظمة تتطلب اتخاذ قرارات فالمنظمات المختلفة تقوم بوظائف عديدة كالتهيئة ورسم السياسات والرقابة وتقييم الأداء والتدريب والتعيين وغير ذلك، وهي في كل وظيفة تحتاج لاتخاذ قرارات فيها.

يحتاج العمل الإسلامي دوماً إلى القائد البصير الذي يستطيع اتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب والذي يدرس مدى المصالح والمفاسد المترتبة على قراره.

والقرآن الكريم يبين لنا في غير ما موضع أن القائد ينبغي له أن يستأنس بذوي الخبرة ثم عليه أن يتخذ قراره متوكلاً على الله سبحانه وتعالى يقول سبحانه { فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: ١٥٩]

النبي ﷺ واتخاذ القرار:

تتبن بعض ملامح اتخاذ النبي ﷺ لقراره من خلال نصوص القرآن والحديث وبعض مواقف السيرة النبوية ومثال ذلك:

١- حرصه ﷺ على الشورى والاستفادة بمشورة الناس، قوله سبحانه { فاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: ١٥٩]

٢- إتاحة الفرص لإبداء الرأي من كل من عنده رأي أو خبرة أو إفادة حتى بعد المشورة ويتبين ذلك في موقف الصحابي الذي سأل النبي ﷺ 'أمنزل أنزلك الله أم هي الحرب والرأي والمكيدة؟ فقال النبي ﷺ : بل هي الحرب والرأي والمكيدة. فأشار عليه الصحابي بموقف آخر ليكون مقرًا للجيش فاستمع النبي ﷺ لكلامه ونزل عند رأيه (١).

٣- محاولة تجديد القرار بالاستفادة بالعلوم الجديدة والأفكار الطريفة ومثاله ما أقره رسول الله صلى عليه وسلم لسلمان الفارسي رضي الله عنه في حفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب وكان أمرًا لا تفعله العرب في حروبها ولكنه كانت تفعله الروم وفارس.

٤- الثبات على القرار وتحمل عواقبه وعدم التردد بعد اتخاذ القرار. ويظهر ذلك في غزوة أحد بعد ما استشار النبي ﷺ الناس فأشار عليه بعضهم بالخروج وبعضهم بالبقاء في المدينة. فاختار النبي ﷺ الخروج فلما لبس النبي ﷺ ملابس الحرب قال الشباب: كأننا أكرهنا رسول الله على الخروج، فقال ﷺ: ما كان لنبي إذا لبس لأمة الحرب أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين قومه.

ومن ذلك: اتخاذ أبي بكر القرار في محاربة المرتدين

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لَمَّا تُوِّفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ" فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا قَاتِلَ مَنْ

(١) انظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ١٦٦).

فَرَفَّ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا " قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ ^(١)

اتخاذ القرار في جمع القرآن:

وذلك أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ - قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ "، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِدَلِيلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلَا نَتَّهِمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلُ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَّبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرَّفَاعِ وَالْأَكْتَفِ، وَالْعُسْبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ. ^(٢)

٥- دراسة الظروف البيئية والاجتماعية المتعلقة بالقرار ويظهر ذلك بوضوح في قوله ﷺ لعائشة " يا عائشة، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُوا عَهْدَ بَشْرِكَ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، فَأَلَزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ " وعند مسلم: لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُوا عَهْدَ بَجَاهِلِيَّةٍ - أَوْ قَالَ:

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٩).

بِكُفْرٍ - لَا نَفَقْتُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَجَعَلْتُ بِأَبَاهَا بِالْأَرْضِ، وَلَا دَخَلْتُ فِيهَا مِنْ الْحِجْرِ
(١)"

فما منعه ﷺ من اتخاذ ذلك القرار إلا أن الناس حديثو عهد بجاهلية وأن الإيمان لم يتمكن من قلوبهم جميعاً فلذلك لم يتخذ قراره بناءً على الحالة الاجتماعية والظروف المحيطة.

٦- مراعاة الحالة النفسية للناس والنتائج السلبية للقرار، ومثال ذلك قراره ﷺ بعدم قتل المنافقين: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يقول: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوْقَدَ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْنِي لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ (٢)

جودة القرارات:

والنقاط التي يجب أخذها بعين الاعتبار حتى يتم الحصول على قرار أمثل هي:

- ١- تفهم واضح دقيق للأهداف المتعددة التي تلائم المشكلة موضوع القرار.
- ٢- تعريف محدد وشامل ودقيق للمشكلة، وجوانبها المختلفة ولموضوع القرار.
- ٣- معرفة كاملة بالبدائل الممكنة، وبطريقة يمكن الاعتماد عليها في تقدير ما يترتب على اختيار كل بديل.
- ٤- تحديد العلاقة بين نتائج كل بديل، والأهداف المرغوب في تحقيقها.

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٤)، ومسلم (١٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤).

الصعوبات التي تعترض عملية صنع القرارات:

إن القرارات تلعب دورًا كبيرًا في مهام متخذي القرار، وعليه فإنه مطلوب دائمًا من المنظمة تقييم المقدرة لدى متخذي القرار بالإضافة إلى الاستمرار في تنمية مهاراتهم في هذا المجال، وضرورة توفير كافة الضروريات والعوامل التي تساعد على اتخاذ القرارات السليمة التي تهدف إلى الوصول إلى هدف المنظمة، وبذلك يتم تذليل كل الصعوبات التي تواجه متخذي القرارات. ومن أهم الصعوبات المتعلقة بعملية صنع القرارات ما يلي:

- ١- ندرة وجود حل واحد سليم، أو صحيح للمشكلة المعروضة، ولكن في مواقف عديدة قد يكون هناك أكثر من حل يمكن أن يكون مقبولاً، وموافقاً لمقياس تفصيل الموضوع.
- ٢- عدم توصيل القرارات للمسؤولين عند تنفيذها في الوقت المناسب، وبطريقة مناسبة.
- ٣- مناهضة القرارات في حالة فرضها على العاملين في المستويات التنفيذية.
- ٤- عدم القدرة على تحديد الأهداف التي يمكن أن تتحقق من خلال عملية صنع القرار.
- ٥- صعوبة التعرف على مزايا وعيوب البدائل المتوقعة في البيئة، التي تعمل بها المنظمة.
- ٦- صعوبات تتعلق بشخصية متخذ القرار، أو وقوعه تحت تأثير بعض العوامل التنفيذية، ويضاف إلى ذلك درجة ذكائه وخبراته وقدراته العلمية والعقلية والجسدية^(١).

(١) نظم المعلومات الإدارية وأهميتها في اتخاذ القرارات في القبول والتسجيل (بحث مقدم للمؤتمر ٣٣ للمنظمة العربية للمسؤولين عن القبول والتسجيل في الجامعات بالدول العربية) د. عماد الدين محمد الحسن أحمد.

٧- غياب المرجعية الرشيدة:

الأمة الإسلامية في هذا العصر على وجه العموم والمؤسسات التطوعية على وجه الخصوص تعاني أنواعاً مختلفة من الأمراض، منها التفرق والتشردم والاختلاف والتباغض والتناحر والتدابر، ومن أسباب ذلك غياب المرجعية الشرعية التي يصدر عنها الناس عند حدوث الفتن ونزول الكوارث على الأمة.

هذه المرجعية تمثلت في رسول هذه الأمة ﷺ أصدق تمثيل في حياته وبعد مماته، بعدم تقديم قول أحد كائناً من كان على قوله وحكمه بدليل قول الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١] وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} (الأحزاب: ٣٦) وقوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (النساء: ٦٥)، ولقول النبي ﷺ: "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى" (١).

ثم كانت هذه المرجعية بعد وفاته ﷺ متمثلة في الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين من بعده بصفة خاصة، وفي أصحابه الكرام بصفة عامة، لا سيما في إجماعهم، فكان المسلمون يصدرون عن رأيهم وإجماعهم ولا ينفردون عنهم بشيء، عملاً بقوله ﷺ: فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" (٢).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ. (٣)

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٣٣).

ثم تمثلت هذه المرجعية الشرعية في ولاية الأمر من العلماء والحكام المؤتمرين بأمر العلماء، فما فتى المسلمون في كل عصر ومصر يلتفون حول ولاية أمرهم ويجمعون عليهم ويصدرون عن رأيهم، ولا يبغون عنهم حولا، حتى في عصر الضعف والانحطاط وخروج البعض على الخلافة واستبدادهم بدويلات صغيرة اقتطعوها من الدولة الإسلامية، ثم إقصاء الخلافة في الوقت الراهن.

وعلى الرغم من أن هذه المرجعية من الناحية النظرية موجودة ومحفوظة بحفظ الله لها إلى أبد الآبدين لقول الله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر: ٩)، ولكنها من الناحية العملية يحتاج المسلمون في عصرنا الراهن إلى من يقوم إلى حراستها وحث الناس ودعوتهم إلى حمايتها في مجالات معاودة التطبيق والتنفيذ.

وجود هذه المرجعية مسؤولية كل مسلم مع تفاوت بينهم، لأنها من فروض الكفاية التي إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين، وإذا أهملها الجميع أثموا إثمًا مبيئًا، لأن بها قيام الدين، وتثبيت سلطانه، وجمع كلمة أتباعه، وبفقدتها يزول سلطان الدين وتضيع أحكامه، وتبدل معالمه، والله در الإمام الماوردي عندما قال: (ليس دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه، وطمست معالمه، وكان لكل زعيم فيه بدعة، ولكل عصر فيه وهية أثر)، فإذا تخلى الحكام أو بعضهم عن هذه المسؤولية فتبعته فتقع على ولاية الأمر من العلماء فما لا يدرك كله لا يترك جله.

هذه المرجعية العامة (الإمامة العظمى) أو الخاصة (العلماء) لا تتأتى إلا بشوكة أو سلطان، فالشوكة تكون لولاية الأمر من حكام المسلمين، والسلطان يكون لولاية الأمر من العلماء الربانيين العاملين بعلمهم المتقين لربهم، يكتسبونه وينالونه بسلامة الاعتقاد والتصور والمنهج، والتقدم والبروز في العلم الشرعي، والقُدوة الحسنة والصدق والإخلاص والتجرد، والتصدر لقيادة المجتمع وريادته، والثبات على المبدأ، وعدم المداينة للحكام والمجتمع، والزهد في الدنيا وعدم التعلق بزخارفها، والبعد عن مواطن الشبه وما يسقط المروءة ويفقد المصداقية، والأخذ بالعزائم وتجنب الرخص، والتصدي لمشاكل العامة والعمل على حلها

عن طريق الشفاعات الحسنة ونحوها، والسعي لتعليم الناس وإرشادهم لما فيه صلاح دينهم ودنياهم، ومواساة الأتباع والعامّة في الأفراح والأتراح والنوازل، والبعد عن سفاسف الأمور، والترفع عن الخلافات، والتحلي بحسن الخلق سيما الحياء وكظم الغيظ والعفو عن الناس والجود والسخاء.

فإذا توفرت هذه الشروط أوجلها، بجانب المواهب اللدنية والصفات الشخصية التي تعين على ذلك في العالم، دفعت العامة دفعًا للالتفاف حوله والانقياد له، والانصياع لتوجيهاته ونصائحه، فأصبحوا لا يصدرون إلا عن فتواه، ولا ينصاعون إلا لأمره، ولا ينقادون إلا إليه، وأجبر ذلك ولادة الأمر على تقديره واحترامه وتقريبه والرجوع إلى أمره فكيف إذا اجتمعوا؟ فإن الأمر أقوى وأجلى وأظهر.

والعلماء عند أهل الإسلام الطريق لمعرفة الحكم الشرعي، وطاعتهم إنما تجب لهم على هذا الاعتبار، فليست لهم طاعة ذاتية ولا طاعة مطلقة، ولا حق لهم في التشريع المطلق بحال، بل يقتصر دورهم على فهم النصوص والاستنباط منها والتخريج عليها والرد إليها، فالحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، وهم في النهاية بشر من البشر يخطئون ويصيبون.^(١)

أنواع القادة:

١. الديكتاتور: يفرض خطته على العاملين معه ويلزمهم بالتنفيذ - يتصرف بمفرده، لا يخضع لأحد ويفرض على الجميع أن يخضعوا له.
٢. البيروقراطي: اللوائح المكتبية بالنسبة له أهم من العمل ذاته، فهو يهتم أكثر بالإجراءات والروتين أكثر من اهتمامه بالعمل.
٣. الفوضوي: كل فرد يعمل ما يراه مناسباً - لا يوجد نظام ولا مسؤوليات ولا أهداف.
٤. الديموقراطي: يتفاعل مع العاملين معه ويصبح واحداً منهم - يصعب أن تميز بين القائد والعاملين معه - تتبع القرارات من الجماعة نفسها فكل فرد يدرك مكانته ومسؤوليته.

(١) غياب المرجعية الشرعية سبب لكل بلية: محمود أحمد علي العكيدي. بتصرف يسير.

من نحتاج من هؤلاء؟

نحتاج إلى: -

قائد يقود الجماعة والعاملين معه بكفاءة وفاعلية.

قائد جماعي لكل العاملين.

يتناقش مع أفراد الجماعة والعاملين معه ويصنعون القرار بالأغلبية.

يدرك الجميع أن كل فرد منهم أسهم في الوصول إلى القرار، أي أن القرار قراره هو وأنه أحد

صانعيه، وإذا أخطأ فإن الجميع يعترفون بالخطأ ويجدون في تصويبه

القرار الجماعي يربط أفراد الجماعة معا " قائدا وعاملين " وتكون منهم أسرة واحدة.

أنواع القيادة:

١- القيادة بالأهداف

تعريف القيادة بالأهداف:

نظام إداري يهدف إلى زيادة فعالية كل من المؤسسة والإداري عن طريق مشاركة جميع

الأعضاء في وضع الأهداف التي يراد بلوغها بحيث تكون الأهداف محددة زمنياً وقابلة

للقياس والتحقق.

وتركز على وضوح الأهداف وتحديد قابليتها للقياس.

وتبدأ بتحديد الأهداف بدقة.

ثم توضع الخطط الكفيلة بتحقيقها.

والاعتماد على التغذية الراجعة المستمرة في قياس الإنجاز.

ثم تقييم الخطة أو الأهداف لتفادي القصور.

٢- القيادة الموقفية:

من أنماط القيادة التي تعتمد على المرونة والتغيير في أسلوب القائد، وذلك حسب ظروف

المجموعة التي يقودها من حيث النمو والتطور والالتزام بأداء العمل رغبة في تحقيق

الأهداف المنشودة

مميزات القائد الموقفي:

له القدرة على تكيف وتغير أسلوبه القيادي لإعطاء المجموعة الأمور التي لا تستطيع الحصول عليها

- ماهر في التشخيص وتحديد احتياجات التنمية والتطور
- له القدرة على المرونة في استخدام متنوع للأساليب القيادية
- يستطيع الوصول إلى اتفاق مع الرؤوسين في أي من الأساليب الأربعة التي توافق مستواهم التطوري في المهمة والأداء

سمات القائد:

١. القدرة الذهنية: ليس من الضروري أن يكون عبقرياً
٢. اهتمامات وطاقات واسعة: ليس القائد أسير تخصص معين بل يمتلك فهماً عاماً وثقافة واسعة.
٣. القدرة على التخاطب والتفاهم: فالأقدر على التعبير هو الذي يقنع وبالتالي يقود
٤. النضج:
٥. همة نفس عالية: قوة الشخصية والإقدام وروح المبادرة والشجاعة وهمة النفس والعزم والتصميم من صفات القائد الناجح.
٦. مهارات اجتماعية: القيادة أساساً هي تحقيق العمل من خلال الآخرين، فلا بد للقائد أن يعتمد على المهارات الاجتماعية ليقدر مشاعر الآخرين وميولهم ويحترمها.

الخبرات العملية المطلوبة للقائد:

تشمل الصفات والمعرفة والمهارات المطلوبة للقائد:

أولاً: الصفات:

- سلامة الخلق - القدرة على التأمل والتصور - العدالة والإنصاف - الجِد والمثابرة - الحماسة
- النشاط والطاقة - تدريب الآخرين - القدرة على التعبير - تحمل المسؤولية - التطلع نحو

الأفضل

ثانيا: المعرفة: على القائد أن يكون ملما بـ:

أهداف العمل ومبادئه وغاياته - الهيكل التنظيمي وتوجيهاته - الواجبات والمسؤوليات
سياسات العمل وأساليبه ولوائحه وإجراءاته - متطلبات الجودة والتحكم بها

ثالثا: المهارات: على القائد أن يتمتع بمهارات في المجالات التالية:

التفويض الناجح - تزويد الآخرين بالمعلومات أولا بأول - العناية بسلوك العاملين
ومصالحهم - معالجة مشكلات العاملين - مداومة الدراسة والتعلم لتحسين الأداء - تقديم
قدوة حسنة لغيره - مراعاة مشاعر الغير - عدم التعصب وضبط النفس - إدارة الوقت
بكفاءة وفاعلية.

إضافة إلى هذا كله يحتاج القائد أيضا إلى بعض السلوكيات الأساسية في تعامله مع الآخرين
منها:

١- التواضع:

٢- التجاوب المشترك والمتبادل: تجاوب القائد مع تابعيه يلعب دورا كبيرا في نجاح العمل.

٣- الحكم الصائب على الأمور: هو خبرة تنمو للقائد من المواقف والأعمال وبالتالي يمكنه
حل المشكلات بيسر

٤- الانطلاق: روح المرح والانطلاق في الحديث والقدرة على التعبير على ما يجول في نفسه
تعبيرا منطقيا سليما واليقظة لكل ما يدور بما حوله والإسهام بحماس في كل ما يتعلق برجاله
ويندمج معهم حتى يصير واحدا منهم.

٥- المظهر الخارجي: القائد الذي له مظهر جيد ومنسق له أثر طيب في نفس رجاله، والمظهر
هنا لا يعني الملابس فقط وإنما أيضا النظافة والتناسق والتعبير والانطباع.

لا تعبس في وجه رجالك فهم ثروة فحافظ عليها. (١)

(١) انظر بحث بعنوان: كيف تصنع قائدا متميزا؟ إعداد / أ. ناديه عبد القادر أحمد.

٨- ضعف الإمكانيات:

للمال أهمية قصوى في القيام وإنجاز الكثير من الأعمال التي تتطلب ضخاً كبيراً من رؤس الأموال للإسهام بالنشاطات الدعوية والعلمية والاجتماعية، ولهذا كانت الدعوة مقترنة مع المال في كثير من المواضع، فالمال نعمة إن كان مستعملاً في حقه،

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: ﴿إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا﴾ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحْضَاءُ، فَقَالَ: ﴿أَيْنَ السَّائِلُ؟﴾ وَكَانَتْ حِمْدُهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ، وَإِنْ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعَ يَقْتُلُ أَوْ يُلْمُ، إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرَاءِ، أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ، وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالِ خَضِرَةٌ حُلُوَّةٌ، فَنِعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمُسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١)

وعن عبد الله بن الزبير، قَالَ: قَالَ لِي الزُّبَيْرُ: اشْتَرِ لِي سَرَحَ بَنِي فُلَانٍ بِالْحِيرَةِ وَإِنْ بَلَغَ عَشْرَةَ آلَافٍ. فَقُلْتُ: عَشْرَةٌ؟ فَقَالَ: وَإِنْ بَلَغَ عَشْرِينَ آلَافًا. قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ قَالَ: وَإِنْ بَلَغَ ثَلَاثِينَ آلَافًا فَاشْتَرِهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْ أُعْطِيَ مَالِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ غَضَبَةٍ أَعْصِبُهَا. فَقُلْتُ: مَا هَذَا إِلَّا تَكَاثُرُ النَّاسِ وَفَخْرُهُمْ فَقَالَ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِالْدُّنْيَا بَأْسٌ، مَا تُدْرِكُ الْآخِرَةَ إِلَّا بِالْدُّنْيَا، فِيهَا يُوَصَّلُ الرَّحِمُ، وَيُفْعَلُ الْمَعْرُوفُ، وَفِيهَا يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَذْهَبَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ فَتَفْعُلُوا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ تَقُولُونَ: قَبَّحَ اللَّهُ الدُّنْيَا، وَلَا ذَنْبَ لِلدُّنْيَا.

(٢)

وقد أصيبت كثير من جهات الخير بضعف الإمكانيات وهي تتعلق بميزانيات الجمعيات التطوعية والتي غالباً ما تعتمد على اشتراكات الأعضاء وتبرعات المحسنين كما في الجمعيات

(١) صحيح البخاري (١٤٦٥)

(٢) إصلاح المال لابن أبي الدنيا (١٠١)

الخيرية وتبرعات المؤسسات والشخصيات وبعض الموارد المالية والتي غالبًا ما تقف عشرة أمام تنفيذ برامجها ونشاطاتها

ويرجع هذا إلى أسباب عديدة أهمها:

- ١- المتطلبات التي تفوق إمكانية هذه المؤسسات
- ٢- فرض الضرائب والرسوم الجمركية على معدات وأجهزة وآليات المنظمات والهيئات التطوعية.

٣- عدم توفر المباني والتجهيزات الإدارية.

٤- عدم وفرة لمصادر التمويل.

ومن هنا فإن البحث عن مصادر لتمويل برامجها أكد، ولعل من أبرز الحلول:

أ- إيجاد مصادر وقفية استثمارية لتغطية نشاطاتها.

ب- مساهمة الحكومة في منح تلك الجمعيات أراضي لإقامة مشاريعها ومقارها لتعفيها من رسوم الإيجار.

ت- زيادة الدعم الحكومي للجمعيات التطوعية.

ث- منح الجمعيات إعفاءات من الرسوم الحكومية وتخفيضات في أسعار التذاكر والشحن والجمارك، والإعلانات في وسائل الإعلام للإعلان عن نشاطاتها وبرامجها.

ج- تخصيص جزء من إيرادات بعض الرسوم والضرائب المحصلة لصالح الجمعيات الخيرية وإعفاء المتطوعين بآهم وجهدهم من الضرائب بما يتناسب مع قيمة التبرعات والأعمال الخيرية^(١).

(١) راجع بتوسع مبحث مصادر العمل التطوعي من هذه الموسوعة.

٩- قلة وضعف الكفاءات:

العمل التطوعي يحتاج لأشخاص ذوي تدريب متميز على القيام بهذا الدور، وإن من أعظم العقبات التي نراها تعوق مسيرة العمل التطوعي ضعف الكفاءات المتميزة التي تدير العمل التطوعي وجذب أكبر عدد من المتطوعين للمشاركة الفعالة في النهوض به، ولهذا الضعف نرى أشخاصًا غير مؤهلين لهذه المهام،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. (١)

ينبها هذا الحديث العظيم إلى علة مبيدة متلفة، من عللنا الاجتماعية المختلفة وهي قيام نهضتنا على جهاز تندس فيه بعض العناصر التي لا تصلح لأن تكون في الأساس لأن الأساس يجب أن يتكون من حجارة قوية صلبة تثبت لما يقوم عليها من بناء، وإلا تضعضع البناء ثم انهار وأدركه الدمار.

لذلك نرى المجتمع الإسلامي الأول قد قام على دعائم ثابتة قوية، من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وباقي العشرة المشهود لهم بالجنة وما ثبتت لهم شهادة الصادق الأمين بالجنة، حتى ثبتوا معه، ثبوت الأطواد في إقامة دعوته على دعائم ثابتة راسخة، ضمنت لها الخلود والبقاء، ومن أحق بالجنة من هؤلاء الذين تكونت منهم أسرة الإسلام الأولى؟.

وقيام الساعة علامة على اختلال الأمور، وانتشار الفوضى، وانقلاب الأوضاع، وخراب المجتمع، كما يحدث عند قيام الساعة، ولا غرابة في ذلك فإن العالم يقوم على قواعد ثابتة، وأنظمة محكمة فمتى سرى الاختلال والفساد إلى هذه القواعد والأنظمة فقد قامت قيامة العالم وإدركته نهايته.

وقد عرف العرب قديما، هذا الداء فقالوا: (أعط القوس باريها) وقال شاعرهم:

يا باري القوس برياً لست تحسنها

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٦).

لا تفسدنها وأعط القوس باريها

فهذه العلة- أن يقوم بالأمر من لا يحسنه- عله قديمة، أصطلى الناس بنارها مند القدم، ولم يتمكنوا من الإفلات منها إلى اليوم، وهي كذلك عامة في كل حركة من الحركات، وفي كل ناحية من نواحي الحياة، تقوى هنا وتضعف هناك، وتعلم في ناحية، وتجهل في أخرى. كم متطفل على التعليم، أفنى عمره في إفساد النشء الصالح وتضليل الشباب الطامح، فقلب الحقائق، وطمس المعالم، وجاءت على يده البصائر حولا وكم مدع للطب، جلب الداء، وضاعف البلاء، وأهلك الحرث والنسل وكم من مباشر لمهنة، جهل مهنته، فأضاع وقته، وخان أمته، من حيث يدري أو من حيث لا يدري.

إن تنسيق الأوضاع، وترتيب الكفاءات، وإعطاء القوس باريها، وإسناد الأمر إلى أهله، أمور لا بد منها. (١)

ولهذا كانت السنة حافلة ببيان تولية الأكفاء وتنحية الضعفاء

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا. (٢)

١٠- عدم الاكتراث بأهمية العمل التطوعي:

(١) دراسات وتوجيهات إسلامية (ص: ٣٤٣).

(٢) صحيح مسلم (١٨٢٥)

ترجع أهمية التطوع ليس لكونه عملاً يسد ثغرة في نشاط الدولة والهيئات الاجتماعية فقط، بل أهميته الكبرى تكون في تنمية الإحساس لدى المتطوع ومن تقدم إليه الخدمة (المواطن) بالانتماء والولاء للمجتمع، وتقوية الترابط الاجتماعي بين فئات المجتمع المختلفة والذي اهتز بعوامل التغير الاجتماعي والحضاري إضافة إلى إن التطوع يكون لوناً من ألوان المشاركة الإيجابية ليس في تقديم الخدمة فقط ولكن في توجيه ورسم السياسة التي تقوم عليها تلك المؤسسات الاجتماعية ومتابعة تنفيذ برامجها وتقويمها بما يعود على المجتمع ككل بالنفع العام، وكلما كثر عدد المتطوعين كلما دل ذلك على وعي المواطنين وحسن تجاوبهم مع هيئات ومنظمات المجتمع.

جاء الحث على العمل التطوعي في كافة الشرائع السماوية واعتباره نوعاً من الدعم والمؤازرة فيما بين البشر بعضهم بعضاً، ومع تعقد الحياة في كافة جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والأمنية أضحت على الدول التي تواجه هذه المعضلات البحث عن شريك آخر يساهم معها في المواجهة والتصدي لتلك المشكلات، فرأت أن فتح باب التطوع لكافة الفئات سوف يساهم في توفير فرص خدمة اجتماعية تقدم بشكل طوعي ومن خلال جمعيات ومنظمات متخصصة تستقطب تلك الفئات وتقوم بتدريبها وتأهيلها وتمهينتها للانخراط في الخدمات العامة.^(١)

(١) العمل التطوعي أهميته، آثاره، عوامل نجاحه، معوقاته لواء/ مساعد بن منشط اللحاني، وراجع بتفصيل تحت هذا العنوان في هذه الموسوعة مبحث أهمية العمل التطوعي.

١١- الجهل بالأحكام الشرعية المتعلقة بالعاملين في المجال التطوعي

كثير من القائمين على أعمال البر وخدمة المسلمين عندهم حب لما يقومون به وحرص على نفع غيرهم بما يملكون، ولكن هذه الرغبة وهذا الحرص لا بد أن يكون منضبطاً بموافقة الشرع، والواقع يشهد أن الكثير من جهات الخير وبعض الأفراد يقعون في مخالفات شرعية وهو يقوم بهذا الدور الهام في تخفيف الكوارث ورفع الضر عن المتضررين، وعلى هذا فلا بد أن تقيد جميع الأعمال بما شرعه الله تعالى وسنه في الوسائل والغايات فأحياناً تستعمل وسائل غير مشروعة لهدف نبيل، ويمكن أن نلاحظ أهم المخالفات المترتبة على الجهل:

- ١- الجهل بفقه جمع الأموال من المتبرعين وتوزيعها
- ٢- الجهل بمصارف إنفاق الأموال وفصل كل نوع عن الآخر خشية الالتباس، فرب العالمين جعل لكل نوع من الكفارات والزكوات مصارف يجب أن تخرج على وفق مراد الله تعالى وشرعه
- ٣- الجهل الواقع في أمور الحسبة وضوابط التغيير للمنكر ومراتبه
- ٤- الجهل في التعامل مع الأرامل والأيتام بما يجعل القائم يتصرف باستعلاء وكبرياء معهم
- ٥- الجهل في التعامل مع أبناء السبيل فالسائل لا يرد مطلقاً ولا تقبل دعواه مطلقاً والأمر يحتاج إلى فطنة وعلم حتى لا يظلم أو يمنع مستحقاً من بعض حقوقه
- ٦- الجهل يؤدي إلى مخالفات سلوكية عند الأفراد القائمين بالعمل التطوعي فيفقدون المصداقية عند الناس عامة والمتصدقين خاصة
- ٧- الجهل يؤدي إلى وقوع الحسد والبغضاء بين العاملين في الحقل التطوعي بما يجعل التنافس بينهم غير شريف
- ٨- الجهل مدعاة إلى الخيانة في العمل وتحصيل امتيازات ومآرب دنيوية تفسد العمل كله وتسقطه من أعين الناس

٩- الجهل يؤدي إلى تجاوزات بين القائمين بالأعمال التطوعية فيتلبثون بالمنكرات والمعاصي فتسقط هيبة العمل ولا يباركه الله تعالى.

فالجهل داء قاتل يردي صاحبه، وأعظم أنواعه: الجهل المركب فيسير المرء في حياته على جهل وهو لا يعلم أنه جاهل بل يظن نفسه على الحق والهدى، يقول الله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} (الكهف: ١٠٤) وهذه الآية وإن كانت في اليهود والنصارى فهي عامة بلفظها، كل من عمل عملاً يظنه حسناً وإلى الله مقرباً، وحقيقة عمله أنه سيء وهو فيه لله مسخط والعياذ بالله، وهذا من الجهل بدين الله، ومن ذلك قول الله تعالى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا} (فاطر: ٨) وقد قيل:

ما يبلغ الناس من جاهل

ما يبلغ الجاهل من نفسه

سمى الله العلم نوراً، وسمى الجهل ظلمة، قال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} (البقرة: ٢٥٧).

الجهل داء عضال، وهو ضد العلم، والعلم نور، والجهل ظلمة، وضرره على الإنسان أعظم الضرر في الدنيا والآخرة، بل آثاره السلبية الخطيرة تصيب الإنسان في: عقله، وقلبه، وجوارحه، ورزقه، وصحته، وعلاقته بربه وعلاقته بغيره، وعلاقته بالكون كله، لأن العلم ينير للإنسان حياته كلها؛ فإذا لم يتعلم قاده الجهل إلى تصور الأمور بغير ما هي عليه، وتعامل مع غيره بعكس ما يجب أن يتعامل به، وعمل عكس ما يجب أن يعمل؛ ولذلك أمر الله ورسوله بالعلم، وحث عليه، وحذر من مغبة الجهل وما يترتب عليه؛ نسأل الله أن يعلمنا من لدنه علماً، وأن يزيل عنا الجهل بمنه وكرمه.

قال ابن القيم: الجهل قسمان:

١ - بسيط وهو عبارة عن عدم المعرفة مع عدم تلبس بضده.

٢ - ومركب وهو جهل أرباب الاعتقادات الباطلة.

والقسم الأول هو الذي يطلب صاحبه العلم، أما صاحب الجهل المركب فلا يطلبه (١).

ومن علامات الجهل حمل الإنسان لأمانة لا يستطيع أداؤها:

قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (الأحزاب: ٧٢-٧٣).

أورد ابن كثير عدة أقوال في معنى الأمانة منها: أنها الفرائض، وقيل: هي الطاعة، وقيل: الدين والفرائض والحدود، وقيل: الغسل من الجنابة، وقيل: الصلاة، والصوم، والاعتسال من الجنابة. ثم قال: وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأمر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله، وبالله المستعان (٢).

وهذه الآية تدل على أن الإنسان عندما تحمل هذه الأمانة كان يجهل تكاليفها ووافق على شرط هذا التكليف وهو النعيم لمن أطاع والعذاب لمن عصى لكنه لفرط ظلمه لنفسه، وفرط جهله بربه وبشرعه تحملها ووقع فيما وقع فيه لكن الله وعده بالمغفرة والرحمة إذا أقبل إليه وتاب من ذنوبه.

وعلى هذا لا بد لكل مؤسسة تطوعية وضع مرجعية علمية يقوم عليها أهل العلم والفضل ليبينوا ما يحل وما يحرم لتسير على وفق شرع الله تعالى ولا تنحرف عن المسار الذي من أجله قامت

وقد حذر رسول الله ﷺ من اتخاذ رؤساء جهالاً يستفتون فيفتون برأيهم، فيضلون ويضلون

(١) بدائع الفوائد ٤ / ٢٠٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٦ / ٤٧٧.

عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون (١)".

قال ابن حجر: وفي رواية حرملة "ويبقى في الناس رؤساء جهالاً" . . . وعند الطبراني "فيصير للناس رؤس جهال" هذه رواية هشام بن عروة، أما رواية الزهري عن عروة بعد أن يعطيهم إياه، ولكن يذهب العلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم . . . (٢)

إن زينة الأرض العلماء، وهم حياة الناس؛ وكيف يحيا العباد من دون علماء لكنه سيأتي على الناس زمن يقبض الله فيه العلم، وقبضه ليس انتزاعاً ينتزعه إنما هو بموت العلماء، فإذا مات العلماء مات العلم معهم، فيتصدى للفتيا رؤساء جهالاً؛ فيضلون أنفسهم ويضلون الناس لأنهم غير علماء، وهذه ثمرة الجهل: الضلال والعمى والتخبط في الظلمات من الرؤساء الذين نصبوا أنفسهم في منزلة العلماء فضلوا وأضلوا، ومن العامة الذين سألوا هؤلاء الجهال فأضلواهم لأنهم أفتوهم بغير الحق.

ولعلنا نوفق في هذه الموسوعة أن نقدم ما يحتاجه المتطوع من أحكام شرعية وضوابط وقواعد ترفع عنه جهلاً يضره وتحليه بعلم يهتدي به ويسير عليه ويتقرب إلى الله به.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٠٧).

(٢) فتح الباري ١٣ / ٢٨٤، ٢٨٥.

١٢- عدم توافر برامج خاصة لتدريب المتطوعين قبل تكليفهم بالعمل.

إن العمل الإسلامي المعاصر تظهر معالمه في صور متعددة، فهناك المسجد وحلقاته ودروسه، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجامعات الإسلامية، والمراكز الدعوية الرسمية منها والتعاونية، ومراكز دعوة الجاليات، والعمل الإعلامي الاقتصادي، وجهود الأفراد والجماعات في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

والعلة الكبيرة في جُل تلك الأعمال - فيما أظن وأقدر - هي ضعف التدريب وسوء التوجيه وقصوره؛ فالمسلم المعاصر مطالب بالدعوة إلى الله تعالى - كما طوّل أسلافه - بنص كتاب الله تعالى {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤]، ثم إنه - في حقيقة الأمر - لا يعرف الكيفية الإيجابية للدعوة، ولا الخطوات الشرعية الصحيحة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب أنه لم يُدرَّب على ذلك التدريب الكافي، أو لم يدرَّب على ذلك أبداً، ولم يُخطَّ معه الخطوات اللازمة لتعريفه وإرشاده.

والشواهد على هذه المسألة أكثر من أن تُحصَر وأكبر من أن تغفل فتُحضر؛ فالمسجد - مثلاً - يقوم عليه إمام حائز على شهادة نظرية، لكنه لم يدرَّب على الإمامة ومواجهة المصلين والقيام بحقوق أهل الحي وجمع قلوبهم وجهودهم والإجابة على أسئلتهم الشرعية والاجتماعية، بل جيء به - غالباً - إلى مسجد ما ولم يسبق له أن درَّب على ما سيقبل عليه، والأدهى من ذلك أنه يؤتى بأشخاص إلى الجوامع الكبيرة والمساجد المهمة، وكل ما يملكونه من رصيد هو جمال الصوت، لكن لم يدرّبوا ولم يؤهّلوا.

والمراكز الدعوية ومراكز دعوة الجاليات إنما يتصدى للعمل فيها أناس نحسبهم مخلصين لكن يُعوّزهم التدريب الكافي، وتستخلص خبرتها بدوران عجلة العمل اليومية، وليسوا متدرّبين في الأصل التدريب الكافي على هذا العمل المهم.

والعمل الخيري الإغاثي والتربوي - في هيئاته وجمعياته ولجانه - يقوم عليه أناس لا تنقصهم الغيرة ولا الحماس لكنهم غير مخصصين، ولا دربوا التدريب الكافي على هذا الباب المهم من أبواب العمل الإسلامي، إلا قليلاً منهم، والقاعدة ما ذكرت.

والعمل الإعلامي - المقروء والمسموع والمرئي - يقوم عليه أشخاص ليس لأكثرهم تجارب سابقة، ولا تصورات صحيحة، ولا قواعد منضبطة مستقيمة فيما ينبغي عليهم عمله أو تركه، وما الذي يبيث وما الذي يحجب عن العامة، وهكذا. . .

لذلك كله احتاج العمل الإسلامي - بجوانبه المختلفة - إلى الأخذ الجاد بأساليب وطرائق التدريب العملي القائم على أسس نظرية صحيحة حتى نستطيع أن نستجيب لمتطلبات هذا العصر المعقدة، ونجاري غيرنا من الأمم الكافرة التي استطاعت أن تصل إلى درجات عالية من الرقي لأخذها بجملة أسباب، منها التدريب الجاد والمتواصل في مجالات الحياة كلها تقريباً.

أما الحديث عن أفراد الدعاة إلى الله تعالى وأحوالهم في باب التدريب والممارسة فهو حديث ذو شجون وهموم، وتناوله يحتاج إلى بسط وتفرع:

كيف يكون داعية من لا يستطيع الحديث في المجالس، أو لا يجيد توجيه أحدثه، أو أنه لا يغشى مجالس الناس أصلاً، ولا يتعب نفسه في المحاوراة مع أهلها، ومجتمعنا المعاصر بحاجة ماسة إلى من يأخذ بيده ويجادل المعاند والضال، ويشجع المتردد ويأخذ بيد المقدم، وأزعم أن المقدم قد وجد من يأخذ بيده لكن الطوائف الأخرى لم تُسعد بعد ولم توجه لها الجهود الكافية.

إن دعاة اليوم لم يدربوا على هذا الأمر، ولم يفكروا فيه كما ينبغي، إلا طوائف قد نذرت نفسها لهذه القضية التبليغية، مغفلة ما سواها من قضايا مهمة كثيرة، فالتوازن المطلوب هو أن يكون الدعاة جامعين بين الدعوة العملية والإدارة النظرية، ولو أغفل جانب وعُني بآخر لحصل النقص واتسع الخرق.

يقول الأستاذ عبد البديع صقر رحمه الله تعالى:

لا يستحق اسم الداعية إلا من كان صالحاً لهذه الوظيفة الربانية، بأخلاقه وتخلّقه جميعاً، كما يقول الله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} [فاطر: ٣٢]. فالداعية إنسان مجهز تجهيزاً خاصاً ليقوم بمهمة شاقة دقيقة كتلك التي دعا إليها الأنبياء والمرسلون، فما أعظمها من رسالة... (١)

ويقول أحد المفكرين: إن أوضاع بعض العاملين للإسلام مؤسفة، وذلك لتركيز كثير من العاملين على القضايا النظرية الأكاديمية... الأمر الذي جعل نسبة العاملين المثقلين بالأعباء لا تزيد عن ٥٪ بينما يظل ٩٥٪ متفرجين. وهؤلاء يكونون كلاً وعبئاً ثقيلاً تحملهم المؤسسة عوضاً أن يحملوها... .

فعلى الدعاة إذاً أن يسعوا لتحقيق التغير في المجتمع وأن يسهموا فيه؛ فكل برامج التدريب وتركيز النفوس إنما تهدف إلى جعلهم أداة في عملية التحول الاجتماعي، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١]. (٢)

فالتدريب للعامل في المجال التطوعي أمر لازم وتكمن أهميته في نقاط منها:

١- اكتساب معلومات ومهارات جديدة:

هذا وإن بإمكان التدريب أن يشعر المتطوع باكتساب معلومات ومهارات وطرق جديدة لا عهد له بها، كما أن بإمكانه أن ينعش معلومات ومعارف ذبلت.

٢- التدريب طريق الارتقاء:

إن من أهمية التدريب تمكين المتطوع من أداء عمله أداءً متقناً كما حث على ذلك النبي ﷺ بقوله: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ". (٣)

(١) كيف ندعو الناس ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي (٩ - ١٩) تأليف: د. محمد بن موسى الشريف. بتصرف واختصار.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١١١٣).

ولذا فمن غير المستغرب أن تكون أمريكا على رأس قائمة الدول المهتمة بالتدريب حيث تنفق عليه بسخاء بالغ، وتذكر بعض الإحصاءات أن أمريكا حكومة وشعباً تنفق على التدريب سنوياً ١٢٠ مليار دولاراً.

ومن اللافت للانتباه أنه كان في أمريكا عام ١٩٥٨ (٣٢) محطة تلفزيونية تُعنى بالتعليم والتدريب، ومعظم دولنا الإسلامية خالية من أية محطة تعليمية أو تدريبية إلى اليوم.^(١)

٣ - تشجيع العامل المتطوع على أن يقوم بعمله خير قيام أملاً في تحسين سجل حسناته عند خالقه عز وجل القائل: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف: ٣٠]

٤ - القضاء على المشاكل الإدارية أو الفنية التي تعترض العمل التطوعي، أو التخفيف منها من أجل تيسيره وتسهيله؛ استجابة لدعوة الرسول ﷺ: يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنْفِرُوا.^(٢)

٥ - إيجاد تعاون جماعي فعال بين العاملين المتطوعين، وتنشيطه نتيجة لتوافر المهارات والمعلومات بينهم بشكل يكمل بعضهم بعضاً، ولأرب أن هذا التعاون مطلوب شرعاً لقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: ٢]^(٣)

٦ - يكسب الشخص المتدرب ثقة في نفسه، وقوة في انطلاقته لم يكن يجدها في نفسه من قبل؛ إذ المرء مجبول على الخوف مما يوكل إليه ويُنَاط به، ومحسب لذلك حسابات متعددة، فإن دُرِب على ما هو مقدم عليه فإنه يزول بذلك ما يجده في نفسه من تخوف وتحسس وجهود وقصور، ويُقبل راضياً سعيداً على ما كلف به من أعمال مهما عظمت أهميتها وصعب القيام بها.

وإن كثيراً من الناس يجمعون عن العمل التطوعي لفقده لهذه الثقة، وهو أن لديه القدرة على أن يفعل ولكنه يحتاج إلى تدريب وتأهيل، فما أن يدرب ويؤهل حتى يظهر منه ما لم يكن يتوقعه الفرد من نفسه قبل ذلك.^(١)

(١) حول التربية والتعليم د/ عبد الكريم بكار (٣٩٨ - ٤٠٠) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظر: مقدمة في الإدارة الإسلامية (٤١٦ وما بعدها).

١٣- غياب التوعية الإعلامية:

أهمية الإعلام:

- ١- التأثير الكبير على الرأي العام.
- ٢- أن دور الإعلام اليوم لا يقتصر على نقل الخبر فقط أو رواية الأحداث في العالم، بل إن الخطر أكبر بكثير، فإن الحرب القادمة لن تكون حرباً عسكرية، وإنما حروب إعلامية أي أن الإعلام سيأخذ مساحة ودوراً كبيراً في حياة الإنسان حتى تكون خلافات الأمم منصبة فيه.
- ٣- أهمية الإعلام الإسلامي تكمن في تصحيح المفاهيم.
- ٤- يعتبر الإعلام في هذا العصر المحرك الأساسي للفكر وعليه فإن المسؤولية التي تقع على الإعلاميين كبيرة، فالإعلام مرآة المجتمع، ومؤشر لصناع القرار والعين الراصدة لقضايا المجتمع.

٥- الإعلام من أعظم أنواع التسويق الفكري والتجاري والسياسي.^(٢)

علاقة العمل الخيري بالإعلام:

تتجلى هذه العلاقة في ثلاث نقاط:

١. أن العلاقة بين العمل الخيري والإعلام حقيقية، لأنه عمل صادر عن دين هو للناس كافة.
٢. أن الإعلامي الإسلامي ليس وليد اليوم، ولم يكن نتاج حضارة حديثة أو مدنية متطورة، والعمل الخيري بالدرجة الأولى عمل إسلامي.
٣. أن الإعلام للعمل الخيري إعلام متميز عن سواه لأنه منبثق من الإعلام الإسلامي، الذي حمل مبادئ أخلاقية، وأحكاماً سلوكية، وقواعد وضوابط لا يحيد عنها، فهو إعلام واضح صريح، عفيف الأسلوب، نظيف الوسيلة، شريف المقصد.

مهمة الإعلام بالنسبة للعمل الخيري:

^(١) كيف نرتقي بأنفسنا، د. عبد الكريم بكار (٥٣، ٥٤). وراجع تفصيل ذلك في آليات العمل التطوعي

من هذه الموسوعة

^(٢) الفضائيات الإسلامية بين الواقع والطموح الدكتور/ عبد المحسن زين المطيري.

يمكن أن تحدد مهمة الإعلام بالنسبة للعمل الخيري بالخطوات التالية:

١. التعريف بالعمل الخيري ومجالاته.
 ٢. التصدي للحملات المعادية التي يتعرض لها.
 ٣. إبراز الدور الرائد الذي قام به العمل الخيري في دعم المسيرة الإنسانية والرقى بها وتنمية جوانبها.
 ٤. تجميع الطاقات العاملة فكرياً وثقافياً وعلماً وقوة بشرية وحشدتها في سبيل دعمه وخدمته.
- وبتأمل الواقع نجد أن وسائل الإعلام لم تستطع أن تقدم التغطية الشاملة لتلك المهمة مع أن العمل الخيري فيه الكثير من التفاصيل التي تجذب انتباه الجماهير وتحرك العواطف والاهتمامات الإنسانية.

إن للعمل الإعلامي المخطط أهمية كبرى لا تقاس فقط بجلب التبرعات للجهة الخيرية، فالعمل الإعلامي المنظم يعرف الجمهور بالجهة وأعمالها ويرسم صورة جيدة لديهم عنها، ويوجد شعوراً بالرضا نحوها لما تقوم به وربما صحح العمل الإعلامي بعض المفاهيم الخاطئة عنها، وأعطى صورة ذهنية حسنة تجاهها وكل هذه الآثار وغيرها تقاس بالدراسات العلمية المصاحبة للجهد الإعلامي المخطط، كما أن التعاون الإعلامي بين الجهات الخيرية والمؤسسات الإعلامية يساهم في تحقيق التكامل بين العمل الخيري ومؤسسات المجتمع الأخرى وهو المطلب الذي ناشد به قادة العمل الخيري. وعليه فلم يعد لأي جهة خيرية غنى عن جهاز إعلامي متطور يقدم الوظيفة الإعلامية ويساهم في دعم مسيرتها.

أسباب القصور الإعلامي في الجهات الخيرية:

- ١- نقص الخبرة.
- ٢- عدم وجود الموارد الإعلامية.
- ٣- غياب المفهوم الشامل للعمل المؤسسي.
- ٤- توهم التعارض بين الإخلاص ونشر بعض الأخبار والأفكار والمشروعات.
- ٥- الاعتقاد بأن العمل الإعلامي يعني التزيين والمبالغة أو الكذب.

٦- ضعف الإمكانيات والتخطيط.

٧- عدم اقتناع الإدارة العليا بأهمية العمل الإعلامي.

٨- ضعف توظيف الإمكانيات الإعلامية الموجودة.

٩- القيام بالعمل الخيري على أنه هواية لا مهنة.

الإمكانيات المطلوبة لتنفيذ الخطط الإعلامية:

أ- القوى البشرية وغالبًا ما يكون النقص فيها ولعلاج ذلك لابد من الإعداد بالتدريب في المجالات وعقد الدورات للقائمين بالعمل الإعلامي، والاستفادة من أهل الاختصاص والتعاون معهم.

ب - الإمكانيات المادية والتقنية الحديثة.

ج - الإمكانيات التنظيمية.

د - الإمكانيات المالية.

٤- تنفيذ الخطط والبرامج الإعلامية:

أما عمليات التنفيذ فتشمل ما يلي:

١- إعداد الإنتاج اللازم سواء كانت برامج إذاعية أو تلفزيونية أو مصورات أو أفلامًا وثائقية.

٢- تحديد وسائل استعمال هذا الإنتاج الذي تم إعداده، وكيفية الاستفادة منه بأحسن صورة ممكنة.

٣- اتباع الخطط والسير في ضوء مؤشراتها^(١).

(١) انظر: التخطيط الإعلامي في الإسلام. محمود كرم سليمان وانظر: التخطيط الإعلامي للجهات الخيرية.

الدكتور/ إسماعيل بن أحمد النزاري.

١٤- التقليل من دور الشباب في العمل الخيري:

بعض الناس يهرب من أخذ القرارات وتحمل المسؤوليات، ويظن فيه من حوله أنه إنسان غير ناضج أناي، يفتقر للشجاعة والجرأة. لكن الحقيقة أن فكرة تحمل المسؤولية قد تكون بالفعل لدى هؤلاء الأشخاص غير محتملة وبل ومثيرة للانزعاج الذي يصل لدرجة الخوف المرضي، فيخافون من نظرة الآخرين لهم وحكمهم عليهم ومن مواجهة من حولهم بأرائهم واختياراتهم أو يخافون من فقد استقلاليتهم إذا ارتبطوا بغيرهم وأصبحوا مسئولين عنهم.

ولا شك أن تحمل مسئوليات العمل والأسرة وغيرهما تعد عبئاً وجزءاً من الضغوط التي تواجه كلاً منا ولكن إحدى الدراسات أثبتت أن ٢٠٪ من الناس يولدون ولديهم حساسية مفرطة من الضغوط التي تواجه كلاً منا ويظهر ذلك عند تعرضهم لمواقف يجبرون فيها على المواجهة وتحمل المسؤولية، فيتملكهم التوتر والقلق الشديد والذي لا يجدون منه مفرًا إلا تجنب هذه المواقف قدر استطاعتهم، وهذا يجعلهم متهمين بالتخاذل عن مسئوليتهم، وهذا السلوك يحلله علماء النفس بأنه ناتج عن رغبة مثل هذا الشخص في إخفاء عيوبه ونقاط ضعفه - التي لا يرى في نفسه شيئاً غيرها - عن الناس، فهو منذ طفولته تلح عليه صورة أنه ليس كفئاً للقيام بأي شيء بمفرده ربما نتيجة محاولاته المستمرة لإرضاء والديه بما قد يفوق طاقته وسعيه الدائم للوصول إلى المثالية.

و حين يفشل في ذلك تهتز ثقته في قدرته على القيام بأي عمل وحده ومع الوقت يصبح أسلوبه في الحياة إما تسليم قيادته للآخرين أو الهروب من مسئولياته، والحل يحتاج لتغيير بعض المفاهيم أو الأفكار لدى هذا الشخص منها أنه لن يستطيع الهروب إلى الأبد، وفكرة أن يحاول ويفشل أفضل من أن يظل خائفاً من التقدم خطوة نحو مسئولياته، وليس صحيحاً أنه بهذا سوف يظل حراً بلا ارتباطات لأنه بتخليه للآخرين عن مسئولية قراراته وتبعيته الدائمة لهم سوف يفقد هذه الحرية تماماً.

و للمحيطين به دور لا يغفل، فعليهم أن يكسبوه الثقة في أنه لم يعد طفلاً وفي أنه كأي شخص ناضج لديه القدرة على اتخاذ قرارته وتحمل تبعاتها للنهاية، وبالتدريج سوف يستبدل هذه

النظرة المتدنية لنفسه بنظرة أكثر واقعية وثقة فيقبل على تحديات ومسئوليات حياته بنفس قوية مستعينا بربه ومتوكلا عليه سبحانه.^(١)

ويمكن أن نجمل أسباب المشكلة فيما يلي:

أ- اتكاله على الآخرين في تحمل هذه المسؤولية.

ب- عدم الثقة بالنفس لوجود نواقص معينة في الشخصية.

ت- هناك نمط آخر يحس بالمسؤولية ولكنه يتكاسل ويتقاعس عنها بسبب الرغبة في الراحة ليس إلا.

ث- تقوقع الفئة النشطة على نفسها وعدم سعيها لدمج الفئات الأخرى من المجتمع ضمن نشاطاتها.

ج- حالات التراجع والانكفاء التي تحصل للكثيرين وذلك بعد أن يتحملوا بعض المسؤوليات ويصطدموا ببعض المصاعب التي لم يحسبوا حسابها من قبل.

ح- حالة الانفلات والتسيب والتقصير التي قد تعاني منها البرامج الدينية والاجتماعية، وهي ناتجة في الغالب عن كون هناك هذه الأنشطة تطوعية لا تحمل درجة الإلزام، ولهذا لن يكون هناك من يمكنه محاسبة المقصرين.

الشباب قوة عظيمة، وفرصة لا تعوض.

لا يحقر الشاب نفسه في أداء دوره، قال الزهري لبعض الشباب: "لا تحقروا أنفسكم لحدثة أسنانكم؛ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به أمر دعا الشباب، فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم"^(٢)

وقال الحسن البصري: "يا معشر الشباب عليكم بالآخرة فاطلبوها، فكثيراً رأينا من طلب الآخرة، فأدركها مع الدنيا، وما رأينا أحداً طلب الدنيا، فأدرك الآخرة معها"^(٣)

(١) لماذا نخاف من المسؤولية؟ مروة الذؤيبى.

(٢) سنن البيهقي الكبرى (١٠/١١٣).

(٣) الزهد الكبير للبيهقي (١/٦٥).

وقال محمد بن يوسف: "كان سفيان الثوري يقيمننا بالليل؛ يقول: قوموا يا شباب صلوا ما دمتم شباباً" (١).

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: "ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كُفِّي فسقط" (٢).
والمستول عن إعداد الشباب هذا الإعداد الجيد، عليهم أن يقوموا بدورهم الفعال في صد الغارة عن العالم الإسلامي، هم ثلاثة أصناف من المجتمع، وهم:

١- العلماء.

٢- الحكومات.

٣- أصحاب الأموال، بالإضافة إلى أن كل مسلم مطالب بالدعوة إلى الله تعالى، حسب إمكانياته وطاقاته، ويجب أن يكون كل ذلك مقروناً، بالحكمة والموعظة الحسنة.

صور مشرقة من تحمل شباب الصحابة للمسؤولية

تميّز صحابة النبي ﷺ تميّز شبابهم بتحمل المسؤولية، بتحمل الأعباء، بتقلد الأمور، وهم في السن المبكرة؛ لأن هذه النفوس الوثابة، وهؤلاء أصحاب التضحية العظيمة كانوا يريدون فعلاً نصره الله ورسوله، كانوا يريدون عز الإسلام، وطاعة الرحمن.

زيد بن ثابت

عَنْ خَارِجَةَ بِنْتِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْجَبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةِ سُورَةٍ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ: "يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي" قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأَحْبَبُّ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ (٣).

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (٩٦/١).

(٢) طبقات الحنابلة (٧٦/١).

(٣) أخرجه أحمد (٢١١٠٨)، والترمذي (٢٧١٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فهذا تعلم لغة بأكملها، تعلم لغة في خمس عشرة يومًا لحاجة النبي ﷺ، وحاجة الإسلام، وهكذا استمرت معه هذه الخصلة ليقال له بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام: "يا زيد" لكن القائل أبو بكر هذه المرة "إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه"، وهكذا يقول زيد، وهو يشعر بثقل هذه المهمة، والعبء الذي كُلف به: "فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. . . ، فقمّت، فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع، والأكتاف والعُشب، وصدور الرجال" (١).

وهكذا كُلف زيد رضي الله عنه برئاسة اللجنة التي شُكّلت من الصديق والفراروق لجمع القرآن الكريم، فأُتيّ مهمة تلك التي قام بها ذلك الشاب، نفعت أجيال الأمة إلى أن تقوم الساعة، ومن أسباب حفظ الله لكتابه.

وأسماء بن زيد رضي الله تعالى عنه لم يصل العشرين ويقود جيشًا، قال عليه الصلاة والسلام: ((وأيّم الله، لقد كان خليفًا للإمامة، وإن كان من أحب الناس إليّ)) قال عليه الصلاة والسلام في أبيه وفيه: ((وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده)) (٢).

سار بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل إلى شمال الجزيرة، ويتنصر على كل من لقيه حتى بلغ مؤته، وأدخل الرُّعب في قلب هرقل ومن معه، وكرّر راجعًا إلى المدينة سالمًا غانمًا بدون أن يقع شيء لجيشه حتى قال المسلمون: "ما رأينا جيشًا أسلم من جيش أسامة" يعني رجع سالمًا دون أي إصابة.

كان شباب الصحابة رضوان الله عليهم يقودون السرايا والبعوث، ويحملون رسائله عليه الصلاة والسلام، ويتنافسون في الخروج للتضحية بأرواحهم، ويردُّ سمرة بن جندب، ورافع بن خديج، فقيّل: "يا رسول الله، إن رافعًا رامٍ! يجيد الرمي، فأجازه، فقيّل: "يا رسول الله، إن سمرة يصرع رافعًا لو صارعه"، فأجازه، ويبكي عُمر رضي الله عنه، فيشفق عليه النبي

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥٠).

ﷺ ، فيجيزه، فعقد له أخوه سعد حمائل سيفه من صغره، وهكذا ذكر أصحاب السير والمؤرخون أنه قُتل ببدر، وهو ابن ستة عشر؛ قتله من صناديد قريش عمرو بن ود الذي انتقم منه علي رضي الله عنه بقتله في الخندق (١)

وهكذا وجد النبي ﷺ في أصحابه عددًا كبيرًا يصلح للقيادة والإدارة، والدعوة ونشر الإسلام، وهكذا كانوا بتربته عليه الصلاة والسلام رجالًا على صغر أَسنانهم؛ يحفظون الأسرار، يحملون الأخطار، يعبدون الله بالليل والنهار، ويضربون بسيف الحق الكفار. تلك العُصبة المؤمنة التي تابعت النبي ﷺ ، ودار الأرقم للأرقم بن أبي الأرقم المخزومي - على صغر سنه وهو شاب - كانت مقرًا للدعوة، ولقاءات النبي ﷺ بأصحابه، والمسلمين الجدد.

لم تكن قضية تحمل المسؤولية والأعباء مقتصرة على أمر الدعوة والجهد في سبيل الله، بل كانت أيضًا حِمْلًا للمسؤوليات الاجتماعية، فقد يموت الأب، ويخلف وراءه شابًا، وعنده تركة من الأخوات، من الإناث، من الضعيفات، فماذا يفعل؟ يقول جابر رضي الله عنه: أن أباه عبد الله مات، "وترك تسع بنات" كم هي ثقيلة هذه التركة؟! تسع بنات! البنت تحتاج إلى حماية، ورعاية، وتزويج من الكُفء، ولي، حكيم.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: هَلَكَ أَبِي وَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَزَوَّجْتُ يَا جَابِرُ، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: بِكَرًّا أَمْ ثِيْبًا، قُلْتُ: ثِيْبًا، قَالَ: هَلَّا جَارِيَةً ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَتَلَاعِبَكَ، أَوْ ثَضَاحِكُهَا وَتَضَاحِكَ، قُلْتُ: هَلَكَ أَبِي فَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: فَبَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ. (٢)

طرق العلاج:

(١) المفتي من سيرة المصطفى (١/١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٨٧)، ومسلم (٧١٥).

- ١- تنبيه الشباب على تحمل المسؤولية وحرمة التخلي عنها والتأكيد على ذلك والتواصي به كي لا نكون من الخاسرين الذين وصفهم الله في سورة العصر {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ}
- ٢- محاولة تشكيل لجان منظمة لتحمل المسؤوليات الدينية والاجتماعية وتوزيع المهام، لكي يتوزع الثقل علي الجميع، فلا يبهظ كاهل فئة دون أخرى.
- ٣- وضع البرامج المناسبة لخلق الكفاءات وتنمية المهارات والقدرات بهدف سد النواقص الموجودة بصورة تدريجية لمعالجة الأوضاع مستقبلا كي لا تكون معاناتنا دائمة.
- ٤- إيجاد بعض المحفزات والمرغبات من أجل جذب الآخرين ودفعهم لتحمل المسؤولية.
- ٥- تعديل الفهم المغلوط من أن النشاط الديني والاجتماعي عمل غير إلزامي، وليس هناك من يحاسب على التقصير فيه، فلا بد من الالتفات إلى أن هذا النشاط أهم من أعمال الدنيوية الأخرى، فالمحاسب فيه هو الباري عز وجل وكتابه الذي عبر عنه القرآن بـ {مَالِ هَذَا كِتَابٍ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} [الكهف: ٤٩]

١٥- الاستئثار بالعمل:

حينما يطلق العنان لهذه الغريزة لتوجه شخصيته وعلاقته بالآخرين فإنه ينتقل بنفسه من هذا المفهوم الفطري إلى مفهوم الأنانية، هذا المرض العضال الذي يفوق خطر كل غريزة لأنه يستخدم بقية الغرائز لإشباع متطلباته،

وجاء الإسلام لاستئصال هذا المرض أو ترويضه في إطار شرعي
عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ
لِنَفْسِهِ. (١)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما في حديث طويل قال ﷺ: فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحَّزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ. (٢)

فكما أنه يجب أن يعامل معاملة طيبة فعليه أن يعامل غيره معاملة طيبة، ولا يكون بخلاف هذا الوصف الذي أرشد إليه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ذم من يكون كذلك فقال: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [المطففين: ١ - ٣]، فهم عندما يأخذون حقهم يستوفونه ويأخذونه كاملاً، وعندما يؤدون الحق الذي عليهم يبخسونه وينقصونه؛ فيأخذون الحق كاملاً، ولا يعطون الحق الذي عليهم كاملاً.

إنَّ أكبر مشكلة تعانيها البشرية تبدأ في عالم الفرد، عندما يغلب الإنسان مصلحته على مصلحة الآخرين ومهما كان الثمن، وهذا هو تعريف الأنانية الذي ينطلق من الأنا. وعرفوا الأثرة:

فقالوا: أن يختص الإنسان نفسه أو أتباعه بالمنافع من أموال ومصالح دنيوية ويستأثر بذلك فيحجبه عمَّن له فيه نصيب أو هو أولى به. (١)

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٧١).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

الأسباب

إنَّ أسباب الأنانيَّة كثيرة، وأبرزها يعود إلى التربية الخاطئة ومن أمثلة ذلك:

- القدوة غير المناسبة.
- القسوة على الأبناء بالضرب والتأنيب والتحقير.
- الحرمان للطفل من الأشياء التي يحبها أو يراها عند الآخرين.
- عدم تعويد الأبناء على التسامح فيما بينهم، وتعويدهم على الانتقام.
- علاقة الوالدين بعضهما ببعض، بحيث لا يسود بينهما روح التسامح والتغاضي.
- التمييز بين الأبناء في المعاملة.
- حبّ الدنيا والشّهوات.
- غياب الوازع الدينيّ أو ضعفه.

ومن مظاهر الأنانية:

- التعصب:

حيث يتعصب الشخص الأناني لآرائه وأفكاره وجماعته. . .

- التكبر:

الإنسان الأناني ينظر إلى نفسه نظرة مضخمة ولهؤلاء رادع قرآني حيث قال الله تعالى في حقهم {أليس في جهنم مثوى للمتكبرين} (سورة الزمر - ٦٠)

- حب الظهور والرياء:

وحب الظهور والشهرة تعني رغبة الإنسان أن يعرف الناس أنه إنسان صالح أو غني أو كبير، بهدف استقطابهم وتسخير قلوبهم.

- الغرور:

حالة نفسية تعترى الأناني من الشعور بالقوة والعظمة والكمال فيتصور أنه في قمة الخير والفضل.

(١) نضرة النعيم ٩/ ٣٧٧١.

- الجشع المادي:

فنلاحظ مظاهر الأنانية في الحياة الاقتصادية، تتجسد في سلوك ذلك الإنسان الجشع المستأثر عندما يحتكر الطعام والدواء والسلع التي يحتاج الناس إليها ليضطرهم إلى رفع الأسعار وامتصاص دماءهم، أو عندما يقرّر المستوى المتدنّي من الأجور للعاملين معه، والتابعين لأعماله ومشاريعه.

- عدم التنازل عن أي مصلحة ولو لأهل الحاجة أو لأهل الاضطرار.

- عدم مراعات حقوق الآخرين.

أثر الأنانية والأثرة على الفرد والمجتمع:

للأثرة واختصاص الذات أو الأقارب بالمصالح والمنافع دون غيرهم أضرار كثيرة على الفرد والمجتمع، لأنّها نوع من الأنانية البغيضة يجلب الحقد بين الأفراد، ويمنع من وصول الحقوق لأصحابها، وتلك حالة تدعو إلى تدمير أصحاب الحق، وإلحاق الأذى بمن استأثر دونهم بالمال أو الوظيفة أو نحو ذلك ممّا ينبغي أن يكون الجميع فيه سواء.

إنّ الأثرة والأنانية إذا شاعت في مجتمع من المجتمعات انحلّ عقده، وانفصمت عراه؛ لأنّ ذلك ظلم لأصحاب الحقوق، وظلم أيضاً لذوي الأثرة الذين يحصلون على حقوق الغير، ممّا يجعلهم كسالى مغرورين، وإذا ما حدث تبدّل في الأوضاع، فإنّهم يطالبون برّد هذه الحقوق التي غالباً ما يكونون قد أضاعوها لعدم تعبهم في الحصول عليها، وحينئذ تنقلب المنافع إلى مهالك تهوي بهم في قاع السجون، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى، والأولى بالمسلم الحقّ ألاّ يؤثر نفسه، أو أقاربه، أو أصحابه، أو مقربيه بنفع لا يستحقّونه، حتّى لا يعود ذلك وبالا عليه وعليهم، وعليه أن يتحلّى بعكس هذه الصّفة وهو الإيثار بأن يفضّل غيره على نفسه، وحينئذ فقط يصبح من المفلحين الذين تخلّصوا من شحّ أنفسهم وبخلها بالمنافع على الغير، فإن لم يفعل فالواجب عليه العدل بأن يعطي كلّ ذي حقّ حقه، وله في أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة طيبة حيث مدحهم المولى - عزّ وجلّ - بقوله: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الحشر / ٩) وعلى من وقعت

عليه الأثرة أن يصبر ويحتسب من ناحية، وأن يطالب بحقه بالمعروف، سائلا المولى - عز وجل - أن يعينه، فالله سبحانه خير معين.

علاج الأنانية والأثرة:

- حساب النفس والتدقيق في ملفاتها كل ليلة.
 - الالتزام بما يتوجب دفعه من حقوق شرعية {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [المعارج: ٢٤-٢٥]، وذلك من خلال فريضتي الخمس والزكاة، وأيضا من خلال الصدقات.
 - التردد إلى المسجد الذي يؤمن بيته حاضنة للتواصل الطيب بعيدا عن كل الحسابات الدنيوية.
 - المشاركة في أعمال اجتماعية وخيرية.
 - التعود على عمل الفريق والجماعة.
 - ويعتمد على فكرة دعونا نرفض السعادة إذا لم نسعد من هم حولنا، وليكن شعارنا: الحياة تسع الجميع، أعيش ويعيش معي الكثيرون، وأرتاح ويرتاح معي الكثيرون، وأسعد ويسعد معي الكثيرون.
 - حاول كلما شعرت في نفسك أنك تحب أن تمتلك شيئا ما حاول أن تتصدق به أو بشيء منه.
- (١)

(١) انظر بحث: حب الذات المذموم عبدالله عامر، والشخصية الأنانية عبدالله الشثري.

١٦- ضعف التنسيق بين الجمعيات^(١)

الملاحظ أن نصوص الشريعة جاءت بالخطاب الجماعي فقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} وردت ٨٩ مرة، وقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} عشرين مرة، وقوله {يَا بَنِي آدَمَ} خمس مرات دلالة على أهمية الاجتماع والتعاون والتكامل.

عَنْ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ^(٢).

بعض التطبيقات الخاطئة لمفهوم التعاون عصفت بالجهات الخيرية وتسببت في زرع البغضاء والضغائن والأحقاد فيما بينها، وهذا في الحقيقة لا يسمى تعاوناً أو تنسيقاً وإن لبس لباسه، وكل تعاون يقصد به الاحتواء وفرض السيطرة، والصعود على أكتاف الآخرين واستنزاف جهودهم وأموالهم، أو استصغارهم، وتهميش إنجازاتهم وأنشطتهم، وعدم الاعتراف ببطاقاتهم وقدراتهم؛ فهذا إيذاء للناس تحت مظلة التعاون، والعجب ممن يسلك هذا المسلك لم يسرب طاقاته ويستنزف موارده وقدراته في إضعاف الآخرين أو إيذائهم وإسقاطهم، فلو صرف هذا الجهد في تطوير منشأته وتفعيل أنشطتها لتقدم على غيره وبارك الله في عمله. إن التعاون الحقيقي هو المفضي إلى التكامل في العمل الخيري بتكميل الناقص ورتق الخروق، على أساس المحبة والترابط والتلاحم.

ثمار التنسيق بين الجمعيات

أولاً: يزيد في الإخلاص، ويضاعف الأجر:

• العمل الخيري لا يعرف سر المهنة، (فلا خوف إذا من سرقة الابتكارات).

(١) سبق وأشرنا إلى أهمية العمل الجماعي في هذا المبحث ونحن في هذا المبحث نشير إلى خطورة عدم التنسيق بين الجمعيات.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا^(١).

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَأُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرَقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ الشُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ^(٢).

فهل يزهد أحد في هذه الأجر العظيمة من أجل حيلة شيطانية وهو ما يسمى (سر المهنة).

وقال الشافعي: وددت أن الناس عملوا بهذا العلم ولم ينسبوا إليّ منه حرفاً.

وإن تنادى الناس بالحفاظ على أفكارهم والمطالبة بحقوقهم فإن الربانيين يفرحون بانتشار أفكارهم ولو لم تنسب إليهم.

• أفرح إذا أصاب خصمي.

لقد وصل الأمر عند السلف إلى الفرح إذا أصاب الخصم أو المناظر، فكيف بالصاحب المشارك له في عمل الخير والإصلاح!

قال حاتم الأصم: ما ناظرني أحد إلا أفرح إذا أصاب، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني أن أقول فيه ما يسوؤه

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).

وكان أبو عياش المتوفى يقع في عمر بن ذر ويشتمه فلقبه عمر، فقال: يا هذا لا تفرط في شتمنا وأبق للصالح موضعاً، فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه^(١). فالهدف لدى الجميع تحقيق الخير، فكل من حقق خيراً ينبغي أن نحبه وندافع عنه، لأنه قام بعمل من مرادنا ومن أهدافنا. هذا في حال من تحامل عليك وقاومك فكيف بمن شاركك في الخبرات من إخوانك الأخيار.

ثانياً: توزيع الأنشطة الخيرية بين العاملين.

لا يستطيع فرد أو مجموعة من الناس أو جمعية أن تقوم بجميع الأنشطة وأن توفر جميع الاحتياجات للمجتمع، ولهذا ينبغي أن ندرك جميعاً أهمية تفعيل جميع أهل الخير وبخاصة الجهات الخيرية في الرقي بعملها ورفع هممها، لأنهم بدورهم يحملون عنا فروض الكفايات، ومن حمل عنك واجبا فقد أسقط عنك إثمه.

قال شيخ الإسلام: وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقدّم به غيره، فما قام به غيره: سقط عنه، وما عجز: لم يطالب به. وأما ما لم يقدّم به غيره وهو قادر عليه فعليه أن يقوم به، ولهذا يجب على هذا أن يقوم بما لا يجب على ذاك، وقد تقسمت الدعوة على الأمة بحسب ذلك تارة وبحسب غيره أخرى، فقد يدعو هذا إلى اعتقاد الواجب، وهذا إلى عمل ظاهر واجب، وهذا إلى عمل باطن واجب، فتتفرع الدعوة يكون في الوجوب تارة، وفي الوقوع أخرى^(٢).

ثالثاً: التعاون يجدد الطاقة:

كثيراً ما يخمد الحماس وتضعف الهمم، ويضوي التجديد، ويكل الفكر، ويقل الإنتاج، وتتأخر النتائج، فإذا ما تلاقى أهل الهدف الواحد انبعثت الهمم من جديد وتجددت الطاقة وعادت الحيوية مرة أخرى إلى أغصان الشجرة التي بدأت بالذبول وكادت أن تكون هشيئاً، فأورث هذا التلاقي والتلاحق والتنسيق والتعاون الأمور التالية:

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١١٣/٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/١٦٦).

- تطوير الابتكارات.
- شحذ الهمم إلى التسابق.
- التقدم والإنتاج والتفوق.
- العمل بأكثر من عقل. قال أحد السلف: العاقل من أضاف إلى عقله عقول العلماء، وإلى رأيه آراء الحكماء، فالعقل الفرد ربما زل، والرأي الفذ ربما ضل.
- تسهيل العمل وتيسيره.

رابعًا: التعاون يحقق أعظم الاستثمارات:

- للتنسيق والتعاون بين الجهات الخيرية أثر كبير على تخفيض التكاليف والمصروفات، بل إن التنسيق والتعاون يحقق لها استثمارات كبيرة ومنها:
- تخفيض التكاليف المالية والفكرية والعملية مع إنجاز الأعمال الكبيرة التي قد لا تستطيعها جهة واحدة.
- كثير من المشتريات تنخفض قيمتها الشرائية بنسب عالية عند الطلبات الكبيرة، وعدد من الجهات الخيرية عادة ما تكون طلباتها متماثلة، فلو تم التنسيق والتعاون بينها لوفرت مبلغا كبيرا من بند المشتريات.
- ونذكر على سبيل المثال أن بعض الجهات الخيرية في المدينة والرياض تم التنسيق بينها في شراء الحقيبة المدرسية فانخفضت التكاليف إلى ٨٠٪ لاستيرادها من إندونيسيا. وقل مثل ذلك في طباعة الكتب، وشراء المستهلكات والمواد الغذائية والأجهزة والطلبات المكتبية.
- كما يحقق التنسيق والتعاون تخفيضا في الجهود الفكرية والعملية، فكم صرفت من أوقات وأموال في بحوث وأعمال متماثلة، كان بالإمكان توفيرها لو تم الاطلاع والتعارف بين الجهات الخيرية فضلا عن التنسيق والتعاون.
- يمنع الازدواجية. سواء في تقديم الخدمات أو تنظيم الأنشطة أو توزيع الأعمال. وقل ما شئت في هذا من توفير والاحتفاظ بالموارد.

• تخفيض الصرف على التطوير الإداري. فالاشتراك في الدورات، والاستفادة مما عمل الآخرون في التنظيم الإداري وما صرفوه من أموال في عمل اللوائح والنظم وتوزيع الصلاحيات، كل هذا يتأتى للجهات الخيرية ثمرة من ثمار التعاون والتنسيق.

رابعًا: يقوم التعاون والتنسيق بين الجهات الخيرية بما لا تقوم به خزائن المال العالمية:

ومن ذلك جانب المواساة والتسلية عند المصاب والإعانة بالكلمة والمال، ويحقق المحبة والألفة، قال تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (الأنفال).

عوائق التنسيق بين الجمعيات:

١. حظوظ النفس ومنها حب الظهور والذكر وحب الصدارة والزعامة.
٢. سوء الظن بإخوانه. (كأن يقول: لهم أهداف، لهم مقاصد، يسعون لتقليصنا).
٣. الاعتذار بكثرة الأعمال (كأن يقول: يكفيننا ما عندنا وإذا أنهينا أعمالنا التفتنا إلى التعاون والتنسيق).
٤. الخجل من ضالة العمل والهروب من مقارنة الأرقام كأن تكون أعماله ضئيلة مقارنة بغيره فيؤثر الابتعاد عن الاجتماع.
٥. تضخيم نقاط الخلاف.
٦. تعلق العمل بالأشخاص. والتفوق على أفكار المدير فقط.
٧. الحسد وفتح باب نزغات الشيطان.
٨. تنافس الأقران.
٩. الكمال الوهمي نا العظمة) فيظن أنه لا مزيد على ما عنده من الأفكار والأعمال..
١٠. اعتقاد أن لا حاجة إلى التنسيق.

١١. مرور بعض المؤسسات بالمراهقة الفكرية. من المعلوم أن الإنسان في بداية حياته يعتمد كليًا على والديه، فإذا وصل سن المراهقة ظن من نفسه الكمال وعدم الحاجة إلى أحد في رأي

ولا استشارة، ولا استفادة من أفكار الآخرين وآراءهم وقد يرفض التعاون والاستفادة بصلف.

١٢. إبراز التجارب الفاشلة في التعاون وضعف دراسة أسبابها. . كأن يقال: هذا لم يجرب في مكان آخر، أو جرب وفشل. وإن كان قد نجح فيقال: فرق بين واقعنا والواقع الآخر. أو يقال: أنتم تريدون التجريب، ونحن لسنا محطة تجارب.

١٣. التراشق بالألقاب والانشغال بالتصنيف. فهو لاء ينسبون إلى كذا وأولئك لا يخدمون إلا تلك الشريحة في المجتمع.

١٤. نسيان استصحاب الهدف.

١٥. الانشغال بغير التعاون ناتج عن الاهتمام بالأعمال الإجرائية التي تستهلك الوقت وتشغل عن التعاون.

١٦. الخوف الوهمي من التعاون ومن التجديد والإبداع.

١٧. ضعف استشعار ما يمر به المجتمع من أزمات.

١٨. عدم التعود على التعاون أو الضعف في معرفة أصول التعاون وآداب الحوار أو القناعة بالأساليب السابقة. الارتياح مع الواقع الحالي والاقتناع به.

١٩. التوهم بأن التعاون سيكون سبباً في فقد بعض الامتيازات أو المكاسب.

من أوجه التعاون:

لا تستطيع أي جمعية أن تشمل البلد كله في أنشطتها، وهنا يأتي أهمية تعدد الجهات والجمعيات الخيرية، مع أهمية التعاون والتنسيق والشفافية بينها، ومن أوجه التعاون:

١. الكلمة الصالحة تنمو. وفي الحديث الكلمة الطيبة صدقة^(١) فكم من كلمة نمت وقام بها مشروع خيري عظيم.

٢. الاستفادة من كافة الطاقات والصلاحيات في المؤسسات الرسمية والاستفادة منها.

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

٣. تبادل الخبرات الإدارية والدعوية والمالية بين الجهات والتنسيق بين الجهات العاملة على أساس التكامل في العمل الخيري وبصفة التلاحم والترابط. . مع البعد التام عن التجريح أو التصنيف أو مجرد الغض من مصداقية أي مؤسسة خيرية أمام العامة.
٤. عقد دورات إدارية مشتركة بين العاملين في الجهات في المناطق التي تتواجد بها.
٥. إقامة ندوات مشتركة عن العمل الخيري.
٦. إقامة معارض للمشاريع على أساس التجديد والتحديث والتكامل، وذلك من خلال إبراز الجهات للمبتكرات التي عندها فقط.
٧. التنسيق بين الجهات في خدمات المواسم (الحج، رمضان، الصيف).
٨. تبادل الجديد (من مبتكرات الوسائل والطرق)^(١).

(١) التعاون والتنسيق بين الجمعيات الخيرية د. يحيى إبراهيم اليحيى، بتصرف واختصار.

١٧- التربية الأسرية التي تهتم بالذات وتهمل مساعدة الآخرين.

لقد أولى الإسلام الأسرة منزلة سامية رفيعة، حيث جعلها الأساس لإخراج الإنسان الذي هو ملك لهذا الكون وسيد فيه، وكل شيء مسخر لأجله.

وقد تحدت هذه المسؤولية، فعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ". (١)

وعلى كلِّ فلأُسرة دور قد أنيط بها، وهو المسؤولية التربوية للأسرة في الإسلام؛ لأهميتها، فالصغير ينشأ بين أحضان الأسرة؛ فيتعلم من الأبوين، ويرث من الأجداد، ويورث للأولاد والأحفاد بعد ذلك، حيث ترعاه الأسرة وتنميه وتغذيه بدنياً وفكرياً وروحياً، فالأسرة إما أن تكون جسراً للخير وإما أن تكون جسراً للشر؛

ولهذا قال النبي ﷺ: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجَّسَانِهِ)) (٢)

ولهذا وغيره من الأسباب اهتم الإسلام بالأسرة، سواء أكانت أفراداً مجتمعين أم أفراداً كلاً على حدة.

قال تعالى: {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم: ٥٥]
وقال تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: ١٣٢] كل هذه الآيات دالة على ضرورة تخصيص الأسرة بمزيد من العناية والرعاية والحياطة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٨)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

وللأسرة مسؤوليات في كل الجوانب الإنسانية التي تتعلق بالحياة، فهي مسؤوليات متكاملة ومتضافرة، وهي تراعي أحوال الأفراد، وتنمي قدراتهم في جميع المجالات، وتراعي إنسانية الفرد فلا تتعامل على أنه جماد، بل على أنه إنسان ذو غريزة وشهوة، وروح وعقل وجسد، وحب السيطرة والتملك، والسعي إلى السمو، وعلى نقيض ذلك هناك صفات سلبية تنشأ من البيئة المحيطة بالفرد يجب على الأسرة التخلص منها.

ومسؤوليات الأسرة متعددة؛ ومنها:

١- مسؤولية الأسرة الإيمانية والدينية:

الأبناء أمانة عند والديهم، وهم الذين يتسببون في إيمانهم أو كفرهم كما في الحديث: ﴿كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَيْهَمَةِ تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءً﴾^١.

ولقد اهتمت الأسرة في الإسلام بتلقين مبادئ العقيدة للصغار.

ثم لما يبدأ الكلام يتدرج في تعويده على مصطلحات العقيدة المتعلقة بالخالق أو بالرسول ﷺ أو مبادئ الغيبيات، وكذلك تعليمه المراقبة لله تعالى والصبر والتوكل عليه، مع التعرف على أمور الحلال والحرام بما يناسب عقولهم، ثم تعويدهم على حب الله تعالى وحب الرسول ﷺ، وتعليمهم سيرة الرسول ﷺ وصحبه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، وتعليمهم شيئاً من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وكذلك غرس روح المراقبة لله تعالى في غيبة الناس والوالد والوالدة، كما هو مأمور بحفظ نفسه من الوقوع في النار والهلاك هو مأمور - أيضاً - برعاية أهله وأولاده، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}. [التحريم: ٦].

٢- المسؤولية الاجتماعية:

فالإسلام يؤكد على صلة الأرحام، ومساعدة الآخرين، واحترام الوالدين، ومراعاة المحتاجين من الأقارب خاصة، ثم الأقرب فالأقرب؛ كالجيران والأصدقاء.^(١)

^١ أخرجه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة

فإذا ما تخلت الأسرة عن هذه الأدوار وأهميته فقدت في أبنائها الدور المنوط بها، وإذا أدت ما عليها أخرجت للأمة أمثال زيد بن ثابت، وأسامة، وابن عباس وهذا الجيل الفريد.

(١) المسؤولية التربوية للأسرة في الإسلام، محمود داود دسوقي خطابي.

مخالفات في العمل التطوعي

تمهيد

إن أعمال الخير دوماً لا تروق للشيطان وجنده من الإنس، لذا فلا بد للعامل في هذا المجال أن يعلم أن هناك أعداء يتربصون به ويحاولون صرفه عن الحق، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ. (١)

قال النووي: هذا الحديث من معجزات النبوة. . . ومعناه آيس أن يعبداه أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها (٢)
فطريق الخير محفوف بالمخاطر والعقبات ولا بد للعاقل أن ينقي عمله من كل شوب يعكر صفو العمل الصالح، فما قام في الدنيا مصلح إلا ووجد من قومه من يعاديه، فأهل الفساد والشر لن يرضوا عن المصلحين لأن دعوة المصلحين تهدم دعوات المفسدين
قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (الأنعام: ١٢٣)

قال السعدي: أي: الرؤساء الذين قد كبر جرمهم، واشتد طغيانهم {لِيَمْكُرُوا فِيهَا} بالخدعة والدعوة إلى سبيل الشيطان، ومحاربة الرسل وأتباعهم، بالقول والفعل، وإنما مكروهم وكيدهم يعود على أنفسهم، لأنهم يمكرون، ويمكر الله والله خير الماكرين.
وكذلك يجعل الله كبار أئمة الهدى وأفاضلهم، يناضلون هؤلاء المجرمين، ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في سبيل الله، ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك، ويعينهم الله ويسدد رأيهم، ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام بينهم وبين أعدائهم، حتى يدول الأمر في عاقبته بنصرهم وظهورهم، والعاقبة للمتقين.
وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم، وقاموا برد الحق الذي جاءت به الرسل، حسدا منهم وبغيا (٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

(٢) شرح النووي (١٥٦/١٧).

(٣) تفسير السعدي (٢٧١).

ولهذا لا بد للقائمين بأعمال الخير مراعاة أحوالهم ونبذ الاختلاف والمخالفات في أعمالهم فهناك أعداء يريدون إسقاط عملهم وتحقير شأنهم، فلا بد من سد الذرائع الموصلة إلى الطعن في العمل ومحاربتة، لذا يأتي هذا المبحث ليركز على أهم النقاط التي يقع فيها المتطوعون وموضع النقص منهم ليحذروا الشر حتى يكونوا أبعد الناس منه والله الموفق.

١-الاختلاط

لا بد من مراعاة الضوابط الشرعية في كل عمل، وكثير ما نلاحظ وقوع الاختلاط في أماكن العمل التطوعي وكأنهم ظنوا أن قيامهم بهذا الخير مسقط لحكم الشرع وهذا عين الباطل، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما وافق شرعه وسنة نبيه ﷺ .

تعريف الاختلاط لغة:

قال ابن فارس: (خلط): الخاء، واللام، والطاء أصل واحد تقول: خلطت الشيء بغيره فاختلط، والخليط: المجاور. (١)

يقال: خلط الشيء بالشيء يخلطه خلطاً، وخلطه فاختلط: مزجه، واختلطوا وخالط الشيء تخالطاً وخالطاً: مزجه.

والخلط: المختلط بالناس المتحجب، يكون للذي يتملقهم، ويتحجب إليهم، ويكون للذي يُلقى نساءه ومتاعه بين الناس. (٢)

يتبين من هذا أن الاختلاط: يطلق على الامتزاج، والاجتماع، والمداخلة بالأبدان، والانضمام، والضم، والمجاورة، والعشرة، والاشتراك مع الشريك.

الاختلاط شرعاً:

قال ابن باز - رحمه الله - : هو اجتماع الرجال بالنساء الأجنيات، في مكان واحد، بحكم العمل، أو البيع، أو الشراء، أو النزهة، أو السفر، أو نحو ذلك. (٣)

وقال الشيخ عبد الله بن جار الله - رحمه الله - : الاختلاط هو: الاجتماع بين الرجل والمرأة التي ليست بمحرم، أو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم، في مكان واحد يمكنهم فيه

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/١٦٨).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٧/٢٩١).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (١/٤٢٠).

الاتصال فيما بينهم، بالنظر أو الإشارة أو الكلام، فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية على أي حال من الأحوال يعتبر اختلاطاً.^(١)

* الأدلة على تحريم الاختلاط من القرآن الكريم:

من نظر في شريعة الله تعالى يجد أنها أوصدت كل الأبواب المؤدية إلى الاختلاط، وسدت الذرائع لذلك، وحمت المجتمع من الفاحشة والرديلة بتشريعات ربانية تبقي على المجتمع عفته وطهارته ونقاءه، واستقامة أسرته، وصلاح بيوته ما دام أفرادها قائمين بأمر الله تعالى، ممثلين لشرعه، مستسلمين لنصوص الكتاب والسنة، ولم يسمحوا للمفسدين أن ينخروا ذلك السياج الرباني بين الرجال والنساء، ومن الأدلة على منع الاختلاط ما يلي:

١- قال الله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: ٣٣].

أمر الله تعالى أزواج رسوله ﷺ الطاهرات المطهرات الطيبات بلزوم بيوتهن وألا يخالطن الرجال، وهذا الخطاب عام لهن ولغيرهن من نساء المسلمين. قال مجاهد: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} قال: كانت المرأة تخرج تتمشى بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية.^(٢)

قال ابن كثير - رحمه الله - : أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة.^(٣) قال السعدي - رحمه الله - : {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} أي: اقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لَكُنَّ، {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} أي: لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه.^(٤)

(١) مجلة الأسرة، آفة التعليم الاختلاط، العدد رقم ٧٠ بتاريخ محرم ١٤٢٠ ص ٦٩.

(٢) تفسير الصنعاني (١١٦/٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٤٠٨/٦).

(٤) تفسير السعدي (٦٦٣/١).

٢- قال الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} [الأحزاب: ٥٣].

هذا الخطاب الرباني لأطهر هذه الأمة قلوباً وهم الصحابة - رضي الله عنهم -، وفي أعف النساء وهن أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - فما بالك بمن هم دونهم من الرجال، وبمن هُنَّ دونهن من النساء؟.

قال ابن كثير - رحمه الله - : أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب. (١)

قال السعدي - رحمه الله - : { مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } أي: يكون بينكم وبينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم الحاجة إليه.

فصار النظر إليهن ممنوعاً بكل حال، وكلامهن فيه التفصيل، الذي ذكره الله، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: { ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } لأنه أبعد عن الريية، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه.

فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين الله كثيراً من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته، ممنوعة، وأنه مشروع البعد عنها، بكل طريق. (٢)

٣- قال الله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٥٥).

(٢) تيسير السعدي (١/٦٧٠).

يُظْهِرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣٠، ٣١]

قال ابن باز - رحمه الله -: يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبلغ المؤمنين والمؤمنات أن يلتزموا بغض النظر وحفظ الفرج عن الزنا ثم أوضح سبحانه أن هذا الأمر أزرى لهم. ومعلوم أن حفظ الفرج من الفاحشة إنما يكون باجتناب وسائلها ولا شك أن إطلاق البصر واختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء في ميادين العمل وغيرها من أعظم وسائل وقوع الفاحشة. وهذان الأمران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحقيقهما منه وهو يعمل مع المرأة الأجنبية كزمية أو مشاركة في العمل له. فاقتحامها هذا الميدان معه واقتحامه معها لا شك أنه من الأمور التي يستحيل معها غض البصر وإحصان الفرج والحصول على زكاة النفس وطهارتها.

وهكذا أمر الله المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها، وأمرهن الله بإسدال الخمار على الجيوب المتضمن ستر رأسها ووجهها لأن الجيب محل الرأس والوجه، فكيف يحصل غض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة عند نزول المرأة إلى ميدان الرجال واختلاطها معهم في الأعمال. والاختلاط كفيل بالوقوع في هذه المحاذير. كيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها وهي تسير مع الرجل الأجنبي جنباً إلى جنب بحجة أنها تشاركه في الأعمال أو تساويه في جميع ما تقوم به. ^(١)

٤- قال الله تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص: ٢٣، ٢٤]

قال الشعراوي: في هذه القصة أحكام ثلاثة {لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} أعطت حكماً و{وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} أعطت حكماً و{فَسَقَى لَهُمَا} أعطت حكماً ثالثاً.

(١) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (١/٤٢٠).

وهذه الأحكام الثلاثة تُنظم للمجتمع المسلم مسألة عمل المرأة، وما يجب علينا حينما تُضطَر المرأة للعمل، فمن الحكم الأول نعلم أن سَقْي الأنعام من عمل الرجال، ومن الحكم الثاني نعلم أن المرأة لا تخرج للعمل إلا للضرورة، ولا تؤدي مهمة الرجال إلا إذا عجز الرجل عن أداء هذه المهمة {وَأَبَوْنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} أما الحكم الثالث فيعلم المجتمع المسلم أو حتى الإنساني إذا رأى المرأة قد خرجت للعمل فلا بد أنه ليس لها رجل يقوم بهذه المهمة، فعليه أن يساعدها وأن يُيسّر لها مهمتها.

وأذكر أنني حينما سافرت إلى السعودية سنة ١٩٥٠ ركبْتُ مع أحد الزملاء سيارته، وفي الطريق رأيته نزل من سيارته، وذهب إلى أحد المنازل، وكان أمامه طاولة من الخشب مُغطاة بقطعة من القماش، فأخذها ووضعها في السيارة، ثم سِرْنَا فسألته عما يفعل، فقال: من عاداتنا إذا رأيتُ مثل هذه الطاولة على باب البيت، فهي تعني أن صاحب البيت غير موجود، وأن ربة البيت قد أعدتُ العجين، وتريد من يخبزه فإذا مرَّ أحدنا أخذه فخبزه، ثم أعاد الطاولة إلى مكانها.

وفي قوله تعالى: {لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} إشارة إلى أن المرأة إذا اضطرت للخروج للعمل، وتوفرت لها هذه الضرورة عليها أن تأخذ الضرورة بقدرها، فلا تختلط بالرجال، وأن تعزل نفسها عن مزاحمتهم والاحتكاك بهم، وليس معنى أن الضرورة أخرجت المرأة لتقوم بعمل الرجال أنها أصبحت مثلهم، فتبيح لنفسها الاختلاط بهم. (١)

***الأدلة على تحريم الاختلاط من السنة:**

١- عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: (يَا كُمْ وَالذُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحُمُومَ؟ قَالَ: الْحُمُومُ الْمَوْتُ). (٢)

قال القاضي عياض - رحمه الله -: في فرض الحجاب على أزواج النبي ﷺ: ولا يجوز لهن إظهار شخوصهن، وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه الضرورة من الخروج للبراز، قال الله

(١) تفسير الشعراوي (١٧/١٠٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

تعالى: { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ }، وقد كن إذا قعدن للناس جلسن من وراء الحجاب، وإذا خرجن حجبن وسترن أشخاصهن، كما جاء في حديث حفصة يوم وفاة عمر، ولما توفيت زينب - رضي الله عنها - جعلوا لها قبة فوق نعشها تستر شخصها. (١)

٢- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدُّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فقال: إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَدَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ). (٢)

قال النووي - رحمه الله -: وقد أشار النبي ﷺ إلى علة النهي من التعرض للفتن والإثم بمرور النساء وغيرهن وقد يمتد نظر إليهن أو فكر فيهن أو ظن سوء فيهن أو في غيرهن من الهارين. (٣)

٣- عن هند بنت الحارث - رضي الله عنها - أن أم سلمة زوج النبي ﷺ أخبرتها أَنَّ النَّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ قُمْنَ وَتَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ صَلَّى مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ الرِّجَالُ. (٤)

قال الحافظ ابن حجر: وفيه اجتناب مواضع التهم وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت. (٥)

٤- وعن أبي أسيد الأنصاري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النَّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: (اسْتَأْخِرْنَ

(١) شرح النووي على مسلم (١٥١/١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٢١).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٤١/١٤).

(٤) أخرجه البخاري (٨٦٦).

(٥) فتح الباري (٣٣٦/٢).

فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ) فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى
إِنْ ثَوَّبَهَا لَيَتَعَلَّقَ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ. (١)

ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث طرفاً من آداب مشي النساء مع الرجال في الطريق ألا يمشين في
وسط الطريق حيث يكون فيه الرجال، وإنما يمشين في الجوانب، ووسط الطريق يكون
للرجال.

٥- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا
وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا). (٢)

قال النووي - رحمه الله -: وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن
من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو
ذلك. (٣)

❖ أقوال العلماء في ذم الاختلاط:

قال السرخسي: وينبغي للقاضي أن يقدم النساء على حدة والرجال على حدة؛ لأن الناس
يزدحمون في مجلسه وفي اختلاط النساء مع الرجال عند الزحمة من الفتنة والقبح ما لا يخفى
ولكن هذا في خصومة يكون بين النساء، فأما الخصومة التي تكون بين الرجال والنساء لا يجد
بدأً من أن يقدمهن مع الرجال. (٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: فالرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط
النار والخطب. (٥)

قال ابن القيم - رحمه الله -: ومن ذلك أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع اختلاط الرجال
بالنساء في الأسواق والفُرَج ومجامع الرجال.

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٤٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٥٩/٤).

(٤) المبسوط للسرخسي (١٥٦/١٦).

(٥) الاستقامة لابن تيمية (٣٦١/١).

وقال أيضًا: ويجب عليه منع النساء من الخروج متزينات متجملات ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات كالثياب الواسعة والرقاق ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات ومنع الرجال من ذلك.

وقال أيضًا: ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال والمشي بينهم متبرجات متجملات ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية قبل الدين لكانوا أشد شيء منعًا لذلك.^(١)

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: فأما ما أحدث القصاص من جمع النساء والرجال فإنه من البدع التي تجري فيها العجائب من اختلاط النساء بالرجال، ورفع النساء أصواتهن بالصياح والنواح إلى غير ذلك.^(٢)

يقول الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -: حُرِّم الاختلاط، سواء في التعليم، أم العمل، والمؤتمرات، والندوات، والاجتماعات العامة والخاصة، وغيرها، لما يترتب عليه من هتك الأعراض ومرض القلوب، وخطرات النفس، وخنثة الرجال، واسترجال النساء، وزوال الحياء، وتقلص العفة والحشمة، وانعدام الغيرة.^(٣)

*مفاسد الاختلاط بين الرجال والنساء في العمل وغيره:

إن الاختلاط بين الرجال والنساء في العمل وغيره، له آثاره السيئة، ومفاسده الواضحة، على كل من الرجل والمرأة، ومن ذلك:

١ - تعسير غض البصر، وتيسير زنا العين بحصول النظر المحرم، وقد أمر الله تعالى المؤمنين

^(١) الاستقامة لابن تيمية (٤٠٧/١).

^(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٧٧٦/١).

^(٣) حراسة الفضيلة لبكر أبو زيد (١٣٩/١).

والمؤمنات بغض البصر.

٢- التسبب في بلاء العشق الذي يتلف الدنيا والدين، حيث تعلق قلب الرجل بالمرأة وافتتانه بها، أو العكس، وذلك من جراء الخلطة، وطول المعاشرة.

٣- الاختلاط قد يوقع في خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه، وهذا محرم.

٤- الاختلاط سبب في انعدام الغيرة، واضمحلال الحياء، وفساد الأخلاق.

٥- من آثار الاختلاط ذلك التبرج والتفنن بإبداء الزينة والجمال، يصل الأمر إلى الخلاعة والعري من أجل إطفاء شهوة الجنس المحرمة بنص الكتاب والسنة.

٦- الاختلاط سبب في دمار الأسر وخراب البيوت، فكم من رجل أهمل بيته، وضع أسرته، لانشغال قلبه بزميلته في الدراسة أو العمل، وكم من امرأة ضيعت زوجها وأهملت بيتها، لنفس السبب، بل: كم من حالة طلاق وقعت بسبب العلاقة المحرمة التي أقامها الزوج أو الزوجة، وكان الاختلاط في العمل رائدها وقائدها.

٧- الاختلاط سبب لتدهور الجانب الأخلاقي في المجتمع وتفشي الأمراض الجنسية والنفسية.

٨- الاختلاط سبب في الابتعاد شيئاً فشيئاً عن العبادات نتيجة ما يقع فيه البشر من جرائم أخلاقية وسلوك يتعذر معه القيام بالواجبات الدينية على أكمل وجه، إلا من رحم الله سبحانه وتعالى.

٢- المحسوبة

المحسوبة في اللغة: حسبه، أي: عدّه، وبابه نصّر، وكتب حساباً وحُساباً، والمعدود محسوب، والحسب: ما يُعدُّه الإنسان من مفاخر آبائه. (١)

المحسوبة في الاصطلاح: هي اعتبار القرابة العائليّة أو السياسيّة في إسناد الوظائف أو في الترقيات والتّسيير. (٢)

* ذم المحسوبة في القرآن الكريم:

إن الإسلام لا يعرف المحسوبة، فالناس جميعاً في تشريعات الإسلام سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أحمر أو أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، البشرية كلها سواء في عرف الإسلام أصلهم واحد خلقوا جميعاً من أصل واحد فلا تفاضل بين بني البشر إلا بالتقوى والعمل الصالح وإليك بعض الأدلة على ذلك:

١- قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } {الحجرات: ١٣}.

٢- قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } {النساء: ١}.

٣- قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء: ١٣٥].

قال السعدي - رحمه الله -: ومن أعظم أنواع القسط القسط في المقالات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما،

(١) مختار الصحاح للرازي (١/١٧٦).

(٢) معجم الغني لعبد الغني أبو العزم مادة (محسوبة).

ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان، حتى على الأحياء بل على النفس. (١)

ومن هذا المنطلق نرى الإسلام لا يفرق بين سيد ومسود ولا بين حاكم ومحكوم الكل أمام تشريعات الله سواء. تطبق أحكامه على كل أفراد المجتمع دون تفرقة بين شريف وغير شريف.

• ذم المحسوبة في السنة النبوية:

١- عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ - رضي الله عنه - أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا تَلَوْنَ وَجْهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَتَكَلَّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ! قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ الْعِشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبًا فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا فَحَسَنْتُ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجْتُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَارْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (٢)

قال ابن حجر - رحمه الله - : وفيه ترك المحاباة في إقامة الحد على من وجب عليه ولو كان ولدًا أو قريبًا أو كبير القدر والتشديد في ذلك والإنكار على من رخص فيه أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه. (٣)

قال ابن عثيمين - رحمه الله - : فاطمة بنت محمد أشرف النساء سيدة نساء أهل الجنة بنت أفضل البشر لو سرت لقطع يدها وهو أبوها وتأمل لقطعت يدها ولم يقل لأمرت بقطع يدها فظاهره أنه هو الذي يباشر قطعها لو سرت هذا العدل وبهذا قامت السماوات والأرض ومن

(١) تفسير السعدي (١/٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٠٤).

(٣) فتح الباري (١٢/٩٦).

عدل الإمام أن يولي المناصب من هو أهل لها في دينه وفي قوته فيكون أميناً وقوياً أهلاً لها ولي عليه. (١)

وقال أيضاً: وهذه المرأة المخزومية دون فاطمة شرفاً ونسباً ومع ذلك فإنه - ﷺ - قال: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ليسد باب الشفاعة والوساطة. (٢)

٢- إن في حياة رسول الله ﷺ مواقف حطم فيها رسول الله ﷺ كل محابة وكل مظاهر المحسوبية مع أقرب الناس إليه. فما أشد حاجة المسؤولين في المؤسسات إلى أن يجعلوا رسول الله ﷺ قدوتهم فكم من حقوق سلبت وكم من أموال ضيعت وكم من مصالح خربت بسبب تفشى المحسوبية والمحابة حتى بين الدول بعضها مع بعض، علاوة على محابة الأفراد والأشخاص، من هذه المواقف ما يلي:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِّبِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. (٣)

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رضي الله عنه - أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ سَرَّحَ الْمَاءَ يَمْرُ فَأَبَى عَلَيْهِ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسَلَ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ فَقَالَ الزُّبَيْرُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ { فَلَا

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/٦٨).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/٢٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦).

وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥].^(١)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - معلقاً على هذا الحديث: فمجموع الطرق دال على أنه أمر الزبير أولاً أن يترك بعض حقه وثانياً أن يستوفي جميع حقه.^(٢)

٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قال: أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا ائْذَنْ لَنَا فَلَنْتُرِكَ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا تَذَرُونَّ مِنْهُ دِرْهَمًا.^(٣)

وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال: كان فداء كل واحد أربعين أوقية فجعل على العباس مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين فقال له العباس ألقراة صنعت هذا قال فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنفال: ٧٠] فقال العباس وددت لو كنت أخذت مني أضعافها لقوله تعالى: {يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ}.^(٤)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: قيل والحكمة في ذلك أنه خشى أن يكون في ذلك محاباة له لكونه عمه لا لكونه قريبهم من النساء فقط.^(٥)

٤- موقف النبي ﷺ مع عمه أبي طالب لما حضرته الوفاة وهذا الموقف من أكبر الأدلة وأوضحها على أن الإسلام لا يجابى ولا يجامل أحداً على حساب الحق.

لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه النبي ﷺ وقال له: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى أن يقولها ومات على ملة عبد المطلب ولما مات أورد النبي ﷺ أن يستغفر له فنهاه الله تعالى عن ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٩)، (٢٣٥٧).

(٢) فتح الباري (٣٩/٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠١٧).

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وعزاه لأبي نعيم في الأوائل وحسن إسناده (٣٢٢/٧).

(٥) فتح الباري (٣٢٢/٧).

يقول المسيب بن حزن - رضي الله عنه - : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ عَمٍّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَكُنْ عَنْكَ فَتَزَكْتُ { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } {التوبة: ١١٣}.

(١)

بل لم يشارك النبي ﷺ في دفن عمه رغم حبه له وحرصه على إسلامه. قال علي - رضي الله عنه - قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ. قَالَ: (اذهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ ثُمَّ لَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي) فَذَهَبْتُ فَوَارَيْتُهُ وَجِئْتُهُ فَأَمَرَنِي فَأَغْتَسَلْتُ وَدَعَا لِي. (٢)

٥- وفي خطبة الوداع وقف النبي ﷺ موقفا عظيما قضى فيه على المحسوبية والوساطة والمجاملة أمام هذا الجمع الغفير معلما ومرييا فقال: وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رَبِّهَا أَضْعُهُ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ. (٣)

من هنا نتعلم أن الولاة مطالبون بأن يراقبوا الله في أموال المؤسسات التي يعملون فيها فلا يعبثون ولا يسرفون ولا ينفقون إلا فيما يجب الإنفاق فيه وبالقدر اللازم له ويتحاشون أن تمتد إليها أيديهم أو أيد أقاربهم أو أيد المقربين إليهم بغير حق.

*موقف الخلفاء والأمراء من المحسوبية:

لقد قام الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - بمنع كل ما كان فيه محاباة، أو محسوبية أو مجاملة ليحفظوا على الأمة دينها ويعم النفع ويحصل الرخاء، ويشعر الناس بالأمن والأمان. ومن أعظم الأمثلة الدالة على ذلك:

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢١٤)، والنسائي (٢٠٠٥)، وأحمد (١٠٩٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧١٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨).

١- منع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدها الدولة لفئة من الناس، خوفاً من أن يجابي أهله بها:

قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - : اشتريت إبلاً وارجمتها إلى الحمى فلما سمعت قدمت بها قال: فدخل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - السوق فرأى إبلاً سماناً فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر بخ بخ ابن أمير المؤمنين، قال: فجئت أسعى فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين قال: ما هذه الإبل؟ قال قلت: إبل أنضاء اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغى ما يبتغى المسلمون، قال فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله بن عمر اغد على رأس مالك واجعل باقيه في بيت مال المسلمين. (١)

٢- محاسبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله رضي الله عنه لما اشترى فيء جلولاء:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: شهدت جلولاء، فابتعت من المغنم بأربعين ألفاً، فلما قدمت على عمر قال لي: لو عرضت على النار، فليل لك، أفذه أكنت مفتدياً؟ قلت: والله ما من شيء يؤذيك إلا كنت مفتديك منه، فقال: كأني شاهد الناس حين تبايعوا، فقالوا: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين، وأحب الناس إليه، أنت كذلك فكان أن يرخصوا عليك بمائة أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم، وإني قاسم مسؤول، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهماً، قال: ثم دعا التجار فابتاعوه منه بأربعمائة ألف فدفعت إلي ثمانين ألفاً وبعث بالبقية إلى سعد بن أبي وقاص فقال: اقسمه في الذين شهدوا الواقعة، ومن كان مات منهم فادفعه إلى ورثته. (٢)

٣- تفضيل عمر بن الخطاب لأسامة بن زيد على ابنه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهم - في العطاء: كان عمر - رضي الله عنه - يقسم المال ويفضل بين الناس على السابقة والنسب

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٤٧/٦).

(٢) الأموال لابن زنجويه (٣١٤/٢).

ففرض لأسامة بن زيد - رضي الله عنه - أربعة آلاف، وفرض لعبد الله بن عمر - رضي الله عنه - ثلاثة آلاف، فقال: يا أبت فرضت لأسامة بن زيد أربعة آلاف، وفرضت لي ثلاثة آلاف؟ فما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لك! وما كان له من الفضل ما لم يكن لي! فقال عمر: إن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وهو كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك. (١)

*أسباب انتشار المحسوبية:

- ١- ضعف الوازع الديني في المجتمع، فهذا الضعف يؤدي إلى الجور والظلم، وإلى تقصير الموظفين في عملهم المنوط بهم، والتفاخر والتكبر على الناس، مما يدفع أصحاب الحاجات إلى اللجوء إلى المجاملات والمحسوبيات لحل مشاكله.
- ٢- غياب العقوبات الشرعية وعدم تطبيقها على أصحاب الوجاهات، وهذا بدوره يزيد من هذه الآفات في المجتمعات.
- ٣- حب العلو والرفعة على الآخرين بغير حق
- ٤- الكبرياء وهو احتقار الناس ورد الحق
- ٥- العجلة في تحصيل ما يريد ولو على حساب حق الغير

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٥٤٩).

٣- سوء الإدارة

لقد كانت الإدارة الجيدة في زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - سبباً من أهم الأسباب الرئيسية في إقامة دولة إسلامية عظيمة ازدهرت حضارتها، وكثر خيرها، وعم نفعها، فعاش الناس فيها في رخاء تام، وانبهرت قوى العالم بهذه الدولة الإسلامية وحضارتها، ذلك لأن المسلمين في هذا الوقت نجحوا في إدارة دولتهم المترامية الأطراف، على الرغم من عدم توافر كثير من الوسائل الموجودة الآن. ويرجع السبب الرئيسي في هذا النجاح إلى أن الذين تولوا شئون البلاد توافرت فيهم الكفاءة والخبرة والديانة.

أما الآن ومع توافر الوسائل الحديثة للتواصل بين البلاد والمؤسسات وتسهيل كثير من الاحتياجات؛ إلا أن الفساد الإداري يلحق كثيراً من المؤسسات لضعف القائمين عليها وعدم كفاءتهم وقلة خبرتهم.

*الإدارة في القرآن الكريم:

١- لقد بين الله تعالى أنه لا بد من تولية شئون البلاد من يحسن إدارتها حتى يستقيم أمرها فالله - عز وجل - لم يصطف طالوت على قومه إلا لأنه قد حاز على صفتين مطلوبتين قد توافرتا فيه، وتناسبتا مع مهامه وما يوكل إليه، ألا وهما صفتا العلم والحكمة، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} [البقرة: ٢٤٧]

قال السعدي - رحمه الله - : أي: فضّله عليكم بالعلم والجسم، أي: بقوة الرأي والجسم اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي، حصل في الملك خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالماً بالأمور وليس له قوة على تنفيذها لم يفده الرأي الذي لا ينفذه شيئاً. (١)

(١) تفسير السعدي (١/١٠٧).

يتبين من ذلك أن تولية الجهال والسفهاء الوظائف والمناصب سبب عظيم من أهم أسباب سوء الإدارة لأنهم لا يستطيعون القيام بالمهام المنوطة بهم على أكمل وجه.

٢- وقد نوه القرآن الكريم بأن المسئوليات الكبيرة والصغيرة في المؤسسات لا بد لها من أمناء وهم على علم نافع ودين مانع يقومون عليها حتى يتحقق لها النجاح ويعم الخير ويحصل الرخاء، وبدونهم تكون الخيانة ويظهر الاختلاس، وتضيع الحقوق وتنتشر المحسوبيات والوساطة والمجاملات وهذا هو عين الفساد الإداري.

فيوسف عليه السلام حينما رأى أموال مصر تبعثر في غير فائدة بسبب عدم أهلية المسئولين للقيام عليها طلب من عزيز مصر أن يوليه شؤونها، وعلل ذلك بقوله: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي خَفِيفٌ عَلَيْهِمْ} [يوسف: ٥٥].

قال السعدي - رحمه الله -: أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه، فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاه إياها. (١)

قال ابن عاشور - رحمه الله -: وهذه الآية أصل لوجوب عرض المرء نفسه لولاية عمل من أمور الأمة إذا علم أنه لا يصلح له غيره لأن ذلك من النصح للأمة، وخاصة إذا لم يكن ممن يتهم على إثارة منفعة نفسه على مصلحة الأمة. (٢)

٣- ولقد بين القرآن الكريم أيضاً أن الأجراء الذين يعملون في أي وظيفة كانت، لا بد من توافر الشروط المناسبة فيهم لتولي هذه الوظيفة حتى تتحقق الإدارة الجيدة وإلا فسدت الإدارة، فهذه ابنة صاحب مدين الذي لجأ إليه موسى عليه السلام فاراً بنفسه من فرعون،

(١) تفسير السعدي (١/٤٠٠).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/١٣).

طلبت من أبيها أن يستأجر موسى لرعاية أغنامهم وعللت ذلك بقولها: {إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦].

قال السعدي - رحمه الله - : أي: إن موسى أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً بإجارة أو غيرها. فإن الخلل لا يكون إلا بفقدتهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل. (١)

الإدارة في السنة النبوية:

١- لقد نصح النبي - ﷺ - أصحابه أن يتولوا الأعمال التي يقدرون عليها بحيث تتوافر فيهم الشروط المناسبة حتى لا تفسد إدارتهم فتقع المحرمات وتضيع الحقوق، فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي قَالَ: (فَضْرَبَ يَدَهُ عَلَى مَنْكَبِي ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا). (٢)

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي فَلَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ. (٣)

قال النووي - رحمه الله - : هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة. (٤)

(١) تفسير السعدي (١/٦١٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٦).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢١٠/١٢).

٢- لقد علمنا النبي ﷺ أن اختيار الوظائف والمهام يكون على وفق أصحاب المهارات والإدارة الجيدة وهو - اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب - دون التفات لقراءة أو كبر سن أو غنى أو أي لون من ألوان التمييز. فكان ﷺ عندما يعين الأمراء كان يضع صاحب الكفاءة الإدارية في مكانته التي تليق به، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١- لقد ولي رسول الله ﷺ أسامة بن زيد - رضي الله عنه - لكفاءته مع صغر سنه لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعدما قضى حجة التمام فتحلل به السير وضرب على الناس بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد أمره أن يوطئ آبل الزيت من مشارف الشام بالأردن، فقال المنافقون في ذلك ورد عليهم النبي ﷺ إنه لخليق لها أي تحقيق بالإمارة ولئن قلت في ذلك قلت في أبيه من قبله وإن كان لها لخليقا. (١)

٢- ولقد ولي رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - على خيبر ووصفه بأنه يحب الله ورسوله، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ وَكَانَ بِهِ رَمْدٌ فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ مَسَاءَ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَاُعْطِينَ الرَّايَةَ أَوْ قَالَ لِيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ. (٢)

فلذلك كانت إدارة النبي ﷺ لشئون البلاد إدارة جيدة محكمة أرسى في نفوس أصحابه قواعدها ومهامها وتحقق من خلالها كل خير للغني والفقير والصغير والكبير والرجل والمرأة.

إدارة الخلفاء والأمراء:

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يضع طرقاً وشروطاً فيمن يتولى الوظائف لأنهم هم الذين يقومون على إدارة المؤسسات ،

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٧).

وكان يختار من يستعمله على عمل ويبحث عنه ويستشير الناس من حوله قال يوماً لأصحابه: دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني من أمر المسلمين، قالوا: عبد الرحمن بن عوف قال: ضعيف قالوا: فلان قال: لا حاجة لي فيه: قالوا: من تريد قال: رجل إذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كأنه أميرهم قالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي قال: صدقتم. ^(١)

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يعزل الولاية بدون حرج إذا وجد من هم أفضل منهم فقد عزل عمر - رضي الله عنه - شرحبيل بن حسنة وعين بدله معاوية، فقال له شرحبيل: أمن سخطه عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل. ^(٢)

وكان عمر - رضي الله عنه - حريصاً على أن لا يولي أحداً من أقاربه رغم كفاية بعضهم وسبقه إلى الإسلام وهذا من حسن إدارته - رضي الله عنه - مثل سعيد بن زيد ابن عمه وعبد الله بن عمر ابنه، وقد سمعه رجل من أصحابه يشكو إعضال أهل الكوفة به في أمر ولاتهم. وقول عمر: لوددت أني وجدت رجلاً قوياً أميناً مسلماً أستعمله عليهم، فقال الرجل: أنا والله أدلك عليه، عبد الله بن عمر، فقال عمر: قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا. ^(٣)

- عمرو بن العاص - رضي الله عنه - استطاع بعد فتح مصر أن ينجز العديد من المشاريع التنموية التي عادت بالنفع على أهل مصر، وكذلك على بيت المال، وقد كان عهد ولاية عمرو - رضي الله عنه - على مصر عهد رخاء وازدهار، فكان يحب شعبها ويحبونه، ونعموا في ظل حكمه بالعدل والحرية، وفيها قام بتخطيط مدينة الفسطاط. ^(٤)

^(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (٦/١).

^(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري (٣٤١/٢).

^(٣) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (١٠٨).

^(٤) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (١٠٥).

وأعاد حفر خليج أمير المؤمنين الموصّل إلى البحر الأحمر لنقل الغنائم إلى الحجاز بحرًا.^(١) وأنشأ بها جامعًا سمي باسمه، وما يزال جامع عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قائمًا إلى الآن بمصر.

- عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - كان يشرف بنفسه على ما يتم في دولته من أعمال صغرت أو كبرت، وكان يتابع عماله في أقاليمهم وساعده على ذلك أجهزة الدولة التي طورها عبد الملك بن مروان، كالبريد، وجهاز الاستخبارات الكبير الممتد في أطراف الدولة والذي كان الخلفاء يستخدمونه في جمع المعلومات، وعلى الرغم من عناية عمر بن عبد العزيز في اختيار الولاة، إلا أن هذا لم يمنعه من العمل على متابعة أمر الرعية وتصريف شئون الدولة وقد اشتهر عنه الدأب والجد في العمل حتى أصبح شعاره لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، فقد قيل له: يا أمير المؤمنين لو ركبت فتر وحت، قال: فمن يجزي عني عمل ذلك اليوم؟ قيل: تجزيه من الغد قال: فدحني عمل يوم واحد، فكيف إذ اجتمع علي عمل يومين.^(٢)

مظاهر سوء الإدارة:

١- تولية غير الأكفاء: إن مما قررته نصوص الشريعة وبينه أهل العلم في قواعدهم: (أن تصرف الإمام منوط بالمصلحة) ومعناه أن من تولى أمرًا من أمور المسلمين لا بد أن ينظر فيه إلى المصلحة العامة للمسلمين ولا سبيل إلى ذلك إلا للأكفاء الصالحين أصحاب القدرة والفهم والعلم والخبرة وليس غيرهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تخير الإمام بين الأمرين تخيير رأي ومصلحة، لا تخيير شهوة ومشية وهكذا سائر ما يخير فيه ولاية الأمر ومن تصرف لغيره بولاية كناظر الوقف ووصي اليتيم والوكيل المطلق لا يخبرون تخيير مشيئة وشهوة، بل تخيير اجتهاد ونظر وطلب الجواز الأصح. كالرجل المبتل بعدوين وهو مضطر إلى الابتداء بأحدهما فيبتدئ بهما أنفع. كالإمام في تولية من يوليه من ولاية الحرب والحكم والمال يختار الأصح فالأصلح للمسلمين. فمن

(١) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (١٧٩).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩٨/٤٥).

ولى رجلاً على عصابة وهو يجد فيهم من هو أَرْضَى الله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين.^(١)

٢- المحسوبية والمجاملة: ما أشد حاجة المسؤولين في المؤسسات إلى أن يجعلوا رسول الله ﷺ قدوتهم فكم من حقوق سلبت وكم من أموال ضيعت وكم من مصالح خُربت بسبب تفشى المحسوبية والمحابة حتى بين الدول بعضها مع بعض، علاوة على محابة الأفراد والأشخاص.

٣- الخيانة وضياع الأمانة: قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال / ٢٧]

قال السعدي - رحمه الله -: فمن أدى الأمانة استحق من الله الثواب الجزيل، ومن لم يؤدها بل خانها استحق العقاب الويل، وصار خائناً لله وللرسول ولأمانته، منقصاً لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، وأقبح الشيات، وهي الخيانة مفوتاً لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة.^(٢)

٤- الإسراف والتبذير:

قال الله تعالى: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: ١٤١]

قال الطبري: السرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية، مجاوزة القدر في العطية إلى ما يحجف برب المال.^(٣)

وقال ابن كثير: قيل معناه: لا تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف.^(٤)

وقال ابن عاشور: فبين أن الإسراف من الأعمال التي لا يحبها، فهو من الأخلاق التي يلزم الانتهاء عنها.^(٥)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١٩/٣٤).

(٢) تفسير السعدي (٣١٩/١).

(٣) تفسير الطبري (٦١٤/٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٤٣/٢).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢٣/٨).

وعن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمِّهَاتِ، وَوَادَ النَّبَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتٍ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ).^(١)

قال النووي: وأما إضاعة المال فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يجب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس.^(٢)

٥- الرشوة: والرشوة منح أو تقديم شيء له قيمة (كالمال والهدايا وغيرهما) لأحد الأشخاص من ذوي المناصب العليا أو صغار الموظفين أو من في يده قضاء منفعة معينة للناس. وفي مقابل ذلك، يخل هذا الشخص بقيمته الإسلامية أو يخالف القانون من أجل أن يستفيد الراشي (المعطي). ووفقاً للقانون فإن رشوة الموظف العام أو من ينوب عنه تعد جريمة شرعية وقانونية في حق كل من الراشي والمرتشي.

لقد حارب الإسلام الرشوة ودعى إلى عفة الموظف العام، وقد شرع الإسلام قانوناً لمحاسبة صاحب الوظيفة العامة وهو ما يمكن أن نطلق عليه قانون من أين لك هذا؟ لقد سماها الله في محكم التنزيل سحتاً وباطلاً، فقال تعالى عن اليهود: {سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} [المائدة: ٤٢] وقال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٨٨]، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه - قَالَ: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ).^(٣)

٦- سوء التخطيط: التخطيط هو الخطوة الأولى في العملية الإدارية حيث تحدد فيه الإدارة ما تريد أن تعمل وماذا يجب عمله، وأين، وكيف، وما هي الموارد التي تحتاج إليها لإتمام العمل، وذلك عن طريق تحديد الأهداف ووضع السياسات المرغوب تحقيقها في المستقبل وتصميم

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (١١/١٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧)، وابن ماجه (٢٣١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١١٤).

البرامج وتفصيل الخطوات والإجراءات والقواعد اللازمة في إطار زمني محدد وبياني محسن في ضوء التوقعات للمستقبل والعوامل المؤثرة المحتمل وقوعها. ولقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في التخطيط منها: حادث الهجرة النبوية فإن المتأمل لها يرى دقة التخطيط ودقة التنفيذ من ابتدائها إلى انتهائها ومن مقدماتها إلى ما جرى بعدها يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة الرسول ﷺ قائم وأن التخطيط جزء من السنة وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طوّل به المسلم.

فما كان اختيار رسول الله ﷺ لدار الأرقم لمجرد اجتماع المسلمين فيها لسماع نصائح ومواعظ وإرشادات، وإنما كانت مركزاً للقيادة، ومدرسة للتعليم والتربية والإعداد والتأهيل للدعوة والقيادة، بالتربية الفردية العميقة الهادئة، وتعهد بعض العناصر والتركيز عليها تركيزاً خاصاً، لتأهيلها لأعباء الدعوة والقيادة، فكان الرسول المربي قد حدد لكل فرد من هؤلاء عمله بدقة وتنظيم حكيم. (١)

٧- سوء التنظيم: إن سوء التنظيم داخل المؤسسات يؤدي إلى إحداث خلل واضح في الإدارة، مما يسبب عدم الاستقرار داخل المؤسسة وانهارها وتفقتها. لكن التنظيم الجيد من تحديد المهام والواجبات وعلاقة كل فرد وأين موقعه وصلاحياته كل هذا يؤدي إلى نجاح العمل الإداري.

إننا لو نظرنا في الهجرة النبوية والغزوات والبعوث ومخاطبة الملوك والرؤساء وتولية الولاية لوجدنا كيف نظم النبي ﷺ شؤون الدولة مما أدى إلى قوتها وازدهارها.

٨- عدم مراقبة الله تعالى في العمل: فإن مراقبة المسلم لنفسه هي أبرز ما يتسم به في عمله سواء كان على مستوى الفرد أو مستوى الجماعة، فإن جميع أفعاله إدارية أو دعوية مقياسٌ لمدى طاعته لأوامر الله، ثم محاسبة نفسه قبل أن يحاسبه خالقه، يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]. وقال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: ٢١٧ - ٢١٩]

(١) دولة الرسول من التكوين الى التمكين للدكتور كامل سلامة الدقس (٢٣٧).

وفي حديث جبريل - عليه السلام - لما سأل النبي ﷺ عن الإحسان أجابه النبي ﷺ بقوله: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). (١)

٩- عدم وجود الرقابة الإدارية المحكمة: لا بد من مراقبة سلوك العاملين بالدولة مثل مراقبة أخلاقهم مع الجمهور وسجلاتهم والأعمال المنوطة بهم، حتى لا تنتشر العدوى الأخلاقية السلبية من أعلى السلطة إلى أدناها، وهي أضبط كذلك وأيسر لمحدودية العدد، ولوجود إمكانية المراقبة الدائمة.

لقد كان النبي ﷺ ينزل إلى الأسواق ليراقب التجار، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَاءً فَقَالَ مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ عَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي. (٢)

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢).

٤- تولية غير الأكفاء والصالحين

تعريف الأكفاء في اللغة: الأكفاء جمع كُفء والكُفء هُوَ النظر والمساوي. ^(١)

وفي الاصطلاح: هو المماثل والقوي القادر على تصريف العمل. ^(٢)

* أهمية اختيار الأكفاء في الإسلام:

إن العمل في ديننا الإسلامي له مكانة عالية، ومنزلة رفيعة سامية، لما له أهمية في بناء الأمم والحضارات، ورقي الأفراد والمجتمعات، فالأنبياء - عليهم السلام - وهم صفوة خلق الله أجمعين عملوا في شتى المجالات والميادين، فقد عمل بعضهم في رعي الغنم والتجارة، والحداثة والخياطة والنجارة، وما من نبي إلا عمل أو امتحن مهنة يكسب عيشه ورزقه منها، ولم يكن ذلك ليعيهم، أو يقلل من شأنهم، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ). ^(٣)

إن العمل واجب على الإنسان القادر، ذلك لأن المجتمعات لن يكتب لها النجاح والرقى إلا بعمل أبنائها في مختلف المجالات، وتحفيزهم على البذل والعطاء ونبذ الاتكال، ولا شك أن الأعمال توجب على شاغلها مهام والتزامات، مقابل تمتع بحقوق مادية وامتيازات، أو رجاء الثواب الأخروي، فلا بد أن نعلم أن العمل مسؤولية وأمانة عظيمة لا يقوم به إلا الأكفاء، ولا يستحقه إلا الصالحين الذين توافرت فيهم شروط القيام بالأعمال وحسن أدائها.

* الحث على تولية الأكفاء:

١- لقد حثت السنة المطهرة على مراعاة مبدأ الأحقية والكفاءة والامتنياز في المجتمع المسلم، وقدمت ذوبها على من دونهم تقديرًا لتفوقهم واعترافًا بأهليتهم.

^(١) لسان العرب لابن منظور (١/١٣٩).

^(٢) المعجم الوسيط (٢/٧٩١).

^(٣) أخرجه البخاري (٢٢٦٢).

فعن أبي مسعود البصري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ). (١)

وعن عبد الله بن زيد - رضي الله عنه - في قصة مشروعية الأذان أن النبي ﷺ قال له: (قُمْ مَعَ بِلَالٍ فَالِقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤْذِنْ بِهِ فَإِنَّهُ أُنْذَى صَوْتًا مِنْكَ). (٢)

ولقد كان يمتحن الصحابة في القوة والرمي حال تجهيز الجيش للغزو، فيقدم الكفاء القوي، ولذلك رد رافع بن خديج يوم بدر لصغر سنه وأجازه يوم أحد. (٣)

٢- لقد وضع رسول الله ﷺ منهجاً عاماً لمن يتولى أي إمارة، فعن عبد الرحمن بن سمرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: (يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أَعْنَتْ عَلَيْهَا). (٤)

٣- لقد نصح النبي ﷺ - أصحابه أن يتولى الأعمال الأكفأ الذين يقدرون عليها، ويجنبوا غير الأكفاء، عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي قَالَ: (فَضْرَبَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)، (٥)

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحَبُّ لِنَفْسِي فَلَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ). (٦)

قال النووي - رحمه الله -: هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها

(١) أخرجه مسلم (٦٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٧)، وابن ماجه (٧٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥١٢).

(٣) الإصابة لابن حجر (٤٣٦/٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).

(٥) أخرجه مسلم (١٨٢٥).

(٦) أخرجه مسلم (١٨٢٦).

أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة. (١)

٤- لقد علمنا النبي ﷺ أن اختيار الوظائف والمهمات يكون على وفق الكفاءات وليس فيه محسوبيات، فكان - ﷺ - عندما يعين الأمراء كان يضع صاحب الكفاءة الإدارية في مكانته التي تليق به، إذ لم يكن الأمير من المقربين من رسول الله ﷺ بقدر ما كان من المؤهلين على تولية الإمارات، فقد ولي النبي ﷺ إمارة اليمن لبازان بن ساسان - من ولد بهرام جور - أمره رسول الله - ﷺ - على أهل اليمن كلها بعد موت كسرى، فهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم، ثم أمر رسول الله ﷺ بعد موت باذان ابنه شهر بن باذان على صنعاء وأعمالها، ثم قتل شهر، فأمر رسول الله ﷺ على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص، وولي رسول الله ﷺ المهاجر بن أبي أمية المخزومي - رضي الله عنه - كندة والصدف. (٢)

حرص الخلفاء والأمراء على اختيار الأكفاء:

- ١- سبق ذكر طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في اختيار الأمراء والولاة.
- ٢- ولقد استخلف نافع بن عبد الله الخزاعي - رضي الله عنه - عبد الرحمن بن أبزى - رضي الله عنه - على مكة مع أنه كان من الموالي، ولما راجعه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في ذلك بقوله: استخلفت عليهم مولى فقال له نافع بن عبد الله الخزاعي - رضي الله عنه -: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فعن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعُسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي فَقَالَ: ابْنُ أَبْرَى قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبْرَى قَالَ: مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ

(١) شرح النووي على مسلم (٢١٠/١٢).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (١٢٥/١).

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ قَالَ عُمَرُ: أَمَّا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ. ^(١)

٣- لقد حرص الخلفاء الأمويون على تولية من اتَّصف بالعلم والصلاح والأمانة، فقد ولى عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قضاء مصر لابن خدامر الصنعاني، وكان ذلك بعد سابق معرفة وتأكُّد من قدرة ابن خدامر على تحمُّل أعباء هذه المهمة الثقيلة، فقد ذكر الحافظ ابن حجر سبب تعيين عمر بن عبد العزيز لابن خدامر قوله: وفد من أهل مصر وفدٌ على سليمان بن عبد الملك منهم ابن خدامر الصنعاني، فسألهم سليمان عن شيء من أهل المغرب، فأخبروه، وأبى ابن خدامر أن يتكلم، فلما خرجوا، قال له عمر بن عبد العزيز - رحمه الله: - ما منعك من الكلام يا أبا مسعود؟ قال: خفت والله أن أكذب. فعرفها له عمر، فلما ولى كتب إلى أيوب بن شراحيل بولاية ابن خدامر القضاء، فولى القضاء من سنة مائة إلى سنة خمس ومائة. ^(٢)

٤- ولقد كان الخلفاء ينصحون ولائهم عند بداية أعمالهم في ولاياتهم حرصاً منهم أن يكونوا على قدر المسؤولية فقد ولى عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز إمارة مصر، فكان مما نصحه به: ابسط بشرك، وألن كنفك، وآثر الرفق في الأمور فهو أبلغ لك، وانظر حاجبك وليكن من خير أهلِكَ فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه؛ لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده، فإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك، وتثبت في قلوبهم محبتك، وإذا انتهى إليك مشكل فاستظهر عليه بالمشورة فإنها تفتح مغاليق الأمور المبهمة، واعلم أن لك نصف الرأي ولأخيك نصفه، ولن يهلك امرؤ عن مشورة، وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فإنك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد إصابتها. ^(٣)

^(١) أخرجه مسلم (٨١٧).

^(٢) رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر (٨٧/١).

^(٣) تاريخ ابن خلدون (٥٨/٣).

أقوال العلماء في تولية الأكفاء:

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : نخير الإمام بين الأمرين تخيير رأي ومصلحة، لا تخيير شهوة ومشية وهكذا سائر ما يخير فيه ولادة الأمر ومن تصرف لغيره بولاية كناظر الوقف ووصي اليتيم والوكيل المطلق لا يخبرون تخيير مشيئة وشهوة، بل تخيير اجتهاد ونظر وطلب الجواز الأصح. كالرجل المبتلى بعدوين وهو مضطر إلى الابتداء بأحدهما فيبتدئ بهاله أنفع. كالإمام في تولية من يوليه من ولادة الحرب والحكم والمال يختار الأصح فالأصلح للمسلمين. فمن ولي رجلاً على عصابة وهو يجد فيهم من هو أَرْضَى الله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين. (١)

٢- قال الشوكاني - رحمه الله - : ولا يولى غير الكفاء لأن فيه تهمة. (٢)
إذا فالإسلام جعل للكفاءة والأهلية من المحل والعناية والاعتبار ما يكفل به لكل مجتمع واعى أن يحيا حياة الجدد والاستقرار والتوازن في الاحتياج والإنتاج، ولأجل ذلك فإن المجتمع الذي يسوده احترام بعضه بعضاً، وتقدير أصحاب الكفاءات، والاعتبار بالأولوية للأهلية وذوي الامتياز، ليعد مجتمعاً متكامل الرؤى متحد المضامين، قد بنى أسسه على شرعة من الحق والعدل والقيم والأخلاق.

ومن أهم أسباب التردى الذي يشهده معظم العالم العربي والإسلامي اليوم، هو وضع غير الأكفاء في مواقع ومناصب مهمة، فقد أصبحت المعايير والمؤهلات التي يُختار على أساسها المسئولون هي ضعف الشخصية، والجبن، والقدرة على النفاق، والمكر، والمدح، والاستعداد للخضوع لصاحب المسئولية الأعلى، والجاهزية لقبول إهاناته، وهي معايير ومؤهلات يبحث عنها المغرورون المتكبرون، غير المخلصين

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١٩/٣٤).

(٢) نيل الأوطار للشوكاني (١٣١/٩).

٥- الحرص على الشهرة

تعريف الحرص:

قال ابن فارس: الحرص: الجشع والإفراط في الرغبة. ^(١)
وقال ابن منظور: هو شدة الإرادة والشره إلى المقصود. ^(٢)

تعريف الشهرة:

قال ابن فارس: الشهرة: وضوح الأمر. ^(٣)
وقال ابن منظور: الشهرة: ظهور الشيء في شئعة حتى يظهره الناس. ^(٤)
ومن هنا يمكن تعريف الحرص على الشهرة بأنها: شدة المحبة والحرص على الظهور بين الناس.

الأدلة من القرآن على ذم طلب الشهرة:

١- قال تعالى: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) } [القصص: ٨٣]

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا. يقول: ولا ظلم الناس بغير حق، وعملا بمعاصي الله فيها. ^(٥)

قال الحسن: لا يريدون علوا في الأرض قال: الشرف والعز، عند ذوي سلطانهم. ^(٦)
وقال معاوية الأسود: لم ينازعوا أهلها في عزها التجبر والتكبر ولم يجزعوا من ذلها. ^(٧)

^(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤٠/٢).

^(٢) لسان العرب لابن منظور (١١/٧).

^(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٢٢٢/٣).

^(٤) لسان العرب لابن منظور (٤٣١/٤).

^(٥) تفسير الطبري (٦٣٧/١٩).

^(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٣٠٢٣/٩).

^(٧) تفسير ابن أبي حاتم (٣٠٢٣/٩).

٢- وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)} [الإسراء: ١٨ - ٢٠]

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى، وإياها يبتغي، لا يوقن بمعاد، ولا يرجو ثوابا ولا عقابا من ربه على عمله (عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) يقول: يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته. (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا) يقول: ثم أصليناه عند مقدمه علينا في الآخرة جهنم، (مَذْمُومًا) على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا (مَذْحُورًا) يقول: مبعدا: مقصي في النار. (١)

٣- وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥)} [هود: ١٥]

قال القرطبي: وقيل: المراد بالآية المؤمنون، أي من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب ولم ينقص شيئا في الدنيا، وله في الآخرة العذاب لأنه جرد قصده إلى الدنيا، وهذا كما قال ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات" فالعبد إنما يعطى على وجه قصده، وبحكم ضميره، وهذا أمر متفق عليه في الأمم بين كل ملة.

وقيل: هو لأهل الرياء، وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء: "صمتم وصليتم وتصدقتم جاهدتم وقرأتم ليقل ذلك فقد قيل ذلك" ثم قال: "إن هؤلاء أول من تسع بهم النار". رواه أبو هريرة، ثم بكى بكاء شديداً وقال: صدق رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها" وقرأ الآيتين. (٢)

(١) تفسير الطبري (١٧/٤٠٩).

(٢) تفسير القرطبي (٩/١٤)، والحديث أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢) واللفظ له.

٤- وقال تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) } [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]

قال الزحيلي: أي أن كل أعمال ومقاصدي محصورة في طاعة الله ورضوانه، فهي آية جامعة لكل الأعمال الصالحة، وعلى المسلم أن يكون قصده وعمله وكل ما يقدمه من عمل هو وجه الله تعالى، سواء في أثناء حياته، أو ما يعقبه من عمل صالح بعد مماته، هو لله، وإلى الله، وفي سبيل الله، ولطاعة الله تعالى. (١)

الأدلة من السنة:

١- عَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ " (٢)

قال ابن رجب: فهذا مثل عظيم جدا ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضارين يأتيان في الغنم، وقد غاب عنها رعاؤها ليلا، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها. ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف، إفساده لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم؛ بل إما أن يكون مساويا وإما أكثر، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا. (٣)

(١) التفسير المنير للزحيلي (١٢٥/٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٧٩٤)، والترمذي (٢٣٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٠).

(٣) شرح حديث ما ذبَّان جائعان ضمن مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي (١/٦٤).

وقال أيضا: وأما حرص المرء على الشرف فهذا أشد هلاكا من الحرص على المال فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف. ^(١)

٢- وعن عامر بن سعد، قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِيلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَى سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ، فَتَزَلَّ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِيْلِكَ وَغَنِمَكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْحَقِيَّ. ^(٢)

قال النووي: المراد بالغنى غنى النفس هذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ ولكن الغنى غنى النفس وأشار القاضي إلى أن المراد الغنى بالمال وأما الخفي فمعناه الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه. ^(٣)

وقال ابن عثيمين رحمه الله: الخفي: هو الذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند الناس، أو يشار إليه بالبنان، أو يتحدث الناس عنه، تجده من بيته إلى المسجد، ومن مسجده إلى بيته، ومن بيته إلى أقاربه وإخوانه خفي، يخفي نفسه.

ولكن لا يعني ذلك أن الإنسان إذا أعطاه الله علما أن يتوقع في بيته ولا يعلم الناس، هذا يعارض التقى، فتعليمه الناس خيرا من كونه يقبع في بيته ولا ينفع الناس بعلمه، أو يقعد في بيته ولا ينفع الناس بماله.

لكن إذا دار الأمر بين أن يلمع نفسه ويظهر نفسه ويبين نفسه، وبين أن يخفيها، فحينئذ يختار الخفاء، أما إذا كان لا بد من إظهار نفسه فلا بد أن يظهرها، هذا ممن يحبه الله عز وجل، وفيه

^(١) مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي (١/٧٠-٧١).

^(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

^(٣) شرح مسلم للنووي (١٨/١٠٠) بتصرف.

الحث على أن الإنسان يكون خفياً، يكون غنياً عن غيره عن غير الله عز وجل، يكون تقياً لربه سبحانه وتعالى حتى يعبد الله سبحانه وتعالى في خير وعافية. ^(١)

٤- وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". ^(٢)

قال الطيبي: قوله: (ثوب شهرة): الشهرة ظهور الشيء في شئعة بحيث يشتهر به صاحبه. والمراد بثوب شهرة ما لا يحل لبسه وإلا لما رتب الوعيد عليه، أو ما يقصد بلبسه التفاخر والتكبر على الفقراء، والإذلال بهم وكسر قلوبهم، أو ما يتخذة المساخر ليجعل به نفسه ضحكة بين الناس، أو ما يرائي به من الأعمال، فكنى بالثوب عن العمل الصالح وهو الشائع. أقول: والوجه الثاني أظهر؛ لقوله ﷺ: (ألبسه الله ثوب مذلة): أي يشمل به بالذل كما يشمل الثوب البدن. ^(٣)

السلف الصالح وخوفهم وتحذيرهم من طلب الشهرة:

١- عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: شهدت خير، وكنت فيمن صعد الثلمة، فقاتلت حتى رئي مكاني، وعلي ثوب أحمر، فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنباً أعظم علي منه - أي: الشهرة. ^(٤)

٢- عن إبراهيم بن يزيد النخعي والحسن قالوا: كفى بالمرء شراً أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصم الله، التقوى ها هنا يومئ إلى صدره ثلاث مرات. ^(٥)

٣- وقال الأعمش: كان إبراهيم النخعي يتوقى الشهرة، فكان لا يجلس إلى الأسطوانة، وكان إذا سئل عن مسألة لم يزد عن جواب مسأله، فأقول له في الشيء يسأل عنه: أليس فيه كذا وكذا؟ فيقول: إنه لم يسألني عن هذا. ^(١)

^(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/٥١٠-٥١١).

^(٢) أخرجه أحمد (٥٦٦٤)، وابن ماجه (٣٦٠٧)، وحسنه الألباني في المشكاة (٤٣٤٦).

^(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٩/٢٩٠١).

^(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٤٧٠).

^(٥) الحلية لأبي نعيم (٤/٢٣٢).

- ٤- وقال ثابت: قال لي محمد بن سيرين: "يا أبا محمد لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة، فلم يزل بي البلاء حتى أقمت على المصطبة فقيل: هذا محمد بن سيرين أكل أموال الناس" وكان عليه دين كثير. (٢)
- ٥- وقال بشر بن الحارث: إذا عرفت في موضع فاهرب منه وإذا رأيت الرجل إذا اجتمعوا إليه في موضع لزمه واشتهر ذاك فهو يحب الشهرة (٣).
- ٦- وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله عبد أحب الشهرة. (٤)
- ٧- وقال أبو بكر بن عياش: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بالسلامة عافية وأدنى ضرر النطق الشهرة، وكفى بالشهرة بلية. (٥)
- ٨- عن الحسين بن محمد البغدادي قال: سمعت أبي يقول: زرت بشر بن الحارث فقعدت معه ملياً، فما زادني على كلمة، قال: ما اتقى الله من أحب الشهرة. (٦)

مظاهر الحرص على الشهرة:

- ١- حب الظهور.
- ٢- حب الرياسة.
- ٣- حب اطلاع الناس على العمل.
- ٤- حب السلطة الإمارة.
- ٥- حب التصدر.
- ٦- المراءاة والتسميع بالأعمال.
- ٧- افتعال المواقف ليرى بين الناس.

(١) الحلية لأبي نعيم (٤/٢١٩).

(٢) الحلية لأبي نعيم (٢/١٧١).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٠/٢٠٦).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٨/٣١).

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٨/٣٠٣).

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر (٨/٣٤٦).

- ٨- أن ينسب لنفسه أعمالاً لم يقيم بها.
- ٩- انتقاص الآخرين طلباً لرفعة النفس.
- ١٠- لبس ملابس الشهرة.
- ١١- دائم الحديث عن نفسه في كل مجلس

٦- رؤية العمل

رؤية العمل آفة قلبية هي إحدى مظاهر داء العجب بالنفس.

وهي آفة تتناقض مع الإخلاص، وقد ذم الله المرءين بأعمالهم، وهذه بعض الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} [المدثر: ٦]

قال الطبري: وأولى الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح.

عن الحسن في قوله: {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} قال: لا تمنن عملك تستكثره على ربك.

عن الربيع بن أنس {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} قال: لا يكثر عملك في عينك، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل. (١)

قال القرطبي: عن مجاهد والربيع: لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير، فإنه مما أنعم الله عليك، وقال ابن كيسان: لا تستكثر عملك فتراه من نفسك، إنما عملك منة من الله عليك، إذ جعل الله لك سبيلا إلى عبادته. (٢)

٢- وقال تعالى: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: ٣٢]

قال أبو السعود: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذه باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحضر مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أي إذا كان الأمر كذلك فلا تُثَنِّوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته. {هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} المعاصي جميعاً، وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها، وقيل: كان ناسٌ يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٢٣/١٥-١٦) بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/٦٧).

وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزيكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر^(١).

ومن السنة:

١- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ، وَثَلَاثُ مُنْجِيَّاتٍ، وَثَلَاثُ كَفَّارَاتٍ، وَثَلَاثُ دَرَجَاتٍ. فَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَشُحُّ مَطَاعٍ، وَهَوَى مُتَّبِعٍ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ. وَأَمَّا الْمُنْجِيَّاتُ: فَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَى، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ، وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةِ. . . (٢)

قال المناوي: (وإعجاب المرء بنفسه) أي تحسين كل أحد نفسه على غيره وإن كان قبيحاً، قال القرطبي: وإعجاب المرء بنفسه هو ملاحظة لها بعين الكمال مع النسيان لنعمة الله والإعجاب وجدان شيء حسناً، قال تعالى في قصة قارون {قال إنما أوتيته على علم عندي} قال الله تعالى {فخسفنا به} فثمرة العجب الهلاك قال الغزالي: ومن آفات العجب أنه يحجب عن التوفيق والتأييد من الله تعالى فإن عجب مخذول فإذا انقطع عن العبد التأييد والتوفيق فما أسرع ما يهلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام: يا معشر الخواريين كم سراج قد أطفأته الريح وكم عابد أفسده العجب. (٣)

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْدُوا وَرَوْحُوا، وَسَيِّءٌ مِنَ الدُّجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا. (٤)

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٨/١٦٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٧٥٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٠٢).

(٣) فيض القدير للمناوي (٣/٣٠٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٦٣) بلفظه، ومسلم (٢٨١٦) بنحوه.

قال ابن حجر: قال الرافعي: في الحديث أن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات لأنه إنما عمل بتوفيق الله وإنما ترك المعصية بعصمة الله فكل ذلك بفضلته ورحمته.

٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ خَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ الْعُجْبُ الْعُجْبُ" (١)

قال المناوي: (لو لم تكونوا تذنّبون لخفت عليكم) وفي رواية لخشيت (ما هو أكبر من ذلك العجب العجب) لأن العاصي يعترف بنقصه فترجى له التوبة، والمعجب مغرور بعمله فتوبته بعيدة {وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا} ولأن دوام الطاعة يوقع فيه ولهذا قيل: أين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين؛ لأن زجلهم يشوبه الافتخار وأين أولئك يشوبه الانكسار والافتقار، والمؤمن حبيب الله يصونه ويصرفه عما يفسده إلى ما يصلحه، والعجب يصرف وجه العبد عن الله والذنب يصرفه إليه، والعجب يقبل به على نفسه، والذنب يقبل به على ربه؛ لأن العجب ينتج الاستكبار والذنب ينتج الاضطرار ويؤدي إلى الافتقار وخير أوصاف العبد افتقاره واضطراره إلى ربه فتقدير الذنوب وإن كانت سترًا ليست لكونها مقصودة لنفسها بل لغيرها وهو السلامة من العجب.

مسائل متفرقة في العجب:

*هل السرور بالعمل والفرح به يدخل في العجب؟

قال ابن عقيل: الإعجاب ليس بالفرح والفرح لا يقدر في الطاعات لأنها مسرة النفس بطاعة الرب عز وجل، ومثل ذلك مما سر العقلاء وأبهج الفضلاء،... وإنما الإعجاب استكثار ما يأتي به من طاعة الله عز وجل ورؤية النفس بعين الافتخار. (٢)

وقال العز بن عبد السلام: ومن فرح بالعمل بكونه منة من الله تعالى واستعظمه لما يرجو عليه من ثواب الله عز وجل ولم يصف ذلك إلى نفسه ولم يحمدها عليه فليس بمعجب،

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٨٦٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٣).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/١٣٣).

وكذلك إذا علمت أن كل نعمة من الله ثم استعظمت شيئاً من أعمالك ناسياً غافلاً عن كونه من الله تعالى ومن نفسك غير حامد لنفسك عليه فلست بمعجب ولو استحضرت كونها من الله تعالى كان ذلك أفضل.

فالفرح بنسبة النعم إلى الله تعالى مأمور به في كتاب الله في قوله تعالى {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا} وإنما الشر والإعجاب في نسبة تلك النعم إلى النفس ونسيان كونها من الله تعالى وما أجدر من فعل ذلك أن يكله الله عز وجل إلى نفسه كما فعل بأصحاب رسول الله ﷺ تسليماً يوم حنين إذ أعجبته كثرهم فنسبوا النصر إلى الكثرة ونسوا نسبته إلى الله تعالى {علوا كبراً} فخذلوا فهزموا مع أنهم خير خلق الله. (١)

*بيان منشأ العجب، وأنه ليس من شأن العقلاء:

قال السفاريني: العجب إنما يكون ويوجد من الإنسان لاستشعار وصف كمال، ومن أعجب بعمله استعظمه فكأنه يمن على الله سبحانه وتعالى بطاعته، وربما ظن أنها جعلت له عند الله موضعاً، وأنه قد استوجب بها جزاء، ويكون قد أهلك نفسه، فقد قال عليه الصلاة والسلام ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه وربما منعه عجبه من الازدياد، ولهذا قالوا: عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله، وما أضر العجب بالمحاسن. وسبب العجب وعلته الجهل المحض، ومن أعجب بطاعته مثلاً فما فهم أنها بالتوفيق حصلت.

فإن قال: رأي أهلاً لها فوفقني، قيل له: فتلك نعمة من منه وفضله فلا تقابل بالإعجاب. (٢)

مهالك العجب:

قال العز بن عبد السلام: واعلم أنك إذا استقمت وقمعت نفسك استعظمت أفعالك فأعجبت بذلك فألقتك في مهالك العجب الذي أهلك كثيراً من العالمين والعابدين

(١) مقاصد الرعاية للعز بن عبد السلام (ص ١٣١-١٣٢).

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٢٢٥).

والزاهدين؛ لأن من أعجب بعمله: لم ير لنفسه ذنبا فيتوب منه، ولم ير لنفسه تقصيرا فيقلع عنه.

فالعجب: مُعم لأكثر الذنوب والعيوب، موجب لاستعظام الطاعات والإدلال بها على رب السماوات،

مفض إلى العزة والكبر والتعظيم على العباد حتى يصير المعجب كأن له منة على الله تعالى لاستعظامه أعماله وكذلك يمن على عباد الله بما يسديه إليهم من معروفه وإحسانه في زعمه فما أجدره بأن يحبط الله عمله بإعجابه ويكله ربه على نفسه. ^(١)

^(١) مقاصد الرعاية للعز بن عبد السلام (ص ١٢٩-١٣٠).

٧- غياب الترشيح في النفقات (الإسراف في غير محله)

تعريف الإسراف في اللغة:

قال ابن منظور: السرف والإسراف: مجاوزة القصد، وأسرف في ماله: عجل من غير قصد، وأما السرف الذي نهى الله عنه، فهو ما أنفق في غير طاعة الله، قليلاً كان أو كثيراً. والإسراف في النفقة: التبذير. ^(١)

تعريف الإسراف في الاصطلاح والفرق بينه وبين التبذير:

✽ الإسراف: هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس.

✽ الإسراف: تجاوز الحد في النفقة، وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة.

✽ وهو أيضاً: صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي؛ بخلاف التبذير: فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي. ^(٢)

قال الحافظ ابن حجر: والإسراف مجاوزة الحد في كل فعل أو قول وهو في الإنفاق أشهر. ^(٣)

القصد بين الإسراف والتقتير:

قال الراغب: الإنفاق ضربان: ممدوح ومذموم.

فالممدوح: منه ما يكسب صاحبه العدالة، وهو بذل ما أوجبت الشريعة بذله، كالصدقة المفروضة، والإنفاق على العيال، ومنه ما يكسب صاحبه أجراً وهو الإنفاق على من ألزمت الشريعة الإنفاق عليه، ومنه ما يكسب صاحبه الحرية، وهو بذل ما ندبت الشريعة إلى بذله، فهذا يكتسب من الناس شكراً، ومن ولي النعمة أجراً.

والمذموم ضربان:

^(١) لسان العرب لابن منظور (٩/١٤٨).

^(٢) التعريفات للجرجاني (ص ٢٣-٢٤)، وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص ٥٠)، الكليات للكفوي (ص ١١٣)، المفردات للراغب الأصفهاني (ص ٤٠٧-٤٠٨).

^(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/٢٥٣).

إفراط: وهو التبذير والإسراف، وتفريط: وهو التقتير والإمساك، وكلاهما يراعى فيه الكيفية والكمية.

فالتبذير من جهة الكمية: أن يُعطي أكثر مما يحتمله حاله، ومن جهة الكيفية: فبأن يضعه في غير موضعه، والاعتبار فيه بالكيفية أكثر منه بالكمية، فرب منفق درهماً من ألوف وهو في إنفاقه مسرف وبذله مفسد ظالم، كمن أعطى فاجرة درهماً، أو اشترى خمرًا. ورب منفق ألوفًا لا يملك غيرها هو فيها مقتصد وبذله مجتهد، كما روي في شأن الصديق أبي بكر رضي الله عنه.

وقد قيل لحكيم: متى يكون بذل القليل إسرافًا والكثير اقتصادًا، قال: إذا كان بذل القليل في باطل وبذل الكثير في حق.

والتقتير من جهة الكمية أن ينفق دون ما يحتمله حاله، ومن حيث الكيفية أن يمنع من حيث يجب، ويضع حيث لا يجب. . .

وليس الإسراف متعلقًا بالمال فقط، بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به، ألا ترى أن الله تعالى وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث، فقال: (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) (٨١) (١)

الأدلة من القرآن على ذم الإسراف :

١- قال تعالى: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: ١٤١]

قال الطبري: السرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية، مجاوزة القدر في العطية إلى ما يحجف برب المال. (٢)

وقال ابن كثير: قيل معناه: لا تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف. (٣)

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (ص ٢٨٥-٢٨٦) بتصرف يسير.

(٢) تفسير الطبري (٩/٦١٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢٤٣).

وقال ابن عاشور: فبين أن الإسراف من الأعمال التي لا يحبها، فهو من الأخلاق التي يلزم الانتهاء عنها. ^(١)

٢- وقال تعالى: {وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)} [الأعراف: ٣١]
قال السعدي: والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق في المآكل والمشارب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام.

{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} فإن السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشتة، حتى إنه ربما أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات. ^(٢)

٣- وقال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧)} [الفرقان: ٦٧]

قال السعدي: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا} النفقات الواجبة والمستحبة {لَمْ يُسْرِفُوا} بأن يزيدوا على الحد فيدخلوا في قسم التبذير وإهمال الحقوق الواجبة، {وَلَمْ يَقْتُرُوا} فيدخلوا في باب البخل والشح {وَكَانَ} إنفاقهم {بَيْنَ ذَلِكَ} بين الإسراف والتقتير {قَوَامًا} يبدلون في الواجبات من الزكوات والكفارات والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من غير ضرر ولا ضرار وهذا من عدلهم واقتصادهم. ^(٣)

٤- وقال تعالى: {وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)} [الإسراء: ٢٦، ٢٧]
قال ابن كثير: {ولا تبذر تبذيرا} لما أمر بالإنفاق نهى عن الإسراف فيه، بل يكون وسطا، كما قال في الآية الأخرى: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما} [الفرقان: ٦٧].

^(١) التحرير والتنوير (٨/ ١٢٣).

^(٢) تفسير السعدي (ص ٢٨٧).

^(٣) تفسير السعدي (٥٨٦).

ثم قال: منفراً عن التبذير والسرف: {إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين} أي: أشباههم في ذلك.

وقال ابن مسعود: التبذير: الإنفاق في غير حق. وكذا قال ابن عباس.

وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق، لم يكن مبذراً، ولو أنفق مداً في غير حقه كان تبذيراً.

وقال قتادة: التبذير: النفقة في معصية الله تعالى، وفي غير الحق وفي الفساد. (١)

الأدلة من السنة:

١- عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتٍ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ" (٢)

قال القاضي عياض: وأما "إضاعة المال" يكون في تعطيله، وترك القيام عليه، أو مصلحته، مصلحة ديناه، ومصلحة ديناه صلاح دينه بتفريغ ماله له، وتركه التعرض لما في أيدي الناس. وقد تكون إضاعته إنفاقه في غير وجوهه والإسراف في ذلك. (٣)

وقال النووي: وأما إضاعة المال فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يجب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس. (٤) وقال ابن حجر: قوله وإضاعة المال تقدم في الاستقراض أن الأكثر حملوه على الإسراف في الإنفاق وقيده بعضهم بالإنفاق في الحرام والأقوى أنه ما أنفق في غير وجهه المأذون فيه شرعاً سواء كانت دينية أو دنيوية فمنع منه لأن الله تعالى جعل المال قياماً لمصالح العباد وفي تبذيرها تفويت تلك المصالح إما في حق مضيعها وإما في حق غيره ويستثنى من ذلك كثرة إنفاقه في وجوه البر لتحصيل ثواب الآخرة ما لم يفوت حقاً أخروياً أهم منه

(١) تفسير ابن كثير (٦٩/٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣).

(٣) إكمال المعلم للقاضي عياض (٥٦٩/٥).

(٤) شرح مسلم للنووي (١١/١٢).

والحاصل في كثرة الإنفاق ثلاثة أوجه:

الأول: إنفاقه في الوجوه المذمومة شرعاً فلا شك في منعه.

والثاني: إنفاقه في الوجوه المحموده شرعاً فلا شك في كونه مطلوباً بالشرط المذكور.

والثالث: إنفاقه في المباحات بالأصالة كملاذ النفس فهذا ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون على وجه يليق بحال المنفق وبقدر ماله فهذا ليس بإسراف.

والثاني: ما لا يليق به عرفاً، وهو ينقسم أيضاً إلى قسمين: أحدهما ما يكون لدفع مفسدة إما ناجزة أو متوقعة فهذا ليس بإسراف.

والثاني: ما لا يكون في شيء من ذلك فالجمهور على أنه إسراف. (١)

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَابْسُؤُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَحِيلَةٍ. (٢)

قال ابن حجر: والإسراف مجاوزة الحد في كل فعل أو قول وهو في الإنفاق أشهر،

قال الموفق عبد اللطيف البغدادي: هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه وفيه

تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد ويضر

بالمعيشة فيؤدي إلى الإلتاف ويضر بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال والمخيلة

تضر بالنفس حيث تكسبها العجب وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم وبالدينا حيث تكسب

المقت من الناس. (٣)

٣- وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَّتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا ". (٤)

(١) فتح الباري (٤٠٨/١٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦٦٩٥)، والنسائي (٢٥٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٠٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٢٥٣/١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦).

قال العيني: قوله: (فَسَلَطَ عَلَى هَلَكْتِهِ) فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِبَالِغَتَانِ: إِحْدَاهُمَا: التَّسْلِيْطُ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْغَلْبَةِ وَقَهْرِ النَّفْسِ الْمَجْبُولَةِ عَلَى الشُّحِّ الْبَالِغِ، وَالْأُخْرَى: لَفْظٌ: عَلَى هَلَكْتِهِ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ شَيْئًا، وَلَمَّا أَوْهَمَ اللَّفْظَانِ التَّبْذِيرَ، وَهُوَ صَرْفُ الْمَالِ فِيْمَا لَا يَنْبَغِي، ذَكَرَ قَوْلُهُ: (فِي الْحَقِّ)، دَفْعًا لِدَلَالَةِ الْوَهْمِ. ^(١)

الوسائل المعينة لترك الإسراف والتبذير:

١ - الاعتدال في النفقة:

قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧]. قال ابن كثير: أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلا خيارا، وخير الأمور أوسطها. ^(٢)

٢ - البعد عن مجالسة المرففين والمبذرين:

ويكون بالانقطاع عن صحبة المرففين، مع الارتقاء في أحضان ذوى الهمم العالية والنفوس الكبيرة، الذين طرحوا الدنيا وراء ظهورهم، وكرسوا كل حياتهم من أجل استئناف حياة إسلامية كريمة، تصان فيها الدماء والأموال والأعراض، ويقام فيها حكم الله عز وجل في الأرض، غير مبالين بما أصابهم ويصيبهم في ذات الله، فإن ذلك من شأنه أن يقضي على كل مظاهر السرف والدعة والراحة، بل ويجنبنا الوقوع فيها مرة أخرى، لنكون ضمن قافلة المجاهدين وفي موكب السائرين. ^(٣)

٣ - قراءة سيرة النبي ﷺ:

كان رسول الله ﷺ زاهداً عن هذه الدنيا وكان يحذر أمتة عن الإسراف والتبذير، ويحثهم على المثابرة والتقشف، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنِ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَائِكِ، ثُمَّ الْهَلَائِكِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلْتُ يَا

(١) عمدة القاري للعيني (٥٨/٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١٢٤/٦).

(٣) آفات على الطريق للسيد محمد نوح (١ / ٤٦).

خَالَةً: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: " الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا. ^(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى قُبِضَ. ^(٢)

٤ - قراءة سيرة السلف الصالح:

فالصحابة من سلف هذه الأمة والتابعين لهم كانت نظرتهم لهذه الدنيا أنها دار ممر لا دار مقر، وأنهم غرباء مسافرون عنها ولذلك كان عيشهم كفافاً، فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه دخل على ابنه عبد الله رضي الله تعالى عنهما فرأى عنده لحماً، فقال: (ما هذا اللحم؟ قال: أَشْتَهِيهِ قال: وكلما اشتهيت شيئاً أكلته؟ كفي بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهاه).

ودخل سلمان على أبي بكر وهو في سكرات الموت، فقال: أوصني، فقال: (إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغاً). ^(٣)

٥ - أن يفكر في عواقب الإسراف والتبذير:

فالذي يعلم أن عاقبة الإسراف والتبذير سيئة وغير محموددة يتجنبه ولا يتماذى في هذا الطريق.

٦ - تذكر الموت والدار الآخرة:

فالمسلم حينما يتذكر الموت وأهوال يوم القيامة لا شك أنه سيعينه على ترك الإسراف والبذخ، وسيتقرب إلى الله بإنفاق ما زاد عن حاجاته، والاستعداد ليوم القيامة.

ومن العبارات والأمثلة البليغة في هذا الباب:

١ - قول ابن القيم: العدل وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلو والمخالطة وغير ذلك إذا

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٤).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٤٧٦).

كانت وسطا بين الطرفين المذمومين كانت عدلا وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصا وأثمرت نقصا. ^(١)

٢- قول الثعالبي: من أصلح ماله فقد صان الأكرمين: الدين، والعرض. ما عال مقتصدٌ. أصلحوا أموالكم لبنوة الزمان، وجفوة السلطان. الإصلاح أحد الكاسبين. لا عيلة على مصلح، ولا مال لأخرق، ولا جود مع تبذير، ولا بخل مع اقتصاد. التبذير يثمر اليسير، والتبذير يبذل الكثير. حسن التبذير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الإسراف. القصد أسرع تبليغاً إلى الغاية وتحصيلاً للأمر. إن في إصلاح مالك جمال وجهك، وبقاء عزك، وصون عرضك، وسلامة دينك. التقدير نصف الكسب. أفضل القصد عند الجدة. عليك من المال بما يعولك ولا تعوله. من لم يحمد في التقدير، ولم يذم في التبذير، فهو سديد التبذير. ^(٢)

^(١) الفوائد لابن القيم (ص ١٤١).

^(٢) التمثيل والمحاضرة للثعالبي (١/٤٢٨).

العمل التطوعي في المجتمعات الغربية والدعم المقدم له

نبذة عن العمل التطوعي في المجتمعات الغربية والدعم المقدم له:

لقد اهتمت الدول الغربية اهتمامًا بالغًا بالعمل الخيري، وأدركت أن الدول لا غنى لها عن قيام مؤسسات أهلية تسد عجز الحكومات في رفع العبء عنها، ومساهمة من المجتمع بكل أطرافه في المشاركة الاجتماعية الفاعلة، ولعل بعض المسلمين لا يدرك أن الدول الغربية تولي اهتمامًا بالغًا بإنجاح العمل التطوعي، وتساهم بشكل فعال في إنجاحه، وإزالة العقبات أمام استمراره وتجده، والواقع يشهد أن الدول الكبرى في العالم اليوم قد ركزت على قيام هذه المؤسسات الخيرية، ودعمتها بكل أنواع الدعاية والتسهيل والرعاية حتى تفوق العمل الخيري في هذه المجتمعات على بعض دول الإسلام، والتي كان ينبغي أن تكون رائدة في تصدير العمل الخيري وتعليم هذه الدول أصوله ومبادئه.

ولابد من إلقاء نظرة سريعة على بعض الجهود المبذولة في دول الغرب؛ لنلفت انتباه القاريء الكريم إلى مدى عناية هذه الدول لهذه المؤسسات.

الاتجاهات العالمية في العمل الخيري:

يسير العمل التطوعي من خلال ثلاثة اتجاهات رئيسة، وهي:

أولاً- الاتجاه الماركسي والاشتراكي وهو ضعيف وغير مؤثر.

ثانيًا- الاتجاه الليبرالي الغربي وهو السائد.

ثالثًا- الاتجاه الديني: وهو متنوع ومتسع، ويختلف من بلد إلى آخر، قوة وضعفًا.

أولاً: الاتجاه الماركسي والاشتراكي في العمل الخيري:

وهو اتجاه ضعيف جدًا، في العمل الخيري، ولا يكاد يكون موجودًا؛ لأن الدول الماركسية والشيوعية لديها موقف معاد للعمل الخيري، وسجلت في الصين سبع جمعيات لها نشاط ملموس، منها الجمعية البوذية، والجمعية الكاثوليكية، وإن كان يقدر عدد المنظمات الخيرية ١٨٦ ألف منظمة منها ما هو معترف به ومنها غير معترف به، وهذا عدد ضعيف جدًا

بالمقارنة بعدد السكان في الصين الذي يقارب المليار ونصف نسمة؛ ولذلك فإن الاتجاه الماركسي لم يقدم الكثير للعمل الخيري، لتحكم الدولة والحزب الشيوعي في جميع الأنشطة. ثانياً- الاتجاه الليبرالي الغربي وهو السائد.

أما عن الاتجاه الأول "الليبرالي" فينطلق في العمل الخيري من خلال عدة محاور وهي: أولاً: إسناد مهمات إنسانية وغير إنسانية للمنظمات الخيرية، مثل: "الأوكسفام" البريطانية وهي عبارة عن اتحاد لـ ١٣ منظمة تعمل في أكثر من مائة دولة لمعالجة الفقر، وتشارك معها الحكومة البريطانية في مهمات إنسانية وغير إنسانية.

وأيضاً منظمة (فرق السلام) وهي منظمة فيدرالية أمريكية وليست أهلية وتستوعب المتطوعين، فقد خدم فيها ١٩٠ ألف متطوع، ونشاطها وصل إلى ١٣٩ دولة.

ثانياً: تطوير الجمعيات الخيرية وتسهيل إجراءات الترخيص،

ثالثاً: وضع الأنظمة للجمعيات الخيرية وإنشاء وتفعيل أجهزة رسمية لمتابعة العمل، ويظهر هذا الاتجاه بجلاء في بريطانيا، التي وضعت أنظمة لمتابعة العمل الخيري تقوم به "الأوكسفام".

رابعاً: إمكانات الأمم المتحدة ومنظماتها في دعم العمل الإنساني، يبرز دور (المجلس الاقتصادي والاجتماعي) بالأمم المتحدة، وهذا المجلس يهيمن عليه التوجه الليبرالي، بل واستطاعت منظمات الشواذ أن تسخره لمصلحتها ولأهدافها، حتى في مؤتمرات مكافحة الإيدز التي نظمت تحت مظلة الأمم المتحدة طوعها الشواذ لأهدافهم.

والمجلس الاقتصادي والاجتماعي يضم ١٦٧٧ منظمة منها فقط ١٧٧ منظمة عربية.

خامساً: اعتبار أمريكا وأوروبا العمل الخيري والإنساني جزءاً من منظومة الديمقراطية، وتسخير الدعم الذي يقدم من خلال هذه المنظمات لأحداث سياسية، وربطه ببرامج معينة لنشر الفكر التغريبي.

سادساً: تطوير أدبيات العمل الخيري وفتح مجالات واسعة له محلياً ودولياً، فهناك دعم كبير من الدول الغربية للمنظمات الخيرية، وفتح باب التطوع للعمل في هذه المنظمات، وبسبب

هذا الدعم، والإمكانات الهائلة الكبيرة نجد المنظمات الغربية في كل مكان، وفي أي بقعة من الأرض، ويعكس التوجه الغربي الليبرالي الذي يشكل منظومة عملها.

وهذه نماذج تفصيلية للعمل التطوعي في بعض الدول الكبرى:

١- أمريكا

إن كل العمل التطوعي والخيري في أمريكا يندرج تحت ما يسمى بالجمعيات اللاربحية واللاحكومية:

Non Profit Organization (Non Government Organization

وتختصر بعبارة (NPO) (NGO) وإذا دخلت شبكة الإنترنت وحدها تجد هناك قرابة ٢ مليون موقعاً تحت كلمة (NGO)، وتشكل الجمعيات اللاربحية عاملاً فعالاً في خدمة الناتج المحلي للاقتصاد الأمريكي (GDP) وحتى نشعر بأهمية هذا الدور أقدم الأرقام الآتية لعام (١٩٩٨م) وهي الإحصائية المتوفرة لدي حالياً من ورقة عمل قدمتها جمعية NCRP الأمريكية ومقرها واشنطن لدعم العمل التطوعي في منطقة الخليج وجاء فيها:

قد بلغ حجم التبرعات الخيرية لعام (١٩٩٨م) ١٧٥ بليون دولاراً يذهب تسعة أعشار هذا المبلغ لدعم الكنائس والأنشطة الدينية الأخرى والنواحي التعليمية المؤسسات الصحية، بينما ٣٪ فقط لجمعيات البيئة وحماية الحياة الفطرية، في حين يذهب ٦٪ فقط من ذاك المبلغ لجمعيات حماية المستهلكين وجمعيات مكافحة العنصرية والتفرقة العرقية.

يبلغ عدد الجمعيات الخيرية في أمريكا ١.٤ مليون جمعية طبقاً لإحصاءات عام ٢٠٠٦م، ودخلها تجاوز ٢٩٥ مليار دولاراً، وهناك تسهيلات كثيرة لهذه الجمعيات.

مجالس العمل الخيري:

لن يستغرب المرء إذا عرف أن الذي يدفع بالعمل الخيري التطوعي في الولايات المتحدة نظام متطور جداً، فهذه المؤسسات والمنظمات العملاقة منضمة إلى مجالس واتحادات، بحيث يضم المجلس أو الاتحاد عدة منظمات ينسق الجهود فيما بينها [التنصير، الرعاية الصحية، الكوارث والنزاعات. . إلخ] وأهم هذه المجالس:

١. المركز القومي للإحصاءات الخيرية NCCS.
٢. مجلس الرابطة الأمريكية لتنمية الموارد والوقوف الخيرية، ويضم ٥٢ مؤسسة وشركة وقف.
٣. القطاع المستقل، تأسس عام ١٩٨٠م ويضم ٨٣٠ مؤسسة ومنظمة وشركة تعمل كلها في مجالات حيوية مختلفة.
٤. المجلس القومي للمنظمات التطوعية، تأسس عام ١٩٨٤م ويضم ١٦٠ منظمة.
٦. المجمع الكنسي الكاثوليكي الوطني لقيادات العناية الصحية.
٧. مجلس المركز الأكاديمي غير الربحي، ويتكون من الجامعات التي بها مراكز الدراسات للقطاع الخيري [٤٠ جامعة! !] ويعمل حالياً ليضم له ١٠٠ جامعة تعمل مراكزها على دراسات العمل الخيري.

نماذج لشخصيات أمريكية ساهمت ببذل كبير في العمل التطوعي:

- (وارن أدوارد بافيت Warren Buffett) مستثمر ورجل أعمال أمريكي يبلغ من العمر ٧٧ عاماً، جاء ليتربع على عرش "البليونيرية"، بعد أن احتكرها قبله وعلى مدى ١٣ عاماً (بين عامي ١٩٩٥ و ٢٠٠٧) زميله "بيل جيتس" فقد قُدرت ثروته عام ٢٠٠٧ بحوالي ٦٢ مليار دولارًا، وبهذا تم تصنيفه بأنه أغنى رجل في العالم بحسب مجلة فوربس Forbes.
- تحوي سيرة "بافيت" جوانب عجيبة، لكن نتوقف عند تصنيف تبرعه للأعمال الخيرية بأنه الأكبر في التاريخ المعاصر.
- استطاع هذا المستثمر أن يجمع ثروة طائلة عبر عدد من الاستثمارات، وكان تتويجها تحت إدارة شركة قابضة تحمل اسم: "بيركشاير هاثاواي: Berkshire Hathaway" وهو أكبر مساهمها ومديرها التنفيذي.
- وقد كان من اللافت للأنظار والمثير للدهشة أن "بافيت" أعلن في يونيو ٢٠٠٦ تعهده بالتبرع بالجزء الأكبر من ثروته من خلال تخصيص ٨٣٪ منها إلى مؤسسة "بيل وميليندا جيتس

فاونديشن "الخيرية". وقد بلغت قيمة هذا التبرع نحو ٧.٣٠ مليار دولارًا، فاعتبره المراقبون أكبر تبرع خيري في التاريخ المعاصر. وسيكون هذا التبرع مخصصاً بحسب ما أعلن لدعم الأبحاث الطبية ومساعدة الفقراء والمرضى، فضلاً عن تشجيع التعليم والتربية في البلدان الفقيرة.

وتضمن هذا الإعلان التأكيد على المبادرة بتقديم التبرع وجدولته بحيث تتسلم المؤسسة المذكورة ٥٪ من إجمالي التبرع على أساس سنوي في كل يوليو، اعتباراً من عام ٢٠٠٦م. كما تضمن إعلان "بافيت" انضمامه إلى مجلس إدارة مؤسسة "جيتس الخيرية"، رغم أنه لا يعترف بأداء دور نشط في إدارة المؤسسة.

كما أعلن "بافيت" عن خطط تقضي بالمساهمة بأسهم إضافية من أسهم شركة "بيركشاير" تقترب قيمتها من ٧.٦ مليار دولار للمؤسسة "سوزان تومبسون بافيت" وغيرها من المؤسسات الخيرية التي يرأسها ثلاثة من أولاده.

وغير بعيد عنه "بيل جيتس: William Henry Gates III" مؤسس شركة مايكروسوفت المنافس لـ "بافيت" في قمة الثراء المالي حيث سبقه إلى ميدان التبرع الخيري عندما ساهم بـ ٢٠ مليار دولاراً من ثروته لإنشاء "مؤسسة بيل وميلندا جيتس للأعمال الخيرية: Bill & Melinda Gates Foundation" وهي مؤسسة خيرية حول العالم، والأهداف الرئيسية لها على الصعيد العالمي هي تعزيز الرعاية الصحية والحد من الفقر المدقع؛ وأما في الولايات المتحدة، فأهدافها توسيع فرص التعليم والوصول إلى تكنولوجيا المعلومات. و"ميلندا" هذه هي مديرة سابقة في "مايكروسوفت" وزوجة "بيل غيتس".

ثم أعلن "جيتس" استقالته من منصبه على رأس شركة "مايكروسوفت" وتفرغه تماماً لإدارة مؤسسته الخيرية، ومقتضى ذلك أن يضع ثروته كلها لخدمة المؤسسة وهذا سيوسع دائرة نشاطها لتصل إلى من استهدفتهم من الفقراء والمحتاجين في كثير من أنحاء العالم.^(١)

٢- بريطانيا

أنشأت بريطانيا قبل أكثر من ١٥٠ سنة ما يسمى بالمفوضية الخيرية (Commission Charity) وهي جهة حكومية متخصصة تقوم بتسجيل كل الجمعيات الخيرية في بريطانيا وتنظم أعمالها.

ويشرف على هذه المفوضية ثلاث إلى خمس شخصيات ممن يحملون شهادة في القانون ولديهم خبرة واسعة في العمل الخيري.

ولكي تحصل الجمعية الخيرية على رخصة عمل فلا بد لها أن تقدم للمفوضية دستوراً خاصاً بها يتضمن أهدافها ومجالات عملها وأسماء أمنائها وأنشطتها الخاصة بجمع التبرعات. وبعيداً عن العراقيل والعقبات التي تواجهها الجمعيات الخيرية العربية في عملها فقد كان الهدف العام لهذه المفوضية: تقديم أفضل تنظيم ممكن للجمعيات الخيرية في بريطانيا، لزيادة كفاءتها وفعاليتها وثقة الناس بها، ويفسر هذا الهدف العلاقة المنظمة والمنطقية بين الحكومة والجمعيات الخيرية.

وتترجم المفوضية هدفها العام في ثلاثة محاور عمل أساسية:

أ - تشجيع وتطوير الطرق الأفضل لإدارة الجمعيات الخيرية.

ب - تزويد القائمين على الجمعيات الخيرية بالمعلومات والنصح في أي أمر له تأثير في عمل جمعياتهم.

ج - التحقيق والتحري في حالات سوء استغلال العمل الخيري.

ومع أن الرقابة المالية هي من أهم الأعمال التي تمارسها المفوضية من خلال مطالبتها الجمعيات الخيرية بتقديم تقارير مالية سنوية مدققة من قبل جهات محاسبية معترف بها إلا أن

(١) أكبر تبرع خيري في التاريخ، د. خالد بن عبد الرحمن الشايع.

دورها تعدى ذلك إلى السعي الجاد في توفير بيئة منظمة ونقية لتمارس الجمعيات الخيرية البريطانية رسالتها بيسر وسهولة، وتوفير سبل تطوير أداء هذه الجمعيات والعاملين فيها؛ ولذلك يجد المطلاع على نشاط المفوضية كمّاً هائلاً من الدورات والدراسات والأبحاث؛ فقد أصدرت المفوضية أكثر من ٧٠ بحثاً حول قضايا إدارية وقانونية تتعلق بعمل الجمعيات الخيرية، كما تصدر دورية فصلية عن شؤون العمل الخيري.

ولقد انعكست هذه الرعاية والمساندة من قِبَل الحكومة على مجالات عدة في قطاع العمل الخيري في بريطانيا؛ فقد بلغ عدد الجمعيات الخيرية البريطانية حتى ديسمبر عام ٢٠٠٣م: ١٦٤٧٨١ جمعية خيرية وهي تنمو بمعدل (١٠٠٠) جمعية تقريباً بشكل سنوي، كما استطاعت هذه الجمعيات أن تجمع خلال عام ٢٠٠٣م أكثر من (٣١) واحد وثلاثين مليار جنيه إسترليني، وقد بلغت أكثر من ١٩٠ ألف جمعية مسجلة لدى المفوضين الخيرية في عام ٢٠٠٦م ودخلها يتجاوز ٤٠ مليار جنيه إسترليني. تصب في أعمال خيرية متنوعة داخل وخارج بريطانيا.

وقد تنوعت خدمات هذه الجمعيات وتعدت الإنسان لتصل إلى الحيوان والنبات والبيئة، كما استطاعت هذه الجمعيات استقطاب أهل الكفاءات ليقدموا خدمات طوعية مجانية لمجالات تجذب اهتمامهم، ويستفيد منها المجتمع. وقد بلغ عدد البالغين الذين يمارسون نشاطاً تطوعياً منظماً في بريطانيا أكثر من ٢٠ مليون شخص.

وبالرغم من أن عمل المفوضية في تنظيم قطاع الجمعيات الخيرية تعرّض لبعض التغيرات في الفترة الأخيرة إلا أن المفوضية ما زالت تؤكد على مبدأ أن الجمعيات الخيرية يجب أن تكون حرة ومستقلة عن الحكومة. (١)

(١) تجربة بريطانيا في إدارة العمل الخيري إبراهيم بن سليمان الحيدري، البيان السعودية ربيع الآخر ١٤٢٥،

يونيو ٢٠٠٦ بتصرف.

وهذه بعض الجهات القوية والتي تمثل عاملاً كبيراً في الأعمال التطوعية^(١)

الجهة	أبرز المجالات
أوكسفام Oxfam	- تعد أكبر المؤسسات المانحة في العالم. - تعنى بالأنشطة الإغاثية. - يبلغ عدد موظفيها ٤٣٥٠ موظفاً يتوزعون على ٦٠ دولة. - يتعاون مع المنظمة ٢٠٠٠٠ متطوع في ٧٠٠ متجر تابع لها. - تبلغ إيرادات التبرعات المنتظمة ٤٠ مليون جنيه إسترليني سنوياً تشارك في حوالى ٢٠٠٠ مشروع.
معهد العمل الخيري Institute for philanthropy	- يهدف الى توعية المانحين وتأهيلهم. - يتعاون مع ٢٠٠ عائلة غنية في أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا وإفريقيا. - يعلم قرابة ١٠٠٠٠ طالب وطالبة في حوالى ١٠٠ مدرسة بريطانية.
مؤسسة نافيلد- لندن The Nuffield Foundation	- مؤسسة مانحة في مجال البحوث والدراسات. - يقدر حجم وقفية المؤسسة بقرابة ٢٥٠ مليون جنيه إسترليني. - يبلغ دخلها السنوي حوالى ٩ مليون ج إسترليني.
رابطة المؤسسات المانحة	- تهتم بتنظيم عمل المؤسسات المانحة. - بلغت المنح المقدمة عن طريق الرابطة ٢.١ بليون ج إسترليني

(١) تجارب مميزة للمؤسسات المانحة البريطانية، إعداد مؤسسة عبد الرحمن بن صالح الراجحي ص ٢٦-٢٨.

في عام ٢٠٠٥ م. - يبلغ عدد الأعضاء ٣٠٠ مؤسسة.	Association Charitable Foundation
- تقدم منحاً في مجال التعليم. - بلغ إنفاق الوقفية في عام ١٩٩٨ م حوالي ٨.٢١ مليون ج استرليني. - حجم الانفاق السنوي قرابة ١٠ مليون ريال لا شيء مقارنة بغيرها.	وقف ساتون Sutton Trust

٣- العمل التطوعي في روسيا:

تختلف حركة العمل التطوعي في روسيا عن نظيراتها في الخارج. فقد اختلف جذرياً مفهوم التطوع عما كان عليه قبل قرنين وحتى عشرين سنة من الآن، فالمتطوعين الذين يتعهدون بعناية العذارى أو الصحاري الشمالية للاتحاد السوفيتي، أو يتولون بناء سكة حديد، يحصلون على رواتب مقابل أعمالهم وتعوضهم الدولة عن الأوضاع الصعبة في حياتهم، فالناس في جميع الأجيال قاموا بأعمال خيرية في أيام إجازاتهم يحصلون أو يلتحقون بعمل تعليمي واجتماعي في المدارس أو رياض الأطفال.

في البيئة الحديثة فهم العمل التطوعي في روسيا على أنه طريقة حياة خاصة، وجهة النظر التي أشغلت المجهودات من الإبداع لقرون كثيرة في المجتمع الإنساني في مجال العلاقات الاجتماعية.

وبحسب الأبحاث الاجتماعية فإن نصف المتطوعين الروس من الفتيات ونصف المتطوعات من النساء لم يتجاوزن الأربعين سنة، نصفهم حصل على التعليم العالي وربعهم من المتقاعدين.

توزيع حركات волонтерских الروسية على ثلاث مجموعات:

الأولى: الأكثر عددًا تعمل على مكافحة الإيدز والأمراض الأخرى.

الثانية: تتعامل مع مجموعات معينة من المجتمع (غالبًا ما يكونون من العاجزين وأطفال الأسر غير الناجحة.

الثالثة: (التوجه الجديد) استهداف النشاط التربوي لصياغة ثقافة طريقة صحيحة للحياة. إن مفهوم العمل التطوعي مشابه لمفهوم العمل الخيري بالنسبة للشعب الروسي. فالتاريخ الروسي غني بأمثلة الأعمال الخيرية، الإمبراطورة العظيمة كاترينا فيليكايا وبعد ذلك الإمبراطورة فدوروفنا نصبتا نفسيهما كمحستين. فالعديد من المعاهد الخيرية التي نظماها وضعت الأساس لنظام الجمعيات الخيرية الروسية، وأصبحت رعاية المعاهد الخيرية هي الوظيفة الأساسية العامة للفتيات من دائرة المحكمة وزوجات أصحاب المستوى العالي من رجالات الدولة، وأصبحت الأميرة ماريا دوندا كوف – كورساكوفا رمزًا للرحمة الأنثوية حيث اشتهرت بقصة عدم تمكنها من الحصول على إذن لزيارة سجناء سجن ستيتير سبارق المركزي فتقدمت بطلب وضعها فيه كشخص مدان.

تعد المساهمة في بناء مشترك لمنزل جديد، وجمع التبرعات لبناء المدارس والمستشفيات والمساجد والمعابد الأورثودوكسية عادة منتشرة في روسيا. فقد افتتحت دورات التعليم العالي للإناث في موسكو وكازان وكييف وساينت بيترسبرق وذلك في سبعينيات القرن ١٩. كما حصلت الجمعية الروسية النسائية على الميدالية الذهبية للأعمال الخيرية وذلك في باريس عام ١٩٠٠م في السوق الخيرية العالمية. وفي واحدة من أكبر منظمات موسكو الخيرية (جمعية رعاية الأطفال المطلوبين) جمع المتطوعون التبرعات وزاروا الفقراء. وفي موسكو عام ١٨٩٤م تم تنظيم إنشاء جمعية المدينة الخيرية للفقراء في مبادرة لبروفيسور جامعة ولاية موسكو فالديميرجري. وفي القرنين ١٩ و ٢٠ ميلادي وجدت ١٤٨٥٤ جمعية خيرية تعمل في روسيا وعقدت ثلاث مؤتمرات (١٨٨٦، ١٩١٠، ١٩١٤) متعلقة بالعمل الاجتماعي العام. واليوم في روسيا أقر النشاط التطوعي في القانون الفيدرالي المتعلق بالنشاط التطوعي

والمنظمات الخيرية في ٧ يوليو من عام ١٩٩٥م، وفي ٢٠٠٩م تقوم بترتيب إنشاء هيئة تطوعية أولمبية.

واليوم في روسيا تولي المعاهد الحكومية اهتماما كبيرا بالحركة التطوعية. ففي مارس ٢٠٠٩ تحدث وزير الرياضة وشؤون الشباب فوتكو أمام البرلمان بولاية داما عن ضرورة تطوير حركة التطوع في روسيا. وبحسب الإحصاءات الاجتماعية فإن حوالي ٢ مليون شاب يشتركون بدوام كامل في النشاط التطوعي وحوالي ٧ مليون منهم بدوام جزئي.

ولاحقاً أصبح عمل المتطوعين مصدراً مهماً جداً لتطوير الاقتصاد وخاصة خلال فترة الأزمة الاقتصادية العالمية. وتساهم حركة التطوع في روسيا في حل العديد من المشاكل. فهي تقدم الدعم للأيتام والعاجزين ومرضى السرطان والإيدز والمشردين والمحتاجين.

٤- دراسات إجمالية لدول كثيرة.

وفي كندا طبقاً لإحصاءات عام ٢٠٠٣م، توجد ١٦١ ألف جمعية خيرية، يعمل فيها مليوناً موظف.

وتشير دراسات أخرى إلى أن:

- مشاركة المتطوعين في سنغافورة ارتفعت بنسبة ٦٠ في المائة بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٢م.
- العمل التطوعي في النرويج يوفر أكثر من ٦ في المائة من الناتج الوطني الإجمالي.
- المتطوعين في جنوب أفريقيا يشكلون ٤٣ في المائة من القوة العاملة في القطاع غير الربحي.

- جامعة سان كارلوس في غواتيمالا قد أنشأت مدرسة تعنى بالعمل التطوعي الاجتماعي.
- الصين قد أنشأت معهداً لبحوث العمل التطوعي والرفاه الاجتماعي يقدم المشورة لمسؤولي الحكومة فيما يتعلق بالسياسات المؤيدة للمتطوعين.

نمو وانتشار المنظمات غير الحكومية وتوسع نشاطاتها عبر الحدود:

ففي روسيا هناك ما يقارب من ٦٥٠٠٠ منظمة، وفي الهند هناك أكثر من مليون منظمة تطوعية مسجلة، وأكثر من ٢٠٠٠٠٠ منظمة غير حكومية في السويد، وأكثر من ٢١٠٠٠٠

منظمة في البرازيل، أما في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فهناك أكثر من ٥٠٠٠٠٠ منظمة، وفي كينيا مثلاً ينشأ كل سنة ما لا يقل عن ٢٤٠ منظمة غير حكومية.

أما فيما يخص إنشاء المنظمات غير الحكومية في معظم دول الجنوب، فيتم بالتعاون مع المنظمات العالمية والهيئات الدولية، حيث تساهم الأمم المتحدة في قيام هذه المنظمات بالتمويل والدعم كما ساهمت في ربط بعضها البعض، وهكذا أصبحت المنظمات غير الحكومية أحد الأدوات التنفيذية لبرنامج الأمم المتحدة ويدها الطولى في تنفيذ سياستها للتغيير في دول العالم، خاصة في العالم الثالث.

إضافة إلى هذا، فإن المنظمات التمويلية العالمية، وكثير من الحكومات الغربية، تجد الثقة في المنظمات غير الحكومية لتمويل برامجها، في حين أنها تشكك في مصداقية الحكومات وكفاءة استثمارها للأموال المقدمة لها في تحقيق برامجها، بل إن المنظمات غير الحكومية بدأت تعمل في الكثير من الأحيان بدلاً عن الوكالات الدولية للتنمية والإغاثة في حالات الطوارئ، فمعظم المواد الغذائية التي قدمها برنامج الغذاء العالمي (WFP) إلى " ألبانيا " سنة ١٩٩٩ تم توزيعها عن طريق منظمات غير حكومية.

أما في إفريقيا، فقد حولت الدول الغربية مساعداتها إلى المنظمات غير الحكومية، فالمساعدات الأمريكية البالغة (٧١١) مليون دولار سنة ١٩٩٩، تذهب يشكل متزايد إلى المنظمات غير الحكومية من خلال منظمة (USA AID)، وبين عامي ١٩٩٠-١٩٩٤ ارتفعت نسبة مساعدات الإغاثة التي يقدمها الاتحاد الأوروبي عن طريق المنظمات غير الحكومية، من ٤٧٪ إلى ٦٧٪.

واستجابة لتزايد الطلب العالمي على خدمات هذه المنظمات وتوسع أنشطتها وتنوع اهتماماتها وأهدافها، فقد رصدت لها أموالاً ضخمة، حيث قدمت هذه المنظمات ما مجموعه عشرة ملايين دولاراً من أصل ٦٠ مليار دولاراً مساعدات عبر البحار، وأصبحت هذه المنظمات تؤمن على مبالغ كبيرة يتم توزيعها عبر العالم.^(١)

(١) المنظمات غير الحكومية و دورها في عولمة النشاط الخيري و التطوعي.

ثالثاً: الاتجاه الديني: وهو متنوع ومتسع، ويختلف من بلد إلى آخر، قوة وضعفاً

*اليهود والعمل التطوعي .

تقوم ميزانية العدو الإسرائيلي على عدة مصادر في مقدمتها الاعتماد على صناعة التقنية في المجالات المختلفة وعلى الأخص العسكرية منها بالإضافة إلى الصناعات الأخرى ويأتي في المرتبة الثانية بعد تلك الصناعات المساعدات المالية التي تقدمها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والتي تصل إلى أكثر من ٢.٥ مليار دولارًا سنوياً بالإضافة إلى القروض المعفاة من الفوائد والتي تنتهي غالباً إلى الإعفاء أو عدم السداد. ناهيك عن التسليح والتدريب وتزويدهم بأحدث ما توصلت إليه التقنية من اكتشافات ثم التمويل الذي تتلقاه إسرائيل من اليهود المقيمين خارج إسرائيل وخصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية والذي يقدر سنوياً بأكثر من ١.٥ مليار دولار والدعم المالي اليهودي يتم جمعه بإحدى طريقتين:

إما من الهبات التي تأتي بالدرجة الأولى من حملات اتحاد النداء اليهودي، أو من فوائد الأموال المستثمرة لفترات زمنية طويلة والتي تقوم بترتيبها منظمة السندات الإسرائيلية. وهذه الأموال مهمة جداً بالنسبة لإسرائيل حيث يتم الاعتماد عليها لحقن الاقتصاد الإسرائيلي بالمال خصوصاً في وقت الأزمات مثل تلك التي سبقت حرب ١٩٦٧م وكذلك الفترات التي يسودها التوتر مثل تلك الأيام التي سبقت حرب الأيام الستة وما بعدها وكذلك تلك التي رافقت اجتياح إسرائيل لجنوب لبنان عام ١٩٨٢م وكذلك ما هو حادث الآن في إسرائيل نتيجة الجهاد الفلسطيني.

ويصب المال الذي تتم جبايته مباشرة في ميزانية إسرائيل للتنمية ويشكل جزءاً لا يستهان به منها وعلى الرغم من أن إسرائيل تدعي أن هذا المال مخصص للأغراض الإنسانية والإنمائية فقط إلا أنها تستخدم جزءاً منه للإنفاق العسكري.

ولجمع المال من اليهود الذين يقيمون في بلاد الشتات على حد تعبيرهم قيمة رمزية عالية فهو رمز قوي وواضح يدل على انتماء يهود الشتات إلى يهود إسرائيل ودليل على اهتمامهم بما يجري فيها، وبصرف النظر عن كمية المبلغ الذي يتم جمعه كل سنة فإن هذا الأسلوب في جمع المال يؤثر في المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية بأساليب مختلفة مثل:

١- توحد الشعور بالانتماء إلى إسرائيل وتولد صورة إيجابية اتجاهها في نظر كل من اليهود وغير اليهود خارج إسرائيل

٢- تجعل النقاش الذي يدور حول إسرائيل منصباً باتجاه القضايا الإنسانية التي يواجهها الشعب الإسرائيلي من ناحية ثقافية أو تعليمية مما يتوجب دعمه.

٣- جعل إسرائيل محور الحملة والتركيز على أنها محاصرة بالعالم العربي الذي سوف يرميها في البحر حسب تعبيرهم والحاجة إلى دعمها مادياً ومعنوياً.

ولقد اتبع اليهود في أمريكا طرقاً مختلفة لجلب تعاطف الناس معهم حيث يقوم الأغنياء منهم بالتبرع للجمعيات الخيرية وبالطبع هذا محسوب تماماً من قبلهم ذلك أن ما يتم التبرع به للأعمال الخيرية يخصم لصالحهم من الضرائب المستحقة عليهم وبالتالي لا يخسرون شيئاً ويظهرون أمام المجتمع الأمريكي بالكرماء ومحبي الخير فما بالك إذا كانت تلك التبرعات تذهب لصالح إسرائيل عن طريق التبرع بها لصالح بعض الجمعيات الخيرية اليهودية في أمريكا وما تتلقاه تلك الجمعيات الخيرية معفى من الضرائب باعتبارها منظمات خيرية أمريكية بغض النظر عن النشاطات التي تقوم بها تلك الجمعيات، أي أن كل ذلك يمكن أن يتم بطرق مباشرة أو غير مباشرة عن طريق التحايل على الدستور والنظام.

وجباية المال في المجتمع اليهودي لصالح بعضهم البعض له جذور تاريخية ويعود إلى الفترات العvisية التي تعرض فيها اليهود في مناطق مختلفة من العالم للاضطهاد بسبب عنصريتهم وحقدهم الأسود على الشعوب خصوصاً في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى حيث

كان الصندوق الأزرق موجودًا في جميع المحلات والمخازن اليهودية ليضع فيه المتبرعون ما تجود به أنفسهم من مال، وقد حدث اختلاف وشقاق بين الجاليات اليهودية المختلفة في الدول المختلفة على أسلوب جمع المال والتصرف به مما دعا إلى إيجاد صيغة موحدة لجمع المال خصوصاً عام ١٩١١م عندما احتاجت الجاليات اليهودية إلى مبالغ كبيرة من المال حيث عقدت اللجنة اليهودية الأمريكية مؤتمرًا لتوحيد الجباية اشتركت فيه جميع المنظمات اليهودية القومية وقد عين ذلك المؤتمر خمسة أعضاء يمثلون مختلف الاتجاهات في المجتمع اليهودي وكلفهم المؤتمر باختيار "مئة زعيم يهودي أمريكي" لتأليف لجنة الإغاثة اليهودية الأمريكية، ثم تلا ذلك تطورات مختلفة، إلى أن قام "حاييم وايزمان" بصفته رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية بتأسيس الوكالة اليهودية والذي كان غرضه الأساسي منها اجتذاب شخصيات يهودية غير صهيونية مثل البرت اينشتاين، ولويس مارشال، وأسرة روتشيلد لتأييد البرنامج الصهيوني.

وقد بدأ التعاون الحقيقي والموحد في عملية جباية المال خلال فترة الحكم النازي لألمانيا وخصوصاً في عام ١٩٣٩م وذلك استجابة للأزمة في أوروبا حيث قامت منظمة النداء اليهودي المتحد والذي ضم تحت جناحيه عددًا من المنظمات اليهودية.

وبعد قرار الأمم المتحدة بالتقسيم على ١٩٤٧م أرسلت غولدا مائير إلى الولايات المتحدة الأمريكية لجمع المال من أجل السلاح وقد قالت للجماهير اليهودية الأمريكية التي استمعت إليها ما اختصاره.

"إن الطائفة اليهودية في فلسطين سوف تحارب إلى النهاية ونحن نحتاج إلى السلاح والسلاح يحتاج إلى المال وعدونا يمكن أن يدعم من قبل الحكومة المصرية وكذلك الحكومة السورية، أما نحن اليهود فلا حكومة لنا ولكن لنا ملايين اليهود في الشتات أمثالكم والذين سوف يقدرون وضعنا ويدعموننا فبكت جماهير اليهود وتعهدت بالمال وكتبت غولدا مائير بعد

ذلك في سيرتها الذاتية تقول "لم يحن وقت عودتي إلى فلسطين حتى كنت قد جمعت ٥٠ مليون دولارًا (وهذا مبلغ كبير جداً في ذلك الوقت) حولت على الفور إلى صفقات سلاح سرية من أوروبا لصالح الهاجاناه (منظمة إرهابية يهودية تعمل على قتل الفلسطينيين).

واليوم أصبحت جباية المال من قبل اليهود في أمريكا جيدة التنظيم عالية الاحتراف ونشاط مركز في أولوياته على دعم حاجات إسرائيل وتشمل شبكة الجباية على نوعين من المنظمات:

١- نوع يجمع المال من المساهمات المعفاة من الضرائب وتضم النداء اليهودي، والنداء الإسرائيلي ولجنة التوزيع المشترك، والصندوق القومي اليهودي في أمريكا، وصندوق وقفية فلسطين، صندوق وقفية إسرائيل، وصندوق إسرائيل الجديد، بالإضافة إلى عشرات المنظمات الصغيرة التي تجني المال مباشرة لصالح المؤسسات الإسرائيلية مثل الجامعات، المستشفيات، والمتاحف وغيرها.

٢- النوع الثاني فهو يجتذب الاستثمارات المالية إلى إسرائيل، وتوضع الأموال في تصرف الحكومة الإسرائيلية على سبيل القرض بشروط ميسرة والمنظمات الكبرى التي تعمل في هذا المجال هي منظمة سندات دولة إسرائيل، والشركة الاقتصادية الإسرائيلية، والشركة الأمريكية الإسرائيلية.

ولقد استخدمت المنظمات اليهودية الكبرى طرائق ووسائل مختلفة لإغراء الناس بصورة شخصية أو معنوية على التبرع مثل كتابة أسمائهم مع المبالغ التي تبرعوا بها في كتاب يسمى الكتاب الذهبي يصدر خصيصاً لهذا الغرض ويصبح متداولاً بين الناس، وإقامة حفلات كبرى يتم فيها تلاوة أسماء المتبرعين ومقدار تبرعهم وطلب وقوفهم وسط الحفل حتى يتعرف عليهم الجميع وإتاحة الفرصة أمام كبار المتبرعين بالاجتماع مع مسؤولين كبار من إسرائيل أو الحكومة الأمريكية سواء في جنيف أو واشنطن وبيان أهميتهم ودعمهم معنوياً

عند الحاجة إلى غير ذلك من الوسائل التي تساعد على التبرع. كما أن هناك شعارات مختلفة يتم جمع المال تحتها مثل:

إنقاذ شعب إسرائيل.

اليهود في خطر.

ادفع دولارًا تقتل عربيًا.

اليهود المحتاجون يتوجب مساعدتهم، من أجل أرض الميعاد.

وغير ذلك من الشعارات التي تميل إليها أنفس اليهود كما يستعملون شعارات أخرى تتلاءم مع المناسبة عندما يتم جمع المال من غير اليهود.

وعندما تكون إسرائيل في حاجة إلى دعم عاجل يقوم رئيس الوزراء الإسرائيلي ووزرائه على التوالي بزيارة المنظمات اليهودية في أمريكا وبموافقة وفود منها للدعوة لجمع التبرعات من الطوائف اليهودية في أمريكا ومن المنظمات الموالية لليهود.

وقد تحولت نشاطات تلك المنظمات إلى مجال المال والأعمال منذ عام ١٩٨٢م حيث تم إنشاء سندات إسرائيل للشركات والتي تم شراء ما قيمته ١٦٠ مليون دولارًا من السندات التي عرضتها منظمة سندات إسرائيل من قبل عدد من الشركات والمصارف وشركات التأمين في أمريكا كما تم شراء تلك السندات من قبل ٩٥٠٠ صندوق تقاعد، ٣٥٠٠ مصرف،

١٥٠٠ اتحاد عالمي، ٥٠٠ شركة تأمين

وأغلب المنظمات اليهودية في أمريكا تسجل تحت اسم منظمات خيرية معفاة من الضرائب

وبالإضافة إلى المنظمات السابقة الذكر هناك عشرات من جماعات الصداقة الإسرائيلية

الأمريكية ومثل هذه الجماعات تقوم بالجباية لمؤسسات أو منظمات معينة في إسرائيل ويشمل

المستفيدون من هذه المنظمات مؤسسات تربوية مثل الجامعات وصحية مثل المستشفيات وإنعاشية وغيرها.^(١)

٢- المؤسسات الخيرية النصرانية

الإغاثة لخدمة النصرانية:

الراصد لحالات الإغاثة لخدمة النصرانية يوشك أن يجزم بأن العمل الإنساني الغربي إنما نشأ أصلاً لإدخال الناس في النصرانية وليس لإطعامهم أو كسائهم. . ينقل [جراهام هانكون] صاحب كتاب [سادة الفقر] عن " نيد أنفستروم " الذي كان رئيساً لمنظمة [رؤية العالم] قوله: 'إننا نحلل أي مشروع أو برنامج نقوم بتنفيذه للتأكد من أن ذلك البرنامج يمثل الجانب التبشيري فيه مكوناً مهماً، إننا لا نستطيع أن نطعم الناس ثم نتركهم يذهبون إلى جهنم!! ". ويقول صاحب الكتاب: إن شهود عيان أثبتوا أن منظمات إغاثة تعمل مع منظمة [رؤية العالم] دأب العاملون فيها على تهديد اللاجئين من السلفادور بوقف الطعام عنهم إن لم يأتوا لحضور القداس البروتستانتي، كما ضرب الكاتب مثلاً بهذه الممارسات بما تم في الصومال، حيث لم يحتفل هذا الشعب المسلم بأكمله أن تتم فيه دعوة للنصرانية فأوسعهم ضرباً حتى غادروه!

وذكر " ستان جوثري " أن مجموعة النصارى العرب المقيمين في الولايات المتحدة أنشأوا منظمة تسمى [المعونة الصحية للشرق الأوسط] اختصارها HOME قال أحد أقطابها [د. عصام رعد]: " واجبنا الحد من موت الأفراد على غير النصرانية!! " وبالتأكيد فإن مثل هذه الجمعيات لا تحاربها أمريكا إنما تحفزها وتيسر لها السبل. . الأخطر في القضية أن الانتشار الأفقي للنصرانية قابله صعود رأسي تحول معه النشاط التنصيري إلى دور العلم المرموقة. . حيث تقوم جامعة كولومبيا العالمية بوضع مناهج علمية وتدريبية خاصة بـ'التنكر والتخفي لتنصير المسلمين' بحيث يعمل نصارى في شكل مسلمين داخل مجتمع المسلمين!! وذلك ما

(١) علاقة الإرهاب بالعمل الخيري في الفكر الصهيوني، حمد بن عبدالله اللحيدان، مقال نشر بجريدة

تسميه بعض المجلات الأمريكية بـ "الحرب الصليبية الحذرة". حيث وصل عدد الكادر المؤهل لهذه المهمة أكثر من ٣ آلاف مبشر تنصيري خاص بالمسلمين يعملون الآن في ٥٠ دولة.

يقول ديفيد كاشين أستاذ الدراسات الثقافية بهذه الجامعة . والذي يلبس لباس المسلمين ويختلط بهم ويتظاهر بثقافتهم: 'إن المسيح أجل عودته طيلة ألفي سنة لأننا لم ننجز المهمة الموكلة إلينا' وهؤلاء لهم منهج متكامل في تنصير المسلمين يسمونه 'السياقية' حيث يضع المبشر منهم نفسه في سياق المجتمع الإسلامي كأنه واحد منهم ثم يبدأ يجذب إليه الأفراد واحداً بعد آخر!!

تعود جهود تنصير المسلمين إلى العام ١٩٧٧م حينما اجتمع المنصرون في بال بسويسرا . المكان نفسه الذي اجتمع فيه اليهود لإنشاء إسرائيل!! وفي العام الذي يليه اجتمع المنصرون في أمريكا بولاية كلورادو بزعامه ١٥٠ منصرًا ووضعوا ٤٠ دراسة حول تنصير المسلمين في العالم! ووضعوا لانطلاقة هذا العمل مبلغ مليار دولارًا في ذلك الوقت، وأنشأوا معهد [زويمر] لتخريج المنصرين! ثم عقد مؤتمر [المجلس العام لتنصير العالم] في عام ١٩٩٥ وانتدب له ٥٠٠ شخصية تم اختيارها بعناية بحيث يكون في استطاعة كل واحد تعبئة شبكة تنصيرية تعمل على تنصير ١٠ آلاف شخص لهم القدرة على تعبئة [٢٠٠ ألف إرسالية] حتى عام ٢٠٠٠م وأسندوا الجانب الأكبر لإنجاح المشروع للعمل الإنساني الإغاثي إضافة إلى المنح الدراسية حيث يعتبر برنامج المنح الدراسية الذي يتبناه "جورج سورس" عبر مؤسسته العملاقة [المجتمع المفتوح] أكبر برنامج ينشط في هذا الأمر خاصة في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية وبلاد البلقان حيث تقوم المنح لآلاف المتميزين من أبناء المسلمين!

المؤسسات التطوعية النصرانية

والمؤسسات الخيرية النصرانية، وأيضًا تختلف هذه المنظمات باختلاف المذاهب في الديانة الواحدة، فهناك منظمات تنصيرية تمثل البروتستانت، وأخرى للكاثوليك، وثالثة للإنجيليين

وغير ذلك؛ بل يوجد أكثر من ٤٠٠ مذهب بروتستانتى في أمريكا ولكل مذهب جمعياته ومنظماته الخيرية.

"المنظمات الدينية النصرانية" من حيث أعداد المنصرين، وإمكاناتهم وتوجهات هذه المنظمات في ضوء المعلومات المتاحة على مواقع هذه المنظمات:

يبلغ عدد المنصرين ٤٢٩ ألفاً طبقاً لإحصاءات عام ٢٠٠١م، أما عدد المنصرين البروتستانت يصل إلى ٦٤ ألف منصر، ٦٪ منهم يعملون على تنصير المسلمين، بمعدل ١٢٢٤٠ منصر، وهذا لا يشمل الكنائس الأخرى الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية. أما دخل العمل الكنسي في العالم في عام ٢٠٠١م، فقد بلغ ١٥ تريليون و٥٠٠ مليار دولاراً منها ٣٠٠ مليار دولاراً تخصص لشؤون العمل التنصيري و١٧ مليار دولاراً للإرساليات الأجنبية، وأشهر المنظمات التنصيرية التي تعمل في العالم الإسلامي وخاصة في دارفور وغزة منها:

منظمة الرؤية العالمية، وهي أنشئت في عام ١٩٥١ في أمريكا، وهي منظمة نصرانية إنجيلية وميزانيتها في عام ٢٠٠٧م وصلت إلى ٢.٧ بليون دولاراً وهي تخطط بين العمل الإنساني والتنصيري.

منظمة الكاريتاسي وهي كاثوليكية أنشئت في عام ١٩٨٧م وتضم ١٦٢ منظمة. منظمة العون المسيحي ولها نشاط في مجال العمل التنصيري ومجالات التنمية وخاصة في مكافحة الفقر.

مؤسسة مبشرين من أجل الخير (الأم تريزا) في كالكتا بالهند وتضم ٤٠ منظمة تنصيرية.

إن من جرب العمل الميداني يستطيع أن يؤكد الدعم الكبير الذي تلقاه المنظمات النصرانية من الدول والحكومات الغربية إضافة إلى الدعم الشعبي، فهي في أيديها أموال طائلة، وخبرات، وإمكانات بشرية وحماية توفرها لها الدول والحكومات الغربية.^(١)

إن الهجمة التي تريدها أمريكا بالجمعيات الإسلامية الخيرية في إطار ما تسميه (بتجفيف منابع). الأولى أن تقوم بها في أرضها التي أشرنا أن (٧٧) بليون دولارًا سنويًا على الأقل تصرف للجمعيات الدينية.

فالتنصير القسري لشعوب المسلمين تارة بالطعام وتارة بالدواء والعلاج وتارة بإعمار الأرض - بزعمهم - وحفر الآبار وتقديم الخدمات كالطرق وغيرها وأخرى ببناء المدارس الكنسية ومرة بالتدريب والتطوير كل ذلك من التدخل المقيت والإرهاب الديني التنصيري المدروس والمخطط لأفريقيا وأندوسيا خاصة وغيرها عامة. . وأين نحن من هذه الأرقام الفلكية التي تتدفق على الجمعيات التنصيرية.

وماذا لو كانت لدينا منظمات تنويرية دعوية للإسلام على غرار تنصيرهم؟ ؟ لكان لحقها قرارات الإقفال وتجميد الأموال بزعم أننا ندرس الناس القرآن والأصولية الدينية.

- وليس من العجب أن كل المنظمات الإسلامية الموجودة ما هي إلا منظمات إغاثية بالدرجة الأولى ولا يجرؤ أحد منها على الدعوة للإسلام علنًا، بالطريقة التي يقوم عليها المنصرون.
- إن الإرهاب الحقيقي هو التنصير الذي تدعمه أمريكا باقتصادها لفتنة الشعوب عن دينها ودين آبائها وأجدادها وراجع توصيات مؤتمر كولورادو والتنصيري ومذكرات زويمر.
- والأهداف للحملة الأمريكية على الجمعيات اللاربحية الإسلامية تتركز في الآتي:

(١) ضرورة توثيق العمل الخيري الإسلامي وتفعيل الدور التطوعي، الدكتور صالح الوهبي، محاضرة أُلقيت ضمن البرنامج الثقافي لكلية الآداب جامعة الملك سعود، وانظر: المنظمات الإسلامية "إحصاءات تطوعية": فهد الزهراني.

- ١- استنبات كراهية العمل التطوعي اللاربحي في نفوس ناشئة المسلمين وفي الأجيال القادمة بدعوى الإرهاب.
- ٢- إقامة سدود بين المتبرع سواء كان فرداً أو تاجراً وزعزعة الثقة في أهلية العمل التطوعي الإسلامي لقبول التبرع وأهلية القائمين عليه لصرفه في قنوات الحاجة الصحيحة.
- ٣- إيراد الحسرة والندامة في نفوس المنفقين حينما يرون أموالاً لهم تبرعوا بها قد تم تجميدها مع العلم أنها لا تضيع عند الله كما هو معلوم من نصوص الشريعة حيث إنها وقعت في محلها
- ٤- إفساح المجال تلقائياً للمجال التنصيري عند غياب العمل الدعوي التطوعي الإسلامي وإحجام المسلمين عنه أو قلة الراغبين فيه.
- ٥- بث رسالة غير مباشرة لمحتاجي الإغاثة والرعاية والمتضررين بأنه ليس لهم إلا المنظمات التنصيرية في حين أن العمل التطوعي الإسلامي يعود عليهم بويلات أكبر مما هم فيه من ضرر حالي إضافة لما في ذلك من تهينة لقبول الدين النصراني المسيحي عند ضعاف العقول من الشعوب الفقيرة.
- ٦- تخذيل المسلمين المتضررين المحتاجين للمعونات والدعوة وفتنهم عن دينهم بدعوى أن لا أحد جاء لإغاثتهم من المسلمين.^(١)
- وأخيراً نستعرض بعض التوصيات المهمة والتي يأذن الله تعالى سيكون لها الفائدة في نهاء العمل التطوعي بشكل عام:
- ١- استمرار الدعم المستمر واللا محدود من الأفراد والحكومات للأعمال الخيرية والتطوعية المدروسة سواء القائمة أو المستحدثة مستقبلاً.

(١) راجع مقال د / حمود البدر في جريدة عكاظ ليوم ٢٩/١١/١٤٢٢.

٢- التوسع قاعدياً (أفقياً) بالعمل التطوعي بحيث تنشأ جمعيات لاربحية متخصصة لمكافحة السرطان، ولحماية المستهلكين، وللتعليم المستمر، ولحماية الحياة الفطرية، ولمساعدة المرضى المحتاجين، ولتعليم المهن للعاطلين، ولرعاية المسنين، ولرعاية المعاقين، وللتبرع بالدم، ولخدمة الحجيج ولللهال الأحمر وغير ذلك.

٣- التوسع رأسياً بالعمل الخيري والتطوعي والتصريح بجمعيات جديدة.

٤- تكثيف الإعلانات ضمن حملة توعوية للمجتمع بأهمية العمل التطوعي ودوره في بناء المجتمعات.

٥- فرض إعلانات مجانية في وسائل الإعلام المختلفة عن العمل التطوعي أسوة بما هو حاصل في الدول المتقدمة في كل وسائل الاعلام.

٦- فرض نسبة مئوية غير الزكاة الواجبة على كل الشركات المحلية والخارجية ولاسيما البنوك لدعم الأنشطة الالربحية وخدمة المجتمع المدني.

٧- مشاركة الجامعات ومعهد الإدارة العامة وطلبة مواد بحوث العمليات في إجراء بحوث تطويرية وميدانية عن الأعمال الخيرية التطوعية بكافة أنواعها لدعمها ومساندتها وتطويرها إدارياً.

٨- تبني مقترح (بديل الغرامة والعقوبة المروية) بأن يعمل المخالف مدة محددة لدى إحدى الجمعيات التطوعية.

٩- السعي نحو إقامة مشاريع وقفية تعود بالعائد على المشاريع التطوعية وتوفر استمرارية الدعم المستقر المحلي.

١٠- إنشاء بنوك إسلامية ذات قدم راسخة بعيدة عن سيطرة النفوذ الغربي والربوي.

١١- تدريس مادة عن العمل التطوعي الإنساني والاجتماعي والديني بالمدارس الابتدائية والثانوية وإنهاء ذلك في الناشئة.

١٢ - استمرار الجمعيات اللاربحية في اتباع قواعد وأنظمة محاسبية دقيقة وواضحة في قيودها المحاسبية.

• وأخيراً لن تبخل أمة على العمل الخيري والتطوعي وكتاب ربها يخاطبها بقوله تعالى {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: ٩٢].
وأما أولئك الذين كفروا فجوابنا عليهم قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٣٦].^(١)

(١) ينظر مقال أمريكا ونحن، والعمل الخيري - إحصائيات وأرقام - أفكار وتوصيات بجريدة المدينة -

ملحق الرسالة الاثنين ١٤/ ذي القعدة / ١٤٢٢ هـ إعداد مهندس / محمد أحمد حبيب.

المحتويات

١	موسوعة التطوع
(مقدمة موسوعة التطوع)	 خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.
١٥	المقدمات
١٦	تعريف العمل التطوعي
١٨	الفرق بين العمل والفعل:
٢٤	الألفاظ المرادفة للعمل التطوعي:
٢٤	١- عمل البر:
٢٥	٢- فعل الإحسان:
٢٧	٣- عمل الخير:
٢٧	٤- فعل المعروف:
٢٩	٥- التبرع:
٢٩	٦- التنفل:
٣٠	حكم العمل التطوعي
٥٥	أهمية العمل التطوعي
٥٩	أولاً: تنمية المجتمع وهي تشمل على عدة نقاط:
٥٩	١- التنمية الاجتماعية:
٥٩	٢- التنمية العلمية والثقافية:
٦٠	٣- التنمية الصحية والبيئية:

- ٤ - التنمية الاقتصادية: ٦١
- ٥ - التنمية البشرية: ٦٢
- ٦ - تحرير النفس من القيود: ٦٣
- ٧ - التمدين وعماراة الأرض: ٦٤
- ٨ - مقصد السلم الأهلي: ٦٤
- ٩ - محاربة الفقر: ٦٥
- ثانيًا: الأمن العام للمجتمع: ٦٧
- ثالثًا: العمل التطوعي نفعه متعدد ففائدته أعظم بخلاف القاصر ٧٠
- فضل العمل التطوعي في الكتاب والسنة وأقوال السلف ٧٥
- أولًا: الأدلة من القرآن الكريم: ٧٩
- ثانيًا: أمثلة عملية لأعمال الخير والتطوع في القرآن الكريم ٩٨
- ثالثًا: فضل العمل التطوعي في السنة: ١١٨
- رابعًا: نماذج عملية من السنة للأعمال التطوعية ١٦٧
- أشكال العمل التطوعي ٢٠١
- أولًا: العمل الفردي التطوعي: ٢٠٢
- ثانيًا: العمل المؤسسي التطوعي (الجماعي) ٢٠٤
- آليات تفعيل العمل التطوعي ٢٣٧
- أولًا: التخطيط الجيد: ٢٣٨
- ثانيًا: التدريب ٢٦١
- ثالثًا: التحفيز ٢٨٣
- وسائل العمل التطوعي ٣١٨

- ضوابط الوسائل والأساليب في الأعمال التطوعية: ٣١٩
- ١- القوافل الدعوية التطوعية: ٣٢٤
- ٢- الرسائل والمطويات ٣٢٩
- ٣- الإنترنت ٣٣٢
- ٤- الدعاية والإعلان ٣٣٨
- ٥- المخيمات الصيفية ٣٤٤
- ٦- البث المفتوح من فضائيات ونحوها: ٣٤٧
- ٧- القصص والتجارب الناجحة ٣٥٣
- ٨- إنشاء مقرات إدارية للعمل التطوعي ٣٥٨
- عقبات أمام استمرار العمل التطوعي ٣٥٩
- ١- فقد المراقبة: ٣٦١
- ٢- وقوع الاختلاف والنزاع بين المتطوعين ٣٦٨
- ٣- عدم الأخذ بمبدأ الشورى: ٣٧٦
- ٤- غياب مفهوم العمل الجماعي وانفراد أحد العاملين بالقرار والعمل ٣٨٥
- ٥- افتقاد الهيكل الإداري والتنظيمي للعمل: ٣٩١
- ٦- التخبط في اتخاذ القرار: ٤٠٤
- ٧- غياب المرجعية الرشيدة: ٤٠٩
- ٨- ضعف الإمكانيات: ٤١٥
- ٩- قلة وضعف الكفاءات: ٤١٧
- ١٠- عدم الاكتراث بأهمية العمل التطوعي: ٤١٨
- ١١- الجهل بالأحكام الشرعية المتعلقة العاملين في المجال التطوعي ٤٢٠

- ١٢- عدم توافر برامج خاصة لتدريب المتطوعين قبل تكليفهم بالعمل. ٤٢٤
- ١٣- غياب التوعية الإعلامية: ٤٢٨
- ١٤- التقليل من دور الشباب في العمل الخيري: ٤٣١
- ١٥- الاستئثار بالعمل: ٤٣٧
- ١٦- ضعف التنسيق بين الجمعيات ٤٤١
- ١٧- التربية الأسرية التي تهتم بالذات وتهمل مساعدة الآخرين. ٤٤٨
- مخالفات في العمل التطوعي ٤٥١
- ١- الاختلاط ٤٥٤
- ٢- المحسوبية ٤٦٣
- ٣- سوء الإدارة ٤٧٠
- ٤- تولية غير الأكفاء والصالحين ٤٨٠
- ٦- رؤية العمل ٤٩٢
- ٧- غياب الترشيح في النفقات (الإسراف في غير محله) ٤٩٧
- العمل التطوعي في المجتمعات الغربية والدعم المقدم له ٥٠٦
- الاتجاهات العالمية في العمل الخيري: ٥٠٧
- أولاً: الاتجاه الماركسي والاشتراكي في العمل الخيري: ٥٠٧
- ثانياً- الاتجاه الليبرالي الغربي وهو السائد ٥٠٨
- ثالثاً: الاتجاه الديني: وهو متنوع ومتسع، ويختلف من بلد إلى آخر، قوة وضعفاً ٥١٩